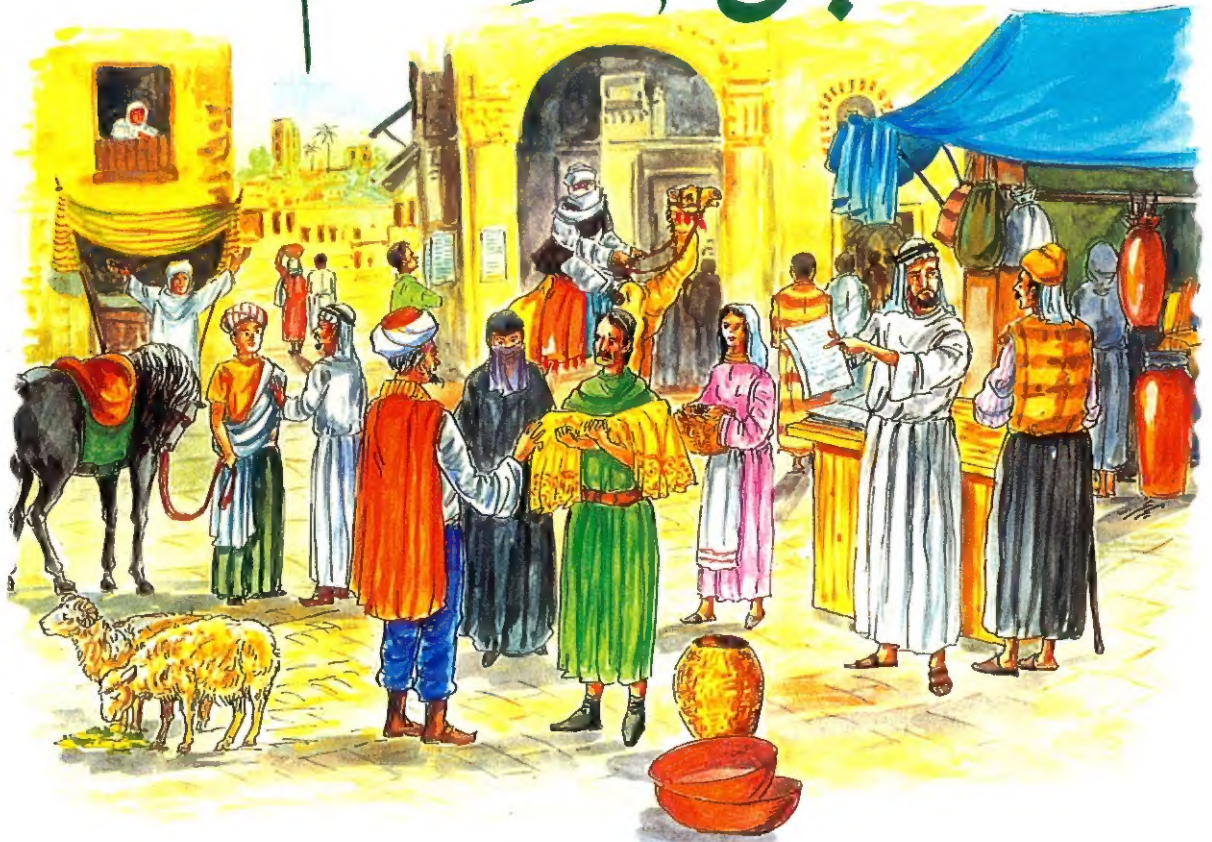


الدكتور علي محمد مطي

# تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام



دار المنهل اللبناني  
مكتبة رأس النبع

تاريخ العرب الاقتصادي  
قبل الإسلام



الدكتور علي محمد مطي

# تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام

دار المنهل اللبناني  
مكتبة رأس النبع

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠٠٣م - ١٤٢٣هـ

---

الكتاب: تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام.

المؤلف: الدكتور علي محمد معطي.

الناشر: دار المنهل اللبناني - مكتبة رأس النبع

---

دار المنهل اللبناني - مكتبة رأس النبع للطباعة والنشر

---

تلفون: ٠١/٦٣١٦٥٤ - ٠٣/٢٢٦٣٢٥ - تليفاكس: ٠١/٦٣٣٤٣٢ (بيروت - لبنان)





## الإهداء

إلى شقيقي الشاعر الدكتور رشيد معطي  
اعترافاً بفضلته عليّ، وبتضحياته الكبيرة من أجلنا،  
أطال الله تعالى عمره  
والى روحي جدّي اللّذين رحلا قبل أن أبصر النور  
رحمهما الله تعالى وجعل قبريهما روضتين من رياض الجنّة.





## المقدمة

تتميّز البلاد العربية بموقع فريد، فهي توجد على أهمّ الطرق الرئيسة في العالم، التي تصل بين الشرق والغرب، وتُحيط بها المياه من معظم جوانبها: فهناك الخليج العربي في الشرق، والمحيط الهندي في الجنوب، والبحر الأحمر في الوسط، والبحر المتوسط في الشمال الغربي، والمحيط الأطلسي في الغرب.

وقد شكّل هذا الموقع في الماضي معبراً للإنسان في تنقلاته على وجه الأرض، وصلة وصل بين القارات الثلاث: آسيا وأفريقيا وأوروبا. كما شكّل الموطن الأول له ولذريته حيث التقى آدم وحواء بعد أن طردهما الله سبحانه وتعالى من الجنة ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾<sup>(١)</sup> على جبل عرفات المبارك وتعارفا من جديد، وأعدّا العدة لرحلة الإنسان في الحياة الدنيا، التي ستستمرّ إلى أن يرث الله سبحانه الأرض وما عليها. ثمّ بنى آدم بأمر ربّه في مكّة الكعبة الشريفة التي كانت أوّل بيت<sup>(٢)</sup> أقيم في الأرض، ولذا عُرف بالبيت العتيق الذي أزيلت جدرانه وبقيت أركانه في طوفان نوح عليه السلام.

واستجابة لأمر الله تعالى أعاد النبي إبراهيم عليه السلام بناء الكعبة الشريفة بمساعدة ابنه إسماعيل. وقد تعاون الأب والابن في هذا العمل الجليل، وأنجزاه، ثمّ دعا الناس للطواف حولها، والسعي بين الصفا والمروة، والقيام

(١) قرآن كريم، سورة طه، آية ١٢٣.

(٢) يذكر بعض الرواة «أنّ البيت أهبط ياقوتة واحدة أو دُرّة واحدة من السماء، حتى إذا أغرَقَ الله قوم نوح رَفَعَهُ وَبَقِيَ أَسَاسُهُ، فَبَوَّاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لإبراهيم فبناه».

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، الجزء الأول، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٦٠، ص ١٣٢.

بكل المناسك المفروضة يوم الحج الأكبر، والصلاة، والالتزام بفرائض الدين الحنيف، دين إبراهيم عليه السلام. وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝١٢٧ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝١٢٨ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١٢٩﴾ (٣).

وعلى هذا الأساس تكون مكة في الحجاز الموطن الأول لآدم وحواء ومركز انطلاقهما وانطلاق ذريتهما إلى الأقاليم المجاورة. وتكون البلاد العربية كلها قلب العالم القديم الذي لعب منذ أقدم العصور دور الأم؛ فكان المخزون البشري الهائل الذي مد العالم بقواه البشرية. كما كان المكان الطيب الذي باركه الله تبارك وتعالى، وبعث عليه رسله وأنبياءه الذين قصّ القرآن الكريم قصصهم وأخبارهم، والذين نشروا فيه تعاليمهم وقيمهم وأديانهم...

وتثبت المكتشفات الأثرية الحجرية التي تعود إلى العصر الحجري القديم الأدنى، أن الإنسان وُجد في عصر ما قبل الآشولي<sup>(٤)</sup> منذ أكثر من مليون سنة تقريباً، في المنطقة الجنوبية - الغربية في شعيب بحصنة (فرع من وادي نجران)، وفي وادي ثلث، وجنوب غرب قرية الشويحطية على مسافة ثلاثين كيلومتراً

(٣) قرآن كريم، سورة البقرة، آية ١٢٧ - ١٢٩.

(٤) إن كلمة آشولي (Acheuléen) تعود نسبتها إلى القديس آشول (Saint Acheul) الذي عاش في قضاء السوم من أعمال فرنسا الشمالية. وهي حقبة زمنية بدأت قبل نهاية العصر الجليدي المعروف بريس (Riss)، واستمرت حتى عصر شلّي (Chelléen). وتتميز أدواته الحجرية التي تنتمي إلى العصر الحجري القديم الأدنى (Paléolithique inférieur)، بترققها على الوجهين (Bifaces) بكثير من العناية. ويأخذ بعضها شكل اللوزة (amande). كما يأخذ عدد كبير منها شكل المكشط (Racloir) والمسامير (Pointes) والسكاكين أو المديات (Couteaux). وقد انتقل إنسان هذه الحقبة إلى أفريقيا منذ ما يقارب المليون سنة قبل الميلاد، وانتشر في أوروبا منذ حوالي ٥٠٠ ألف عام قبل الميلاد.

Grand Dictionnaire Encyclopédique Larousse, Tome I, librairie Larousse, Paris 1982, P72.

من مدينة سكاكا. في الوقت الذي كانت فيه شبه الجزيرة العربية وفيرة النباتات والحيوانات<sup>(٥)</sup>.

ومن هناك أخذ هذا الإنسان وذريته ينتشرون في المناطق المجاورة في العصور الآشولية التالية: العصر الآشولي المبكر (١٢٠٠ ٠٠٠ - ٣٥٠ ٠٠٠ قبل الميلاد)، والعصر الآشولي الأوسط (٣٥٠ ٠٠٠ - ٢٥٠ ٠٠٠ قبل الميلاد)، والعصر الآشولي الأعلى (٢٥٠ ٠٠٠ - ١٠٠ ٠٠٠ قبل الميلاد).

وكذلك تثبت المكتشفات الأثرية الحجرية التي تعود إلى العصر الحجري القديم الأوسط المoustيري<sup>(٦)</sup> (٧٠ ٠٠٠ - ٣٥ ٠٠٠ ق.م) أن مستوطنات الإنسان كانت تنتشر في معظم أنحاء شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام<sup>(٧)</sup>.

ومنذ عشرين ألف سنة من الوقت الحاضر أعقب هذا العصر عصر الإيسار الجليدي (الهولوسين)<sup>(٨)</sup> في صحارى شرق الأردن، والذي تميّز بتطابق

---

(٥) محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وفجره في المملكة العربية السعودية، ترجمة عبد الرحيم محمد خبير، مؤسسة الجرسى للتوزيع والإعلان، الرياض ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ص ٥٨.  
مكتب التربية العربي لدول الخليج: الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، الرياض ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ٢٢٢.

(٦) المoustيري (Moustérien)، نسبة إلى مoustier التي تقع على الضفة اليمنى لنهر فزير (Vézère)، في الجهة الجنوبية - الغربية من فرنسا. وفي هذا الموضع اكتُشف عام ١٩٠٨ بقايا لإنسان متحجر يُعرف بإنسان مoustier (L'homme du Moustier)، وهو من جنس إنسان نيوندرتال (L'espèce de Néandertal)، وتقع فترة المoustيري في النصف الثاني من العصرين الجليديين (Interglaciaire) المعروفين باسم ريس وفيرم (Riss-Würm) وتتميّز أدواته الحجرية، التي تنتمي إلى ثقافة العصر الحجري القديم الأوسط (Paléolithique moyen)، بشظاياها المثلثة والمرؤسة كالمسامير (Pointes). وبسكاكينها البيضاء التي تشبه المكاشط (Racloirs)، وبأشكالها المرققة على وجهين صغيرين: (Petit bifaces).

Grand Larousse encyclopédique, Tome 7, Librairie Larousse Paris 1963, P566-567.

(٧) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٢٢٣ - ٢٢٧.

(٨) الهولوسين (Holocène)، وهو الحقبة الأعلى من الطور الجيولوجي الرابع (Système quaternaire) التي تقع بين فترة البليستوسين (Pléistocène) وبداية التاريخ الإنساني، والتي دامت أكثر من عشرة آلاف سنة قبل الميلاد.

Grand Larousse encyclopédique, tome 5, Paris 1962, P930.

العصر الحجري القديم الأعلى، والفترة التي تلتها حتى العصر الحجري الحديث، الذي تميّز بندرة المواقع الأثرية، واستمرار الصناعة الموسمية في شبه الجزيرة العربية، بينما اختفى هذا الأسلوب في بلاد الشام.

وتشير الدلائل الأثرية أيضاً، إلى وجود المستوطنات البشرية في العصر الحجري القديم الأعلى (٣٥٠٠٠ - ١٢٠٠٠ ق.م) في شبه الجزيرة، وخاصة في المنطقة الشمالية في وادي السرحان، وفي إقليم حائل، وفي جنوب وادي الأردن، وفي شرق الحجاز ومنطقة الطائف، وفي المنطقة الوسطى في إقليم الدوادمي، وفي جنوب وشرق عسير، وفي المنطقة الجنوبية في بئر حما ووادي تثليث<sup>(٩)</sup>.

ويبدو أنّ الأنماط الموسمية قد استمر وجودها في هذا العصر، ولكن مع مهارة متزايدة في الترياق، وطريقة الضغط، ووجود الأطراف الدقيقة الصنع المشابهة لورق الصفصاف التي تنتمي إلى الصناعات السولوترية<sup>(١٠)</sup>.

أما المستوطنات البشرية في العصر الحجري الحديث (Néolithique) (٧٥٠٠ - ٥٥٠٠ ق.م) فقد ظهرت في مختلف أقاليم شبه الجزيرة العربية، وخاصة في الربع الخالي في القسم الشمالي - الغربي منه، وفي المنطقة الجنوبية الغربية في وادي تثليث ومرتفعات عسير وبئر حما، وفي منطقة تربة ومنطقة الطائف وبيشة ورنية ووادي الدواسر، وفي ظلم والخماسين، وفي منطقة الرياض، وفي أقصى الشمال بصحراء النفود، وفي منطقة ضرما ومنطقة الدوادمي، وفي مناطق جبة وكلوة والحناكية وحائل وتبوك، وفي المنطقة

(٩) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٢٢٧ - ٢٢٨.

(١٠) السولوترية (Solutrén) نسبة إلى سولوتره (Solutré) التي اكتُشف فيها ستة هياكل عظمية للإنسان العاقل (Homo Sapiens) الذي عاش في العصر الحجري الأعلى (Paléolithique supérieur) في فترة الأورينياسية (Aurignacien)، والتي تقع في منطقة السّون واللوار (Saône-et-Loire) من مقاطعة بورغونية (Bourgogne) في شرقي فرنسا. وهي تُطلق على مرحلة زمنية من العصر الحجري الأعلى، وتمتدّ تحديداً بين الفترة الأورينياسية وبين الفترة الماغدلانية (Magdalénien)، من عام ٢٥٠٠٠ إلى ١٥٠٠٠ قبل الميلاد. وتتميّز أدواتها الحجرية بشكلها المسطح كورقة شجرة الصفصاف أو اللوز، وبدقة أطرافها، وصقل وجهيها (Bifaces).

Grand Larousse encyclopédique, Tome 9, Paris 1964, P899.

الشمالية الغربية، وفي المنطقة الشرقية في عين دار ومواقع العبيد وتاروت وبيرين، وفي منطقة الخور في قطر، وفي إقليم عُمان خاصة في الجزء الأوسط منه، وفي اليمن وخاصة في جنوب البلاد وشمالها. كما ظهرت هذه المستوطنات في مناطق جنوبي العراق وبلاد الشام خاصة في جنوب الأردن.

ويؤكد وجود المستوطنات بكثرة في جميع أرجاء شبه الجزيرة العربية، وفي سبخات قطر التي كانت بحيرات ومستنقعات صغيرة قديمة، ووجود بقايا الحيوانات كالأبقار وفرس النهر في بعض قيعان البحيرات الجافة بالربع الخالي منذ ١٢٠٠٠ سنة قبل الوقت الحاضر؛ يؤكد وجودها جميعاً على انتشار المناخ المطير نسبياً في مختلف أقاليم شبه الجزيرة العربية الذي هو امتداد للعصر السابق.

وتشير المكتشفات الأثرية التي تعود إلى العصر النيوليتي، أن أدوات الإنسان الحجرية وصناعاته أخذت تتحسن وتصبح أكثر دقة وأكثر صقلًا، ثم تطورت إلى نوع جديد، يُعرف بخزف مواقع العبيد التي ظهرت في العراق بعد ألف سنة من ظهورها في شرقي شبه الجزيرة العربية، والتي دامت في جنوب بلاد ما بين النهرين من حوالي سنة ٥٣٠٠ إلى سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد. كما تشير إلى تغيرات كبيرة في حياة الإنسان حيث انتقل من حياة التنقل والصيد إلى حياة الاستقرار والزراعة وتدجين الحيوان<sup>(١١)</sup>.

وتتميز بلاد العرب في العصر الحجري النحاسي (Chalcolithique) (٥٠٠٠ - ٣٥٠٠ ق.م) بنقلة نوعية نحو الحضارة والمدنية، حيث ظهرت أدلة على عدة اختراعات وابتكارات تقنية، أحرزتها مجتمعات فترة العبيد، منها: اختراع الكتابة، وإقامة المباني بالآجر المشوي، وتأسيس اتصالات تجارية واسعة النطاق، والوصول إلى مستوى مرتفع في ميدان الصناعة التقنية، بما في ذلك

---

H.McClure: The Arabian Peninsula and Prehistoric Populations, (١١) F.R.P.1971, P72.

محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وفجره... ص ٦٢، الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي ص ٢٢٨ - ٢٣١.

صناعة الفخار على الدولاب، والصناعات النحاسية المتقنة، واختراع الدولاب للمركبات، والمحراث للزراعة، وأساليب الري، وكذلك استعمال القوارب الشراعية في النقل النهري، ثم بدء ظهور السومريين كشعب مميز له حضارته ولغته الخاصة في جنوبي بلاد ما بين النهرين<sup>(١٢)</sup>.

ومما لا ريب فيه أن أعداداً من أفراد هذا الإنسان الذي ينتمي إلى عصور ما قبل التاريخ، قد انتقلوا من بلاد العرب، إلى المناطق المجاورة لها، ومنها إلى المناطق البعيدة في آسيا وأفريقيا وأوروبا، حيث استقروا وتكاثروا وبنوا القرى والمدن، وأنشأوا الممالك والحضارات في العصور التاريخية التي أعقبت العصور الحجرية والنحاسية. وكان أبرزها حضارات السند والهند والصين في وسط وجنوب شرقي آسيا، وحضارات وادي النيل في شمال وشرقي أفريقيا، وحضارات جنوب وشرقي أوروبا في إيطاليا وبلاد اليونان.

ومما تجدر الإشارة إليه أن تحرك الإنسان الأول الذي تمثل بآدام وحواء قد بدأ، قبل طوفان نوح عليه السلام، من جبل عرفات إلى مدينة مكة المكرمة، ومنها إلى المناطق المجاورة، حيث أخذ آدم وذريته يتنقلون من مكان إلى آخر بحثاً عن الغذاء والماء. أما بعد هذا الطوفان، فكان مبدأ تحرك نوح والناجين معه الذين انحدرت من أصلابهم جميع الأقوام البشرية وأجناسها التي تعيش على وجه الأرض من شمالي بلاد ما بين النهرين، وتحديدًا من قرية الثمانين<sup>(١٣)</sup> التي بناها هؤلاء واستقروا فيها، بعد أن رست سفينة نوح عليه السلام على جبل الجودي<sup>(١٤)</sup> هناك. وفي ذلك يقول الله تعالى مخاطباً نبيه نوح

---

(١٢) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٢٤١ - ٢٤٢.

McClure. op.cit, P72 and 75.

(١٣) ثمانين: بلدة صغيرة عند جبل الجودي، قرب جزيرة ابن عمر التغلبي فوق الموصل، وكان نوح عليه السلام أول من نزل هناك من السفينة، ونزل معه ثمانون إنساناً، فبنوا لهم مساكن بهذا الموضع، وأقاموا به، فسُمي الموضع بعددهم ثمانين.

ياقوت الحموي: معجم البلدان، المجلد الثاني، دار صادر ودار بيروت، بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ٨٤.

(١٤) الجودي: جبل مطلق على جزيرة ابن عمر، في الجانب الشرقي من دجلة، من أعمال الموصل في شمالي العراق. ياقوت الحموي: معجم البلدان، م ٢، ص ١٧٩.

عليه السلام: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا وَلَا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ (٣٧) وَيَصْنَعُ الْفُلَّكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسَخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ نَعْلَمُوتُ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحْمِلُ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُثْقِلٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴿وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ بِحَبْرَتِهَا وَمُزَنُهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَئِ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَتَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْأَمَاءِ أَقْلِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ (١٥).

بيد أن التحركات البشرية في داخل بلاد العرب وفي خارجها لم تتوقف في العصور التاريخية، لكنها تحولت إلى تحركات جماعية كانت ترفد العالم بقواه البشرية التي يحتاج إليها، وتحدث كل ألف سنة تقريباً، لأسباب اقتصادية أو دينية، فينتقل الناس من الصحراء وحياة المراعي إلى المناطق الخصبة وحياة الزراعة والاستقرار. ففي منتصف الألف الرابع قبل الميلاد (٣٥٠٠ ق.م) حدثت هجرة الأكاديين من الصحراء العربية إلى العراق حيث استقروا وكونوا دولة استطاعت في عهد ملكها سرجون الأول أن توحد بلاد الرافدين وتمد نفوذها إلى أعالي دجلة في الشمال. وفي منتصف الألف الثالث قبل الميلاد (٢٥٠٠ ق.م) حدثت هجرة الأموريين والكنعانيين من جنوب شرقي بلاد العرب إلى شمالها، حيث سكن الأموريون في العراق وفي المناطق الشمالية الشرقية من سوريا، وسكن الكنعانيون، بما فيهم الفينيقيون، في غربي بلاد الشام وخاصة في ساحل سوريا ولبنان وفلسطين. وحوالي منتصف الألف الثاني قبل الميلاد (١٥٠٠ ق.م) كانت هجرة جديدة تمثلت بالآراميين الذين انتشروا في بلاد سوريا وفلسطين، وبالعبرانيين الذين أقاموا في فلسطين. وفي أواسط الألف الأول قبل

(١٥) قرآن كريم، سورة هود، آيات: ٣٧-٤٤.



الميلاد (٥٠٠ ق.م) جاءت هجرة التدمريين والأنباط، فنزل التدمريون في بادية الشام، ونزل الأنباط في المناطق الواقعة إلى الشمال الشرقي من شبه جزيرة سيناء حيث استقروا وأسسوا حضارة عظيمة هناك، لا تزال آثارها ظاهرة للعيان في عاصمتهم البتراء المنحوتة في الصخور.

وتتابعت هذه الهجرات فكان آخرها خروج العرب من شبه جزيرتهم في أوائل القرن السابع الميلادي تحت راية الإسلام، لنشره خارج شبه الجزيرة، ولم يقتصر فيض الإسلام على الأقاليم العربية في آسيا وأفريقيا، وإنما غمّر مناطق شاسعة من الأراضي، تمتد من إسبانيا غرباً إلى الصين شرقاً، وكونوا دولة إسلامية مترامية الأطراف<sup>(١٦)</sup>.

وفي العصور التاريخية القديمة، وفي أوقات مختلفة، نشأت في بلاد العرب دول وحضارات، كان أبرزها الممالك: السومرية والأكادية والبابلية والآشورية والكلدانية، والأمورية، والكنعانية، والفينيقية، والمعينية، والسبئية، والحِمْيَريّة، وممالك: دلمون والجرهاء وتدمر والبتراء والحيرة وغسان وميسان والحضر والرها وغيرها.

وفي بحثنا عن تاريخ بعض هذه الحضارات سنقتصر على دراسة جوانبها الاقتصادية في عصور ما قبل الإسلام، وذلك لإظهار مقومات هذا الاقتصاد ومفاعيله ومعطياته وآثاره، ومدى تطوره عبر هذه العصور التاريخية لإبراز دور العرب في تقدّم البشريّة في المجالات كافة، وخاصة في المجال الاقتصادي.

ولا بدّ هنا من الإشارة إلى أنّ الدراسات التاريخية القديمة شاقة وتحتاج إلى صبر وجلد كبيرين، وخاصة الدراسات التاريخية الاقتصادية. وذلك يعود لندرة المصادر المكتوبة، وقلة الآثار المكتشفة، وصعوبة الانتقال والاطلاع على النقوش المكتشفة التي تركتها الشعوب القديمة وسجلتها بأحرف ولغات مختلفة. ولما كانت المكتبات العربية تندر فيها مثل هذه الدراسات فقد حاولتُ

---

(١٦) ولمزيد من الاطلاع على هذه الهجرات يمكن الرجوع إلى:

Hugo Winckler: The history of Babylonia and Assyria, tr. James A. Craig, New York 1907, P18-22.

ارتباد هذا الطريق الصعب، لعلني أستطيع أن أضيف لبنة صغيرة إلى الصرح العلمي الكبير للدراسات التاريخية الذي أرسى قواعده بعض مؤرخينا الأفاضل أمثال: البلاذري والطبري والمسعودي واليعقوبي وابن الأثير وابن خلدون... وغيرهم. والذي رفع بعض مداميكه وجدرانه عدد من المؤرخين الأعلام الذين جاؤوا بعد هؤلاء في الماضي والحاضر، والذين يُهتدى بعلمهم في كل زمان ومكان...

وفي نهاية المطاف فإنّ غايتنا من هذه المحاولة هي مقارنة الحقيقة العلمية المجردة، وتقديمها إلى الباحثين وطلاب العلم، لعلهم يجدون بين سطورها ما ينفعهم وينفع الأجيال القادمة.

أمّا غايتنا القصوى فهي إرضاء لوجه الله تعالى الذي ترجع إليه الأمور كلّها، فمنه نستمدّ العون والقدرة والعلم والمعرفة، ومن أجل رضاه سبحانه نكتب ونعمل، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

علي محمد معطي



## الفصل الأول

### الجغرافية الطبيعية لشبه الجزيرة العربية

#### ١ - الموقع:

تقع شبه جزيرة العرب في جنوب غربي آسيا، وتتصل بأفريقيا عن طريق شبه جزيرة سيناء، وتوجد على إحدى الطرق الرئيسة التي تصل بين الشرق والغرب. وبفضل إرتفاع مياه المحيط الهندي تحوّل المنخفض البرّي الذي كان يصل بلاد العرب ببلاد فارس، إلى بحر واسع من الماء يمتدّ حوالى ١١٠٠ كيلومتر ضمن القارة الآسيوية. ويكاد نهرا دجلة والفرات اللذان كانا يجريان سابقاً في قاع ذلك المنخفض، يُشكّلان اليوم استطالتين هامّتين لذراع المحيط الهندي نحو الشمال الغربي، فيقرّبان منطقة شبه الجزيرة العربية من قارة أوروبا ومن عالم حوض البحر المتوسط<sup>(١)</sup>.

وفي الماضي، وقبل أن يشقّ البحر الأحمر مجراه ويحدث الخسف العربي - الأفريقي فيعزل آسيا عن أفريقيا، كان إقليم الدرّ العربي - النوبي كتلة واحدة، وكانت شبه جزيرة العرب جزءاً من صحراء كبرى ممتدة في شمالي أفريقيا وغربي آسيا. وحتى اليوم، يلاحظ أنّ النصف الجنوبي - الغربي منها يشترك في كثير من الصفات مع مقاطعات أفريقيا الشرقية كالصومال والحبشة. وهو أقرب إلى هذه الأصقاع الأفريقية منه إلى القسم الشمالي من شبه الجزيرة في كثير من الخصائص.

أما أراضي القسم الشمالي منها فتميل بصورة انسيابية نحو آسيا العربية، خلال سهوب سورية ومرتفعات عمان التي تشمل سلاسل جبلية تشابه بدرجة

---

(١) مكتب التربية العربي لدول الخليج: الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ١٢.

كبيرة تلك التي على جانبها الشرقي من قارة آسيا<sup>(٢)</sup>. وعلى الرغم من أن الجزيرة العربية تتصل بقارة أفريقيا عن طريق سيناء إلا أنها من الناحية الجغرافية تُعد جزءاً من قارة آسيا.

لقد كان لهذا الموقع الجغرافي أهمية كبرى في القرون الطويلة التي سبقت شق قناة السويس، فكانت جزيرة العرب شريان التجارة والمواصلات الدولية الرئيس، ومحور العلاقات السياسية والاقتصادية بين مراكز الحضارات الأولى في العالم القديم، وخصوصاً بين وادي السند ووادي الرافدين ووادي النيل<sup>(٣)</sup>.

## ٢ - المساحة والحدود:

تبلغ مساحة شبه الجزيرة العربية (٣١٢٩٧٠٨) ثلاثة ملايين ومائة وتسعة وعشرين ألفاً وسبعمائة وثمانية كيلو مترات مربعة، وتأخذ شكل شبه مستطيل غير منتظم، يبلغ طوله من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ٢٢٠٠ كيلومتر، ويبلغ عرضه ١٢٠٠ كيلومتر وينحصر بين خطي عرض ١٥° و ٣٢°، ويضم بين ثناياه ثلاثة أقاليم مناخية هي:

أ - الإقليم المداري: ويقع ما بين خطي عرض ١٥° و ١٨° شمالاً.

ب - الإقليم الصحراوي: ويشمل القسم الواقع بين خطي عرض ١٨° و ٣٠° شمالاً.

ج - الإقليم المعتدل القريب من البحر المتوسط: وينحصر بين خطي عرض ٣٠° و ٣٢° شمالاً<sup>(٤)</sup>.

وهذا الشكل شبه المستطيل وغير المتوازي الأضلاع تعترضه في الشرق مرتفعات عُمان التي تصل إلى الساحل الإيراني. ويحيط به من الغرب البحر الأحمر الذي كان يُعرف قديماً باسم بحر القلزم، ومن الجنوب خليج عدن

(٢) محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وفجره في المملكة العربية السعودية، ص ٣١ - ٣٢.

(٣) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ١٢.

(٤) محمد أحمد الرويحي: الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة، دار الواحة العربية، المدينة المنورة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠ - ٢٠٠١م، ص ٣٧ - ٣٩.

وبحر العرب والمحيط الهندي، ومن الشرق الخليج العربي وخليج عُمان. أما حدودها الشمالية فغير واضحة وغير متفق عليها، وقد يوصلها البعض إلى نهر الفرات ونهر العاصي عند اقترابهما في أعالي بلاد الشام. وهذا ما يدخل بلاد الشام كلها وأجزاء من العراق في شبه الجزيرة العربية، ويزيد في مساحتها زيادة ظاهرة. وعندما سُئِلَ الشعبي عن جزيرة العرب فقال: «ما بين العُذَيْب إلى حضرموت. وقال الأصمعي: «جزيرة العرب ما لم تُظَلَّه فارس والروم». وقال الرياشي: «جزيرة العرب ما بين نجران إلى العُذَيْب». وقال أبو عُبيدة: «جزيرة العرب ما بين حَفَرِ أَبِي موسى إلى أقصى اليمن في الطول، وفي العرض ما بين رمل يَبْرِينَ إلى السَّماوة». وقال محمد بن الحسن: «بلاد العرب الذين لا تقبل منهم الجزية، ولا يُرضى منهم إلا بالدخول في الإسلام أو السيف من العُذَيْب إلى أُبَيْنَ عَدَنَ فذلك الجزيرة»<sup>(٥)</sup>.

ويرى ابن الفقيه الهمداني أنَّ مجرى نهر الفرات الأسفل يشكّل حدّها الشمالي الشرقي، وأنَّ شواطئ فلسطين على البحر المتوسط تشكّل حدّها الشمالي الغربي، وهذا يعني أنَّ باديتي العراق والشام كانتا جزءاً من شبه جزيرة العرب، وفي حوزة سكانها<sup>(٦)</sup>. ويُؤيد الجغرافي العربي ابن حوقل قول الهمداني في هذا الشأن<sup>(٧)</sup>.

يُسمّى العرب بلادهم باسم الجزيرة، لأنَّ مياه البحار تحيط بها من ثلاث جهات، ولأنَّ أنهار دجلة والفرات والعاصي تعقد لها حدوداً مائية في قسمها

(٥) أبي عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه: كتاب البلدان، تحقيق يوسف الهادي، دار عالم الكتاب، بيروت ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، ص ١٧٦.

- محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وفجره في المملكة العربية السعودية، ص ٣٢.

- نبيه عاقل: تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، الطبعة الثالثة، دار الفكر، بيروت ١٩٧٥، ص ١٧.

(٦) أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن الفقيه الهمداني: مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل - ليدن ١٨٨٤، ص ٧٤.

(٧) أبو القاسم محمد النصيبي بن حوقل البغدادي: كتاب صورة الأرض، مطبعة بريل - ليدن ١٩٣٨، ص ١٨ - ١٩.

الشمالي. ويؤيد ذلك ما يورده الجغرافي العربي الحسن الهمداني في مؤلفه «صفة جزيرة العرب» حيث يقول: «وإنما سُميت بلاد العرب «الجزيرة» لإحاطة الأنهار والبحار من أقطارها وأطرافها، وصارت منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر. وذلك أنَّ الفرات القادم من بلاد الروم ويظهر بناحية قنسرين، ينحطَّ على الجزيرة (أي يمرَّ عبر أراضيها) وسواد العراق حتى يصبَّ في البحر من ناحية البصرة والأبلة، ومنها على شاطئ الخليج العربي، يطوَّف على سفوان والقطيف وهجر وأسياف (سواحل) البحرين وقطر وعمان، ثمَّ ينعطف خطَّ الحدود بشواطئ بحر العرب على الشحر وحضرموت وناحية أبين وعدن، وينعطف على شواطئ بحر القلزم (الأحمر)، مازاً بسواحل تهامة اليمن وعسير والحجاز إلى خليج أيلة وساحل الطور (في سيناء) وساحل راية حتى قلزم مصر، ومنها إلى بحر الروم (المتوسط)، ويسير فيه على شواطئ فلسطين وسورية، فيمرَّ بسواحل عسقلان والأردن وبيروت وذواتها من سواحل دمشق وحمص إلى سواحل قنسرين حيث بدأ<sup>(٨)</sup>. وينتهج ياقوت الحموي في موسوعته الجغرافية نهج الهمداني في تحديده لأقاليم شبه جزيرة العرب<sup>(٩)</sup>. وبذلك تصبح جزيرة العرب شاملة القسم الأكبر من بلاد الشام وبادية العراق.

وهكذا نجد أنَّ جزيرة العرب خلال العصور القديمة كانت تمتدَّ حتى سواحل البحر المتوسط، وأنَّ حضارات بلاد الشام في تلك العصور كانت امتداداً لمجموعة الحضارات التي ازدهرت في الأقاليم الواقعة بين البحر العربي جنوباً، والبحر المتوسط شمالاً، والخليج العربي شرقاً، وساحل البحر الأحمر غرباً. غير أنَّ حدود شبه الجزيرة العربية اليوم قد رُسمت لتفصل المملكة العربية السعودية والكويت عن الأردن والعراق، ولتمتدَّ شمالاً حتى خط العرض ٣٠ -

(٨) أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني: صفة جزيرة العرب، مطبعة بريل - ليدن ١٨٨٤، ص ٤٧.

(٩) ياقوت الحموي: معجم البلدان، الجزء الثاني، دار صادر، بيروت ١٩٥٦ و ١٩٦٦، ص ١٣٧ - ١٣٨.

٣١ درجة مخترفة مثلث الصحراء السورية الواسع (الحماد) الذي كان يعدّه قدماء الجغرافيين امتداداً لها<sup>(١٠)</sup>.

### ٣ - سطح شبه جزيرة العرب:

يأخذ سطح شبه الجزيرة العربية شكل هضبة عالية، تتكون من صخور قديمة صلبة، وتغطي الصخور البلورية مساحات شاسعة من أراضيها. وتنحدر انحدارين: أحدهما نحو الغرب، والآخر نحو الشرق. ويبدأ الانحداران من سلسلة جبال السراة التي تقع غربي شبه الجزيرة، وتمتد من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب<sup>(١١)</sup>. وانحدار هذه الهضبة من جهة الشرق هو تدريجي ويعبر وادي دجلة. أما الانحدار من جهة الغرب فهو سريع. وتحصر سلسلة جبال السراة بينها وبين ساحل البحر الأحمر سهولاً وعدة أودية ضيقة، يصل متوسط عرضها إلى خمسة عشر ميلاً، ويبلغ أقصى اتساع لها ثلاثين ميلاً. وتشكل قيعانها العميقة المتعرجة عائقاً طبيعياً لحركة النقل، كما أن مياهها ليست صالحة للري والملاحة؛ أما الأودية التي تهبط باتجاه الخليج العربي فهي شاسعة وضحلة ويمكن اجتيازها بسهولة. وتعتبر الشعاب والأودية الواسعة والضحلة إحدى السمات المميزة لتضاريس شبه الجزيرة العربية<sup>(١٢)</sup>.

وفي الطرف الجنوبي الغربي من شبه جزيرة العرب جبال هي جزء من الكتلة الصخرية في شرقي أفريقيا. وتتفرع هذه الجبال إلى فرعين كبيرين: أولهما يذهب شمالاً على طول الساحل الغربي حتى يتصل بجبال بلاد الشام،

---

G.M.Lees: The Physical Geography of South eastern Arabia, G.j., May (١٠) 1928, P442 and 534.

- محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وفجره... ص ٣٢.

(١١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٢ و ١٣٧.

(١٢) محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، الجزء الاثنى عشر، المطبعة الخيرية بمصر، ١٣٠٦ هـ، ص ٢١٥. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٦٣ و ج ٥ ص ٢٦٣.

- محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وفجره... ص ٣٢ - ٣٤.

- نبيه عاقل: تاريخ العرب القديم... ص ١٩.



ويُسمى بالحجاز لأنه يحجز بين تهامة وهي المنطقة الساحلية المنخفضة، وبين نجد. وليس في هذا الفرع قمم عالية<sup>(١٣)</sup>. وثانيهما يمتد شرقاً وينخفض تدريجياً، حتى إذا ما وصل إلى منطقة ظفار شرقي حضرموت ضاعت معالمه، ثم يعود ليرتفع في عُمان حيث يبدو وكأنه يتصل بجبال الأهواز في إيران. وفي هذه السلسلة قمتان عاليتان: إحداهما عند صنعاء، عاصمة اليمن، يصل ارتفاعها إلى ٣٧٠٠ متر؛ والأخرى في الجبل الأخضر بالقرب من عُمان، ويصل ارتفاعها إلى ٣١٠٠ متر تقريباً<sup>(١٤)</sup>.

ويتخلل الهضبة اليمنية أودية كثيرة تنحدر إلى البحر الأحمر وخليج عدن وصحراء الربع الخالي، ومن هذه الأودية: وادي مور ووادي زبيد ووادي مأرب. وعلى امتداد ساحل البحر الأحمر في اليمن يمتد شريط ساحلي خصب تتصل عنده الأودية بالشاطئ البحري وخلف هذا الشاطئ يوجد العديد من المنحدرات ذات الأشكال البرجية التي تهطل فيها أمطار «المانسون» الموسمية<sup>(١٥)</sup>. وتشجع الأجواء المناخية في جبال اليمن على زراعة البن، وخصوصاً في المرتفعات الجبلية التي يتعدى علوها ٤٥٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر. كما يشجع انتظام هطول الأمطار وكفايتها على المناطق الجبلية العليا، سواء القريبة من البحر أو التي تقع في أقصى الشرق من أواسط الهضبة اليمنية، على زراعة الحبوب مثل: القمح والدُّخْن\* والشعير. وتزرع الكرم، من أجل الحصول على الزبيب، في المناطق السفلى من الهضبة<sup>(١٦)</sup>.

(١٣) الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٤٨. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢١٩.

(١٤) الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٧١ - ٨٠. نبيه عاقل: تاريخ العرب القديم... ص ١٩ - ٢٠.

(١٥) الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٥١.

Duddley L.Stamps: A regional Geography, pt. IV-Asia, London 1964, P144-150.

\* الدُّخْن: نبات من فصيلة النجيليات. حبه صغير يُقدَّم طعاماً للطيور والدجاج.

Stamps: A Regional Geography, P143-153.

(١٦)

- محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وفجره...، ص ٣٧.

ويتكوّن إقليم حضرموت في شرق اليمن:

أ - من سهل ساحلي جافّ، ومرتفعات رملية قصيرة.

ب - ومن هضبة جافة تبعد حوالي ٣٠ كيلومتراً عن مياه البحر، ويتراوح متوسط ارتفاع معظم الأجزاء التي تعلو بشكل فجائي من السهل الساحلي ما بين ٤٠٠٠ و ٥٠٠٠ قدم.

ج - ومن أودية عميقة تقود إلى الوادي الرئيسي الخصب الذي يمكن الحصول على المياه فيه من الآبار الضحلة والذي تُزرع حقوله وبساتينه في الصيف والشتاء.

د - ومن المنحدرات التي تمتدّ في الجهة الشمالية من الوادي، والتي تمنع زحف الصحراء هناك.

وفي شرق حضرموت يقع إقليم ظفار الذي اشتهر منذ أقدم العصور بأنّه موطن اللبان (البخور)، والذي يميّز بغنى أشجاره النضرة وبمنحدرات جباله التي تطلّ على البحر وتغطيها الغابات<sup>(١٧)</sup>.

وإلى جانب الجبال التي تلتفّ على شكل منحني في موازاة المحيط الهندي، والتي تقع في الركن الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية، يوجد في منطقة رأس الخيمة، الساحل الثروسي (Trucial Coast) الذي يبعد ٢٥ ميلاً عن رأس الحمراء. كما توجد في الجهة الشمالية الغربية من هذا الساحل أراضي شبه جزيرة قطر التي تدخل في مياه الخليج العربي<sup>(١٨)</sup>.

تقع قطر في منتصف الساحل الغربي للخليج العربي، وهي عبارة عن شبه جزيرة قاحلة، تبلغ مساحتها ١١٤٣٧ كيلومتراً مربعاً، وتكوّن بصورة رئيسية من هضبة غير مستوية من الحجر الجيري، وتسيطر على معظم سطوح أرضها الصحارى الحصوية التي تتخلّلها مساحات كثيرة من البقاع الرملية. وتشكّل

---

(١٧) الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٥١. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٧٠ و ج ٤، ص ٦٠. محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وفجره... ص ٣٧ - ٣٨.

(١٨) محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وفجره... ص ٣٨.

سواحلها المنخفضة من ألسنة رملية وحصوية وسبخات ملحية، تُعزّز في بعض المناطق بالهضاب المنخفضة ذات التكوين الجيري. ويتخلّل هذه السواحل الكثير من الخلجان الصغيرة الضحلة والبحيرات المالحة والمداخل الضيقة. وتكثر فيها الأودية المتكوّنة من السيول والكثبان الرملية المتحركة والأخوار (الحياض) وبرك المياه المتكوّنة من مياه الأمطار. وتفتقر قطر إلى خزانات المياه الجوفية كالتي في الأحساء والبحرين<sup>(١٩)</sup>.

وتتابع السهول الساحلية في الإقليم الشرقي من شبه الجزيرة العربية تمدّدها شمالاً، وترتفع ٢٠٠ متر عن مستوى سطح البحر في معظم الأجزاء الداخلية التي تبعد ما بين ٣٠ و٦٠ ميلاً عن مياه البحر. وتتميّز هذه السهول بالاتساع، كما تتميّز بالطقس الحار والرطوبة العالية في فصل الصيف، وبقلّة الأمطار وعدم انتظامها في فصل الشتاء. وعلى الرّغم من وجود بعض الطبقات الرملية الطويلة والأودية التي تتّجه نحو المناطق الداخلية، فإنّه لا يوجد في هذه السهول أنهار وأخوار تجري عبرها نحو الخليج العربي.

ويُعدّ سهل الأحساء امتداداً لهذه السهول الساحلية، مع وجود الألسنة المتداخلة من الرمل والحصى، والسبخات المالحة والمختلطة بالأراضي الرسوبية. وتشكّل المياه الارتوازية الموجودة في رسوبيات الجزء الأوسط من منطقة الهفوف الدعامة الأساسية لواحاح الأحساء الواسعة التي تزيد عن الأربعين ميلاً. وتتعرّى أراضي جبل قاره، الذي يقوم في وسط واحة الهفوف ويأخذ شكل تل مسطح القمة، لتكوّن خوانق وأعمدة. ويتخلّل هذا التلّ كهف ضخم في جهته الجنوبية ليشكّل مرفأً طبيعياً رطباً<sup>(٢٠)</sup>.

وفي منطقة متوسطة من الخليج العربي، يقع أرخبيل جزر البحرين الذي

---

(١٩) Peveril Meigs: Geography of Coastal Deserts, Belgium, Unesco 1966, P47.

الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٥٥٥.

.. محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وفجره... ص ٤٢.

(٢٠) Meigs: Geography of Coastal Deserts, P39-42.

.. محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وفجره...، ص ٣٨ - ٣٩.

يضمّ ثلاثاً وثلاثين جزيرة بين صغيرة وكبيرة. وقد تكوّنت هذه الجزر مع ارتفاع مستوى مياه المحيط الهندي وغمورها لأجزاء كبيرة من الوادي الذي يُطلق عليه اصطلاحاً اسم «ما قبل الخليج»، وكان ذلك حوالي ١٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد. وعندما تمّ تحوّل هذا الوادي إلى خليج كبير (هو الخليج العربي اليوم) حوالي سنة ٤٠٠٠ قبل الميلاد، تحوّلت المرتفعات والجبال والهضاب إلى جزر، وغدت الأرض العربية شبه جزيرة. ويبدو أنّ جزيرة البحرين كانت حوالي ٦٠٠٠ قبل الميلاد تتصل براً بساحل شبه الجزيرة العربية الشرقي، فلا يتجاوز عمق البحر في هذه المنطقة الفاصلة اليوم أكثر من ٢٥ متراً<sup>(٢١)</sup>. ولا تبعد عن ساحل الأحساء أكثر من أربعة وعشرين كيلومتراً. ويغلب على البنية الطبيعية لجزر البحرين الصحاري الجرداء التي يغطي معظمها حجارة وصخور كلسية تسترّها الرمال في بعض المناطق. وتعدّ جزيرة البحرين أكبر ثلاثة جزر في هذا الأرخبيل، وهناك جزيرة المحرق المنخفضة التي تقع في الجهة الشمالية الشرقية منها، ثمّ جزيرة سترة التي تقع بجوار شاطئ البحرين الشرقي، وجزيرة النبي صالح التي توجد في خليج خور الكب العريض، وجزر: أم الشجر، وأم الشجيرة التي كانت موطناً لصيادي الأسماك، وجدة التي تقع في الجهة الغربية وتتألف من صخور رمادية مصفرة وشريط مسطح من الأرض، وتأوي جزيرة جدة جموعاً كبيرة من الطيور، كما تعيش حولها أسراب وفيرة من السمك، وأبرز ما يميّز هذه الجزيرة هو مقالع الحجارة التي استغلت لأعمال البناء والتحصين في مختلف العهود. وإلى الجنوب من جزيرة جدة توجد جزيرة أم النعسان، ثاني جزيرة في البحرين من حيث المساحة، وهي جزيرة صخرية كلسية منبسطة السطح باستثناء هضبتين صغيرتين في وسطها تنمو فيها أشجار النخيل. هذا إلى جانب عدد آخر من الجزر<sup>(٢٢)</sup>.

وفي الزاوية الشمالية الشرقية من شبه الجزيرة العربية تقع الكويت التي

---

(٢١) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٧٥ و ٧٨.

(٢٢) محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وفجره...، ص ٣٩ - ٤٠.

الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٧٥ - ٧٦.

تضم إقليماً مثلثاً من البر الرئيسي، وجزيرة فيلكا، وعوثة، ومسكان، وكبر، وأم المرادم، وبوبيان، ووربة، وقاروه. ويلاحظ أن هذا الإقليم يتكوّن في معظمه من أراضٍ حصوية صلبة، وخصوصاً في الأصقاع التي تمتدّ شمالي مدن الكويت والجهراء والرقعي، وغربي منطقة الشقاء. بينما تتحوّل طبيعة هذا الإقليم إلى أراضٍ رملية في الأصقاع الأخرى. أمّا الخليج الطبيعي، الذي يوجد في الركن الشمالي الغربي من الخليج العربي، فهو عبارة عن فجوة عميقة في الخط الساحلي للخليج، ويتمثل شمالاً بالشواطئ الغربية للخور والصبية التي تقع فيها جزيرة فيلكا على بعد ٢٥ كيلومتراً من البر الكويتي، ويبلغ طول مدخله بين هذه الأراضي الطينية المسطحة ورأس الأرضة، حوالي ٤ أميال<sup>(٢٣)</sup>.

ومن تضاريس شبه الجزيرة العربية البارزة هضبة نجد التي تقع في وسط شبه الجزيرة، بين صحراء النفود الكبرى في الشمال والشمال الغربي، والدهناء (أو النفود الصغرى) في الجنوب والشرق، وأطراف العراق في الشمال الشرقي، والحجاز في الغرب. وقد سمّى العرب أواسط شبه الجزيرة «نجداً» لأنّ أراضيها مرتفعة، وذلك تمييزاً لها عن الغور أو تهامة التي تعني الأرض المنخفضة<sup>(٢٤)</sup>.

وتتميّز صخور هذه الهضبة بأنّها من عصور جيولوجية مختلفة، لعلّ من أهمّها الصخور الرملية التي تعود إلى الزمن الأول (الباليوزي) في الشمال والغرب، وهي صخور خازنة للمياه، وتزوّد واحات هذه الهضبة بكميات وافرة منها. وترتكز الأطراف الغربية لهذه الهضبة على أطراف إقليم المرتفعات الغربية وتتخلّلها مرتفعات بركانية حديثة. ويمتدّ هذا الإقليم من الغرب إلى الشرق، أي بين المرتفعات الغربية والدهناء مسافة تبلغ نحو ٦٥٠ كيلومتراً، ويتراوح ارتفاعها ما بين ١٢٠٠ - ١٨٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر، وينخفض إلى حوالي ٧٠٠ متر في منطقة التقائه برمال الدهناء.

---

(٢٣) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ١٣١.

- محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وفجره...، ص ٣٩.

- عمر ذيب مصطفى: جزيرة فيلكا، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت ١٩٨٨م، ص ٣٥-٤٤.

HRP, Dickson: Kuwait and her Neighbours, London 1956, P31-49.

- غانم سلطان: الملاحة البحرية وأهميتها للكويت قديماً وحديثاً، مؤسسة الكويت للتقدم

العلمي، الكويت ١٩٨٨، ص ٩٥.

(٢٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٦٢.

وفي القسم الغربي منها يوجد جبلا أجاً وسلمى المنسوبان إلى قبيلة طيء، وصخورهما من الغرانيت الأحمر، وقد اشتهرا بالمناعة وبصعوبة النفوذ إليهما، ويفصل بينهما سهل واسع تقع فيه مدينة حائل، ويصل ارتفاع قمة جبل أجاً إلى ١٦٥٠ متراً. وتسمى هذه المنطقة الجبلية الآن بجبل شمر<sup>(٢٥)</sup>. وفيها يقول الشاعر العربي زيد بن مهلهل الطائي:

جلبنا الخيل من أجاً وسلمى      تخبّ نزائعاً خيب الركاب  
ويقول لبيد:

كأركان سلمى إذ بدت أو كأنها      هضاب أجاً إذ لاح فيه مواسل<sup>(٢٦)</sup>

ويُعدّ إقليم نجد من أوسع أقاليم شبه الجزيرة العربية. وقد قسّمه العرب إلى قسمين: نجد العالية وهو ما ولي الحجاز وتهامة من جهة الغرب، وقد قطّعت الأودية هذا القسم وحولته إلى هضاب، ومن أوديته وادي الرمة الكبير وروافده الذي يمدّ القصيم ومدينتي عنيزة وبريدة وعدد من القرى المجاورة بالمياه<sup>(٢٧)</sup>. ونجد السافلة وهو ما ولي العراق والخليج العربي من جهة الشرق، ويتكوّن هذا القسم من الصخور الرسوبية الرملية والجيرية والطفيلية، وتبرز فيه سلسلة جبال «طويق» التي تأخذ شكل قوس كبير تتجه وتنحدر بشدّة نحو الغرب وتدرّجي نحو الشرق، ويبلغ امتدادها ٨٠٠ كيلومتر، وتصل إلى ارتفاع ٣٢٠٠ قدم، وتتخلّلها مجموعة من الأودية والواحات أهمّها: وادي حنيفة، وكان يُسمّى فلجاً<sup>(٢٨)</sup>، ووادي حريملاء، ووادي نساح.. وكانت هضبة نجد من أخصب أراضي شبه الجزيرة العربية وأغناها<sup>(٢٩)</sup>.

---

(٢٥) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٢١٦. نبیه عاقل: تاريخ العرب القديم...، ص ٢٠. الرويحي: الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية، ص ٦٨.

(٢٦) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٩٦.

(٢٧) محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وفجره...، ص ٣٦.

(٢٨) عبد الوهاب عزّام: مهد العرب، القاهرة ١٩٤٦، ص ٧٧.

(٢٩) محمود شكري الألوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، الجزء الأول، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٢٤، ص ٢٩٩.

الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٢١٦.

ويغلب على شبه الجزيرة العربية الدارات والصحارى التي تخلو في معظمها من المياه والغطاء النباتي بحيث يصبح من الضرورة توفير المياه والأعلاف من الواحات القريبة للرحلات العابرة لهذه الفيافي القاحلة. ومن أهم هذه الصحارى: صحراء النفود الكبرى، وصحراء الدهناء (النفود الصغرى)، وصحراء الربع الخالي...

تقع صحراء النفود الكبرى شمالي هضبة نجد بين بادية الشام وشمالي الحجاز. وتمتد من الشمال إلى الجنوب ١٤٠ ميلاً، وتسير نحو الشرق لمسافة ٦٥٠ كيلومتراً، بعرض يبدأ من ٤٠ كيلومتراً في الشرق ليصل إلى ٣٢٠ كيلومتراً في الغرب، وتبلغ مساحتها ٥٧٠٠٠ كيلومتر مربع، ويصل ارتفاعها في الجنوب الغربي إلى ١٠٠٠ متر ويقل عن ٦٠٠ متر في الشمال والشرق<sup>(٣٠)</sup>. وكانت تُعرف قديماً باسم بادية السماوة أو رملة عالج<sup>(٣١)</sup>. وهي عبارة عن عروق عميقة من الرمل والحصى تشكّلت بفعل التعرية الجوية والتكوينات الرسوبية المختلفة التي يرجع بعضها إلى الزمن الجيولوجي الرابع. ورمل النفود الكبرى أحمر وأبيض وتمتدّ يحملها الرياح من مكان إلى آخر، ويشكّله على هيئة مختلفة، ويوجد فيها كثبان رملية ناعمة ويصعب على المرء أن يسير فيها، ويصل ارتفاع بعضها إلى ١٥٠ متراً. وفيما تتميز صحراء النفود بالجفاف في نصف السنة الصيفي فإنّها تتحوّل في فصل الشتاء إلى مراعي غنية بعد سقوط المطر. ويتجه تصريف مياه السطوح الصخرية الكلسية نحو الشمال الشرقي، وتنصرف معظم مياهها إلى سلسلة من الأحواض الداخلية التي تساعد على حفر الآبار وتشكيل الواحات<sup>(٣٢)</sup>.

---

(٣٠) الرويثي: الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية، ص ٧١. جواد عل: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الأول، مطبعة المجمع العلمي ببغداد، ص ٩٣. محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وفجره... ص ٣٦.

(٣١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٧٠.

(٣٢) الرويثي: الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية، ص ٧١. محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وفجره... ص ٣٦. عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٦، ص ١٤.

وتقوم صحراء الدهناء (النفود الصغرى) بين منطقة الأحساء ونجد، وهي عبارة عن فلاة واسعة، وتشكّل من أراضٍ حصوية صلدة تغطّيها، بصورة متقطّعة، أحزمة رملية مختلفة الأحجام. وتبدأ الدهناء ممراً ضيقاً في جنوبي صحراء النفود الكبرى، ثمّ تسير في قوسٍ طويل ضيّق يقع شرقي جبل طويق، ويصلها بصحراء الربع الخالي جنوباً، ويبلغ طول الدهناء من الشمال إلى الجنوب ١٣٠٠ كيلومتر، ويتراوح عرضها بين هضبتي العرمة والصمان ما بين ٣٠ و ٨٠ كيلومتراً، كما يتراوح متوسط ارتفاعها عن سطح البحر ما بين ٤٠٠ و ٥٠٠ متر. وتضمّ الدهناء أشكالاً متنوعة من الكثبان الرملية الطولية والأودية التي تنحدر باتجاه الشرق، ويكون امتداد الكثبان الرملية الطولية على سطحها من الغرب إلى الشرق، ويفصل بينها عروق صخرية صلبة قليلة الارتفاع<sup>(٣٣)</sup>.

وعلى الرّغم من خلو الماء فيها وجفاف بعض أجزائها إلا أنّ الدهناء تميّز عن الربع الخالي بتنوّع أعشابها وغازاة مراعيها، وهي كثيرة الكأ، ليس في بلاد العرب مربع مثلاً، وإذا أخضبت ربّعت العرب فيها<sup>(٣٤)</sup>. ففيها ينمو العشب والزهر، كما تنمو بعض الأشجار القصيرة على متون التلال الرملية، ممّا يجعلها مرعى سائغاً لدى البدو والقاطنين هناك. وفيها مراعى جيدة حتى في فصل القيظ، فهناك بقاع خضراء تنبت فيها أعشاب طويلة الساق حتى في الفصول التي تسبق نزول المطر، كما تنبت فيها أشجار الشّيح الوفير الذي يصلح علفاً للجمال<sup>(٣٥)</sup>. ولعلّ الدهناء من الدهان الذي يعني الأديم الأحمر، وذلك لاختلاف النبات والأزهار في أراضيها<sup>(٣٦)</sup>.

وهناك قوس صحراوي آخر يصل صحراء النفود الكبرى بصحراء الربع

---

(٣٣) الرويحي: الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية، ص ٧٠. الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٢١٧. راجع أيضاً خريطة شبه الجزيرة العربية الطبيعية في باب الملاحق، ملحق رقم...

(٣٤) الزبيدي: تاج العروس...، ج ٩، ص ٢٠٥.

(٣٥) أ.ي. بليانيف: العرب والإسلام والخلافة العربية في القرون الوسطى، ترجمة أنيس فريحة، الدار المتحدة للنشر، بيروت ١٩٧٣، ص ٧٠ - ٧٥.

(٣٦) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٩٢.



الخالى، ويقع غربى جبل طوىق، ولكن هذا القوس لىس مستمراً كالقوس السابق بل كثيراً ما يغىب وىعود للظهور ثانية. وىلاحظ فى صحراء النفود الكبرى وصحراء الدهناء تلال رملية أو كئبان تتموج مع الرىاح، وتنتقل معها عند هبوبها، وىكون تحرك الرمال دوماً باتجاه الجنوب، وتحديدأً باتجاه الربع الخالى<sup>(٣٧)</sup>.

وتوجد صحراء الربع الخالى فى القسم الجنوبى من شبه الجزيرة العربىة، بین الیمن وعسىر غرباً، وعُمان والجبل الأخضر شرقاً، و بین صحراء الدهناء وهضبة نجد شمالاً، وحضرموت وظفار جنوباً. ویطلق على صحراء الربع الخالى اسم الصحراء العربىة الكبرى. ویتراوح عرضها من الشمال إلى الجنوب ما بین ٦٠٠ و ٨٠٠ كىلومتر، وطولها من الشرق إلى الغرب ١٢٠٠ كىلومتر، وتصل مساحتها إلى حوالى ٦٤٧٥٠٠ كىلومتر مربع<sup>(٣٨)</sup> وهى عبارة عن منخفض واسع من الأرض تحیط به المرتفعات ویغمرها غطاء كثیف من الرمال الجرداء الجافة فى ثلثى مساحتها، والتى تأخذ شكل كئبان عالية هلالیة وطولیة معقدة. وقد استخرج من أطرافها الشمالیة البترول، كما احتفظ بما یحوى باطنها من البترول كاحتیاطى ضخم للمستقبل<sup>(٣٩)</sup>. وكان الناس إلى زمن قریب، یعتبرونها أرضاً مخیفة، ولا یتجرؤون على اجتيازها، وقد عبرها الرحالة الإنكلىزى برترام توماس لأول مرة فى عام ١٩٣١، وجون فلیبى عام ١٩٣٢<sup>(٤٠)</sup>. ویظهر من المتحجرات والأصداف التى عثر علیها فى الربع الخالى أن البحر كان یغمر أجزاءها فى العصور الجیولوجیة القدیمة، واستدل على ذلك بالبحیرة المالحة التى اكتشفها توماس نفسه<sup>(٤١)</sup>.

(٣٧) نبیه عاقل: تاریخ العرب القدیم، ص ٢١.

(٣٨) الرویثى: الشخصیة الجغرافیة للمملکة العربیة السعودیة، ص ٦٩.

(٣٩) الدلیل الأثرى والحضارى لمنطقه الخلیج العربى، ص ٢١٦.

(٤٠) الرویثى: الشخصیة الجغرافیة للمملکة العربیة السعودیة، ص ٧٠. عمر فروخ: تاریخ الجاهلیة، الطبعة الثانیة، دار العلم للملایین، بیروت ١٩٨٤ ص ٢٨.

(٤١) الرویثى: المرجع السابق، ص ٧٠.

ويحيط بالربع الخالي من أطرافه مناطق: يبرين وهي رمل لا تُدرك أطرافه عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة (مدينة باليمامة) ووبار (أو وبار) هي أرض بين اليمن ورمال يبرين. والأحفاف بناحية الشجر في الجانب الغربي الجنوبي من الربع الخالي، بناحية حضرموت اليمن؛ وهي سلسلة من الكثبان الرملية الدقيقة النعومة التي يتعذر على المرء اجتيازها إلا في بعض الجهات وذلك لانعدام الماء<sup>(٤٢)</sup>. وفي الأحفاف كانت منازل عاد<sup>(٤٣)</sup>.

أما الدارات فهي سهول رملية مستديرة بين التلال أو الجبال، تستقر تحت سطحها المياه، وقد تكون الدارة مكاناً ضيقاً فيه ماء غامر دائم، كدارة جُلجل. ودارات شبه الجزيرة كثيرة لا يمكن إحصاؤها لأنها أماكن محلية، وقد أوصلها البعض إلى مائة وعشر دارات، كدارة الآرام، ودارة أبرق، ودارة أحد، ودارة دَمُون<sup>(٤٤)</sup>.

ويبدو أن الجِرار قد انتشرت في شبه الجزيرة في الفترة القريبة جداً من ظهور الدعوة الإسلامية. والحرّة هي أرض ذات حجارة نخرة، تتشكل من الحجارة والمعادن المصهورة التي تسيل من البراكين<sup>(٤٥)</sup>. وتأخذ الجِرار شكل مخاريط بركانية على سطح الأرض. أو تكون عادة مستديرة الشكل؛ فإذا كان فيها شيء مستطيل غير واسع فذلك الكراع واللابه<sup>(٤٦)</sup>. والجِرار وعرة المسالك، تتوزع على أطراف الحجاز ومدين ونجد، من جنوبي تبوك حتى جنوب شرقي مكة. وقد اشتهرت بعض هذه الحرّات بالخصب وكثرة المياه، ولا سيما حرّات المدينة المنورة وخيبر. واستخرج العرب من هذه الحرّات أحجار الرحي والمسان والمعادن<sup>(٤٧)</sup>.

---

(٤٢) Stamps: A regional Geography, P144.

(٤٣) أبو الفداء إسماعيل بن كثير: قصص الأنبياء، تحقيق لجنة من العلماء، طبعة ثامنة، دار القلم، بيروت ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ٩٧.

(٤٤) عمر فروخ: تاريخ الجاهلية، ص ٣٠ - ٣١.

(٤٥) Henri Lammens: Le Berceau de l'Islam, Rome 1914, P73.

(٤٦) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٤٥.

(٤٧) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص ٢٤٦. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الأول، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٨، ص ١٩٨.

وتقع الجرار الواسعة المشهورة بالقرب من المدينة، وهي خمس: الحَدْرِيَّة وهي حرّة لبني سُليم، وحرّة واقم، وحرّة ليلى، وحرّة سُوران، وحرّة النار قرب خيبر<sup>(٤٨)</sup>. وهناك حرّات أخرى أقلّ اتساعاً، وقد أحصى ياقوت الحموي تسعاً وعشرين حرّة في شبه جزيرة العرب، من بينها حرّات: أوطاس، وتبوك، ونُقْدَة، وحقل، والحمارة، وراجل، ورماح بالدهناء، وضرغد في جبال طيّء، والوبرة التي تقع على ثلاثة أميال غربي المدينة المنورة في أوّل الطريق إلى مكة، وتفصل بين المدينة ووادي العقيق، وكان وادياً كثيراً المياه والآبار والعيون، وكثير النخل والأغراس والأشجار<sup>(٤٩)</sup>.

#### ٤ - نظرة العرب والجغرافيين القدامى لطبيعة شبه الجزيرة العربية:

لم تكن نظرة الجغرافيين القدامى، وبخاصة اليونان والرومان منهم، متفّقة مع نظرة جغرافي العرب لبلادهم. ذلك أنّ الجغرافيين القدماء من غير العرب لم تطأ أقدامهم أرض شبه الجزيرة العربية، فلذا جاء تقسيمهم لها يختلف عن التقسيم الذي وضعه العرب أنفسهم، ولكنّه ينسجم مع الأحوال السياسية التي كانت عليها الشعوب العربية في القرن الأول الميلادي<sup>(٥٠)</sup>. ووفقاً لنظرة هؤلاء يمكننا حصر هذا التقسيم بثلاث مناطق:

أ - بلاد العرب الصخرية (Arabia Petraea)، وتشمل شبه جزيرة سيناء، والمنطقة التي تليها إلى الشمال والشمال الشرقي، حيث قامت مملكة الأنباط وكانت عاصمتها مدينة البتراء (Petraa).

ب - بلاد العرب الصحراوية (Arabia Deserta). وكانت تشمل بادية الشام، والمناطق الصحراوية التي كانت تسكنها القبائل العربية في ذلك الوقت.

---

(٤٨) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٤٨. عمر فروخ: تاريخ الجاهلية، ص ٢٩ - ٣٠.  
(٤٩) ياقوت الحموي: المصدر السابق. أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٥، ص ٢٨٩. عبد الوهاب عزّام: مهد العرب، ص ٦٣.

(٥٠) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ١١٧.

ج - بلاد العرب السعيدة (Arabia Felix)، وهي بلاد اليمن أو الأرض الخضراء التي تقع في القسم الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية<sup>(٥١)</sup>.

أما العرب فقد قَسَمُوا شبه جزيرتهم إلى خمسة أقسام كبرى هي: تهامة، والحجاز، ونجد، والعروض، واليمن<sup>(٥٢)</sup>. ويضيف ابن حوقل على هذه الأقسام بوادي العراق والشام والجزيرة فيما بين دجلة والفرات<sup>(٥٣)</sup>.

ويُطلق اسم تهامة على الأرض الممتدة من غرب جبال السراة إلى ساحل البحر الأحمر، ومن العقبة شمالاً إلى عدن جنوباً. وهي تتألف من تهائم، منها ما يدخل في اليمن، ومنها ما يدخل في الحجاز. وتهامة اليمن سهل خصب، تنحدر إليه الأودية من الجبال، وتكثر فيه الأشجار والزرع، ومن مدنه الساحلية الحديدية ومخا وقنفذة<sup>(٥٤)</sup>. وقَصَبَتِ التهائم زبيد، وميناؤها على البحر<sup>(٥٥)</sup>، ومن مدن تهامة الحجاز جُدَّة التي بناها عثمان بن عفَّان، وهي ميناء مكَّة، وينبع ميناء المدينة المنورة<sup>(٥٦)</sup>.

وقد سُمِّيت تهامة بهذا الاسم من التهم وهو شدة الحرّ وركود الريح، وقيل هي الأرض المُتَصَوِّبَةُ (المنحدرة) إلى البحر، ولانخفاض أرض تهامة التي سُمِّيت بالغور<sup>(٥٧)</sup>.

---

(٥١) جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، دار مكتبة الحياة، بيروت، لا تاريخ، ص ٣٩. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي الجزء الأول، الطبعة السابعة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤، ص ٤. نبيه عاقل: تاريخ العرب القديم...، ص ٢٨.

(٥٢) الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٤٧. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٣٧. الألوسي: بلوغ الأرب...، ج ١، ص ١٨٧.

(٥٣) ابن حوقل: كتاب صورة الأرض، ص ١٩.

(٥٤) عبد الوهاب عزام: مهد العرب، ص ٩٣.

(٥٥) الألوسي: بلوغ الأرب...، ج ١، ص ٢٠٦.

(٥٦) الألوسي: المصدر نفسه، ص ١٩٥. ابن حوقل: المصدر نفسه، ص ٣٩. نبيه عاقل: تاريخ العرب القديم...، ص ٣١.

(٥٧) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٦٣ وج ٤ ص ٢١٧.

والحجاز منطقة جبلية تقع غربي تهامة، وتحاذيها من الشمال إلى الجنوب، وتفصل أو تحجز بينها وبين نجد، ولهذا سُميت بالحجاز. وتحجز بين اليمن والشام، لأنها تحوي سلسلة جبال السراة التي تمتد من اليمن إلى الشام<sup>(٥٨)</sup>. ومن مدن الحجاز: مكة والمدينة والطائف ومخاليقها، ومن هذه المخاليق العُلا وهي بلد بناحية وادي القرى؛ كما يضمّ خيبر وفدك وتيماء والجار وهي ميناء المدينة المنورة<sup>(٥٩)</sup>.

وتشمل نجد المنطقة التي تقع شرقي الحجاز حتى الخليج العربي. وحدودها واسعة تصل إلى أطراف العراق شرقاً، والدهناء جنوباً. وهي عبارة عن هضبة مرتفعة، وسُميت بادية على الحصر، وفيها نشأت اللغة التي نتكلم بها، والأدب الذي نتغنى به<sup>(٦٠)</sup>. وتُعدّ نجد من أوسع أقاليم شبه الجزيرة العربية وأغناها، وتشتهر بمراعيها الخصبة وخيولها العربية الأصيلة، وبربائها ورياضها ترثم الشعراء<sup>(٦١)</sup>.

وتضمّ العروض اليمامة والبحرين وما والاها، وتعرض ما بين اليمن ونجد والعراق. وتقع اليمامة في الجنوب الشرقي من نجد، وهي منطقة واسعة كانت تُعرف قديماً باسم جواً، وقد سُميت باليمامة نسبة إلى اليمامة بنت سهم بن طسم، وكانت قَصَبَتها مدينة حجر<sup>(٦٢)</sup>. أما البحرين فهي منطقة كبيرة، تمتد من البصرة شمالاً إلى عُمان جنوباً، ولها سيف (ساحل) ضيق على خليج البصرة.

---

(٥٨) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢١٩. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٤٨. أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الجزء الرابع، القاهرة ١٩١٣، ص ٢٤٦.

(٥٩) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص ٢١٩. عمر فروخ: تاريخ الجاهلية، ص ٣٦. عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص ١٨.

(٦٠) عمر فروخ: تاريخ الجاهلية، ص ٣٦.

(٦١) الألويسي: بلوغ الأرب ج ١، ص ٢٩٩. نبيه عاقل: تاريخ العرب القديم.. ص ٣١.

(٦٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٤٢.

وكانت تتألف قديماً من كاظمة الكويت والأحساء وشبه جزيرة قطر، وكانت قاعدتها هجر<sup>(٦٣)</sup>.

أما اليمن فهي أرض واسعة تمتد حدودها من تهامة إلى العروض، ويحدها من الجنوب المحيط الهندي ومن الشمال الحجاز، وتضم أقاليم حضرموت وشجر وعُمان ونجران، ومن أشهر مدنها صنعاء<sup>(٦٤)</sup>. وكان القدماء يسمونها بلاد العرب السعيدة أو اليمن الخضراء لكثرة مزارعها ونخيلها وأشجارها وثمارها. ويقول البعض أنها سُميت اليمن لأنها من يمنات الواردة في نص يرجع إلى أيام الملك شمر يرعش الحميري<sup>(٦٥)</sup> الذي حكم في الربع الأخير من القرن الثالث الميلادي<sup>(٦٦)</sup>. وقال الكلبي بن السائب: «سُميت اليمن لأنَّ يُقْطَن ابن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح أقبل بعد خروج ثلاثة عشر ذكراً من ولد أبيه، فنزل موضع اليمن فقالت العرب: «تيمَن بنو يُقْطَن» فسميت اليمن». والأرجح أنها سُميت باليمن لأنها تقع على يمين الكعبة<sup>(٦٧)</sup>.

---

(٦٣) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص ٣٩٣. عمر فَرُوخ: تاريخ الجاهلية، ص ٣٦. الكاظمة موقع على سيف البحر في الطريق من البحرين إلى البصرة، بينها وبين البصرة مرحلتان (ما يقارب ١٢٠ كيلومتراً)، وموضع الكاظمة اليوم شمالي الكويت ضمن الأراضي الكويتية. أما البحرين فقد عُرِف بهذا الاسم لوجود لسان مائي يدخل في اليابس، وقيل إنَّ اسم البحرين مشتق من اسم لبحيرة تقع بالقرب من مدينة الأحساء تبلغ مساحتها ثلاثة أميال مربعة، وتبعد عن مياه الخليج بحوالي عشرة فراسخ (٣٠ ميلاً) وكانت هذه البحيرة تبدو للناس كأنها إلى البحر المجاور لها كالبحرين، ومن هنا جاءت التسمية. وبمرور الزمن أصبح اسم البحرين علماً للبلاد التي تمتد من أسياف كاظمة في الشمال حتى عُمان في الجنوب. أحمد المزيني: الزكاة والضرائب في الكويت قديماً وحديثاً، دار ذات السلاسل، الكويت ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، ص ١١ - ١٢.

(٦٤) نبيه عاقل: تاريخ العرب القديم...، ص ٢٩ - ٣٠.  
زكريا بن محمد القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، طبعة فردنان وستنفيلد - لندن ١٨٤٨م (نسخة محفوظة بمكتبة الجامعة الأميركية في بيروت) ص ٤٣.  
(٦٥) جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ١٣٥.  
(٦٦) جرجي زيدان: العرب قبل ازسلام، ص ١٦٧.  
(٦٧) ابن الفقيه (الهمداني): كتاب البلدان، ص ٩١. الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٥١. الألوسي: بلوغ الأرب...، ج ١، ص ٢٠٣.

ومن المفيد إيراد تحديد الجغرافي العربي أبي الفداء لهذه الأقسام كما يلي: تهامة وهي الناحية الجنوبية من الحجاز. ونجد وهي البلاد الواقعة بين الحجاز والعراق. والحجاز يشمل الأرض الجبلية الممتدة من اليمن إلى سورية وفيه المدينة وعَمَّان. ثم العروص وهي أرض اليمامة والبحرين. ويضمّ اليمن تهامته ونجده وحضرموت ومهرة وعُمان<sup>(٦٨)</sup>.

## ٥ - المناخ:

إنّ مناخ شبه الجزيرة العربية متفاوت جدّاً، ولكنّ الغالب عليه أنّه قاريّ صحراوي، يميل إلى الجفاف كما تميل الحرارة فيه إلى الاشتداد. وأشدّ المناطق حرارة شواطئ عُمان وتهامة والأحساء. ويرافق هذه الحرارة ارتفاع نسبة الرطوبة في الجو، ففي جُدّة مثلاً ترتفع الرطوبة ارتفاعاً كبيراً بحيث لو ترك المرء، في أحد أيام أيلول قطعة من قماش في العراء لابتلت بعد انقضاء ساعتين فقط<sup>(٦٩)</sup>.

والحرارة في شبه الجزيرة عرضة للتقلبات ليس بين الصيف والشتاء وحسب، بل وفي اليوم الواحد بين النهار والليل<sup>(٧٠)</sup>؛ ففي الشتاء تنخفض درجة الحرارة في معظم أرجاء شبه الجزيرة، وفي أشهره القاسية يتساقط الثلج ويتجمّد الماء في بعض المرتفعات العالية، ويذكر جغرافيو العرب مكانين يتجمّد فيهما الماء هما جبل غزوان الذي تقوم عليه مدينة الطائف، وصنعاء في اليمن<sup>(٧١)</sup>.

وتختلف الرياح بدرجة كبيرة في مختلف البقاع بسبب تحكّم أوضاع المسطّحات المائية المحيطة، والرياح الموسمية التي تهبّ من المحيط الهندي صوب شبه الجزيرة ذات تأثير فاعل ليس في الأقاليم الطبيعية فحسب بل وفي

---

(٦٨) الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن محمود أبو الفداء: تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس ١٨٤٠، ص ٧٨ - ٨٠.

(٦٩) الرويحي: الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية، ص ٧٩ - ٨٣.

بليانيف: العرب والإسلام والخلافة العربية في القرون الوسطى، ص ٧٦.

(٧٠) بليانيف: المرجع نفسه، ص ٧٧.

(٧١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٩. أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٩٥.

حياة السكان أنفسهم. وعلى العموم فإنَّ الرياح التي تهبُّ على شبه الجزيرة العربية كثيرة ومتنوعة، فمنها الموسمية والعامة، والباردة والحارة، والممطرة والجافة... وذكر البعض أنَّ الرياح أربع<sup>(٧٢)</sup>:

إحداها تهبُّ من جهة الشرق وهي ربح القُبُول أو ربح الصَّبَا، وهي ربح طيِّبة مقبولة والنفس تصبو إليها لنعمتها ورقَّتْها، ولأنَّها تجلب السَّحاب والمطر وتروي الأرض وتخصب الزرع، وكانت تهبُّ في الغالب على منطقة نجد، وهي عند العرب اليمانية<sup>(٧٣)</sup>.

والثانية تهبُّ من جهة الغرب وهي الدَّبُور، وقد سمَّيت كذلك لأنَّها في زعمهم تأتي من المغرب أي من دُبُر الكعبة، مصحوبة بأمطار ولذلك عُرفت بالذاريات والمعصرات. وتهبُّ هذه الرياح صيفاً وشتاءً على مناطق شبه الجزيرة التي تقع إلى الجنوب الشرقي من شبه جزيرة سيناء، وعلى بلاد الحجاز وأواسط نجد وشماله، وعلى بلاد عُمان<sup>(٧٤)</sup>.

والثالثة تهبُّ من جهة الجنوب وهي رياح التيمَن التي تتحرَّك في الصيف على أقاليم شبه الجزيرة العربية الجنوبية، محمَّلة بالسحب الآتية من المحيط، وتسقط مطراً غزيراً فوق الهضبة اليمنية وعلى ظفَّار ومهرة. وقد تيمَن العرب بها وجعلوها علامة للخصب والخير، ودعوا الجنوب لاقحاً لأنَّها تُلقح السحاب<sup>(٧٥)</sup>.

---

(٧٢) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: كتاب الأنواء، حيدر آباد - الدكن ١٩٥٦، ص ١٥٨. أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل الطرابلسي المغربي الأفريقي: الأزمنة والأنواء، تحقيق الدكتور عزة حسن، دمشق ١٩٦٤، ص ١٢٦. أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجواهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الجزء الثاني، طبعة رابعة، م: السعادة بمصر، مصر، صفر ١٣٨٤هـ، حزيران ١٩٦٤م، ص ٢٣٣.

(٧٣) عبد الوهاب عزام: مهد العرب، ص ٢٦. الألوسي: بلوغ الأرب...، ج ٣، ص ٣٦٠.

(٧٤) الألوسي: بلوغ أورب...، ج ٣، ص ٣٦٠ - ٣٦١.

(٧٥) ابن قتيبة الدينوري: كتاب الأنواء، ص ١٥٩ و ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٧.



والرابعة تهبّ من الشمال وهي ريح التيسر التي تأتي باردة على الحجاز وشمالى شبه الجزيرة، بعد أن تكون قد اجتازت هضاب الأناضول المغطاة بالثلوج. وكان العرب يكرهون ريح الشمال، لأنها تجيء بالبرد، وتقشع الغيم، وتذهب بالحياة والخصب<sup>(٧٦)</sup>. وقد عُرفت هذه الريح بالحدّواء لأنها تحدو السحاب أي تسوقه؛ وعُرفت بالعقيم أيضاً لأنها لا تنتج مطراً<sup>(٧٧)</sup>.

ومن أشدّ الرياح أذى لسكان شبه الجزيرة العربية هي رياح السموم التي تهبّ من جهة الصحراء العربية الكبرى (الربع الخالي). وما إن تهبّ هذه الرياح حتى تجفّ مصادر المياه، وتيبس القرب التي يجمع فيها البدوي ماء شربه، وتتعلّل حركة المواصلات والتنقّلات بسبب ما تحمله من رمال وأتربة، وبسبب سرعتها التي تزيد على ستين كيلومتراً بالساعة<sup>(٧٨)</sup>.

---

(٧٦) ابن قتيبة الدينوري: كتاب الأنواء، ص ١٦٢. الألويسي: بلوغ اورب، ج ٣، ص ٣٦.

(٧٧) ابن قتيبة الدينوري: المصدر نفسه، ص ١٥٩ و ١٦٣ و ١٦٦.

(٧٨) أبو حسن علي بن إسماعيل بن سيّدة: المخصّص، الجزء التاسع، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت لا تاريخ، ص ٨٥.

الرويثي: الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية، ص ٨٢،

## الفصل الثاني

### الشروات الطبيعية

#### ١ - الثروة المائية:

##### مياه الأمطار:

تقلّ المياه في شبه الجزيرة العربية بوجه عام، ويتفاوت وجودها من منطقة لأخرى حيث يتوقّر في ناحية ويشخّ في ناحية ثانية. كما تقلّ الأمطار فيها أيضاً، ويقصر موسمها الذي يكون عادة في فصل الشتاء على الأجزاء الشمالية، حيث تحظى التلال والسهول الساحلية بنصيب وافر من هذه الأمطار. ويكون صيفاً على الأجزاء الجنوبية حيث تحصل المناطق المرتفعة على نسبة كبيرة منها، وخاصة مرتفعات عسير. ومن هنا يمكن القول إنّ الأمطار تسقط خلال فصلين على شبه الجزيرة وإن اختلف معدّل سقوطها وكمياتها وأماكن هطولها<sup>(١)</sup>.

وتتميّز الأمطار في شبه الجزيرة بهطولها المفاجيء والغزير الذي يؤدّي أحياناً إلى سيول جارفة ومدمّرة. كما تتميّز باختلاف كمية الأمطار المتساقطة من عام إلى عام، ويتقطّعها وعدم انتظامها وتوقّفها عن الهطول لفترات طويلة. ولم تكن نسبة تساقط الأمطار في القديم كما هي عليه الآن، فهناك ما يشير إلى أنّ هذه النسبة في شبه الجزيرة كانت في الألف الأول قبل الميلاد أكثر ممّا هي عليه في الوقت الحاضر. ويلاحظ أنّ شبه الجزيرة قد تعرّضت لفترات من القحط والجفاف والتغيّرات المناخية، كان آخرها ما حدث في

---

(١) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٢١٧.

القرن الثالث الميلادي واستمر حتى أدى إلى التصحر الذي سبق ظهور الدعوة الإسلامية<sup>(٢)</sup>.

John Dayton: The Problem of Climatic change in the Arabian Peninsula, (٢) vol.5, London 1975, PP35, 45, 84.

نورة عبد الله العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي، دار الشواف، الرياض ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص ٦٠. لقد اتفقت آراء المختصين على أنَّ عصر البليستوسين (Pléistocène) قد عمّر حوالي مليون سنة. كما اتفقت على أن الثلث الأول من هذا العصر، الذي يُسمى فترة فيلافرانش (Villafranch) كانت تتميز بمطار غزيرة على سطح الأرض، يحلّ محلّه في فترات متقطّعة انتشار الجليد. وحين بدأت فترة فيلافرانش في الانتهاء أخذت الكرة الأرضية في البرودة تدريجياً. وقد ساعد ذلك على زحف الجليد القطبي على القارات المجاورة في صورة غطاءات سميكة من الجليد. وترتّب على ذلك أنَّ الأقسام الشمالية من أوروبا وآسيا وأميركا الشمالية قد غطّاها الجليد بصورة مشابهة للغطاء الجليدي السميكة في غرينلاند الحالية.

وقد أثر الجليد الزاحف على الحياة النباتية والحيوانية، وكذلك على الأنهار والبحيرات وسواحل البحار. فاضطرت أنواع من النبات والحيوان إلى الهجرة بعيداً عن هذه الظروف المناخية القاسية، وإن كان بعضها قد انقرض لعدم قدرته على التكيف. أمّا الأنهار والبحيرات فقد قلّت كمية المياه فيهما نظراً لتجمّد كميات هائلة من الرطوبة الجوية وانحباسها في الغطاءات الجليدية الواسعة. كذلك هبط مستوى ماء البحار والمحيطات لنفس الأسباب. فنظام الدورة (تبخير - أمطار - تصريف نهري إلى البحار - ثم تبخير) قد اختل. وأدى هذا الاختلال إلى ظهور كثير من الأراضي التي يغطيها البحر حالياً في صورة أرض يابسة، خاصّة تلك التي تُسمّى المعابر الأرضية (مثل المعابر بين شمال أفريقيا وجنوب أوروبا) وتحوّل البحر المتوسط إلى عدّة بحيرات صغيرة.

وقد تدهورت أمطار الإقليم المعتدل من الأرض إلى مناطق أكثر امتداداً نحو الجنوب، وتحوّلت أجزاء كثيرة من العالم الجاف المعروف حالياً، إلى مناطق مطيرة شبيهة بأمطار العروض المعتدلة في أيامنا. وببطء شديد بدأت هذه الصورة تتغيّر، بتراجع الجليد إلى المناطق القطبية، وعودة الدفء والأمطار إلى العروض المعتدلة. وذوبان كميات هائلة من الجليد يؤدّي إلى رفع هذا الثقل عن سطح الأرض، فتعود إلى الارتفاع التدريجي، وتمتلئ البحار بالمياه، فيرتفع مستواها وتغمر المعابر الأرضية بمياه البحر مرّة أخرى، وتعود الصحارى إلى جفافها، وتهاجر الحيوانات والنباتات إلى الشمال.

وقد تكرّرت هذه الصورة أربع مرات خلال عصر البليستوسين، بالإضافة إلى ذبذبات عديدة وصغيرة نسبياً.

محمد رياض: الإنسان، دراسة في النوع والحضارة، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٢، ص ٨٩ - ٩٠.

ومن خلال التصريف المائي في الربع الخالي من منحدرات جبال حضرموت وظفار في أقصى جنوب الجزيرة العربية، ومن التصريفات المائية للجبال الغربية، ومنحدرات طويق، يصبح من السهولة ملاحظة أنَّ صحراء الربع الخالي كانت فيما مضى عبارة عن حوض رسوبي عظيم الاتساع، يزخر بالمسطحات المائية وليس صحراء جرداء كما هي الآن. وتأخذ هذه المسطحات شكل البحيرات التي يعود تاريخها إلى عصر البليستوسين (Pléistocène)، كما يعود تاريخ بحيرات منطقة وادي الدواسر إلى عصر الهولوسين (Holocène). وقد عُثر في قيعان أودية هذه البحيرات التي ترجع إلى العصر الهولوسيني في منطقة وادي الدواسر على أدوات صوانية من النمط النيوليتي. ويشير ارتباط هذه المعثورات الحجرية بهذه الأودية والبحيرات القديمة، إلى أنَّ الاستيطان البشري قرب البحيرات والربع الخالي يمكن أن يعود إلى الفترة المطيرة للعصر الحجري الحديث (Néolithique)<sup>(٣)</sup>.

وإلى جانب ذلك تشير بعض المصادر القديمة إلى الطقس المطير الذي كان يسيطر على طبيعة شبه الجزيرة في العصور القديمة؛ فعند كلامه عن مناطق إنتاج اللبان يتحدث ثيوفراستوس عن مرتفعات تغطيها غابات كثيفة من الأشجار ويغمرها الجليد وتنحدر منها أنهار إلى السهول المجاورة<sup>(٤)</sup>. ويذكر صاحب كتاب الطواف أنَّ الضباب والسحب تغطي ظفار منطقة اللبان<sup>(٥)</sup>، ويصف استرابون، نقلاً عن ايراتوسينس، منطقة جنوبي شبه الجزيرة بالخصوبة وأنَّ الأمطار تتساقط عليها غزيرة في فصل الصيف وأنَّ الأنهار والبحيرات تتوزع فيها بكثرة. وتحدث أرتيميدورس عن خصوبة هذه المنطقة ووفرة منتوجاتها الزراعية وكثافة الأشجار في مرتفعاتها<sup>(٦)</sup>. وعدد ديودورس الصقلي الكثير من الأنهار

(٣) محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وفجره...، ص ٥٣ و ٦٣.

(٤) Theophrastus: Enquiry into plants, translation Sir Arthur Hort, vol.2, Læb classical Library, London 1980, P235.

(٥) The Periplus of the Erythraean Sea, Translation by wilfred Schoff. New Delhi, Oriental Book reprint 1954, 5th Edition, P33.

(٦) Strabo: The Geography of Strabo, Translation by H.L. Jones, Læb classical Library, London 1983, P307-309.

والبحيرات التي تتكوّن من الأمطار<sup>(٧)</sup>. وذكر بليينوس عدداً من الأنهار الجارية<sup>(٨)</sup>. ووردت في بعض المصادر العربية - الإسلامية أسماء مواضع كانت كثيرة المياه، فهُجرت وتحوّلت إلى صحارى قاحلة في الوقت الحاضر<sup>(٩)</sup>.

وتؤيّد الدراسات الأثرية الحديثة بعض ما جاء في هذه المصادر، وتُشير إلى وجود أنهار في معظم أقاليم شبه الجزيرة كانت تجري مياهها طوال العام، ففي الشرق كان يوجد نهر يمتد من الهفوف حتى ساحل الخليج العربي. وفي الجنوب كان يجري عدد من الأنهار الصغيرة التي تغذيها أمطار المرتفعات كنهر الخارد في جوف اليمن الذي قامت عليه دولة معين<sup>(١٠)</sup>، ونهر مور الذي يُعدّ من أغزر أنهار اليمن والذي يمرّ بالقرب من صيبا حيث تتجمّع فيه عدّة روافد ويُعرف لذلك بميزاب اليمن<sup>(١١)</sup> ونهر وادي الحجر الذي يجري جنوبي حضرموت<sup>(١٢)</sup>.

### مياه الأودية:

وعلى العموم فإنّ الأنهار الدائمة الجريان ليس لها وجود في شبه الجزيرة العربية، إنّما هناك أودية تفيض بالمياه كلّما سقطت أمطار غزيرة. ولا يعود عدم وجود المجاري المائية السطحية الدائمة الجريان إلى قلة كميات الأمطار فحسب، وإنّما أيضاً إلى ظروف السطح والتركيب الجيولوجي في الأجزاء

(٧) Diodorus Siculus: Library of History, Translation by Russel M. Greer and C.H. Oldfather, Loeb Classical Library London 1979, P63.

(٨) Pliny Gaius: Natural History, translation by H. Rackham, Loeb classical Library, London 1967, P157.

(٩) الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٦٣، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٥٣، ٢٨٠. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٤٣. أبو زيد عمر بن شبّة النميري، تاريخ المدينة المنورة، الجزء الأول، حقّقه فهدى محمد شلتوت، دار التراث، بيروت ١٩٩٠، ص ١٧٢.

(١٠) محمد توفيق: آثار معين في جوف اليمن، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٥١، ص ٦.

(١١) الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٥٣.

(١٢) Naval Intelligence Division; Western Arabia the Red Sea, Nval Intelligence Division Admiralty, London 1964, P23.

المختلفة من البلاد. ولما كانت الأمطار في الزمن الرابع وربما فيما قبله أغزر منها الآن فقد جرت المياه أنهاراً دائمة الجريان طال بعضها، وكثرت روافده، فلما تغير المناخ تحولت الأنهار إلى أودية جافة زادت من تضرّس السطح.

ودلّت الدراسات الجيولوجية والهيدروولوجية التي أجريت في معظم أجزاء البلاد، على أنّ المياه السطحية كانت حتى نهاية النصف الأول من القرن العشرين من أهمّ المصادر المائية التي يعتمد عليها الكثير من سكان المدن والقرى. كما دلّت على وجود مئات الأودية التي تخترق مجاريها معظم مناطق شبه الجزيرة، ومن بينها ما يميّز بطوله وأثره على الإنتاج والاستقرار. وكان السكان في الماضي يقيمون الحواجز الترابية لحجز مياه الأودية، والانتفاع بها في الزراعة، إلا أنّ هذه السدود كانت تتعرّض للجرف ممّا يؤدي إلى إغراق الأراضي الزراعية بالمياه والأتربة والحجارة.

ويوجد على طول ساحل البحر الأحمر من مدين حتى باب المندب مجموعة كبيرة من الأودية نذكر منها: وادي عفال الذي يقع في شمالي الجزيرة بين جبال حسمي وساحل البحر الأحمر ويُعدّ من أعظم أودية شمالي الحجاز وتهامة ويصل طوله إلى حوالي ١٢ ميلاً، وله روافد كثيرة من بينها وادي الأيكة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم<sup>(١٣)</sup>. ومن أودية الساحل أيضاً وادي النخل الذي يقع بين ينبع ووادي الصفراء، ويُعرف اليوم باسم وادي الحناكية، وكانت تجري فيه عيون كثيرة اندثر معظمها<sup>(١٤)</sup>. ومنها وادي أضُم (الحمض) الذي يُعدّ من أعظم أودية شبه الجزيرة العربية، وسُمّي أضُم لإيضام السيول به<sup>(١٥)</sup>، وهو عبارة عن مجمع لأودية المدينة ويرفده العديد من الروافد التي تنحدر من السلسلة الجبلية التي يخترقها، كوادي الجزل ووادي العيص، ويبلغ طوله ابتداء من حرّة خيبر حتى مصبه في شمال الحوراء ٣٠٠ ميل<sup>(١٦)</sup>. ومنها وادي

---

(١٣) قرآن كريم، سورة ق، آية ١٤.

حمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة العربية، دار اليمامة، الرياض ١٩٧٠، ص ٥٦٦.

(١٤) حمد الجاسر: بلاد ينبع، دار اليمامة، الرياض، لا تاريخ، ص ٩.

(١٥) ابن شبة: تاريخ المدينة المنورة، ج ١، ص ٩.

(١٦) الجاسر: بلاد ينبع، ص ١٦٧.

الصفراء (يليل) الذي يتكون من مجموعة أودية ويُعرف أكبر فروعه باسم وادي الصفراء أيضاً، ونشأت عليه قرى ومزارع كثيرة، وينقسم عند طرفه إلى فرع شمالي يتصل بالبحر الأحمر عند قرية الرايس وإلى فرع جنوبي، ويفيض في رمال الخبت، وفيه عين كبيرة عذبة تخرج من جوف رمل<sup>(١٧)</sup>. ومنها وادي الظهران (وادي فاطمة) وفيه عدد من القرى والعيون، وكانت مياهه تصب في البحر الأحمر جنوب جدة<sup>(١٨)</sup>. ووادي رنية الواسع الذي تصب مياهه في سرة تهامة<sup>(١٩)</sup>.

وفي الركن الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة عدد كبير من الأودية التي تتجه غرباً وتنحدر من المرتفعات والسهول الداخلية إلى السهول الساحلية، وتعد من أكثر الأودية ضخامة وغزارة في المياه، وقد ازدهرت الزراعة على أطرافها سواء في السهول الداخلية أو في سهول تهامة، ومن أهمها: وادي جازان الذي ينحدر من جبال السراة إلى تهامة، وعليه أقيمت السدود والمصارف منذ القدم، وتصب مياهه في البحر الأحمر شمالي مدينة جازان<sup>(٢٠)</sup>. ووادي الحرض الذي تقع على حافته مدينة حرض، وهي مدينة عريقة ومن مدن العهد الحميري<sup>(٢١)</sup>. ووادي مور الذي يعد من أنهار اليمن الجارية معظم أيام السنة. ووادي سرور الذي تكثر فيه الشلالات التي استخدمت قديماً في إنشاء مطاحن الحبوب. ووادي سهام الذي كانت تصب مياهه في البحر الأحمر جنوبي ميناء الحديدة الحالي. ووادي زبيد الذي تصب مياهه في البحر الأحمر غربي مدينة زبيد.

- 
- (١٧) عرام بن الأصبع السلمي: كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة أمين عبد الرحمن، القاهرة ١٣٧٣هـ، ص ٩. الجاسر: في شمال غرب الجزيرة، ص ٢٠٦.
- (١٨) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية المنطقة الشرقية الجزء الثالث، دار اليمامة، الرياض ١٩٧٩، ص ١٤٩.
- (١٩) نورة عبد الله العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، ص ٦٣.
- (٢٠) محمد بن أحمد عيسى العقيلي: تاريخ المخلاف السليماني، مطابع الرياض، الرياض ١٣٧٨هـ، ص ٣٣ - ٣٦.
- (٢١) إبراهيم أحمد المقحفى: معجم المدن والقبائل اليمنية، منشورات دار الحكمة صنعاء ١٩٨٥، ص ١١٦.

والذي الحَجَر الذي يقع في جنوب غربي حضرموت، وكان دائم الجريان، وينحدر من المرتفعات الجنوبية، وتصب مياهه في بحر العرب، وأهم مصادره: ينابيع أم سدرة وتشكل دلتاه إقليم ميفعة<sup>(٢٢)</sup>. ووادي ميفعة ووادي سنام اللذان نشأ على مصبيهما في بحر العرب عدد من المدن ومراكز الاستقرار الزراعي كميفعة وقنا (بئر علي) والخور ومرقد<sup>(٢٣)</sup>. ووادي حضرموت الذي يُعد من أكثر الأودية أهمية وتجري مياهه من الغرب إلى الشرق ثم ينعطف جنوباً بزاوية حادة حيث يُعرف بعدها باسم وادي مسيلة ويصل طوله إلى ٣٠٠ ميل، أما عرضه في أقصى اتساعه فيبلغ ٤٠ ميلاً. وفي هذه الأجزاء تركّز النشاط الزراعي وازدهرت القرى والمدن، من أهمّها: سيئون وتريم وشيبام، ومن روافده الجنوبية وادي عمد ووادي أصب ووادي عروة<sup>(٢٤)</sup>. وإلى الشرق من هضبة حضرموت الشمالية يقع وادي الجزع الذي يجتمع إليه عدد من الروافد، وتصب مياهه في خليج القمر بالقرب من جبل فرتك<sup>(٢٥)</sup>.

وفي السواحل الجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة يوجد عدد من الأودية التي نشأت على مياهها المدن والقرى. وأهم هذه الأودية، وادي حلفين ووادي البطحاء ووادي سمائل، وتنحدر هذه الأودية الثلاثة من مرتفات عُمان، وتصب مياهها في بحر العرب، ويُعتبر وادي البطحاء ووادي سمائل أهم طريقين يصلان بين الساحل والداخل عبر الجبل الأخضر<sup>(٢٦)</sup>. ومنها وادي جزى الذي يصل

(٢٢) الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٢٠ و ١٢٢ و ١٢٣ و ١٤٩. محمد علي الأكوخ: اليمن الخضراء، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٧١، ص ٤٨ - ٥٠.

(٢٣) محمود طه أبو العلاء: جغرافية شبه الجزيرة العربية، الجزء الثالث والرابع، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ١٩٧٢، ص ٣٠.

(٢٤) Beeston, A.f.L: «Hadramount» In Encyclopidia of Islam, vol.3, Leiden, (٢٤) J.Brill 1971, P51. Westren Arabia and the Red Sea, P.31-32.

(٢٥) J.C.Wilkinson «water and tribal Settlement in South Arabia A study of the Aflaj of Oman. Clareandon Press, Oxford, London 1977, P46.

(٢٦) Thomas Bertram: the South Eastern Border Land of Rube Al khali, Geo- graphical Journal, London, RGS 1979, 236 Tosi M.

ج.ج. لوريمر: دليل الخليج العربي، القسم الجغرافي، الجزء السادس، مطبعة علي بن علي، الدوحة لا تاريخ، ص ٢١١٩.



مدينة صحار على ساحل خليج عُمان بواحات البريمي، ووادي العبادلة وهو وادٍ كبير تصبّ مياهه في خليج وبا وقد نشأت عند هذا المصب مدينة وبا<sup>(٢٧)</sup>. ومنها وادي المليح الذي يقع شمال حرض ويمتدّ شمالاً إلى حشاش الخليفة بمحاذاة جبل الحرملين غرباً. ووادي السبهاء الذي يقع أعلاه في الخرج وفروعه من جبال العارض، ويتصل شرقاً إلى ساحل الخليج مخترقاً الأرض التي غطتها رمال الربع الخالي شرق يبرين<sup>(٢٨)</sup> ويوجد في شمال شبه الجزيرة عدد من الأودية تنحدر نحو الشمال الشرقي، وتصبّ مياهها في نهر الفرات، من أهمها وادي ثُبل ووادي عرعر ووادي الخُر<sup>(٢٩)</sup>.

أما الأودية التي تتجه داخلياً ويكون تصريفها هناك فهي كثيرة نذكر منها: وادي القرى الذي يقع بين العلا والمدينة ويُقال له وادي ديدان نسبة لمملكة ديدان التي قامت عليه مع مملكة لحيان، وهو وادٍ متسع تكثر فيه منابع المياه العذبة، وترفده روافد كثيرة كوادي الجزل من الشمال ووادي الحمض من الجنوب، ويمرّ به الطريق العالمي للقوافل التجارية الذي يصل بين جنوب شبه الجزيرة وشمالها، ولهذا كان هذا الوادي مركزاً تجارياً مهماً. وقد تركت عليه بعض الشعوب: كالديدانيين واللحيانيين والمعينيين والتموديين والأنباط، بصمات مدنية ظاهرة<sup>(٣٠)</sup>. ومنها وادي السرحان الذي تكثر فيه السبخات التي يستخرج منها الملح، وتجتمع فيه سيول كثيرة تنحدر إليه من الغرب ومن الشرق، ويسيل من حوران صوب الجنوب والشرق حتى الجوف، ويصل طوله إلى ٢٠٠ ميل ويتراوح عرضه ما بين ٢٨ و٤٣ ميلاً، ويقوم على جانبيه واحات خصبة، ويقع عليه أحد طرق المواصلات الهامة التي تصل بين وسط شبه الجزيرة وبين بلاد

---

(٢٧) محمد متولي، ومحمود طه أبو العلاء: جغرافية الخليج، الطبعة الثانية، مكتبة الفلاح، الكويت ١٩٨٥، ص ١٠٨ و ١١٠ و ١١٢.

(٢٨) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي...، الجزء الرابع، ص ١٧٨.

(٢٩) جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ٢٠٠.

(٣٠) Charles Doughty: travel in Arabia Deserta, vol.I, Dover Publications, New York 1979, P187.

نورة عبد الله العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية...، ص ٦٦ - ٦٧.

الشام وبلاد الرافدين، وكان يُعرف قديماً باسم وادي الأزرق وذلك بسبب وجود واحة الأزرق في طرفه الشمالي<sup>(٣١)</sup>. ومنها وادي الرمة الذي يمتد من شرق المدينة باتجاه الشمال الشرقي حتى نفوذ الثويرات، حيث تطمس هذه النفوذ معالمه، وبعدها يأخذ نفس الاتجاه إلى الشمال الشرقي حتى رمال الدهناء تحت اسم وادي الأجردي، وبعد رمال الدهناء يسير هذا الوادي في نفس الاتجاه باسم وادي الباطن حتى مدينة البصرة على شط العرب. وترفد هذا الوادي مجموعة ضخمة من الروافد التي تنحدر من شمال غربي هضبة نجد. ونشأت عليه العديد من المدن والقرى التي كانت محطات تجارية ومستوطنات زراعية تصل وسط شبه الجزيرة بشمالها<sup>(٣٢)</sup>. ومنها أيضاً وادي العرض (وادي حنيفة) الذي يمتد من جبال طويق غرباً إلى هضبة العرمة شرقاً، بطول ٢٥٠ ميلاً، وتقوم عليه مدية الحَجَر الذي تُعرف اليوم باسم مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية. وكانت منطقة العرض قديماً من أكثر مناطق شبه الجزيرة خصوبة وأكثرها زرعاً ونخلاً<sup>(٣٣)</sup>. ويمتد وادي تثليث الدواسر من السفوح الشرقية لمرتفعات عسير الغربية، ويتجه إلى الشمال الشرقي حتى يتصل بوادي الدواسر الذي يتجه شرقاً عبر وديان جبال طويق، وتنتهي مياهه عند أطراف الربع الخالي، وكان قديماً يُدعى بوادي عقيق عقيل<sup>(٣٤)</sup>. ويبدأ وادي بيشة من شرق قيوان حيث يُعرف باسم طفحان، ويتجه نحو الشرق ثم نحو الشمال وهناك يُدعى باسم وادي المربع، وفي نهايته يتجه نحو الشمال الشرقي حتى يلتقي بوادي رَنِيَّة حيث يغوصان معاً في رمال الصحراء، ولا يتعدى طوله

(٣١) الجاسر: في شمال غرب الجزيرة العربية، ص ٦٠٨.

لوريمر: دليل الخليج العربي، القسم الجغرافي، ج ٦، ص ٢٣٨٣.

(٣٢) الحسن بن عبد الله الأصفهاني: بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي، دار اليمامة، الرياض ١٣٨٨هـ، ص ٦٩.

لوريمر: دليل الخليج العربي، القسم الجغرافي، ج ٦، ص ٢٠٠٦ و ٢٠٠٨.

Western Arabia and the Red Sea, P28.

(٣٣) حمد الجاسر: مدينة الرياض، دار اليمامة، الرياض ١٣٨٦هـ، ص ١٥.

(٣٤) نورة عبد الله العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٦٧ - ٦٨.

Western Arabia and Red Sea, PP.29-30.

الخمسة والثلاثين كيلومتراً<sup>(٣٥)</sup>. وكانت مياه وادي الجوف تجري معظم أيام السنة، وتجتمع فيه سيول وغيلان عديدة ومن أهم روافده الخارد. وينحدر وادي أذنة (وادي مأرب) من جبل بلق ويتجه شرقاً ماراً بمدينة مأرب التي أقيم عندها على هذا الوادي سد مأرب الشهير، ونمت حوله الدولة السبئية وازدهرت، ومن أهم الأودية الفرعية التي تتصل به: رادع وجهران<sup>(٣٦)</sup>.

وينحدر وادي بيجان من مرتفعات لواء البيضاء، ويتجه إلى الشمال الشرقي نحو صحراء السبعين (صيهد)، ويمر بمدينة بيجان القصب، ويتصل به عدد من الروافد قبل أن ينتهي في رمال الصحراء، ونشأت على ضفافه العديد من المدن التابعة لدولة قبان التي كان هذا الوادي محورها الأساسي، والتي كان من أهم مدنها تمنع (هجر كحلان) وهجر بن حميد<sup>(٣٧)</sup>. ويأتي وادي أبين من مرتفعات ياريم، ويرفده عدد من الأودية الصغيرة، ثم يتجه جنوباً نحو ساحل بحر العرب حيث تقع منطقة أبين الزراعية على دلتاه<sup>(٣٨)</sup>. ويُعد وادي العين من الأودية المهمة، ويقع في شرق شبه الجزيرة وتنتهي مياهه في الربع الخالي، وتقوم عليه مدينة عبري<sup>(٣٩)</sup>.

وهناك عدد آخر من الأودية التي تنحدر من هضبة حضرموت وتتجه نحو صحراء الربع الخالي كوادي صغير ووادي الصدارة. وهناك أيضاً أودية نهرية تنبع مياهها من المرتفعات الساحلية كجبل قر في ظفار، وتتجه إلى الشمال

---

(٣٥) العقيلي: تاريخ المخلاف السليماني، ص ٣٩.

Western Arabia and Red Sea, P28.

(٣٦) الأكوع: اليمن الخضراء، ص ٥٣ - ٥٤.

Western Arabia and Red Sea, P23.

(٣٧) محمد متولي ومحمود طه أبو العلاء: جغرافية شبه الجزيرة العربية - جغرافية اليمن الشمالي، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٧٨، ص ١٢٩.

Le Baron Richard Bowen: «Archaeological Survey of Beihan» Archaeological Discoveries in South Arabia, Johns Hopkins Press, Baltimore 1958, P3.

(٣٨) الأكوع: اليمن الخضراء، ص ٥٢.

(٣٩) متولي وأبو العلاء: جغرافية الخليج العربي، ص ١١٢.

الشرقي موازية لحافة الربع الخالي مثل وادي مرخة ووادي العارض<sup>(٤٠)</sup>. أما وادي المياه فهو منخفض طويل يمتد من الشمال إلى الجنوب نحو ١٥٠ كيلومتراً في الجزء الأوسط لمقاطعة الأحساء، وقد أطلق عليه اسم وادي المياه لكثرة عيونه وآباره، وكان يُعرف قديماً بوادي السقارين، ويختلف عما يحيط به من مناطق صحراوية بخصوبته ووفرة مياهه، ولذا نشأت عليه قرى زراعية عامرة بسكانها مثل: ثاج والحناء والعقير<sup>(٤١)</sup>.

وأقيمت على بعض الأودية في اليمن السدود، لتخزين مياه الأمطار الصيفية والإفادة منها أيام الجفاف في ري الحقول والبساتين والمزروعات، مثل وادي زبيد ووادي مور ووادي أذنة الذي أقيم عليه سد مأرب المذكور سابقاً<sup>(٤٢)</sup>.

### مياه العيون والينابيع:

وكانت أراضي شبه الجزيرة العربية غنية بعيونها وينابيعها وآبارها وبركها التي كانت تمتلئ بالماء في فترات تساقط الأمطار، والتي كانت تكثر في المناطق التي يتوفر فيها مخزون مياه جوفية عميقة وكثيفة كبطون الأودية والأراضي المنخفضة، وبخاصة الإقليم الشرقي الذي يُعد من أكثر أقاليم شبه الجزيرة انخفاضاً. وتشتهر البحرين في هذا الإقليم بعيونها منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وتتفجر فيها ما يقارب من ٢٠٠ عين، وأكثر هذه العيون تسيح وتغوص في البحر<sup>(٤٣)</sup>. وأقدم ذكر لهذه العيون ورد عند ثيوفراستوس الذي تحدث عن البحرين وعيونها الطبيعية<sup>(٤٤)</sup>. ويوجد عدد من العيون في الأحساء كما توجد في مرتفعات عمان وفي جنوب شرقي خليج السويس بصحراء سيناء حيث تتفجر

(٤٠) محمود طه أبو العلاء: جغرافية شبه الجزيرة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٧، ص ٣٢.

(٤١) الجاسر: المعجم الجغرافي - المنطقة الشرقية، ج ٤، ص ١٧٨٠ - ١٧٨١.

(٤٢) جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ٢٠١.

(٤٣) الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٧٠ و ٢٨٠. نورة عبد الله العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٧٠ - ٧١.

(٤٤) Theophrastus: Enquiry into plants, P35.

عيون موسى<sup>(٤٥)</sup>. وتكثر العيون في الغابة التي تتجمع فيها سيول أودية المدينة، كما تكثر في وادي القرى: كعين غالب وعين زيات، وتظهر عيون صغيرة في وادي الأجرد<sup>(٤٦)</sup>. وتتفجر العيون في إقليم الجو والأفلاج الذي يقع في وسط شبه الجزيرة مثل عين العرب في الأفلاج التي يخرج منها سبعة عشر نهراً صغيراً<sup>(٤٧)</sup> وتوجد عيون وينابيع طبيعية كثيرة في المناطق الشمالية الغربية من شبه الجزيرة مثل عين الحمية في خيبر التي تمتاز بغزارتها<sup>(٤٨)</sup>، كما توجد عين كبيرة في وادي يليل (الصفراء) تخرج من جوف الأرض من أعذب ما تكون العيون، وتُزرع عليها الحبوب والبقول، وتُسمى هذه العين بالبحيرة<sup>(٤٩)</sup>. وتكثر العيون والينابيع الطبيعية في مناطق الجنوب الغربي، وقد ذكر الحسن الهمداني عدداً من المناطق هناك اشتهرت بعيونها مثل: المذيخرة التي تمتاز بينابيعها الغزيرة، ووادي شربة الذي تكثر فيه الينابيع، وعدد بعض الجبال التي تنبع منها عيون: فوط وعرامي وغراين وهنوم من بلاد همدان والشرف وحضور وضوران وتخلي وغيلان<sup>(٥٠)</sup>.

## مياه الآبار:

وتعدّ الآبار مصدراً رئيساً من مصادر الحصول على المياه من باطن الأرض في أقاليم شبه الجزيرة العربية، ذلك أنّ الإنسان العربي القديم قد لاحظ، من خلال مشاهداته للمياه التي تتسرّب إلى داخل التربة في بطون الأودية، أنّه لو حفر الأرض بيديه لنبع الماء. كما لاحظ أنّ حفرته تمتلئ من جديد بعد تفريغها، فأدرك وجود هذا المصدر المهم للمياه الجوفية.

Western Arabia and the red Sea. P33.

(٤٥)

(٤٦) حمد الجاسر: أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع، دار اليمامة، الرياض ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م ص ١٨٦ و ٣٠٢ و ٣٩٧.

(٤٧) الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٣٠٥. إبراهيم بن إسحاق الحربي: كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الحج، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض ١٣٨٩هـ، ص ٦٠٧.

(٤٨) الحربي: كتاب المناسك وأماكن طرق الحج...، ص ٥٤٠.

(٤٩) السلمي: كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها...، ص ٨ - ٩.

(٥٠) الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٠٣ و ٢٤٤ و ٢٦٦.

وتتكوّن المياه الجوفية من تسرّب مياه الأمطار والمياه الجارية في الأودية وشعابها، في طبقات الحصى والرمال، وفي مسام الصخور التي تتشكّل منها الطبقة السطحية للتربة، وتتجمّع فوق الطبقات الصلبة الصماء غير المسامية، والتي تتعمق أحياناً إلى عشرات الأمتار تحت سطح الأرض، ثمّ تتفجّر هذه المياه عيوناً وينابيع في بعض الأماكن، كما تتفجّر من الآبار بعد حفرها.

وكانت المياه الجوفية المخترنة قد تجمّعت في تلك الطبقات خلال العصر المطير الذي كانت فيه شبه الجزيرة أغزر مطراً، والتي يتراوح عمرها ما بين ١٣٠٠٠ و ١٧٠٠٠ سنة تسرّبت في الصخور الرسوبية السطحية، وتجمّعت في أحواض داخل الأرض تتكوّن من طبقات مسامية تنتمي إلى عصور جيولوجية مختلفة، وتساعد على اختزان قسم كبير من الأمطار المتساقطة خلال السنين؛ وهي تختلف من مكان لآخر اختلافاً كبيراً من حيث نوعيتها، وبُعدها عن السطح، وكمية المياه المخزونة فيها. ففي المنطقة الوسطى، على سبيل المثال، يصل سمك طبقة الماء حسبما أوضحته عمليات الحفر هناك إلى ٦٥ متراً، ويتراوح عمق مستوى سطح المياه فيها عن مستوى سطح الأرض ما بين ٢٣ و ٢٦ متراً. إلّا أنّ اعتماد هذه الطبقات على الأمطار للحصول على الماء جعل مستواها كثير التغير موسمياً.

وكانت الآبار في الماضي تُقاس بطول الرشاء (الحبل) المستخدم في رفع الماء منها، ويقدر قامة الرجل فيقال بئر على قامة أو قامتين...<sup>(٥١)</sup>، ويُقال بئر أنشاط: وهي بئر قريبة القعر يُخرج الدلو منها بجذبة واحدة لقرب قعرها<sup>(٥٢)</sup>. ويقال بئر نشوط أو بئر الجرور: وهي بئر بعيدة القعر لا يخرج الغرّب (الدلو العظيمة) منها حتى يجزّ الجمل الرشاء في الأرض من بعد مذهبه<sup>(٥٣)</sup>. وهناك آبار الفُقَر: وهي مجموعة من الآبار المتناسقة التي يتصل بعضها ببعض بقناة

---

(٥١) عبد الله يوسف الغنيم: جزيرة العرب في كتاب المسالك والممالك لأبي عبد الله البكري، دار ذات السلاسل، الكويت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ص ٣٨.

(٥٢) عرام السلمي: كتاب جبال تهامة وسكانها...، ص ٧٣.

(٥٣) الأصفهاني: بلاد العرب، ص ٣١٨.

جوفية مثل آبار الهباءة<sup>(٥٤)</sup>، وتُعرف هذه الآبار بنظام القنوات الجوفية أو الفلج. وعندما يتصل بئران بمجرى في باطن الأرض يُطلق عليه اسم الكاظمة<sup>(٥٥)</sup>.

وتثبت الدراسات الأثرية وجود عدد هائل من الآبار في بلاد العرب، وخاصة في جوف اليمن مقرّ دولة معين حيث نجد معظم النقوش التي تتحدث عن حفر الآبار هي نقوش معينة<sup>(٥٦)</sup>. وفي نجران تمّ تدمير ٦٠ بئراً في حملة واحدة تحدث عنها نقش لملك سبأ<sup>(٥٧)</sup>. وفي مدينة بيحان التي تقع بين حضرموت وعدن والتي توجد فيها آثار ونقوش على الحجر، تكثر الآبار التي تعود إلى فترة ازدهار مملكة قتبان<sup>(٥٨)</sup>. وفي مدينة ذمار جنوبي صنعاء آبار كثيرة يُنال ماؤها باليد<sup>(٥٩)</sup>. وفي الجنوب أيضاً اشتهرت آبار العليكة: وهي ماء عليها خمسون بئراً، وآبار العقلان والغطاة وهي ماء تُسقى بالغروب، ومنها بئر تبريد وبئر شراقة في براقش في أسفل الجوف، طولها خمسون باعاً، وماؤها عذب فرات لا تُكدرها الدلاء، وبئر سام بن نوح بصنعاء، وبئر وادي برهوت بأسفل حضرموت<sup>(٦٠)</sup>. ومن المرتفعات التي اشتهرت بالآبار والسواقي، مرتفعات برد وتنعمة حيث يوجد فيها أكثر من مائة بئر<sup>(٦١)</sup>.

ويذكر ويلكنسون الذي قام بدراسة مصادر المياه في عُمان أنّ الآبار الباطنية كانت تروي مساحات شاسعة من مزارع النخيل، وهي آبار تعتمد على

(٥٤) عرام السلمي: كتاب جبال تهامة وسكانها...، ص ٧٢.

(٥٥) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء السابع، ص ١٨٣.

(٥٦) يحيى خليل نامي: نقوش خربة معين (مجموعة محمد توفيق)، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٥٢، ص ٢٣ و ٢٥. أحمد حسين شرف الدين: تاريخ اليمن الثقافي، ج ٣، مطبعة الكيلاني الصغير، القاهرة ١٩٦٧ ص ٥٢.

(٥٧) نوره عبد الله العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة...، ص ٧٢.

(٥٨) Le Baron Richard Bowen: Irrigation in Ancient Qataban, Johns Hopkins Press, Baltimore 1958, P63.

(٥٩) الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٢٤.

(٦٠) الأصفهاني: بلاد العرب، ص ٣٦١.

(٦١) المصدر نفسه، ص ١١٥ و ١٢١ و ١٣٨ و ٢٦٧.

وسائل رفع المياه المعروفة حينذاك مثل السانية<sup>(٦٢)</sup>. ويشير القرآن الكريم إلى آبار كثيرة تعطلت في أماكن مختلفة من بلاد العرب، بسبب إبادة أهلها الظالمين، فلا يُستقى منها ولا يردّها أحد بعد كثرة واديها والازدحام عليها، وبقيت فقط آثارها التي كانت ظاهرة للعيان عند بدء الدعوة الإسلامية. ولفت القرآن الكريم نظر مشركي مكة إلى هذه الآبار المعطلة، والمساكن المهذّمة سقوفها، ليتفكروا في آثار الأقوام التي أهلكها الله تعالى، فلعلهم يتعظون بها ويعتبرون. يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَكَأَيُّ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِىٰ مُعْطَلَةٌ وَقَصْرٌ مَّشِيدٌ ۚ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ۚ﴾<sup>(٦٣)</sup>.

وفي شرق شبه الجزيرة العربية وجدت البعثات الأثرية في مدينة ثاج العديد من الآبار المطوية، وهي تعود إلى فترة ازدهار المدينة في العصر الهلنستي، كما وجدت في وادي المياه عدداً آخر من الآبار<sup>(٦٤)</sup>. وهناك بعض الآبار التي اشتهرت بغزارتها، واستمرت معروفة فترة طويلة، مثل بئر النقيير في البحرين التي كان لها عشر قامات، ويجتمع عليها الكثير من وارد العرب، وربما سقي عليها عشرة آلاف بعير<sup>(٦٥)</sup>؛ وآبار المروت على مقربة من الشقيق في المكان المعروف باسم راف، وهي عبارة عن آبار منحوتة في الصخر نحتاً يدل على قوة ومهارة الرجال الذين قاموا بحفرها. وفي شمال سكاكا بئر تُدعى سيسرا منحوتة في سفح جبل على عمق اثني عشرة متراً، بقيت منها أسراب تُفضي إلى السطح<sup>(٦٦)</sup>. ويُعتقد أن تاريخ هذه البئر يعود إلى ما قبل الميلاد،

(٦٢) Wilkinson, J.C.: Water and Tribal Settlement in South East Arabia, P.73.

(٦٣) قرآن كريم، سورة الحج، آية ٤٥ - ٤٦. لتفسير آيات القرآن الكريم يُمكن الرجوع إلى ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، الجزء الرابع، دار الأندلس، الطبعة الثامنة، بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ٦٥١ - ٦٥٢. وتفسير الجلالين للقرآن الكريم، دار مكتبة الملاح، دمشق أو دار المعرفة، بيروت، لا تاريخ، ص ٤٤٦.

Western Arabia and the Red Sea, P37.

(٦٤)

(٦٥) الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٣٠٩.

(٦٦) حمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة، ص ١٤٩.



وذلك لوجود أوجه شبه كبير بين نظامها ونظام بئر الجب في فلسطين التي يعود تاريخها إلى القرن السادس قبل الميلاد<sup>(٦٧)</sup>. وكان في تيماء عدد وافر من الآبار، أهمها بئر هداج، وهي بئر غزيرة المياه، يعمل على رفع المياه منها عدد عظيم من الجمال، قد يصلون إلى المائة<sup>(٦٨)</sup>.

وعلى العموم فإن الآبار كانت في شبه الجزيرة العربية أكثر الوسائل انتشاراً للحصول على الماء، إذ يكاد لا تخلو قرية أو مدينة منها؛ وقد تحدثت نقوش عربية عديدة عن طريقة حفر هذه الآبار، وعن ملكيتها وأشكالها وتبطينها<sup>(٦٩)</sup> ذلك أن الآبار التي كانت تُحفر في أرض رخوة غير صلبة كانت تضرّس وتُبطّن بالحجارة حتى يُمنع تهدّمها. كما كان بعضها يُحفر على شكل إجاصة، وتسدّ أفواهها بالحجارة حتى يُمنع تبخرها، وخاصّة في الأقاليم الصحراوية الشديدة الحرارة. ويبدو أن الأنباط كانوا أكثر الأقوام استخداماً لهذه الطريقة في حفر الآبار، وكانوا إذا ما تعرّضوا لهجوم من الأعداء، يطمرون هذه الآبار بالتراب، كي لا يتعرّف عليها العدو ويستقي من مائها، فيهلك عطشاً<sup>(٧٠)</sup>.

## ٢ - الثروة النباتية:

يستفاد من الكتابات القديمة، ومن المصادر العربية الإسلامية، ومن نتائج الاكتشافات الأثرية أن الغطاء النباتي لشبه الجزيرة العربية في العصور القديمة كان أفضل ممّا هو عليه الآن، لكنّ الجفاف الذي سيطر على معظم أقاليم شبه الجزيرة، والقطع المستمر لأشجارها، والرعي غير المنظم لأعشابها قضى على معظم الثروة النباتية.

---

(٦٧) Abdullah A.Nasif: An Ancient Water System in Sakaka, Al Jawf. Saudi Arabia, Institute of Archaeology, London 1987, P11 and 130.

(٦٨) نورّه عبد الله العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية...، ص ٧٣.

(٦٩) يحيى نامي: نقوش خربة معين، ص ٢٣ - ٢٥. أحمد شرف الدين: تاريخ اليمن الثقافي، ج ٣، ص ٥٢ - ٥٤.

(٧٠) Diodorus Siculus: Library of History, Bk2, P43-45. Evenari, M.: The Negev: The Challenge of the Desert, Mass, Harward University press, Cambridge 1971, P156-157.

وكانت تنبت الأشجار والأحراج على سفوح جبال ظفار وحضرموت والسرّة ولا سيما في مهرة وعسير، وفي أودية الجبل الأخضر بعمان. وكان بعض هذه الأشجار مثمرًا وبعضها الآخر غير مثمر، لكنّ خشبها كان يدخل في صناعة أواني الطعام والشراب والقسيّ والنبال وأدوات البناء والوقود، كما كان يدخل ورقها وقشور جذوعها في دباغة الجلود، أمّا ثمار بعضها فكانت تقوم عليها صناعة العطور والأدوية والبخور وما شابهها<sup>(٧١)</sup>.

وكانت تُزرع في الواحات الخصبة، وفي أقاليم نجد والحجاز وشرقي شبه الجزيرة العربية: الخضار والأشجار المثمرة مثل: البطيخ والموز وقصب السكر، والتين والرمّان والمشمش واللوز والبرتقال والزيتون والنخيل والعنب الذي أدخلت زراعته إلى شبه الجزيرة في القرن الرابع الميلادي<sup>(٧٢)</sup>. وكانت تُزرع الحبوب مثل القمح والشعير والذرة والدخن في شبه الجزيرة، وبخاصة في المين والواحات، وهذه تعتبر من المحاصيل الرئيسية؛ كما كانت تُزرع فيها محاصيل أخرى بدرجة أقل تشمل القطن والأرز والتبغ ولا سيما في عُمان والحسا<sup>(٧٣)</sup>.

وتتحدّث المصادر الأدبية والعلمية مثل كتب الجغرافيا والنبات عن أنواع كثيرة من النباتات والأشجار التي تعيش في شبه الجزيرة، نذكر منها شجرة النخيل التي تُعدّ من أهمّ المحاصيل الزراعية وأكثرها انتشاراً حيث توجد في كل مكان، ويُعتبر ثمرها الغذاء الرئيس للسكان. وينمو شجر جوز الهند جنباً إلى جنب مع أشجار النخيل في إقليم ضفور وبعض البقاع الأخرى؛ وتوجد شجرة البن التي دخلت بلاد العرب في القرن الرابع عشر الميلادي، في منحدرات الجبال وخاصة في اليمن. أمّا اللبان (البخور) والمزّ (نوع من الصمغ) فيزرع في

---

(٧١) جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ١٨٧ - ١٨٩. نورة عبد الله العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٧٦.

(٧٢) الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٥٥ - ١٥٧. نبيه عاقل: تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، ص ٢٦ - ٢٧.

(٧٣) نبيه عاقل: تاريخ العرب القديم...، ص ٢٦. محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وفجره...، ص ٥٧.

جنوب شبه الجزيرة<sup>(٧٤)</sup>، وينمو الجوز الذي يمتاز بصلاية خشبه وبكثرة وجوده في اليمن وجبال السراة. والتألب شجر عظيم ينبت في جبال اليمن ويستظل به، ويصنع من عيدانه القسي، وإذا جُفَّت ثماره، التي تشبه عناقيد البطم، اعتصرت واستخدمت زيوتها في إنارة المصابيح. والأثاب الذي ينبت شجره في البادية ويطون الأودية ويشبه الأثل. والأسجل الذي هو نبات الصحراء يشبه الأثل أيضاً وينمو في السهول ويُستاك به<sup>(٧٥)</sup>. أما الأثل فهو شجر من فصيلة الطرفائيات، يكثر انتشاره في شبه الجزيرة ولا سيما قرب المياه وفي الأراضي الرملية، ويستخدم خشبه الصلب والجيد في كثير من الصناعات مثل: بناء المنازل وصناعة القوارب والمحارث الخشبية والآنية: كالقصاص والجفان، وتخلط أهدابه مع الطين في صناعة اللبن ليزيد من تماسكها<sup>(٧٦)</sup>.

ومنها السندر، وهو شجر النبق، يكثر في بطون الأودية وبخاصة في السفوح الشرقية لمرتفعات السراة، ويرتفع إلى عشرة أمتار، وتستخدم أوراقه في الغسل كالصابون، ويؤكل ثمره. وشجر الطلح الذي ينبت في الأودية والأماكن المتوسطة الارتفاع، والذي يمتاز خشبه بالقوة لذا استخدم في البناء، وهو من العِصاه<sup>(٧٧)</sup> ويُتخذ من عيدانه السواك، وله برمة طيبة الرائحة، وليس في العِصاه أكثر صمغاً منه. والعوسج وهو شجر كثير الشوك ينتشر في الجبال المتوسطة الارتفاع، وله ثمر أحمر اللون حلو المذاق يأكله أهل الصحراء، وتتخذ النساء من أغصانه مغازل الصوف. وشجر السمر الذي هو من العِصاه، وليس هناك أجود منه خشباً، ينقل إلى القرى وتسقف به البيوت، وله برمة صغيرة صفراء

(٧٤) عاقل: المرجع نفسه، ص ٢٦. محمد عبد النعيم: المرجع السابق، ص ٥٧.

(٧٥) أبو سعيد بن عبد الملك بن قريظ الأصمعي: كتاب النبات، تحقيق عبد الله بن يوسف الغنيم، مطبعة المدني، القاهرة ١٩٧٢، ص ٢٣ - ٢٤ و ٣٣ - ٣٤ و ٣٦.

(٧٦) محمود مصطفى الديماطي: معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزبيدي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٥، ص ٩. المنجد في اللغة والأعلام، دار الشروق، الطبعة الثلاثون، بيروت ١٩٨٨، ص ٣.

(٧٧) العِصاه: الواحدة: عِصاة وعِصَة، وهو كل شجر يعظم وله شوك.

اللون يأكلها الناس<sup>(٧٨)</sup>. والسَلَم هو شجر من العِضَاء، يستخدم ورقه للدباغة، وينمو في المرتفعات وفي سهول تِهامة، وله برمة صفراء اللون طيبة الرائحة وتؤكل. والحلة شجرة شائكة، لا ثمر لها، وهي أصغر من العوسجة، تنبت في غلاظ الأرض، ويسمّيها أهل البادية الشبرق وأهل الحجاز الضريع بعد جفافها<sup>(٧٩)</sup>.

ومن الأشجار أيضاً ما يُعرف باسم حمر الذي يشبه التمر الهندي وشجر الجوز، وثمره مثل ثمر القرظ يستفاد منه بالطبخ، وهو ينبت بالسراة وفي بلاد عُمان، وقد ذكره بليْنوس من ضمن أشجار البحرين<sup>(٨٠)</sup>. والقتاد شجر ضخّم، ينبت بنجد وتِهامة، وهو صلب العود له شوك كالأبر. وشجر الضمران الذي يشبه الرمث، إلاّ أنّه أصغر، وله خشب ضعيف يُحتطب<sup>(٨١)</sup>. والحلق شجر ينبت كنبات العنب، وله ورق كورق العنب، يطبخ مع اللحم، ويجعل في العصفر فيكون أجود له من حبّ الرمان، وقيل يُخلط بالوسمة للخضاب. والسرّح شجر من العضاء ينمو في نجد ويستظلّ به، وتستخدم أخشابه في البناء. وشجر قصاص ينبت باليمن ويجرسه النحل. والدُّلب شجر عظيم لا ثمر له. وشجرة الرقعة عظيمة كالجوز وساقها كالدُّلب، تنمو مع العرعر في الجبال، وتكثر في المرتفعات الغربية الجنوبية، ولها ثمر كالتين كأنّه صغار الرمان، يُجفف ويستخرج منه القطران<sup>(٨٢)</sup>.

(٧٨) حمد الجاسر: في سراة غامد وزهران، دار اليمامة، الرياض ١٩٧٧، ص ٣٨٠ و ٣٩٣. عرام السلمي: كتاب أسماء جبال تِهامة وسكانها، ما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه، ص ٢٣ - ٢٤.

(٧٩) الدميّاطي: معجم أسماء النباتات...، ص ٤٥ و ٧١. حمد الجاسر: في سراة غامد وزهران، ص ٣٧٦. عرام السلمي: كتاب أسماء جبال تِهامة وسكانها...، ص ١٣.

(٨٠) الدميّاطي: المرجع السابق، ص ٤٥. الجاسر: المرجع السابق، ص ٣٧٧.

Pliny: Natural history, BK 12, P22.

ويذكر المنجد في اللغة والأعلام صفحة ١٥٣ أنّ الحُمرة «نبات سامّ من فصيلة الباذنجانيّات يكثر في أوروبا وآسيا الغربية - التي تحوي شبه الجزيرة العربية - أزهاره ذات لونٍ أحمر مغبر، يُزنع للزينة ويستعمل لأموّار طبية وعلى الأخصّ لأمراض العيون».

(٨١) الحسن الأصفهاني: بلاد العرب، ص ٥٨ و ١٩٠.

(٨٢) الدميّاطي: معجم أسماء النباتات...، ص ١٧ و ٥٨ و ٦٣ و ٧١ و ٧٧.

ومنها البان الذي ينبت في الهضاب، وقد عدّه البعض من شجر العضاء، وله هذب كالأثل، ويستخرج من حبوب ثماره دهن طيب الرائحة، كما يستخدم في صناعة الأدوية، وليس لخشبه صلابة. والخزم شجر يشبه ساق النخل، وورقه ورق البردي، وكان يُصنع من جذوعه خلايا للنحل، ومن خوصه وعشبه الحبال والخُطم. والنُشم شجر له عيدان قوية على هيئة خيطان، يُصنع منه القسيّ والسهام، وهو خال من الورق وينبت في الجبال. وشجر الأثرار له ورق كورق الصغتر، وشوك يشبه شوك الرمان، ويستخرج منه القطران مثل العرعر<sup>(٨٣)</sup>.

ومنها القرظ وهو شجر عظيم، ينتشر في شبه الجزيرة بكثرة، وهو شبيه بأشجار الجوز، ويتراوح ارتفاعه ما بين مترين إلى ثلاثة أمتار، وينبت في قيعان الأودية، وتدخل ثماره في صناعة الدباغة، ويستخدمه الناس وقوداً. وشجر العرعر عظيم ينبت في أعالي الجبال ولا سيما جبال السراة، وفي الأجزاء الجنوبية منها مكوناً غابات كثيفة، ولكثرته في هذه المنطقة أطلق عليها سترابون بلاد العرعر، وتمتاز أخشابه بالقوة والصلابة لذا تدخل في صناعات كثيرة، ويستخرج منه القطران<sup>(٨٤)</sup>. والرنف شجر ينبت في الجبال، ويكثر في شبه الجزيرة العربية، تنضم أوراقه إلى قضبانه بالليل وتنتشر بالنهار، وهو طيب الرائحة، ويُعرف أيضاً بالسوجر. ويستخرج من شجر الاستعور الذي ينبت في السراة المساويك، ومساويك الاستعور أشدّ إنقاءً للأسنان وتبييضاً لها من غيرها. والسرو شجر ينبت في الجبال، ويُصنع من عيدانه القوية القسيّ. والضرو نبات ضخّم له خشب جيد، يُستخدم في أعمال النجارة، وتُصنع منه الآنية المنزلية،

(٨٣) عرام السلمي: كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها...، ص ٦ و ١١ و ١٥ و ١٧ و ١٩ و ٢٤.

(٨٤) Diodorus Siculus: Library of History... Bk2, P51.

Strabo: The Geography of Strabo., Bk16, P361.

نورة عبد الله العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية...، ص ٧٩.

ويدخل ورقه في صناعة العطور، ويُتخذ خشبه وصمغه الذي يُدعى الكمكم كبخور<sup>(٨٥)</sup>.

ومنها الظَّيَّان الذي له أزهار عطرة، وهو الياسمين البرِّي الذي يمتاز بساقه الغليظة وشوكه الكثيف، ويُربب الدهن في بلاد العرب بالظيان، ويدبغ بورقه فيقال أديم مظيًّا، وينبت في أعالي الجبال ويُحتطب، ويُقال لموضعه الذي يكثر فيه مظياه ومظواه. ويزهر المظ وينمو في جبال السراة، ولا يحمل ثمرًا، ويُربى النحل عليه، وله حطب من أجود الحطب وهو رمان البر. والرقم نبات ترعاه الأغنام، وهو أشبه ما يكون بالمرخ في أغصانه وورقه، وترتفع شجرته أطول من القامة، ويستظل بها، وحطبه من أجود أنواع الحطب. وينمو الآس بكثرة في السهل والجبل، وخضرته دائمة، ويكبر حتى يصبح شجرة عظيمة، وقيل هو الرند<sup>(٨٦)</sup>. والقان شجر ينبت في جبال تهامة، ويصنع منه القسي، وكان يُصدَّر إلى خارج شبه الجزيرة لجودته. وينمو شجر الأذخر في الأرض الصلبة والسهلة، وفي حضيض الجبال المشرفة على سهول تهامة، وهو نبات طيب الرائحة، يدخل في صناعة الطيب، ويستخدم خشبه في تسقيف المنازل<sup>(٨٧)</sup>.

ومن أشجار شبه الجزيرة أيضاً شجر الكندر الذي هو من اللبان، ويُقال له: المقل، وهو أنواع: منه العربي ومنه الهندي ومنه مقل مكّي، وينبت في المرتفعات مثل: مرتفعات ظفَّار، وجل قهوان في عُمان، وفي الشجر وحضرموت واليمن. وشجر سياع الذي هو شجر اللبان أيضاً، له صمغ مثل الكندر، يُستخرج من الشجرة بعد تشقيق لحائها، ويجمد عند ملامسته

---

(٨٥) الجاسر: في سراة غامد وزهران، ص ٣٨٠ و ٣٨٦ - ٣٨٧ و ٤٠١. محمود شاكر: شبه جزيرة العرب، عسير، المكتب الإسلامي، دمشق ١٩٧٦، ص ٣٧. الدمياطي: معجم أسماء النباتات...، ص ٦٤ و ٩٠ - ٩١ و ١٣٦.

(٨٦) الأصمعي: كتاب النبات، ٣٢ و ٣٣ و ٣٦. الدمياطي: معجم أسماء النباتات...، ص ٨ و ٦٢ و ١٤٥. الجاسر: في سراة غامد وزهران، ص ٣٨٨.

(٨٧) عمر بن بحر الجاحظ: التبصر بالتجارة، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، دار الكتاب، دمشق (لا تاريخ)، ص ٤٥. عبد الله يوسف الغنيم: جزيرة العرب في كتاب المسالك والممالك لأبي عبد الله البكري، ص ١١٨.

الهواء<sup>(٨٨)</sup>. وشجر الصندل الأبيض الذي يشبه الصندل الهندي، وخشبه معروف وله رائحة طيبة. ويشبه شجر الكاذي شجر النخل في أقصى بلاد اليمن، ويُصنع من طلع الدهن، ويُترك حتى يأخذ الدهن ريحه<sup>(٨٩)</sup>. أمّا البشام فهو شجر عطر الرائحة طيب الطعم، يُدق ورقه ويُخلط مع الحناء، وله حب أحمر تُصبغ به الثياب، ويُستاك بأغصانه، ويُعرف بالبلسم المكي، وبالمر الحضرمي، ومنه ما ينبت في جبال نجد، ومنه ما ينمو في السراة، كما ينمو في جنوب شبه الجزيرة. والسنت شجر يُستخرج منه اللبان العربي<sup>(٩٠)</sup>.

ومن نباتات شبه الجزيرة العربية أيضاً: العُتم وهو الزيتون البري، والحماط وهو التين الجبلي، والشَوْحَط الذي تُؤكل ثماره الشبيهة بعناقيد العنب، والأراك الذي يُستاك بفروعه، والعرفج الذي يعطي رائحة طيبة، والندغ وهو الصعتر البري، والحوك - الباذروج وهو بقلة طيبة الرائحة، والحبق البري، والشوري الذي ينبت على سواحل البحر الأحمر، والسماق الذي ينبت في بلادنا ويسميه أهل الحجاز الضمخ وأهل نجد العرتن، والطرف الذي يُستخدم في حشو الوسائد والمسائد، والزقوم وهو من نبات البادية يُعطي بعض أنواعه ثمراً كالتمر ويُصنع من نواته دهن عظيم النفع، والأقحوان وهو البابونج أو القراص له رائحة طيبة، والأرجل الذي ينبت بالرمل ويعطي رائحة طيبة، والكحلأ الذي ينبت في السهول وترعاه النحل، والوَرَس الناهي الذي يُزرع سنة ويبقى عشرين سنة وتُتخذ منه الأصباغ التي تضعها النساء على وجوهها وتصبغ

---

(٨٨) جمال الدين بن مكرم بن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت (لا تاريخ)، الجزء الخامس ص ١٥٣، والجزء الثامن ص ١٧١.

(٨٩) الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٣٥٠. أبو الفتح جمال الدين بن يعقوب بن المجاور: صفة بلاد اليمن ومكة والحجاز المسماة بتاريخ المستبصر، اعتنى بطبعه أوسكر لونغرين، مطبعة بريل، ليدن ١٩٥١، ص ٨١ و ٩١.

(٩٠) الأصمعي: كتاب النبات، ص ٤.

Charles Froster: The Historical Geography of Arabia, vol I, Draf Publisher, London 1984, P151.

الدمياطي: معجم أسماء النباتات...، ص ٤٤.

به الملابس، والخطر وهو نبات يُختضب به ويخلط مع الحنّاء، والحنّاء نبات معروف يستخدمه الناس في الخضاب، والحنظل والبرسيم والأشنان والسنا والخُزامى وشقائق النعمان... الخ<sup>(٩١)</sup>.

### ٣ - الثروة الحيوانية:

تتميّز الحِقبة التاريخية، التي تبدأ من الألف الثامن قبل الميلاد وتنتهي في الألف الثاني قبل الميلاد، بسمات حضارية بارزة في شبه الجزيرة العربية مثل: تدجين بعض الحيوانات وظهور الزراعة وصنع واستعمال الأواني الفخارية. ويبدو أن سكان شبه الجزيرة قد دَجَنُوا في هذه الحِقبة أنواعاً عديدة من الحيوانات والطيور، منها ما اتخذوه وسيلة نقلهم كالجمال والحمير، ومنها ما استفادوا من لحمه ولبنه وبيضه، وصنعوا من فرائه وشعره ووبره الكثير من ملابسهم وحاجياتهم كالخيام والبسط وبيوت الشعر وغيرها<sup>(٩٢)</sup>.

ومن أشهر حيوانات شبه الجزيرة الإبل التي يعود وجودها فيها إلى زمن بعيد، وقد كان هذا الوجود برّياً في البداية كما يظهر من الرسوم التي تحكي قصّة صيده<sup>(٩٣)</sup> وكان الإنسان العربي يصطاد الحيوانات والطيور البرية ليستغلّها في الأمور الدينية، كاصطياد الوعل (التيس الجبلي) والبقر الوحشي لتقديمها قرابين للآلهة<sup>(٩٤)</sup>. كما كان يصطادها لينتفع بلحومها وجلودها، فكان يصطاد الفهود والنمور والأسود للاستفادة من جلودها في الصناعات، ويصطاد النعام

---

(٩١) الأصمعي: كتاب النبات ٣٧. الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٦٣ و ٣٦٠. الجاحظ: التبصر بالتجارة، ص ٣٥. عرام السلمي: كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها...، ص ١٥، ١٩، ٢٧، ٤٧، ١٣٢. الدمياطي: معجم أسماء النباتات...، ص ١١، ١٣، ١٧، ٦٨، ١٥٠، ١٧٠. أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري: كتاب النبات باعثناء محمد خير الله، الجزء الثاني، نشر المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٧٣، ص ٢٧، ٤٦، ٦٣، ٩٣، ١٢٨، ١٧٢، ٢٠٧، ٢١٤، ٢٥٠، ٢٨٠، ٣٢٥، ٣٥١.

Western Arabia and the Red Sea, PP194-195.

(٩٢) محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وفجره...، ص ٥٩ - ٦٠.

(٩٣) R.T.Wilson: The Camel, Longman, London 1984, P5-10.

(٩٤) نورة عبد الله العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٨٧.



التي تظهر صورها في الكثير من الرسومات والزخارف، ليستفيد من رياشها، وليُصدّرَها إلى خارج شبه الجزيرة، وقد استمرّت هذه التجارة رائجة حتى العصور الإسلامية<sup>(٩٥)</sup>.

وكانت تعيش في براري شبه الجزيرة أيضاً حيوانات كثيرة من آكلة الأعشاب، منها: الظباء، والغزلان، والماعز الجبلي، وحمير الوحش وإثنها، وثيران الوحش وبقرها، والأرانب، والأياثل<sup>(٩٦)</sup>. كما كانت تعيش حيوانات مفترسة مثل: الضَّبُع، والذئب، والثعلب وبنات آوى والأسد والثَّيْمَر والفَهْد<sup>(٩٧)</sup>. وهناك الضَّب، والوَرل، والقُنْفُذ، والظَّرَباء، والوزغ، واليربوع، والحرباء، والهَرَّ البرِّي؛ وهنالك الحَيَّات والعقارب<sup>(٩٨)</sup>.

وقبل تدجين الطيور كان يعيش في البراري: الدجاج، والأوز، والبط، والحمام، كما كانت تعيش طيور كاسرة وغير كاسرة مثل: العقاب، والنسر، والصقر، والبازي، والرخم، والحباري، والبوم، والغراب، والدُّراج، والنعام، والهُذْهُد، والقطا، والقُبْرة، والعصافير...<sup>(٩٩)</sup>.

وانتشر الجراد والنحل في أقاليم شبه الجزيرة، واشتهرت بعض مناطقها، وخاصة وادي جرذا وجبل العود وجبل حضور، بجودة عسلها منذ القديم. وتحدث الهمداني بإسهاب عن عسل جنوب شبه الجزيرة، فذكر أنّ جبل هنوم

---

(٩٥) الأصفهاني: بلاد العرب، ص ١١٩. الجاحظ: التبصر بالتجارة، ص ٣٤.

Albert Jamme: Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis (Marib), Johns Hopkins, Baltimore 1962, P245, 264.

(٩٦) نوري القيسي: الطبيعة في الشعر الجاهلي، دار الإرشاد، بيروت ١٩٧٠، ص ١٤٣.  
(٩٧) الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٢٧ و ٢٠٢. أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري: شرح أشعار الهذليين، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الجزء الأول، القاهرة ١٩٦٥، ص ٣٦٩.

(٩٨) نوري القيسي: الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص ١٧٧ و ٢١٧.

(٩٩) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ١٤٧. عمر فروخ: تاريخ الجاهلية، بيروت ١٩٦٤، ص ٣٤ - ٣٥. نوري القيسي: المرجع السابق، ص ٢١٧.

أكثر بلاد الله عسلاً<sup>(١٠٠)</sup>. كما تحدّث الرحالة الأوروبيون عن عسل شبه الجزيرة، فذكر داوتي أنّ أهالي خيبر يجلبون العسل من المرتفعات القريبة منهم<sup>(١٠١)</sup>. وذكر ويلستيد أنّ خلايا النحل كانت توجد في كهوف المرتفعات القريبة وأنّ نحلها يتغذى من أزهار المواد العطرية<sup>(١٠٢)</sup>.

وكانت تعيش في البحار المحيطة بشبه الجزيرة العربية أنواع كثيرة من الأسماك، أبرزها القرش المفترس الذي يُعرف باسم «كلب البحر»<sup>(١٠٣)</sup>.

#### ٤ - الثروة المعدنية:

تميزت طبيعة بلاد العرب منذ القديم، بغنى ثروتها الباطنية، فإلى جانب الخامات النفطية التي اكتشفت حديثاً، فإنّ أراضي شبه الجزيرة كانت تحوي عدداً من المعادن التي عمل الإنسان العربي على استخراجها وتعدينها، واستخدامها في قضاء بعض حاجاته منذ فجر تاريخه، والتي صدر ما فاض من خاماتها إلى الخارج، وأدخل بعضها في صناعاته المختلفة. وقد أشارت المصادر القديمة، من يونانية ورومانية وعربية، إلى هذه المعادن وأماكن وجودها، واكتشفت البعثات الأثرية الحديثة بعض مناجمها، وبعض المعامل التي كانت تتمّ فيها عملية التعدين؛ فأحصت هذه البعثات ما يقارب الأربعين مركزاً في عُمان وحدها، ممّا يدلّ على أهمية وغنى هذا الإقليم، وعلى الرقيّ الذي بلغه العرب في ذلك الحين<sup>(١٠٤)</sup>.

ومن أبرز معادن شبه الجزيرة التي عرفها العرب في القديم:

أ - النحاس: الذي بدأ استخراجه منذ الألف الثالث قبل الميلاد. وتشير

---

(١٠٠) الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٤٧ و ٢١٥ و ٣٥٠ و ٣٥٧.

(١٠١) Charles Doughty: Travel in Arabia Deserta, vol2, P108.

(١٠٢) J.R.Wellsted: Travel in Arabia, Akademisch Druck Uverlagsanstalt, Graz 1978, P256.

(١٠٣) نوري القيسي: الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص ٢١٧. عمر فروخ: تاريخ الجاهلية، ص ٣٥.

(١٠٤) Weisgeber, G.: Evidence of Ancient Mining Site in Oman, vol.4, the Ministry of information and culture, Oman 1978, PP15-28.

الدراسات الأثرية إلى أنّ مناجم النحاس كانت منتشرة بكثرة في عُمان ونجران خاصة، وفي منطقة جنوب شبه الجزيرة عامة<sup>(١٠٥)</sup>.

ب - الحديد: يقلّ وجود خام الحديد في أراضي شبه الجزيرة العربية، ولكن بقايا المصنوعات الحديدية المحلية تدلّ على وجوده واستخراجه من بعض أقاليمها وخاصة من مرتفعات اليمن<sup>(١٠٦)</sup>.

ج - الرصاص: يكثر وجوده في جنوب شبه الجزيرة، وكانت تُصنع منه المسامير التي استُخدمت في تثبيت القطع الحجرية في أساسات أعمدة الأبنية<sup>(١٠٧)</sup>.

د - الذهب والفضة: يتوفر وجودهما بكثرة في بلاد العرب، وقد اكتُشفت بعض مناجمهما في مناطق كثيرة من شبه الجزيرة وخاصة في منطقة الساحل الغربي واليمن. وكان معدنا الذهب والفضة يتصدّران قوائم صادرات العرب، كما كانا يتصدّران أيضاً لوائح النقود والسلع التي كانت القبائل العربية تدفعها كجزية أو هدايا إلى ملوك آشور وبابل وبلاد الشام. وكان هذان المعدنان يُستخدمان في تزيين البيوت وصناعة الآنية والحليّ والعربات وغيرها<sup>(١٠٨)</sup>. وقد أكد الكتاب الإغريق والرومان على وجود الذهب والفضة في شبه الجزيرة كمادة خام ومعدّنة، فتحدّث أجيثار شيدس وديودوريس وغيرهما عن ذهب شبه الجزيرة وصفاته ووفرته ممّا جعل شعوبها يقايضون به معادن أخرى أقلّ قيمة منه<sup>(١٠٩)</sup>.

---

(١٠٥) نورة عبد الله العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية...، ص ٨٩.

(١٠٦) الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٣٦٤. الحسن الأصفهاني: بلاد العرب، ص ٢٣٦.

(١٠٧) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب...، ج ٧، ص ٥١٦.

Western Arabia and the Red Sea, P527.

(١٠٨) الحسن الهمداني: كتاب الجوهريتين العتيقتين المائعتين، الصفراء والبيضاء، تحقيق كريستر نرتول، الطبعة الثانية، وزارة الإعلام والثقافية اليمنية، صنعاء ١٩٨٥، ص ١٢٢ - ١٢٤.

(١٠٩) Diodorus Siculus: Library of History... Bk2, PP49-50. Strabo: The Geography of Strabo..., Bk16, P349. Pliny: Natural history..., BK6, P451.

هـ - الكبريت: كانت موطنه في جنوب شبه الجزيرة وخاصّة في منطقة زمار، وكان في اليمن عيون جارية ذات مياه كبريتية. ويُروى أنّ العرب كانوا يطلون الجمال بالكبريت مخلوطاً بالدسم<sup>(١١٠)</sup>.

و - الإسفلت: كان العرب يستخرجونه من بحر الميت، فيدخلون قسماً منه في صناعاتهم، ويصدّرون القسم الآخر إلى الخارج. ويبدو أنّ الأنباط قد سيطروا، منذ ظهورهم في شمال شبه الجزيرة، على مصادره وتجارته حيث كانوا ينقلونه إلى مصر<sup>(١١١)</sup>.

ز - الملح: يوجد الملح في أراضي شبه الجزيرة العربية على شكل مناجم مطمورة داخل الأرض، مثل مناجم شبوة وحضرموت وتيماء وبرك جنوب القنفذة وأبو عريش، كما يوجد في السبخات المنتشرة في شمال وشرق ووسط شبه الجزيرة، وفي البحار المحيطة بها<sup>(١١٢)</sup>.

#### ٥ - الثروة الحجرية: الأحجار الكريمة والمقالع:

إلى جانب هذه المعادن كثر في أراضي شبه الجزيرة العربية وجود عدد من الأحجار الكريمة التي استخرج العرب كميات منها للتصدير وكميات أخرى للصناعة المحليّة، كما كثر وجود مقالع من الأحجار الجيدة التي قُطعت واستُخدمت في البناء وفي بعض الصناعات، مثل: الأحجار الصابونية، والحجر الجيري، وحجر المسن، وحجر الكحل، والغرانيت، والبازلت، والمرو، والديواريت، والبرم<sup>(١١٣)</sup>.

أمّا الأحجار الكريمة التي تعرّف إليها الإنسان العربي واستخرجها من أراضيها فهي:

---

(١١٠) ابن مجاور: صفة بلاد اليمن ومكة والحجاز...، ص١٩٠. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب...، ج٧، ص٥١٧.

(١١١) Diodarus: Library of history..., Bk2, P48. Western Arabia and the Red Sea, P527.

(١١٢) الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص٣٠١ - ٣٠١.

(١١٣) ابن مجاور: صفة بلاد اليمن ومكة والحجاز...، ص١٩٩ وما بعدها...

أ - العقيق: الذي يكثر وجوده في اليمن وخاصة في مقراً قرب صنعاء، والذي يكثر أيضاً في حضرموت وخاصة في جبل شبام. والعقيق أنواع منه الأصفر ومنه الأحمر، وأجود أنواعه الشديد الحمرة الذي يُرى على سطحه شبه الخيوط<sup>(١١٤)</sup>. ويبدو أن العرب قد تعرّفوا إلى العقيق واستخرجوه من شبه جزيرتهم منذ القرن الرابع قبل الميلاد<sup>(١١٥)</sup>.

ب - البقران: ويُعدّ البقران الذي يُستخرج من شبه الجزيرة، وخاصة من جبل أنس في جنوبها من أجود الأنواع. ويمتاز النوع الجيد بلونه الذي يكون له عرق أحمر وفوقه عرق أبيض وفوقه عرق أسود<sup>(١١٦)</sup>.

ج - الزمرد: يكثر وجود الزمرد في إقليم الحجاز وخاصة في أرض خيبر وأرض هدية وبرية العرب<sup>(١١٧)</sup>.

د - الدهنيج: وهو من الفصوص الثمينة كالزمرد، ومن مواطنه حرّة سليم وحرّة النار، ومن أجود أنواعه العدس، وتُتخذ الفصوص من حجره الأخضر<sup>(١١٨)</sup>.

هـ - الزبرجد: وهو حجر شديد الصلابة، يوجد في شبه الجزيرة بين العونيد والخوراء، ومن ألوانه الوردية والأحمر والأخضر، ويُعدّ الحجر الأخضر من أفضلها جودة<sup>(١١٩)</sup>.

و - الجزع: ألوانه كثيرة منه: الأسود والأبيض والأزرق السماوي،

---

(١١٤) الجاحظ: التبصر بالتجارة، ص٢٠. الحسن الهمداني: الإكليل، تحقيق محمد بن علي الحسن الأكو، الجزء الثامن، مكتبة الكاتب العربي، دمشق ١٩٧٩، ص١٧٥.

(١١٥) Pliny: Natural history, Bk6, P237.

(١١٦) الحسن الهمداني: الإكليل، ج٨، ص٧٦. وصفة جزيرة العرب، ص٣٦٣.

Pliny: op.cit, Bk37, P233.

(١١٧) يحيى بن ماسويه: كتاب الجواهر وصفاتها، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٧، ص٥٥.

Strabo: The Geography of Strabo, Bk16, P352.

(١١٨) ابن ماسويه: المصدر السابق، ص٦.

(١١٩) الغنيم: الجزيرة العربية في كتاب المسالك والممالك، ص١٢٤.

Pliny: Natural history, Bk37, P251.

واشتهرت به ظفار اليمن حتى نُسب إليها، وكان يُستعمل على هيئة فصوص لتزيين الحلى كالخواتم، وقد ذكره بليوس في تاريخه وعده من أحجار شبه الجزيرة العربية الكريمة<sup>(١٢٠)</sup>.

ز - العشاري: وهو حجر سماوي اللون يشبه حجر الجزع، ويكثر وجوده في وادي عشار جنوب غربي صنعاء<sup>(١٢١)</sup>.

ح - السعوانية: وهو فص أسود عرقه أبيض، توجد أحجاره في شهار وعيسن، وفي حاشد من أرض همدان، وفي وادي سعوان قرب صنعاء<sup>(١٢٢)</sup>.

ط - الجرتي: وهو حجر لونه أسود وأخضر، تُصنع منه نصب السكاكين<sup>(١٢٣)</sup>.

ي - الجشمت: يُشبه الياقوت البنفسجي، وبعضه مغشى بالبياض كالثلج، وعلى وجهه حمرة، كان يُستخرج من أرض الصفراء قرب المدينة، ومن خولان في جنوب شبه الجزيرة، ومن البتراء عاصمة الأنباط<sup>(١٢٤)</sup>.

ق - الياقوت: كان يجلب من أرض جزيرة تقع في البحر الأحمر<sup>(١٢٥)</sup>.

ل - الشب: هو عبارة عن كبريتات مزدوجة متبلورة من البوتاسيوم والألمنيوم، ويوجد في جبل أسبيل من ديار عنس من منصج، وفي جبل الأشقر، وأجود أنواعه اليماني<sup>(١٢٦)</sup>.

---

(١٢٠) الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٣٦٣.

(١٢١) الحسن الهمداني: الإكليل ج ٨، ص ٧٥.

(١٢٢) المصدر نفسه ص ٧٦.

(١٢٣) المصدر نفسه.

(١٢٤) المصدر نفسه.

Pliny: Natural history..., Bk37, P263.

Pliny: op.cit, PP237, 251.

(١٢٥)

(١٢٦) حمد الجاسر: أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع، ص ١٨٩.

## الفصل الثالث

### الإنتاج الزراعي ورعي الماشية في بلاد العرب قبل الإسلام

مارس العرب في بواديهم وسهوبهم حياة الرعي وتربية الماشية على أنواعها، وخاصة الإبل والغنم والخيول، ومارسوا في مدنهم وقراهم حياة الزراعة والصناعة والتجارة، وأثرى البعض منها ثراءً فاحشاً.

وفي الفترة الزمنية التي قارب عمرها العشرين ألف سنة، والتي أعقبت الطور الجليدي الرابع، استفاد العرب وقتذاك من وجود المناخ الرطب ووفرة المياه، واستغلوهما في تنمية وتكوين اقتصاد زراعي متطور. ففي هذه الدورة التاريخية، أخذ سكان شبه الجزيرة العربية ينتقلون تدريجياً من طور القنص والصيد، إلى طور الفلاحة والزراعة الذي يعتمد على أساليب الري، للحصول على قوتهم اليومي. فأرسوا بذلك قواعد لمجتمعات مستقرة تقوم على إنتاج المحاصيل الزراعية على اختلاف أنواعها وخاصة الحبوب<sup>(١)</sup>.

ويشير كثير من العلماء إلى الدور المهم الذي لعبه العالم العربي في تأسيس أقدم مدنية تقوم على الزراعة والرعي وتربية الماشية. ومن هؤلاء المؤرخ توينبي الذي يقول: «يمكننا القول بشيء من الثقة بأن الزراعة وتربية الماشية والتعدين وأيضاً تقنية قلع قطع كبيرة وثقيلة من الحجر ونقلها، هذه كلها قد اخترعت للمرة الأولى في جنوب غرب آسية وهي رقعة النقل الرئيسية في الجزء المعروف بالعالم القديم من الأويكومين. وباستطاعتنا حتى تحديد الرقعة في المنطقة بشكل أدق. إنها لا تشمل الجزيرة العربية، إلا في زاويتها الجنوبية. إذ

---

(١) أحمد سوسة: حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، بغداد، لا تاريخ، ص ٦٤.

أنّه لما كانت الزراعة وتربية الماشية في طريق اختراعهما كان الجزء الأكبر من الجزيرة العربية، بما في ذلك طرفها في أقصى الشمال، وهو بادية لاشام اليوم، قد أصبح جافاً بحيث لم يكن مسرحاً ملائماً لتدجين النبات والحيوان. والزواية الجنوبية من الجزيرة العربية هي الجزء الوحيد الذي ظلّ خصباً بسبب الأمطار الموسمية. وهذه الزاوية من اليمن عزلها عن غيرها تشقق بقية الجزيرة العربية قبل اختراع السفن البحرية وتدجين الجمل العربي». ويتابع توينبي:

«إنّ مهد الزراعة وتربية الماشية والتعدين في منطقة جنوب غرب آسية لم تشمل الغرين الذي حملته نهرا دجلة والفرات في مجريهما الأدنىين... ومن الناحية الثانية، فإنّ المنطقة التي اخترعت فيها الزراعة وتربية الماشية والتعدين لأول مرة كانت تشمل، إضافة إلى الجزيرة الفراتية وسورية ولبنان وفلسطين، جزءاً على الأقل من جنوب آسية الصغرى وغرب إيران وتركمنستان. والحبوب والحيوانات التي دُجنت في هذه المنطقة، خلال زمن العصر الحجري من تاريخها، كانت موجودة من قبل في حالتها البرية»<sup>(٢)</sup>.

وفي ذلك يقول ول ديورانت: «إنّ الحضارة - وهي هنا زراعة الحبوب واستخدام الحيوانات المستأنسة - قد ظهرت في العهود القديمة غير المدوّنة في بلاد العرب، ثم انتشرت منها إلى صورة مثلث ثقافي إلى ما بين النهرين (سومر وبابل وآشور) وإلى مصر»<sup>(٣)</sup> كما انتشرت بواسطة تجار ومغامرين ورعاة إلى الأقاليم والمناطق الأخرى التي انتقلت بدورها من حياة العصر الحجري القديم إلى حياة العصر الحجري الحديث، وأخيراً إلى حياة العصر الخلكوليثي فالعصر النحاسي فالعصر البرونزي»<sup>(٤)</sup>.

---

(٢) أرنولد توينبي: تاريخ البشرية، ترجمة الدكتور نقولا زيادة، الجزء الأول، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨١، ص ٥٥ - ٥٦.

(٣) ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٨، ص ٤٣.

(٤) أرنولد توينبي: تاريخ البشرية، ج ١، ص ٥٦.



ويرى الباحثون أن أوروبا وأمريكا الشمالية كانتا في العصر الجليدي الأخير، تغطيهما الثلوج وغير مأهولتين بالإنسان، في حين كانت شبه الجزيرة العربية تتمتع بالأجواء الممطرة، وتزدهر فيها الحياة، وتزخر مدنها بالسكان، وتجري فيها أنهار دائمة<sup>(٥)</sup>. ويؤكد فيلبي (Philby) على أنه وُجدت آثار من أصداف المياه العذبة، وبقايا الرواسب النهرية، وأدوات صوانية تعود إلى العصر النيوليتي، ويرى أن الجفاف الذي اجتاحت أصقاع شبه الجزيرة العربية، أدى إلى هجرة السكان شمالاً وغرباً، وهذا ما ساعد على قيام أقدم الحضارات في مصر والعراق حسب رأيه<sup>(٦)</sup>.

ويبدو أن أماكن الاستقرار التي تمّ التنقيب عنها قد ابتدأ عمرها ما بين ١٠٠٠٠ - ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد مثل أريحا في فلسطين، وما بين ٧٠٠٠ - ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد في أماكن أخرى غير أريحا. كما يبدو لنا أن الانتقال من جمع المواد الغذائية والصيد إلى الزراعة وتربية الماشية تمّ في واحات تغذيتها الينابيع أو في سهول فيضانية ذات تربة خصبة حملتها الأنهار إلى السهول الواقعة عند أطراف الجبال التي تنحدر منها تلك الأنهار، والتي كانت تروى بطريقة طبيعية من أمطار الشتاء، أو من الأمطار الموسمية كما هو الحال في بلاد اليمن<sup>(٧)</sup>.

ويلاحظ أن للقرون السابقة لظهور الإسلام في بلاد العرب خصوصيتها المميّزة، من حيث منحى التوجّهات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية. ففي تلك المرحلة تطوّرت القوى المنتجة وتوسّعت أعمال الرّي الاصطناعية وازداد الإنتاج الزراعي وحدث تقسيم جديد للعمل، فانفصلت الحرف الصناعية اليدوية عن الزراعة وارتبط الإنتاج الصناعي بسوق التبادل، ونمت المدن، وتحول العديد من القرى إلى حواضر مدينية، واستغلّ الموقع الجغرافي لشبه

---

(٥) حسن ظاظا: الساميون ولغاتهم، طبعة مصر، القاهرة ١٩٧١، ص ١٥. طه باقر: علاقات بلاد الرافدين بجزيرة العرب، سumer ١٩٤٩، ص ١٢٨.

(٦) Philby: The Heart of Arabia, P31.

(٧) توينبي: تاريخ البشرية، ج ١، ص ٥٥ - ٥٦.

جزيرة العرب عموماً، ولبلاذ الحجاز خصوصاً، الذي كان ملتقى للطرق البرية والبحرية، وللمبادلات التجارية، ونُظمت الأسواق الموسمية العامة، ورُتبت أوقاتها مع الأشهر الحرم، وعُقدت الاتفاقات التجارية بين القبائل العربية، وبينها وبين العالم الخارجي، ونشطت التجارة الداخلية والخارجية على حدّ سواء، وارتبطت أعداد وفئات كثيرة من سكان المدن والبادية بالعملية التجارية، مما أدى إلى قيام تحالفات سياسية قبلية على أساس من المصالح المشتركة والضرورات الدفاعية، ونما الشعور القومي بانتصار العرب على الفرس في يوم ذي قار سنة ٦٠٩ للميلاد، وبطرد الأحباش من اليمن عام ٥٧٥ ميلادية<sup>(٨)</sup>.

## أولاً: زراعة الأراضي:

### ١ - أساليب الزراعة ووسائلها:

عثر علماء الآثار في شبه جزيرة العرب، على بعض النقوش الجاهلية التي حُفرت عليها حيوانات، كالإبل والثيران والحمير، تجرّ المحراث أمام الفلاح، وتساعد في انتشار الماء من الآبار<sup>(٩)</sup>.

ويبدو أن الزراعة في العصر الجاهلي، كانت تعتمد، في كثير من المناطق، على مياه الريّ بصورة رئيسة، وخاصّة في واحات الحجاز ونجد واليمامة. أمّا المناطق الزراعية التي تعتمد على مياه الأمطار والريّ معاً، فهي قليلة ولا سيّما في بلاد اليمن وعمّان جنوباً.

وكان الفلاح العربي يستخدم المحراث الخشبي، ذي السكّة الحديدية في حراثة الأرض وزراعتها، كما كان يستخدم آلات حديدية أخرى كالمسحاة (المجرفة من الحديد) والفأس والمنجل والمعول والمجرّف في الحصاد،

---

(٨) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الجزء الثاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٣٩١هـ - ١٩٧١م، ص ٦٣ - ٦٤. يُروى أنّ النبيّ محمد ﷺ قال في وقعة ذي قار: «هذا أوّل يوم انتصف العرب فيه من العجم وبني نُصروا». ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المجلد الأول، دار صادر، بيروت ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م، ص ٤٨٢ - ٤٩٠.

(٩) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ٢٤٢.

والحِيلان (النُورَج) ووسائل أخرى في عملية الدرس، والمذرة (المذرة) في فضل التبن (القش) عن الحب، وكذلك كان المزارعون، في الحقول المروية وفي غياض النخيل والكروم، يستخدمون الحيوان في جرّ المحراث وفي متح الماء من الآبار، معتمدين في ذلك كله على وسائل وآلات حديدية<sup>(١٠)</sup>.

وكان المحراث عادة يُستخدم في حراثة الأرض الواسعة. أمّا القطع الصغيرة فتحرث من قبل المزارع بالمعول والمسحاة.

وكان الفلاح يعدّ أرضه إعداداً كافياً قبل زراعتها. فكان يحراثها قبل سقيها، ثمّ يحراثها مرة أخرى بعد عدّة أيام من ريّها، وذلك قبل أن تجفّ قشرتها الخارجية وتتشقّق، ثمّ يتركها أياماً معدودة، يحراثها بعدها للمرة الأخيرة، وهكذا حتى تصبح خصبة وصالحة لبذر البذور. وتنال المدرّجات ذات التربة الزراعية الضعيفة غير السمكية اهتماماً خاصّاً من الفلاح؛ ففي موسم الجفاف يحراث المزارع هذه المدرّجات مرتين على الأقل، ويحفّرها مسافة متر ويقلب ترابها بالمعول، وقد يجلب لها مزيداً من التربة من مناطق أخرى، ثمّ يحراثها على شكل شبكي، ثمّ يعيد حراثتها في موسم الأمطار كي تمتص أكبر كمية من المياه، فيمنع بذلك جفاف قشرتها السطحية، وقد يضطر المزارع إلى الاستمرار في حراثها ليلاً ونهاراً، نظراً لما للحراثة من أهمية في استغلال مياه السيول<sup>(١١)</sup>.

وبعد عملية الإعداد هذه، كانت الأراضي السهلية أو المدرّجة تقسّم إلى قطع مستطيلة في المناطق التي تعتمد على مياه السيول. أمّا المناطق التي تعتمد على المياه الجوفية فكانت الأراضي فيها تصنّف على شكل أحواض مربعة أو مستطيلة، وتحفر في محيطها القنوات أو الجداول، ثمّ يقوم الفلاح بنكش ترابها بالمعول والمسحاة، ويذر الحبوب بيديه؛ وفي بعض الحالات كان يسير خلف المحراث مزارع آخر يتولّى غرز الحبوب وطمرها في التراب، وقد يُعلّق

(١٠) ي.أ. بلبايف: العرب والإسلام والخلافة العربية في القرون الوسطى، ص ١١٣.

(١١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٤٦ - ٤٧.

بالمحراث قمع من الخشب يُملأ بالحبوب، فتساقط هذه الحبوب بالأنلام أثناء الحراثة، ثم تعمل سكة الحديد على طمرها بالتراب. (١٢).

وكانت عملية تسميد الأراضي تتم ما بين فترة وأخرى، كي تحافظ الأرض على خصوبتها وإنتاجها، وكان روث الحيوان وفضلات الإنسان من أهم أنواع السماد المستخدم في العصور القديمة. وقد يلجأ الفلاح حينذاك إلى إحراق بقايا النباتات والأعشاب اليابسة لتسميد أرضه. (١٣).

## ٢ - السدود وأساليب الري:

اعتمد العرب على مياه الأمطار والسيول، وعلى الآبار والبرك والمياه الجوفية لري مزروعاتهم، واتبعوا أساليب شتى لجمع المياه وتخزينها وجربها إلى الحقول حيث المزارع والبساتين. ومن هذه الأساليب ما يتسم بالبداية والبساطة، ومنها ما يدل على براعة وعلم وتطور.

وتحدّد البيئة الطبيعية شكل الأسلوب المستخدم في جمع المياه وري المزروعات، فحيث تهطل الأمطار بغزارة تُبنى السدود وتُحفر الآبار وتُجمع مياه السيول لسقي النباتات أيام الجفاف، وفي المناطق التي تتوقّر فيها المياه الجوفية تحفر القنوات الجوفية لجرّ المياه إلى الأراضي العطشى حيث تُسقى الخضار وأشجار الفاكهة (١٤).

وتعود المياه الجوفية في بلاد العرب إلى العصر المطير، ويتراوح عمرها ما بين ١٣٠٠٠ - ١٧٠٠٠ سنة، وتتوزّع على مساحة واسعة من شبه الجزيرة العربية في حوض الإحساء ونجد، وحوض الأفلاج، وحوض الدواسر -

---

Gingrich. A. and Heiss, J.: A Note on Traditional Agriculture Tools in (١٢) Sa'Dah Province», Institute of Archaeology, London 1986, P51.

(١٣) جواد علي: مصطلحات الزراعة والري في كتابات المسند، مجلة المجمع العلمي العراقي، المعهد العلمي العراقي، بغداد، المجلد السادس والثلاثون، الجزء الثاني سنة ١٤٠٥هـ.

Neil Robert: Water Conservation in Ancient Arabia, Institute of Archaeol- (١٤) ogy, London 1977, P134-140.

نجران، وحوض وسط الحجاز، وحوض تبوك العلاء<sup>(١٥)</sup>. وتختلف أحواض المياه الجوفية العميقة من مكان لآخر اختلافاً كبيراً من حيث بُعدها عن السطح، وكمية المياه المخزونة فيها ونوعيتها، ففي المنطقة الوسطى مثلاً يبلغ سمك الطبقة المائية حسبما أوضحته عمليات الحفر التي قام بها الأهالي حديثاً ٦٥ متراً، ويتراوح عمق مستوى سطح الماء فيها (تحت مستوى سطح الأرض) ما بين ٢٣ - ٢٦ متراً، إلا أن اعتماد هذه الطبقات في التغذية على الأمطار يجعل مستواها كثير التغير موسمياً<sup>(١٦)</sup>. وللمياه الجوفية القريبة من السطح أهمية كبيرة في حياة العرب، فعلى المياه المستخرجة منها كانت تقوم الزراعة في معظم مناطق شبه الجزيرة، ولا سيما في المناطق التي يقل فيها معدل تساقط الأمطار عن ١٠٠ ملمتر سنوياً<sup>(١٧)</sup>. وكانت أنظمة الري التي استخدمها العرب في القديم كثيرة، إلا أن نظام السدود ونظام القنوات كانا أهمها.

#### ١ - نظام السدود:

السّد أو السّدّ في اللغة هو الحاجز بين الشئين، ويعني أيضاً: الوادي فيه حجارة وصخور يبقى فيه الماء زماناً؛ وجمعه سُدود وسِدّة وأسَداد، فيُقال: «ضربت عليه الأرض بالأسداد» أي سُدّت عليه الطُرُق وعُمّيت عليه المذاهب<sup>(١٨)</sup>. وورد في دائرة المعارف للمعلم بطرس البستاني أن السّدّ هو عبارة عن كلّ بناء يمنع فيض المياه الجارية أو السيول. وهو نوعان: نوع يمنع جري المياه، ونوع آخر يمنع انحباسها ويُعرف بالحاجز<sup>(١٩)</sup>.

ومصطلح السّدّ في القطاع الزراعي هو جدار ضخم كان يُبنى في عرض الأودية لحجز مياه الأمطار والسيول والأنهار والينابيع ورفعها لريّ الحقول

(١٥) الزويثي: الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية، ص ٩٩ - ١٠٢.

(١٦) المرجع نفسه، ص ٩٩.

(١٧) المرجع نفسه، ص ٩٨.

(١٨) المنجد في اللغة والأعلام، ص ٣٢٦.

(١٩) المعلم بطرس البستاني: دائرة المعارف، المجلد التاسع، دار المعرفة، بيروت، لا تاريخ، ص ٥٣٠.

والبساتين المحيطة بها. وقد عمد العرب إلى بناء الأسداد لضخالة المياه في شبه جزيرتهم التي رغبوا في تطوير زراعتها. فلم يتركوا وادياً يمكن استثمار جانبيه بالماء إلاّ حجزوا ماءه بسدّ، فتكاثرت السدود تكاثر الأودية حتى تجاوزت المئات. وكان أهل بلاد ما بين النهرين وأهل مصر أول من اشتغلوا في ذلك وعرفوا لزوم إقامة السدود على الأنهار<sup>(٢٠)</sup>.

ولم تكن هذه السدود على نسق واحد، فبعضها كان بسيطاً ومؤقتاً ويُنَى على الأودية الصغيرة الفرعية والشعاب، لتحويل مياه السيول نحو المزارع والحقول. وتختلف أشكال هذه الأسداد وطريقة بنائها من منطقة لأخرى. فمنها ما يكون في وسط مجرى الوادي بحيث تقسم التيار المائي إلى اتجاهين، ومنها ما يقوم على جانب واحد من حافة الوادي وبزاوية مائلة بحيث تحجز مجرى الوادي كله أو تحجز جزءاً منه. وقد تتعدّد أشكال هذه السدود في الوادي الواحد، وتُبنى من الأتربة والحجارة الصغيرة تنجرف مع السيول في كثير من الأحيان، ويُعاد بناؤها في الموسم التالي<sup>(٢١)</sup>.

أمّا بعضها الآخر فكان يُقام في بعض أقاليم شبه الجزيرة على هيئة حرف ف (V) الفرنسي أو الإنكليزي لحجز التربة والطمّي المنجرف مع مياه السيول<sup>(٢٢)</sup>.

وإلى جانب هذين النوعين، كان يوجد في شبه الجزيرة نوع ثالث من السدود، يتميز بالضخامة والقوة والصلابة، ويحتاج إلى أحجار صلبة كثيرة ومواد بناء مختلفة، كما يحتاج إلى أعداد كبيرة من العمال، لذا كانت الدولة تشرف على إنشائه وتتولّى الإنفاق عليه وصيانته<sup>(٢٣)</sup>. وكان الغرض من هذا

---

(٢٠) لم تعرف أوروبا اختراع السدود إلاّ في القرن السابع عشر للميلاد. البستاني: دائرة المعارف، ٩م، ص ٥٣١.

(٢١) نورة عبد الله العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية...، ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٢٢) J. Dayton: The Problem of climatic change in the Arabian Peninsula, Institute of Archaeology, London 1975, P54.

Richard Bowen: Irrigation in Ancient Qataban, P87. (٢٣)

M. Evenari: The Negev: The challenge of the desert, P.118.

النوع رفع مستوى الماء في مجرى الوادي وتوجيهه في قنوات إلى مسافات طويلة عبر الأراضي الزراعية لريّ آلاف الهكتارات<sup>(٢٤)</sup>. كما كان الغرض منه أيضاً حجز الماء في برك كبيرة أو آبار واسعة، لاستخدامه وقت الجفاف في سقي الماشية وريّ النباتات في الحقول والبساتين<sup>(٢٥)</sup>.

ويبدو أنّ البعثات العلمية الأثرية قد توصّلت إلى اكتشاف آثار عدد من السدود في بعض أقاليم بلاد العرب، كان أهمّها في إقليم صحراء النقب، حيث أنشأ الأنباط عدداً منها في وادي خرنوب ووادي رمليا ووادي أبيض<sup>(٢٦)</sup>، ووجدت في إقليم تدمر آثار سدود وقنوات، مثل سدّ جربقا في وادي الكبير<sup>(٢٧)</sup>. كما وُجدت في منطقة شمال الحجاز آثار بعض السدود مثل سدّ وادي المعتدل في العلا، وسدود خيبر والطائف وقرية، وسدّ وادي رم في وادي حسمي في بلاد الأنباط<sup>(٢٨)</sup>. ومن أشهر سدود خيبر سدّ قصر البنت (سدّ قصيبة) الذي أقيم في مجرى وادي السلسلة بشكل مائل عن بطن الوادي، وكان هذا السدّ قد أنشئ من حجارة البازلت الأسود الموجودة بكثرة في المنطقة، وتغطّي واجهته طبقة من الملاط، ويبلغ طوله ٣٠٠ متر وارتفاعه ٣٠ متراً، ولم يكن لهذا السدّ بوابات لإخراج المياه المخزّنة فيه، بل كانت تُنقل إلى الأراضي المجاورة بواسطة قناة تمتدّ إلى مسافة ١٨ كيلومتراً تقريباً<sup>(٢٩)</sup> ممّا يدلّ على أنه كان سدّ تخزين كالبرك الواسعة، لا سدّ توجيه كسد مأرب.

وبُنيت في أقاليم الجنوب والجنوب الغربي من شبه الجزيرة سدود كثيرة نذكر منها سدّ الجلال الذي أقيم في مضيق طبيعي عند انحدار وادي نجران، والذي يتّصل به عدد من القنوات المنحوتة في الصخور لنقل المياه إلى الأراضي

(٢٤) Richard Bowen: Irrigation in Ancient Qataban, P69-70.

(٢٥) Western Arabia and the red Sea, P160.

(٢٦) Evenari: The challenge of the desert, P119.

(٢٧) نورة عبد الله العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية...، ص ١٠٦.

(٢٨) المرجع نفسه، ص ١٠٥ - ١٠٧.

(٢٩) Dayton: The Problem of climatic change in the Arabian Peninsula, P50.

الزراعية المجاورة، وكان عرض القناة الواحدة منها يصل إلى ٩٠ سنتمتراً، وعمقها إلى مترين، وتمتد إلى مسافة طويلة ويغطي جدارها طبقة من الجص، وتكثر فيها مخارج المياه<sup>(٣٠)</sup>.

وذكر الهمداني في يحصب العلو من مخاليف اليمن ثمانين سداً، أشار إليها تبع بقوله<sup>(٣١)</sup>:

وبالربوة الخضراء من أرض يحصب ثمانون سداً تقذف الماء سائلاً  
ومن هذه السدود سدّ عروش لحج، وسدّ شرجان، وسدّ قصعان، وسدّ  
ربوان (قتاب)، وسدّ شحران، وسدّ طمحان، وسدّ عباد، وسدّ سحر، وسدّ  
ذي شحال، وسدّ ذي رعين، وسدّ نقاطة عند قرية ذي ربيع، وسدّ نضار  
وهران، وسدّ الشعابي، وسدّ المليكي، وسدّ النواسي، وسدّ المهباد، وسدّ  
باقيها لطاف، وسدّ الخائق بصعدة - بناء نوال بن عتيك مولى سيف بن ذي يزن  
في القرن السادس للميلاد - ومظهره في الحنفرين من رحبان، وقد هدمه  
إبراهيم بن موسى العلوي بعد هدم صعدة<sup>(٣٢)</sup>، وسدّ ريعان لابن ذي مأذن،  
وسدّ سيان. ومن أسداد بلاد عنس: سدّ خيرة، وسدّ بيت كلاب في ظاهر  
همدان، وآخر في ظاهر دعان، وسدّ شبام قرب صنعاء على ثمانية فراسخ  
منها<sup>(٣٣)</sup>. ومن أشهر سدود اليمن سدّ مأرب الذي تهدم بسيل العرم الوارد ذكره  
في القرآن الكريم، وسنتناول هذا السدّ بالدراسة والتفصيل كنموذج لأسداد شبه  
الجزيرة العربية.

غير أن نظام السدود هذا، كان يتطلب عناية وصيانة دائمتين من الدولة  
والأفراد، ليس فقط للأبنية التي يتألف منها السدّ، بل لكل شبكة الري التي  
تتفرّع عنه، ابتداء من السدّ وانتهاء بالأرض الزراعية التي تُسقى من مياهه. ذلك

---

St.J.H. Philby. The Land of Sheba, Geographical Journal, Royal Geographical Society, London 1938. P16. J. Dayton: A discussion on the Hydrology of Marib, Institute of Archaeology, London 1979, P125.

(٣١) الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٧٣.

(٣٢) جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ٢٠١.

(٣٣) المرجع نفسه، ص ٢٠٠ - ٢٠١.



أن هذا النظام كانت تواجهه عوائق كثيرة، منها ارتفاع مستوى الحقول الزراعية مع مرور الزمن، نظراً لما تحمله السيول إليها من أتربة وطيني، بحيث تصبح القنوات غير صالحة لرفع المياه إلى هذه الحقول، مما يجعل الفلاح مضطراً إلى رفع القنوات القائمة أو شق قنوات جديدة. وأيضاً قد يُسبب ارتفاع مستوى الحقول عن مستوى القنوات إلى ترسب الطمي في القنوات مما يؤدي إلى انسدادها، ومن ثم إلى توقف جريان الماء فيها. كما أن ترسب الطمي أمام السد يعرقل سرعة جريان الماء، نظراً لارتفاع سطحه، فلا بد وقتئذ من رفع بناء السد كلما ازداد مستوى الطمي المترسب في قاع الوادي<sup>(٣٤)</sup>.

هذه العوائق وغيرها كانت تؤدي، إذا لم يقيم المزارعون أو الدولة بإزالتها، إلى تعطيل عملية الري، ومن ثم إلى الجفاف وبياس المحاصيل، يعقبها هجرة الناس إلى مناطق زراعية جديدة أكثر خصباً. وقد حدث ذلك في بعض أنظمة الري الكبرى مثل أنظمة ميفعة والبريرة وبيحان وحريصة ومأرب<sup>(٣٥)</sup>. وهناك من يرى أن قلة الأمطار وفترة الجفاف التي أعقبت العصر المطير في شبه الجزيرة كانت السبب في تصحر أجزاء كثيرة من بلاد العرب وبالتالي هجر السدود والحقول المحيطة بها التي كانت في السابق مناطق زراعية خصبة ومنتجة<sup>(٣٦)</sup>. ويبدو أن الاضطرابات السياسية التي أخذت تلوح في بعض أقاليم شبه الجزيرة العربية منذ القرن الثالث الميلادي قد ساعدت في إهمال الكثير من مشاريع الري التي كانت تقوم على دعم السلطات الحاكمة. فأدى ذلك إلى تدهور أنظمتها مع مرور الزمن<sup>(٣٧)</sup>.

---

Richard Bowen: Irrigation in Ancient Qataban, P66, 72.

(٣٤)

نورة عبد الله العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٠٥ - ١٠٦.

B.Doe: Monuments of Southern Arabia, Falcon Olender, London 1983, (٣٥) P186.

نورة عبد الله العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٠٦.

Dayton: The Problem of climatic change in Arabia, P45.

(٣٦)

Y.Kedar: Water and Soil from the Desert, Geographical Journal, Royal (٣٧) Geographical Society, London 1957, P181-182.

## سدّ مأرب:

شُدّ سدّ مأرب في وادي أذنة الذي يقع بين جبلي أبلق القبلي (الأيمن) وأبلق الأوسط (الأيسر)، وتتجمّع فيه عدّة روافد من ذمّار وجهران وخولان وبلاد مراد وردمان وغيرها<sup>(٣٨)</sup>. ويبعد هذا السدّ عن مدينة مأرب أكثر من ثلاثة أميال حيث توجد المدينة على حافة الوادي الشمالية<sup>(٣٩)</sup>، ويوجد محرم بلقيس<sup>(٤٠)</sup> على الضفة المقابلة.

ويُعدّ جبلاً أبلق فرعاً من جبل السراة الذي يقع في الجهة الجنوبية - الغربية من مدينة مأرب، والذي هو عبارة عن سلسلة جبال، تمتدّ مئات من الأميال نحو الشمال - الشرقي، وبين هذه الجبال أودية تصبّ في وادٍ كبير، يُعبّر عنه العرب بالميزاب الشرقي (جميع ميازيب، وهو قناة يجري فيها الماء) تمييزاً له عن ميزاب مورا، أعظم الأودية الغربية في بلاد اليمن المتشعبة من جبل السراة المذكور.

وتنحدر شعاب الميزاب الشرقي الكثيرة، وتنتجّه في مصابها نحو الشمال - الشرقي، وأشهر مواقعها وجبالها: في ناحية رداع العرش وردمان وقرن، والجبال المشرفة على سوق، وفي ناحية ذمار بلد عنس، وهو مختلف (كورة من اليمن) واسع وبه بينون وهكر، وفيها المحافد العنسية وبلد كومان وبلد الحدا، وجبل أسبيل ورجمة، وجبال بني وابش من مراد وغيرها، ومختلف ذي

---

(٣٨) الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٤٧ - ٢٤٨.

(٣٩) تقع مدينة مأرب في الجهة الجنوبية - الشرقية من صنعاء. ويقال أنّ مأرب هي بلاد الأزد، وقيل أيضاً هي اسم قصر، وقيل هي اسم لملك سبأ عيد شمس الملقب بسبأ. محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، المجلد الثامن، الطبعة الثالثة، دار المعرفة، بيروت ١٩٧١م، ص ٤٠٧ - ٤٠٨.

(٤٠) يقع محرم بلقيس في الجهة الجنوبية - الشرقية من مأرب، وعلى مسافة نصف ساعة منها، وهو غير قصر بلقيس، ويظهر من بقاياه أنّه أهليلجي الشكل، طوله من الشرق إلى الغرب، ومحيطه ٣٠٠ قدم، وبُني حوله سور له باب في الجهة الشمالية وباب في الجهة الجنوبية، وعلى السور نقوش كتابية بالحرف المسند يستدلّ منها أنّ المكان كان هيكلًا للعبادة.

جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ١٩٣ - ١٩٤.

جرة وجهران وهران، ومساقط بلد خولان من جنوبيه وما تيامن من الفحف<sup>(٤١)</sup>.

وحين تتساقط الأمطار في تلك النواحي تتجمع السيول وتنحدر في الأودية المنتشرة هناك، حتى تنتهي أخيراً إلى وادي أذنة الذي يعلو ١١٠٠ متر عن سطح البحر، فتسير فيه المياه من الجنوب - الغربي إلى الشمال - الشرقي، ثم تصل إلى مكان ضيق، يقع بين جبلي أبلق المذكورين اللذين يسميهما الهمداني مأزمي مأرب، لأن المسافة بينهما لا تتعدى ٦٠٠ ذراع<sup>(٤٢)</sup>.

وفي الجهة الشمالية - الشرقية، وعلى بعد ١٥٠ ذراعاً من هذا المضيق، أقيم سد مأرب الشهير الذي هو عبارة عن جدار ضخيم بناه السبئيون في عرض الوادي لغرضين:

الأول: حماية مدنهم وقراهم من فيض السيول التي كانت تزيد عن حاجة الناس حينذاك، فينالهم من أذاها أكثر ممّا ينالهم من نفعها، حيث كان السيل: «ينحدر من أعالي الجبل هابطاً على رأسه حتى يهلك الزرع ويسوق في جفائه البناء» على حدّ ما قاله المسعودي<sup>(٤٣)</sup>.

الثاني: اختزان المياه ورفعها وتوزيعها على قدر الحاجة لري ما يجاور مدينتهم من الحقول<sup>(٤٤)</sup> والسفوح الجبلية التي كانت تظهر بعد انفراج جبلي أبلق واتساع الوادي، وتؤلف مساحة من الأرض (حوالي ٣٠٠ ميل مربع)، كانت جرداء قاحلة، فتحوّلت، بعد إقامة السدّ وحجز المياه، إلى غياض وبساتين ملأى بالخضار وأشجار الفاكهة<sup>(٤٥)</sup>.

(٤١) الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٨٠.

(٤٢) زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ٢٠٥.

(٤٣) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الثاني، ص ١٨٢.

(٤٤) حَقُول: مفردا حَقْل، وهي الأرض الطيّبة الصالحة للزراعة، ويُقابِلها المحاقِل: ومفردا المَحَقْلَة، وهي الحَقْل قد زرع. المنجد في اللغة والأعلام، ص ١٤٥.

(٤٥) زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ٢٠٦.

ويروي المسعودي أن ملك سبأ، حينذاك، كان يقرب الحكماء ويدنيههم ويؤثرهم ويحسن إليهم، ويلجأ إلى آرائهم في الملمات، ويأخذ بأفكارهم ومعارفهم عندما يريد معالجة قضية، فجمعهم من أقطار الأرض، وشاورهم في دفع ذلك السيل وحصره؛ فأجمعوا رأيهم على عمل مصارف للسيل إلى براري تقذف به إلى البحر، وأخبروا الملك أن الماء إذا حُفرت المصارف في الأماكن الواطئة، طلبها وانحدر فيها، ولم يعد يتراكم حتى يعلو الجبال، لأن طبيعة المياه تطلب في جريانها ما انخفض من الأرض؛ فحفر الملك المصارف كما أشاروا حتى انحدر الماء وانصرف وتدافع في تلك الجهة. ثم جاء من بنى السد في الموضع الذي كان فيه بدء جريان الماء من الجبل<sup>(٤٦)</sup>.

ويروي المسعودي أيضاً أن لقمان الأكبر العادي - وهو لقمان بن عاد بن عاديا - هو الذي بنى هذا السد وجعله فرسخاً في فرسخ<sup>(٤٧)</sup>، وجعل له ثلاثين نقباً (ثقباً) مستديرة في استدارة الذراع طولاً وعرضاً على أحسن هندسة وأكمل تقدير، ليسيل منها الماء، وبنى مادته بالحجارة الكبيرة والرصاص، فإذا انحدرت السيول اجتمعت خلف مقر السد كأنهار عظام. فكان المزارعون إذا أرادوا سقي مزرعاتهم فتحو أبواب ذلك السد التي كانت محكمة الإغلاق بالحجر الصلد أو الخشب والحديد، وبأشكال هندسية رائعة، فيسقون حسب حاجتهم ثم يسدونه<sup>(٤٨)</sup>.

وذكر آخرون أن بناء السد كان من عمل عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان الملقب بسبأ، وقد عاقه الموت عن إتمامه فأتته ملوك حمير

(٤٦) المسعودي: مروج الذهب، ج ٢، ص ١٨٢.

(٤٧) الفُرسخ: جمع فراسخ، وفرسخ الطريق: ثلاثة أميال هاشمية، وقيل اثنا عشر ألف ذراع وهي تقريباً ثمانية كيلومترات فارسية. المنجد الأبجدي، الطبعة العاشرة، دار لمشرق، بيروت ١٩٨٦، ص ٧٥٧.

ولعل المسعودي كان يقصد، بقوله إنه «كان فرسخاً في فرسخ» كامل نظام السد وما فيه من بناء وخزانات وقنوات.

(٤٨) المسعودي: مروج الذهب...، ج ٢، ص ١٨٠ - ١٨١.

من بعده<sup>(٤٩)</sup>. أمّا علماء الآثار<sup>(٥٠)</sup> الذين زاروا مأرب ودرسوا سدّها، فقد عثروا على بقايا الأثرية، وبعض النقوش الحجرية التي كُتِبَ عليها بالحرف المسند، كان من بينها نقش في الجهة الشمالية من السدّ ورد فيه: «أَنَّ سَمَهُ عَلِي يَنُوفِ بْنِ ذَمَرٍ عَلِي مَكْرَبِ سَبَأٍ اخْتَرَقَ أَبْلَقَ وَبَنَى سَدَّ رَحَابَ لِتَسْهِيلِ الرِّيّ»، ومنها نقش وُجِدَ في الجهة اليمنى كُتِبَ عليه: «أَنَّ يَثَعْمَرَ بَيْيَنَ بْنِ سَمَهُ عَلِي يَنُوفِ مَكْرَبِ سَبَأٍ خَرَقَ جَبَلَ أَبْلَقَ وَبَنَى مَصْرَفَ رَحَابَ لِتَسْهِيلِ الرِّيّ»، فقرّروا بذلك أَنَّ سَمَهُ عَلِي وابنه يثعمر بين اللذين عاشا في القرن الثامن قبل الميلاد قد أسّسا هذا السدّ، وبني كل واحد منهما صدفاً أو (حائطاً)، ولكنهما لم يتمكّنا من إتمامه لضخامته وكبره، فأتمّه خلفاؤهما حيث شَيّد كل واحد منهم جزءاً منه نقش اسمه عليه. فعلى الصدف الأيسر نُقِشَ قَرَأُوا فِيهِ: «كَرَبِ أَيْلِ بَيْيَنَ بْنِ يَثَعْمَرَ مَكْرَبِ سَبَأِ بَنِي...»، وعلى جزء آخر من السدّ: «ذَمَرُ عَلِي ذَرَحَ مَلِكِ سَبَأٍ»، وفي مكان آخر اسم: «يَدْعُ أَيْلُ وَتَارَ»، وفي القسم الشمالي منه وُجِدَتِ عِدَّةُ نقوش تحمل أسماء ملوك آخرين<sup>(٥١)</sup>.

ولا ريب أَنَّ هذه النقوش تشير إلى أَنَّ بناء سدّ مأرب لم يكن من فعل ملك واحد، بل هو من فعل عدد من الملوك الذين تضافرت جهودهم وتتابع

(٤٩) عبد الرحمن بن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المجلد الأول، الطبعة الثانية، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٦١، ص ٦١٥.

المعلم بطرس البستاني: دائرة المعارف، المجلد التاسع، دار المعرفة، بيروت لا تاريخ، مادة السدّ، ص ٥٣٠ - ٥٣١.

محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، م ٨، ص ٤٠٧ - ٤٠٨.

(٥٠) كان أبرز هؤلاء العلماء المستشرق الفرنسي أرنو الذي زار مأرب عام ١٨٤٣، وشاهد آثار السدّ ورسم له خريطة نُشرت في المجلة الأسوية الفرنسية سنة ١٨٧٤. وكان منهم المستشرق هاليفي والمستشرق غلازر اللذان وافقا أرنو على ما قاله في السدّ، وهو يطابق ما أورده المؤرخ العربي الحسن الهمداني في كتابه الإكليل عن سدّ مأرب، وقد شاهد أنقاضه بنفسه في أوائل القرن الرابع للهجرة، الموافق لأوائل القرن الحادي عشر الميلادي. ومنهم أيضاً نزيه مؤيد العظم الذي وضع وصفاً لبقايا السد في كتابه: «رحلة في البلاد العربية السعيدة».

(٥١) زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ٢٠٤ و ٢٠٩.

عبر السنين والعصور لإتمامه، وإدخال إضافات متعدّدة عليه حتى اتخذ شكله النهائي في عهد شمر يرعش وتحديدًا في عام ٣٠٠ ميلادية<sup>(٥٢)</sup>. وإلى جانب ذلك قام عدد من الملوك بترميم السدّ وإصلاحه في فترات متلاحقة؛ ذلك أنّ سدّ مأرب كان يحتاج إلى صيانة مستمرة وإصلاح دائم، بسبب ما يعتريه من تصدّع وتخريب بفعل تقادم السنين وضغط الماء وعوامل التعرية الطبيعية. ويبدو أنّ هذه المهمة كانت تتولاها الدولة التي تملك الإمكانيات الكامنة من مال وعمال لإصلاحه. وقد ترك بعض الملوك نقوشاً تحمل أسماءهم، وما قاموا به من إصلاحات للسدّ ولشبكات الري المرتبطة به، مثل النقش الذي يحمل اسم الملك شرحبيل يعفر الذي أصلح السدّ في عام ٤٤٩<sup>(٥٣)</sup>. والنقش الذي يحمل اسم القائد الحبشي أبرهة الذي يتحدّث فيه عن تهدّم سدّ مأرب خلال احتلال الأحباش لليمن، وكيف أنّه بعث إلى القبائل بإنفاذ الحجارة للأساس والحجر الخام والأخشاب ورمصاص الصّب... للترميم، وما أنفق فيه من الحجارة والأطعمة للعمال، والعلف للحيوانات المستخدمة طوال مدّة الترميم التي بلغت ١١ شهراً و٥٨ يوماً، والتي انتهت في شهر ذومعان سنة ٦٥٨ وفقاً للتقويم الجُمُيري، الموافق لسنة ٥٤٣ ميلادية<sup>(٥٤)</sup>.

غير أنّ سدّ مأرب كان في بدايته سدّاً ترابياً بسيطاً، ثمّ تحوّل مع مرور الوقت إلى سدّ ضخّم، شُيّد بالقطع الحجرية الكبيرة المقطوعة من الصخور الجبلية التي كانت تحيط بالوادي؛ وعُني ببنائه عناية فائقة، وشُدّبت أحجاره وتُبتت بطريقة يتداخل بعضها ببعض، وأُلصقت بالملاط وقضبان معادن النحاس والرمصاص والبرونز التي كانت تُصهر على النار وتُصبّ في فتحات ما بين أحجار البناء، وطُلي سطحه الخارجي بطبقة من الجبس لتزيد من تماسكه،

(٥٢) صالح أحمد العلي: تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ٢٠٠٠، ص ٢٥.

(٥٣) نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١١١.

(٥٤) زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ٢١٠ - ٢١١. كان الجُمُيريون يبدأون تاريخهم من سنة ١١٥ قبل الميلاد.

وَتَقَلَّلَ من تعرّضه للتعرية الطبيعية والمائية<sup>(٥٥)</sup>. أما أعلاه فكان ينتهي بسطحين مائلين على زاوية منفرجة تغطيهما طبقة من الحصى لمنع انجراف التراب عند تدفق الماء. وكان طول سدّ مأرب ٦٨٠ ذراعاً وارتفاعه ١٦ متراً وسمكه ٢٠ متراً<sup>(٥٦)</sup>.

كانت مهارة البنّائين العرب واضحة في تصميم السدّ، وفي تركيز مخارجه على صخور الجبلين؛ ذلك أنّ هؤلاء البنّائين جعلوا طرفيه عند الجبلين أبنية من حجارة ضخمة، فيها منافذ ينصرف منها الماء إلى الأراضي الزراعية، وقد تحدّث فخر الرازي عن ثلاثة منافذ للسدّ فيقول إنّ له «أبواباً ثلاثة مرتّبة بعضها فوق بعض وكانت الأبواب يفتح بعضها بعد بعض»<sup>(٥٧)</sup>. أما بقايا السدّ فتبين أنّ طرفيه كانا ينتهيان بمخرجين ضخمين لتصريف المياه. ففي الطرف الشمالي مخرج منحوت في صخر حافة أبلق الأيسر، ويقسمه حائط من الحجارة إلى قسمين لكي يخرج الماء في تيارين يصبّان في حوض واسع يبلغ طوله ٢٣ متراً ويمتدّ حوالي ٦٥ متراً، وذلك لترسيب أكبر كمية من الحصى والرمال التي يجرفها السيل معه؛ وكان يلي هذا الحوض قناة مطلية من الداخل بالجبس لمنع تسرّب المياه، يبلغ عرضها ١٢ متراً، وطولها أكثر من ألف متر وتنتهي في جهاتها الثلاث بعدد من المنافذ تؤدّي بدورها إلى عدد كبير من القنوات الفرعية التي تحمل الماء إلى مدينة مأرب والجنّة اليسرى. وللإستفادة من كميات المياه

---

B.Dœ: Monuments of Southern Arabia, P199.

(٥٥)

(٥٦) صالح العلي: تاريخ العرب القديم...، ص ٢٤. ذكر البعض أنّ طول سدّ مأرب ٨٠٠ ذراع وعرضه ١٥٠ ذراعاً. زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ٢٠٧. وذكر آخرون أنّ طوله ٥٨٠ متراً وارتفاعه ١٤ متراً.

Rosalind Wade: Archaeological observations around Marib 1976, the Institute of Archaeology, London 1979, P155.

نورة عبد الله العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية...، ص ١٠٩.

(٥٧) الفخر الرازي: التفسير الكبير، الجزء الخامس والعشرون، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، طهران، لا تاريخ، ص ٢٥١.

المخزونة وعدم هدر بعضها، لجأ البناؤون إلى تشييد حائط آخر بمحاذاة حائط هذا المخرج يقصر عنه بثلاثة أمتار<sup>(٥٨)</sup>.

وفي الطرف الجنوبي من السد أنشئ أيضاً مخرج مشابه لتصريف المياه، يرتكز هو الآخر على جبل أبلق الأيمن، وينقسم إلى اتجاهين، يؤديان إلى قناتين، تتفرّع كل منهما إلى عدد من القنوات الفرعية التي تحمل الماء إلى الجنة اليمنى<sup>(٥٩)</sup>.

وفي الأساس أقيم سدّ مأرب لحصر مياه السيول، وجمعها في خزان تبلغ مساحته حوالي ثمانية كيلومترات مربعة، وسعته ٥٥ مليون متر مكعب، وترتفع المياه فيه حتى تبلغ مستوى عالياً يقارب مستوى الجبلين، ثم تفتح المخرج وفوهات القنوات، فيخرج منها الماء لإرواء حقول الجبلين وسفوحه حيث تبلغ مساحة الأرض التي كان يرويها السدّ قديماً عشرة آلاف هكتار<sup>(٦٠)</sup>.

ازدادت أهمية مدينة مأرب ببناء هذا السدّ، وأصبحت عاصمة للسبئيين بدل صرواح؛ واتخذها «يثعمر بين» قاعدة عسكرية قام منها بفتوحات دون أخبارها في نقوش على السدّ. وزرع أهلها الأرض المحيطة بها وسفوح الجبال القريبة التي كانت من أخصب أراضي اليمن وأثراها وأغدقها وأفسحها مروجاً، فحوّلوها إلى جنانٍ وغيضانٍ ملأى بأشجار الفاكهة، والخضار المتنوعة الزكّية، والأزهار الملونة الجميلة، لذّة للناظرين.. فكانت المرأة تمشي تحت الأشجار وعلى رأسها مكّتل، فيتساقط الثمر الناضج لكثرتِه واستوائه فيملؤه من غير أن يحتاج إلى كلفة ولا قطاف. وكان الماء والراكب يسير تحت الظلال في هذه

B.Dæ: Monuments of Southern Arabia, P192.

(٥٨)

نورة عبد الله العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية...، ص ١٠٩.

(٥٩) نورة النعيم: المرجع نفسه، ص ١١٠.

D.Dæ: op.cit, P193.

(٦٠) صالح العلي: تاريخ العرب القديم...، ص ٢٤ - ٢٥.



الجنان فلا تواجهه شمس ولا يحس بحرٌ، ولا يرى ذباباً ولا بعوضاً ولا برغوثاً ولا حشرة ضارة ولا شيء من الهوام؛ وذلك لاعتدال الهواء والمناخ، وصحة المزاج والمكان، وعناية الله تعالى بهم...<sup>(٦١)</sup> فعاش الناس في نعمة وغبطة، وازدياد في البنيان والعمران، وسعة في الرزق وكثرة في الزروع ووفرة في شمار، ورفه في العيش وطمأنينة بال، ورغد قرى وطيب هواء وصفاء سماء وتدقق ماء، وقوة شوكة واجتماع كلمة، وسيرة حسنة وشرف أخلاق وطلاب فضل على القاصد والمسافر... حتى غدت بلادهم في العالمين مثلاً وموتلاً. ومكثوا على ذلك سنين وقرونًا، لا يعاندهم ملك إلا قصصوه، ولا يوافيهم جبار في جيش إلا كسروه، فذلت لهم البلاد وأذعن لطاعتهم العباد، فصاروا تاج الأرض<sup>(٦٢)</sup>. فبعث الله تبارك وتعالى إليهم الرسل والأنبياء، فقبل ثلاثة عشر نبياً وقيل أكثر<sup>(٦٣)</sup>، تأمرهم أن يأكلوا من رزقه ويشكروه بتوحيده وعبادته، فكانوا كذلك ما شاء الله تعالى، ثم أعرضوا عما أمروا به، فعوقبوا بإرسال السيل والفرق في البلاد أيدي سبأ، شذر مذر..

وفي ذلك يقول الأعشى، ميمون بن قيس بن ثعلبة<sup>(٦٤)</sup>:

ففي ذاك للمؤتسي أسوة	بمأرب عفى عليها العرم
رخام بناه لهم جَمِير	إذا جاء مأوئهم لم يرم
فأغنى الحروث وأغنامها	على ساعة مأوهم قد قسم
فطار الفيول وفئالها	بها في فيافي سَرَابٍ يطم
وكانوا بذلك حقبه	فمال بهم جارف منهدم
فطاروا سراعاً وما يقدمو	ن منه لشرب صبي فطم

(٦١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، الجزء الخامس، ص ٥٣٨ و ٥٤١ - ٥٤٢.

(٦٢) المسعودي: مروج الذهب...، ج ٢، ص ١٨١.

(٦٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ٥، ص ٥٤٢.

(٦٤) المسعودي: مروج الذهب...، ج ٢ ص ١٨٤. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ٥، ص ٥٤٦.

وفي القرآن الكريم إشارة واضحة إلى سبأ<sup>(٦٥)</sup> وقومه الذين عبدوا الله تعالى وأخلصوا له النية والعمل وعظموه وشكروه، فأثابهم الله سبحانه بالحياة الدنيا بجنتين عن يمين سد مأرب وشماله، فيهما من كل الثمرات رزقاً حلالاً طيباً، وقرية آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان، فكفر أهلها بأنعم الله تعالى، وعدلوا عن عبادته سبحانه وانحرفوا، وسجدوا للشمس من دونه عزّ وعلا كما قال الهدهد للنبي سليمان عليه السلام: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِيطْ بِهِ وَحِثْلُكَ مِنْ سَبَأٍ يَنْكِرُ يَقِينٍ ۝٢٢١ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۝٢٢٢ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۝٢٢٣﴾<sup>(٦٦)</sup>، فإذاقهم الله تبارك وتعالى لباس الجوع، وشردهم وفرّق جمعهم في البلاد، وبذل

(٦٥) سُئل رسول الله محمد ﷺ عن سبأ ما هو: أرجل أم امرأة أم أرض؟ قال ﷺ: «بل هو رجل من العرب، وُلِدَ له عشرة فتيا من ستة، وتشاء أربعة». ومعنى قوله ﷺ: «ولد له عشرة من العرب» أي كان من نسله هؤلاء العشرة الذين يرجع إليهم أصول القبائل من عرب اليمن لا أنهم ولدوا من صلبه، بل منهم من بينه وبينه الأبوان والثلاثة، والأقل والأكثر، كما هو مقرّر مبين في مواضعه من كتب النسب. ومعنى قوله ﷺ: «فتيا من ستة وتشاء منهم أربعة» أي بعدما أرسل الله تعالى عليهم سيل العرم، منهم من أقام جنوباً ببلادهم، ومنهم من نزح شمالاً عنها إلى غيرها. وقال علماء الأنساب إن سبأ هو عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان الذي قيل عنه أنه أول من بنى سد مأرب كما أسلفنا؛ وقد سُمّي سبأ لأنه أول من سبأ في العرب، وكان يُقال له الرائي لأنه أول من غنم في الغزو، فأعطى قومه فسْمِي الرائي، والعرب تسمي المال ريشاً ورياشاً. وذكر عن سبأ أنه بشر بالنبي محمد ﷺ، وقال في ذلك الأبيات التالية:

سيملك بعدنا ملكاً عظيماً	نبي لا يرخص في الحرام
ويملك بعده منهم ملوك	يدينون القياد بكل دامي
ويملك بعدهم منا ملوك	يصير الملك فينا باقتسام
ويملك بعد قحطان نبي	نقي مخبت خير الأنام
يسمى أحمداً يا ليت أني	أعمر بعد مبعثه بعام
فأعضده وأحبوه بنصري	بكل مدجج وبكل رام
متى يظهر فكونوا ناصريه	ومن يلقاه يبلغه سلامي

ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ٥، ص ٥٣٩ - ٥٤١.

(٦٦) قرآن كريم، سورة النمل، آية ٢٢ - ٢٤.

بالجنتين أشجار الأراك والطرفاء والسدر ذي الشوك الكثير والتمر القليل . يقول الله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُمْ بَلَدَهُ طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿٦٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَقٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿٦٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ ﴿٦٧﴾﴾ .

كما جزاهم الله تعالى بالخوف في أسفارهم ، بعد أن كانوا يسIRON بين اليمن والشام آمنين ، في قرى متواصلة متقاربة بعضها من بعض ، مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها ، بحيث أن مسافريهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء ، بل حيث نزل وجد ماء وثمرأ ، فكان يقيـل في قرية ويبيت في أخرى ؛ وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالٍ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿٦٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٦٩﴾﴾ .

غير أن الله تعالى لم يبدل بجنتي سبأ الشوك والشجر الذي لا خير فيه ولا ثمر إلا بعد أن تهيأت لذلك الأسباب ، ومن هذه الأسباب :

١ - إعراض القوم عن عبادة الله سبحانه وتعالى ، وإشراكهم به ، وإفسادهم في الأرض ، وانحرافهم إلى عبادة مظاهر الطبيعة كالشمس وغيرها ، وبطريهم النعمة ، ودعوتهم الله تعالى أن يباعـد بينهم وبين أسفارهم ، بأن يسيروا في الصحارى والبراري والحرور والمخاوف ، بعد أن سئـموا الظلال والزروع والثمار والقرى الظاهرة المتواصلة . . .

(٦٧) قرآن كريم ، سورة سبأ ، آية ١٥ - ١٧ . راجع تفسير هذه الآيات في تفسير الجلالين ص ٥٦٧ - ٥٦٨ . وفي تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، الجزء الخامس ، ص ٥٣٨ - ٥٤٣ . وفي التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ، ج ٢٥ ، ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٦٨) قرآن كريم ، سورة سبأ ، آية ١٨ - ١٩ . راجع تفسير الآيتين في تفسير الجلالين ، ص ٥٦٨ . وفي تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٥ ، ص ٥٤٣ - ٥٤٧ . وفي التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ، ج ٢٥ ، ص ٢٥٢ .

٢ - اضطراب الأحوال السياسية في جنوب شبه الجزيرة، وقيام المنازعات والحروب بين الدولة الحِميرية وبين الأحباش الذين احتلّوا اليمن مرتين ما بين عامي ٣٤٠ - ٣٧٨ ميلادية وما بين عامي ٥٢٥ - ٥٧٥ ميلادية، والذين حاولوا احتلال مكة وتهديم الكعبة والبيت الحرام<sup>(٦٩)</sup>.

٣ - إهمال سدّ مأرب وشبكات الريّ بسبب هذه الاضطرابات السياسية والحروب، وانصراف الناس إلى حياة الترف واللهو تاركين صيانة السدّ الذي أضعفه مَمَرُ السنين عليه وتدافع الماء حوله، وقد قيل في المَثَل: «إذا أُرّ تواتر الماء على الحجر الصلد فما ظنك بسيل يتدافع على حديد وحجر مصنوع»<sup>(٧٠)</sup>.

٤ - تحوّل السدّ إلى مرتع للحشرات والحيوانات الصغيرة من فئران وجردان ومَنَاجِذ، كانت تحفر التراب وتضعف الأساس وتزيل الحصى وتشقّق البنيان...<sup>(٧١)</sup>.

٥ - هطول أمطار غزيرة، وتدفّق الماء في الوادي مكوّناً سيل العَرم الذي جرف جزءاً كبيراً من السدّ وهدّمه، وخزّب الأبواب والمخارج والقنوات وشبكات الريّ، وأغرق البلاد إلّا ذمار وحضرموت وعدن، واقتلع الأشجار والزروع، وعطلّ الحدائق والجنان والضيايع والدور والقصور<sup>(٧٢)</sup>، وهكذا حتى اضطّر الناس إلى ترك مساكنهم والانتقال إلى أماكن أخرى، وتفرّق القوم أيدي سبأ، شذر مذر، فصاروا أحاديث الناس عبر السنين والعصور...

وكان تفرّق أهل مأرب إلى أماكن مختلفة، فمنهم من هاجر إلى يثرب وأقام فيها كالأوس والخزرج ابني حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر مُزَيْقياء، ومنهم من هاجر إلى عمان كأزد عمان، ومنهم من لحق بأرض همدان كوادعة (أو وداعة) بن عمرو بن عامر مُزَيْقياء، وجماعة انتقلت إلى العراق كمالك بن

(٦٩) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثاني، ص ٤١٨ - ٤١٩.

عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص ٦٤ - ٧١.

(٧٠) المسعودي: مروج الذهب...، ج ٢، ص ١٨٢.

(٧١) المسعودي: المصدر نفسه، ص ١٨٦ - ١٨٨. المعلم بطرس البستاني: دائرة المعارف، م ٩، ص ٥٣١.

(٧٢) البستاني: دائرة المعارف، م ٩، ص ٥٣٢.

فهم الأزدي وأولاده وأسسوا مملكة لهم في الحيرة، وفئة تخلّفت ببطن مَرّ فعُرفت باسم خُزاعة وهم أبناء عمرو بن لَحَيّ، ومن هناك انتقلت إلى مكة، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت:

وَلَمَّا هَبَطْنَا بَطْنَ مَرٍّ تَخَزَعَتْ خُزَاعَةُ مَنَا فِي مَلُوكِ كِرَاكِرِ<sup>(٧٣)</sup>

وكان عمرو بن عامر مُزَيْقياء بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد بن الغوث بن كهلان بن سبأ، سيد القوم وملكهم وأول المهاجرين من مأرب، قد شاهد تشقّق السدّ وتصدّعه وأحسّ بخرابه، فباع جميع أملاكه وأرزاقه وخرج من مأرب قبل سبع سنوات من تهدم السدّ، وعندما وصل إلى ما بين جبل السراة ومكة نزل هنالك أناس من بني نصر من الأزد وأقاموا، وأقام معهم عمران بن عامر الكاهن أخو عمرو، وعدي بن حارثة بن عمرو بن عامر مُزَيْقياء، وتابع عمرو وبنو مازن حتى وصلوا إلى بلاد الأشعرين وعكّ، ونزلوا على ماء هنالك يُقال له غسان بين وادي زيد ورمع، فسَمَوْا باسمه، ثم انتقلوا إلى بلاد الشام وأقاموا في حوران والجولان وغوطة دمشق، وأسسوا مملكة لهم عُرفت باسم مملكة الغساسنة. ولحق أبو حارثة بن عمرو بن عامر مُزَيْقياء، ودعبل (أو رعيل) بن كعب بن أبي حارثة بنجران وانتسبوا في مذحج. وبقي مالك بن اليمان بن فهم (أو مالك بن الهمان بن جهم) بن عدي بن عمرو بن مازن بن الأزد بمأرب، وكان آخر ملوكها، وقد هلك مع من هلك بسيل العرم<sup>(٧٤)</sup>.

ويبدو أنّ المصادر لم تتفق على سنة وعصر محدّدين لحدوث سيل العرم وتهدّم السدّ. فحمزة الأصفهاني يقول بأنّه حدث قبل الإسلام بأربعمئة عام، أي

---

(٧٣) وخُزاعة سُمّيت بذلك لانخزاعها في ذلك المكان، وانخزع عن القوم: تخلّف عنهم. وكانت خُزاعة قد انفصلت عن قومها وأقامت ببطن مَرّ قرب مكة مع مالك وأسلم وملكان أبناء قصي بن حارثة بن عمرو بن عامر مُزَيْقياء. المسعودي: مروج الذهب... ج ٢، ص ١٨٩.

(٧٤) ذكرت بعض المصادر أقوال بعض الكهّان الذين توقّعوا خراب السدّ وتهدمه ويباس الجنتين وخراب المدينة وهلاك الناس، فأسرّوا بذلك إلى ملكهم عمرو بن عامر مُزَيْقياء الذي اصطنع حيلة لبيع أملاكه وأرزاقه والخروج من مأرب. فيمكن مراجعة ذلك في المسعودي أو في غيره... المسعودي: مروج الذهب... ج ٢، ص ١٨٦ - ١٩٠.

في القرن الثالث الميلادي<sup>(٧٥)</sup>. وياقوت الحموي يذكر بأنه وقع في ملك حبشان ولعلّه يقصد ذا حبشان بن الأقرب بن أبي مالك بن شمر الجُميري، أو لعلّه يريد الأحباش الذين احتلّوا اليمن في القرن السادس الميلادي وخربوا كثيراً من قصورها وأبنيتها<sup>(٧٦)</sup>. وعبد الرحمن بن خلدون يورد بأنه حصل في أيام عمرو بن عامر الأزدي المعروف بمزقياء في القرن الخامس الميلادي. والمسعودي يؤكّد وقوعه بعد سبع سنوات من خروج هذا الملك<sup>(٧٧)</sup>. أمّا غلازر الذي درس آثار ذلك السدّ فقد اكتشف أثرين عليهما كتابة مطوّلة تتعلّق بتهدّمه خلال احتلال الأحباش لليمن، أحدهما مؤرّخ سنة ٥٣٩، والآخر سنة ٥٦٥ ميلادية. ويذكر آخرون أنّ انهيار سدّ مأرب كان حوالي سنة ١٢٠ قبل الميلاد<sup>(٧٨)</sup>.

ويعود السبب في نسبة بنائه وتهدّمه إلى عصور مختلفة وأشخاص مختلفين، كثرة تصدّعه وترميمه، فكانوا يعدّون كلّ تصدّع تهدّماً وكلّ ترميم بناء. ويروى أنّ سدّ مأرب تصدّع عند ظهور دولة جُمير (ملوك سبأ وريدان) في أوائل القرن الأول قبل الميلاد للمرة الأولى، فرمّموه، ولكن ظلّوا خائفين من تهدّمه، فتحوّلت عنايتهم إلى تعمير مدينة ظفار، وقلّ تمسّكهم بالبقاء في مدينة مأرب، وصاروا ينزحون جماعات وأفراداً... وكلّما تشقّق السدّ من ناحية رَمّموه، واستمروا كذلك إلى قبيل الدعوة الإسلامية، فأهملوه نهائياً حتى انهدم، ويُعتقَد أنّ تهدّمه كان حوالي عام ٥٧٥ ميلادية، وهو العام الذي انتهى فيه احتلال الأحباش لليمن<sup>(٧٩)</sup>.

(٧٥) حمزة بن الحسن الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، دار مكتبة الحياة، بيروت، لا تاريخ ص ١٠٨. زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ٢٠٢.

(٧٦) أبو الفرج الأصبهاني: الأغاني، الجزء السادس عشر، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت (لا.ت) ص ٦٩ - ٧١.

(٧٧) ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٢، ص ٥٧. المسعودي: مروج الذهب...، ج ٢، ص ١٨٨. لُقّب عمرو بمزقياء لأنّه كان يلبس في كل يوم بذلة، فإذا أراد الدخول إلى مجلسه رمى بها، فمُرّقت لثلاً يجد أحد فيها ما يلبسه.

(٧٨) زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ٢١٠.

(٧٩) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٩.

Ahmed Fakhry: An Archaeological Journey to Yemen, vol3, Government Press, Cairo 1952, P61.

زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ٢١٠.

## ب - نظام القنوات:

استخدم العرب في العصور القديمة نظام القنوات لري أراضيهم، فكانوا يحفرون مجاري للمياه على سطح الأرض وفي داخلها، ويحولونها إلى قنوات قد تطول أو تقصر حسب الحاجة. ويوجد في شبه الجزيرة نوعان من هذا النظام: النوع الأول: نظام القنوات السطحية، والنوع الثاني: نظام القنوات الجوفية.

وكان نظام القنوات السطحية عبارة عن شبكة من القنوات أو الجداول التي تُحفر على سطح الأرض لتصريف مياه السيول والعيون والينابيع والآبار، وتمتد مسافة طويلة قد تصل إلى عشرات الكيلومترات مثل قنوات عُمان، ووادي بيحان، ووادي حريضة في حضرموت، وقناة قرية في شمال غرب شبه الجزيرة، وقناة خيبر التي تبلغ حوالي ١٨ كيلومتراً<sup>(٨٠)</sup>. وعادة تكون هذه القنوات واسعة، وتُقاس بالأمتار، وتُبنى معظم أجزائها بالطين، وتُبطّن بالآجر، وتُشيد الأجزاء الأخرى التي تتعرض لضغط كبير من الماء، كالمنافذ والمساقط العامودية والمنعطفات، بالحجار كي لا تتهدم بسرعة<sup>(٨١)</sup>.

وكانت القناة الرئيسية مزودة بمنافذ أو بوابات، توصلها بقنوات فرعية، تتفرع هي الأخرى إلى قنوات أصغر، فأصغر حتى يتم إيصال المياه إلى جميع الحقول والبساتين. وفي معظم الأوقات تبقى منافذ القنوات الرئيسية مفتوحة،

---

P.Costa: Notes on the traditional hydraulics and agriculture in Oman, (٨٠) World Archaeology, vol14, London 1983, P277. Richard Bowen: Irrigation in ancient Qataban, P45, Thompson Caton: The Tombs and Moon Temple of Hureida «Hadramaut», The Society of Antiquarian, Oxford, London 1944, P12.

نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١١١ - ١١٢.

J.Dayton: Marib visted 1979, the Institute of Aschaeology, vol2, London 1981, P12.

Richard Bowen: Irrigation in ancient Qataban, P45.

(٨١)

B.Dæ: Southern Arabia, Thomas and Hadson, London 1971, P189-198.

Thompson Caton: The Tombs and Moon Temple of Hureidha, P12.

خوفاً من حدوث سيل مفاجيء في الليل أو النهار. أمّا منافذ القنوات الفرعية التي تخترق الأراضي الزراعية فكانت تغلق بعد سقي المزروعات، حتى يجري الماء إلى الحقول التالية، وكان المزارعون يلجؤون إلى رفع مستوى هذه المنافذ، التي تُبنى من جذوع الأشجار والطين، بصورة دورية ليتناسب مع ارتفاع مجرى القناة بسبب ترسب الطمي فيها<sup>(٨٢)</sup>.

وتُشقّ القنوات، التي يرتبط وجودها بالعيون والينابيع الطبيعية، على هيئة مجاري واسعة تصل بين مصدر الماء والأراضي الزراعية، وتُعرف بالغيول، ويكون مجراها موازياً لمجرى الوادي، وعلى الجانب القريب من مصدر الماء. وعادة تُبنى القناة السطحية بانحدار بسيط ومناسب، وقد تحوّل إلى قناة جوفية إذا ما واجهت في طريقها عائقاً طبيعياً، أو في حالة عبور مجرى وادٍ، حيث يصبح تعرّضها للخراب من جزاء السيول أمراً وارداً. ففي حالة الوادي الضيق أو الشعاب الصغيرة يُستخدم جذع نخلة مجوّف كمجرى للمياه من جانب إلى الجانب الآخر، خصوصاً أنّ جذع النخلة يُستبدل بيسرٍ إذا ما جرفته السيول. أمّا في حالة الوادي الكبير فتُحمل القناة على جسر من القناطر التي تُبنى بالحجارة الصلبة لتقاوم قوة السيل، أو تحوّل القناة إلى قناة جوفية باستخدام المغاطس أو ما يُعرف بـ «غرفة فلج» (Siphon)، حيث تقام القناة على شكل الحرف U<sup>(٨٣)</sup>، تكون قاعدتها قناة جوفية، تصل بين برجين متقابلين على حافتي الوادي، ويكون البرج الذي تدخله القناة أعلى قليلاً من البرج الذي تخرج منه، ولزيادة قوة اندفاع الماء من البرج يلجأ المزارع أو البّئاء إلى رفع القناة عن مستواها العام بنحو متر ونصف قبل دخولها البرج<sup>(٨٤)</sup>. وقد استغل أصحاب هذه الغيول

---

A.M.Maktari: Water Rights and Irrigation Practices in Lahj, University Press, Cambridge 1971, P57. Bowen: Irrigation in ancient Qataban, P45.

(٨٣) راجع ملحق رقم....

(٨٤) عبد الله آدم نصيف: القنوات والنظام الزراعي في المدينة المنورة: العصور، م١، ج٢، دار المريخ، لندن - الرياض ١٩٨٦، ص٣٠٧.

J.C.Wilkinson: Water and Tribal Settlement in South East Arabia, A study of the Aflaj of Oman, P74, 82. P. Costa: notes on traditional hydraulics... P277, 280.



قوة الماء المندفع من مساقط هذه القنوات في إقامة طواحين للحبوب<sup>(٨٥)</sup>. وكانت القنوات السطحية في كثير من المناطق جزءاً مكتملاً لنظام القنوات الجوفية، ذلك أنّ القناة الجوفية بعد أن تفيض إلى سطح الأرض، تمتدّ منها قناة تحمل الماء إلى داخل القرية أو المدينة، أو إلى منطقة الحقول الزراعية ليتوزّع حينئذ بشبكة من قنوات صغيرة<sup>(٨٦)</sup>.

ويمكننا تعريف القنوات الجوفية بأنها أنفاق تُحفر في باطن الأرض، أو مجموعة من الآبار يتّصل بعضها ببعض بواسطة نفق تحت الأرض، كان الهدف منها جرّ الماء من مصادره في باطن الأرض إلى أماكن استخدامه في القرى أو المدن أو الحقول.

وتعود أقدم إشارة عن وجود قنوات في بلاد الرعب إلى هيرودوت الذي ذكر، في معرض حديثه عن شبه الجزيرة أنّ ملكاً كان يجلب الماء من نهر كردس الذي يصبّ في البحر الأحمر بواسطة أنبوب مصنوع من الجلد<sup>(٨٧)</sup>. ويروى أن سنحاريب بن سرجون الأشوري قد حفر قناة جوفية لجرّ المياه إلى مدينة أربيل، ثمّ حفر أخرى لجرّها إلى مدينة نينوى، وذلك بعد أن نقل والده هذا النظام من أرمينيا التي غزاها وحطّم قنوات الريّ الجوفية في مدينة (Ulhu) كما سجّل سرجون ذلك في معرض حديثه عن هذه الغزوة<sup>(٨٨)</sup>.

وتشير الاكتشافات الأثرية في الآونة الأخيرة إلى أنّ منطقة عُمان في جنوب شرق شبه الجزيرة العربية، التي وُجد فيها عدد من مناجم تعدين النحاس العائدة للآلف الثالث قبل الميلاد، والتي يشبه أسلوب حفرها أسلوب حفر القنوات الجوفية، هي مصدر ومنشأ هذا النظام، ومنها انتقل إلى بلاد فارس

(٨٥) نورة العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية...، ص ١١٤.

(٨٦) J.C.Wilkinson: Water and tribal Settlement in South East Arabia, P74.

(٨٧) Herodotus: The history of Herodotus, trans by A.D.Godley, Læb classical library, London 1981, P131.

(٨٨) J.Laessæ: The Irrigation System at Ulhu, 8th. Century, B.C., Journal of Cuneiform Studies, The American School of Oriental Rsearch, Bagdad, 1951, Vol.21-23, P29.

والأقاليم العربية الأخرى، ثم انتشر عالمياً مع توسع الدولة الإسلامية حيث نقله المسلمون العرب إلى أفريقيا وإسبانيا، ومنهما انتقل إلى أميركا الجنوبية<sup>(٨٩)</sup>.

ويقوم نظام القنوات الجوفية على مبدأ جلب الماء من أماكن مرتفعة، تتوفر فيها مياه جوفية، وذلك عن طريق حفر نفق ينحدر انحداراً بسيطاً من مصدر الماء، ويجري فيه حتى يظهر في النهاية على سطح الأرض. لذا فإنّ أماكنها تقع بين السهول والمرتفعات حيث يكون منسوب الماء فيها مرتفعاً<sup>(٩٠)</sup>. ويحفر مع هذا النفق آبار أو أنفاق عمودية لتهوئتها وصيانتها وتنظيفها، وتُعرف هذه الآبار بالنقب<sup>(٩١)</sup>. ويتراوح عمقها عادة بين بضعة أمتار إلى مائة وخمسين متراً. ويبدأ العمل بحفر البئر الرئيسية التي تدعى البئر الأم ويكون موضعها بالقرب من مصادر المياه، وتكون نسبة انحدارها إلى المكان الذي سوف تظهر فيه القناة مقدرة تقديراً جيداً. وقد قدر الكرخي هذا الانحدار بذراع (٦٩ سنتيمتراً) لكل فرسخ (٣ أميال)، كما عدّد بعض الأجهزة البسيطة التي كانت تُستخدم بالحفر من مكان خروج القناة على سطح الأرض متجهاً بها نحو البئر الأم<sup>(٩٢)</sup>، وهناك من يرى أنّ حفر القناة كان يبدأ بإقامة الآبار أو الأنفاق العامودية التي تُشاد على طول القناة بين مصدرها ومنبعها، ثم يُشقّ نفق يوصل بينها جميعاً. ويُرجّح آخرون أنّ الحفر كان يبدأ من البئر الأم متجهاً بها نحو مخرجها، حيث يعمل الماء المتدفّق فيها على تسويتها<sup>(٩٣)</sup>. وإذا ما صادف الحفّار أرضاً رخوة مال عنها كي يتفادى تهديمها، أو يلجأ إلى تبطينها ببناء من

---

G.Weisgeber: Copper Production during the 3rd. Millennium B.C. Oman (٨٩) and the question of Makan, Journal of Oman Studies, Vol 6, Part 2, The Ministry of information and Culture, Oman, 1983, P264-276.

نورة العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١١٥.

(٩٠) عبد الله نصيف: القنوات والنظام الزراعي في المدينة المنورة، ص ٢٠٩. راجع أيضاً ملحق رقم.

(٩١) محمد بن الحسن الحاسب الكرخي: أنباط المياه الخفية، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ١٣٥٩هـ، ص ٦٣.

(٩٢) المصدر نفسه، ص ٣٥ و ٦١ و ٩١. راجع ملحق رقم شكل ٥ (نورة).

George Cressy: Qanats, Karez and Foggaras, Geographical Review, vol 40, (٩٣) New York 1985, P31.

عبد الله نصيف: القنوات والنظام الزراعي في المدينة، ص ٢٠٧ - ٢١٠.

الآجر أو الحجارة والطين، كما هو الحال في القنوات التي اكتُشفت في منطقتي العلا وتيماء وظهرت مبطنّة بالحجارة تبطيناً جيداً<sup>(٩٤)</sup>.

وعندما يصل النفق إلى نهايته حيث تخرج القناة، يعود الحفّار إلى نقطة البداية ليحفر آباراً أو أنفاقاً عامودية ذات سعة تسمح بدخول الرجل فيها، وتكون هذه الآبار على أبعاد متفاوتة تحددها طبيعة الأرض التي تجري فيها القناة. وكانت فتحات هذه الآبار تُسوّر عادة بالتراب المستخرج من الحفر، أو بالحجارة، وتُغطّى بالواح حجرية إن وُجدت في مجاري السيول. وتتحول القناة عند مخرجها إلى قناة سطحية تُعرف بالقنطرة، ثم توزّع حسب الحاجة إلى الماء، ووفقاً لتقاليد وقواعد متعارف عليها<sup>(٩٥)</sup>.

وكانت تواجه الحفّار في عمله بعض الأخطار، منها: انقطاع الهواء الذي قد يؤدّي إلى اختناقه، فلذا كان يُدخل إلى النفق مصباحين يُوقدان بزيت الخروج أو الشحم للتنبيه على نقص الهواء، فإذا انطفأ المصباح، فإنّ ذلك يُعدّ إنذاراً بنقص الهواء أو فقدانه، كما أنّ هذين المصباحين يساعدان الحفّار على تحديد استقامة القناة. ومنها أيضاً انهيار النفق ومشكلة الماء الذي يجري حوله، فقد يؤدّي كل ذلك إلى غرقه وموته. وليخفف من هذه الأخطار، كان الحفّار يلبس ثوباً من الجلد المدبوغ والمُسقى زيتاً، وقبعة مماثلة يحيط بها قرمد ليمنع دخول الماء وسيلانه على وجهه<sup>(٩٦)</sup>.

وتختلف أطوال القنوات من منطقة إلى أخرى، إذ يمتدّ بعضها إلى مسافات بعيدة قد يصل إلى مائة كيلومتر، وتتفرّع إلى عدد من القنوات الجوفية، لتزيد من نسبة الماء المتدفّق فيها، وبذلك تتحوّل القناة الرئيسية إلى جدول أو نهر صغير ينساب تحت الأرض<sup>(٩٧)</sup>.

(٩٤) الكرخي: أنباط المياه الجوفية، ص ٢١.

(٩٥) الكرخي: المصدر السابق، ص ٦٣.

J.C.Wilkinson: Water and tribal settlement in South East Arabia, P100-102.

(٩٦) الكرخي: المصدر السابق، ص ٣٣. عبد الله نصيف: القنوات والنظام الزراعي في المدينة المنورة، ص ٢٠٣.

(٩٧) نورة العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١١٧.

وأطلقت على القنوات أسماء مختلفة، تبعاً للمنطقة أو الإقليم الذي أنشئت فيه. ففي شمال غربي شبه الجزيرة عُرفت باسم العين، وفي عُمان عُرفت باسم الفلج الذي يعني شق الأرض وتقسيم الماء<sup>(٩٨)</sup>، وفي بعض المناطق أطلق عليها اسم الغيل (جمع أغيال أو عُيول) الذي يعني الماء الجاري على وجه الأرض والذي يعني أيضاً كل وادٍ فيه عيون تسيل<sup>(٩٩)</sup>. وفي منطقة أخرى أطلق عليها الفُقر (مفردھا الفقير) وتعني مخرج الماء من فم القناة<sup>(١٠٠)</sup>. وفي ثالثة سُميت بالكِظامة (جمع كَظَائِم) وهي قناة للماء في باطن الأرض، وقيل هي آبار متناسقة تُحفر ويُباعد ما بينها ثم يُخرق ما بين كل بئرين بقناة داخلية تؤدي بالماء من الأولى إلى التي تليها فتتجمع مياهها جارية ثم تخرج من نفسها وتسبح على سطح الأرض<sup>(١٠١)</sup>.

وتعتمد القناة على المخزون الجوفي للماء وطبيعة التربة، لذا تختلف كمية المياه فيها من منطقة إلى أخرى، وتزداد هذه الكمية في موسم الأمطار، وتقل في موسم الجفاف. وقد تُسقف القناة الجوفية عند مخرجها على سطح الأرض، لحمايتها من الأتربة، ولمنع الدابة من ورودها، ثم يوزع فرع منها إلى المدينة أو القرية، ويذهب فرع آخر إلى الحقول الزراعية، وقد يُبنى، أحياناً، حوض مستدير في مجرى القناة، وذلك لتكوين قوة اندفاع تضمن وصول الماء إلى كافة الأراضي الزراعية، أو لتخزين كمية من الماء تُستخدم في أوقات الجفاف، وفي فترة انخفاض معدل تساقط الأمطار<sup>(١٠٢)</sup>.

وتنتشر بقايا آثار القنوات الجوفية والسطحية بكثرة في كافة أقاليم بلاد العرب، وبخاصة في شبه جزيرة العرب. ففي المنطقة الممتدة من العلا حتى المدينة المنورة يوجد عدد كبير منها، ويُعتقد أنَّ بعضها يعود إلى العهد

(٩٨) عبد الله نصيف: القنوات والنظام الزراعي في المدينة المنورة، ص ٣٠٠.

Wilkinson: Water and tribal settlement in South East Arabia, P74.

(٩٩) المنجد في اللغة والأعلام، ص ٥٦٤.

(١٠٠) المرجع نفسه، ص ٥٩٠.

(١٠١) المرجع نفسه، ص ٦٨٨. عرام: أسماء جبال تهامة وسكانها، ص ٤٧.

(١٠٢) George Cressy: Qanats, Karez and Foggaras, Geographical review, P28.

Costa: Notes on traditional hydraulics and agriculture in Oman, P285-286.

الليحياني<sup>(١٠٣)</sup>. وفي منطقة تيماء توجد قنوات قد ترجع إلى العصر التيمائي. وفي المنطقة الغربية من إيلات خلف الأنباط وراءهم عدداً من هذه القنوات. وفي إقليم الساحل الشرقي من شبه الجزيرة تكثر القنوات الجوفية، وبخاصة في واحة البريمي وفي سفوح جبال هجر - واحة العين، وتعود هذه القنوات إلى النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد<sup>(١٠٤)</sup>. وفي القطيف وعين جاوران عدد من القنوات الجوفية، منها واحدة تمتد على الساحل المقابل لجزيرة تاروت وتصل إلى اثني عشرة كيلومتراً، ويعود بناؤها إلى العصر الهلنستي - اليوناني. وفي جبرين والبحرين كشفت البعثات الأثرية الدانمركية عن وجود عدد من القنوات الجوفية تمتد من التلال الوسطى وتتجه نحو الساحل الغربي<sup>(١٠٥)</sup>. وفي إقليم عُمان تكثر أعداد هذه القنوات التي شهدت نشأتها الأولى كما ذكرنا قبلاً<sup>(١٠٦)</sup>. وفي وسط شبه الجزيرة بواحات الخرج والأفلاج، وفي منطقة القصيم توجد قنوات كثيرة كان بعضها لا يزال يُستخدم حتى فترة قريبة. أما في جنوب شبه الجزيرة فلم يلاق نظام القنوات رواجاً بسبب شيوع استخدام وسائل الري الأخرى التي تعتمد بالدرجة الأولى على السيول كالسدود وغيرها، ويُرجح أن هذا النظام قد دخل هذه المنطقة في فترة الحكم الفارسي، وتحديداً في القرن السادس الميلادي<sup>(١٠٧)</sup>.

---

(١٠٣) نورة العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١١٨.

(١٠٤) M.Evenari: The challenge of the desert, P173-178. Shirley Kay: Emirates Archaeological Heritage, Emirate press, Dubai 1986, P42.

Livingston.: Tamyia, Atlal, Department of Antiquities and Museums of Saudi Arabia, vol 7, riyadh 1983, P109-113.

(١٠٥) Geoffrey Bibby: Looking for Dilmun, Penguin Book 4th Edition, Middlesex Englan, 1984, P67-68.

نورة العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١١٨.

(١٠٦) P.Costa: Notes on traditional hydraulics and agriculture in Oman, P275.

(١٠٧) Juris Zarins: The Preliminary report on the third phase of the Comprehensive Archaeological Survey Program, the Central Province. Atlal, Department of Antiquities and Museums of Saudi Arabia, Vol 3, Riyadh 1979, P28.

نورة العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١١٨.

### ٣ - أنظمة توزيع مياه الري:

غير أن توزيع مياه الري في العصور القديمة، كان يخضع لأعراف ونظم محدّدة، تضمن للمزارعين في بلاد العرب حقوقهم في سقي مزروعاتهم. ويبدو أن هذه النظم كانت تختلف من منطقة لأخرى، تبعاً لاختلاف مصادر المياه. وتشير بعض الألفاظ التي وردت في النقوش العربية المكتشفة حديثاً إلى بعض أنواع من هذه الأنظمة. مثل لفظة (م - ح - م - ي - ت) محميت التي تعني سقي الأراضي بالسانية، ولفظة (م - هـ - ض - ر - م) مهضرم التي تعني السقي بالغمر، ولفظة (د - ر - ر) درر التي هي ممارسة حقّ السقاية، وعبارات (ذ - ا - ت - ن / خ - ر - ق - ن) ذاتن خرقن التي هي السقاية الموسمية، وألفاظ (م - ح - ر - ث) محرث، و(ف - ق - ح) فقح، و(ي - هـ - ر - و - ي - ن) يهروين، والتي تدلّ جميعها على أنواع أخرى من أنظمة الري، كانت تستخدم في شبه الجزيرة العربية وغيرها<sup>(١٠٨)</sup>.

وفي حالة المياه الجوفية فإنّ القناة الرئيسية كانت تُقسّم على سطح الأرض، إلى عددٍ من القنوات الفرعية، يتناسب مع عدد المالكين لها، بحيث توزّع المياه فيها وفقاً لنظام يُعرف بنظام الدور أو الوجبة؛ فكان ينال كل مزارع وجبة كاملة، تكون مدّتها من شروق الشمس إلى غروبها، أو من غروبها إلى شروقها، بما يعادل اثنتي عشرة ساعة؛ وهكذا حتى يحصل جميع المالكين على وجباتهم من المياه، ثمّ يبدأ الدور من جديد. وكان يشرف على توزيع مياه القناة موظف مسؤول، يمنع المزارعين من مخالفة الأنظمة والأعراف المتفق عليها، ويحافظ في الوقت عينه على القناة من العبث بها وطمرها، ويقوم بصيانتها عند الضرورة<sup>(١٠٩)</sup>.

---

(١٠٨) أ.ف. بيستون وآخرون: المعجم السبئي، منشورات جامعة صنعاء، دار مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٢ ص ٤٥ و ٦٩ و ٧١ و ١١٩.

Albert Jamme: Sabaeen Inscriptions from Mahram Bilquis (Marib), P251.

(١٠٩) عبد الله نصيف: القنوات والنظام الزراعي في المدينة، العصور، ج ٢، ص ٢٠٧.

J.C.Wilkinson: Water and tribal Settlement in South West Arabia, P100-120.

أما الآبار التي تكون ملكيتها عامة، فإنّ الماء فيها يوزّع على المشتركين، بتحديد فترة زمنية لكل مزارع. وكذلك الحال بالنسبة للعيون والينابيع الطبيعية، فإنّ مياهها توزّع بواسطة قناة رئيسية، تمرّ في وسط الأراضي الزراعية، وتُفتح مخارجها تباعاً، فإذا ارتوت الأرض الأولى أُغلق مخرجها ليُفتح مخرج الأرض التي تأتي بعدها، وهكذا حتى يتمّ ريّ جميع الأراضي الزراعية المجاورة. ثمّ تُوجّه المياه الزائدة في قناة رئيسية أخرى، تقوم بتوزيعها على قسم آخر من الحقول. وكان حكم هذا الماء يختلف عن الماء الذي يأتي من العين، لذا نجد أنّه عند تقاطع قناتين، واحدة تحمل ماء العين والأخرى المياه الزائدة، فلا بدّ من رفع قناة عن الأخرى بقنطرة حتى لا يختلط ماؤهما<sup>(١١٠)</sup>.

وكانت مياه السيول حقاً لجميع المزارعين، ومصدر إرواء، أولاً، للحقول القريبة من مجراها، ثمّ للحقول التي تأتي بعدها، بحيث ينال جميع المالكين الذين تقع أراضيهم على جانبي مجرى السيل حقوقهم من الماء. ويبدو أن حقوق هؤلاء المزارعين في الريّ كانت مصانة، فلم يكن يسمح لأحد أن يدعي ملكية مياه السيول، أو التحكّم بمجراها، أو الاعتداء عليها وتخريبها. كما لم يكن يسمح للمالكين الجدد الذين استصلحوا أراضيهم وزرعوها، أن يسقوا من هذه المياه إلّا بعد أن يتمّ ريّ الأراضي التي كانت مزروعة قبلاً، حتى ولو كانت الأراضي المستصلحة حديثاً تقع في المناطق العالية من الوادي. وإلى جانب ذلك كان على المزارعين أن يستهلكوا من الماء ما يحتاجون إليه، وأن يفتحوا ثغرة في أسوار حقولهم لتصريف المياه إلى الحقول التالية وكانت تُقدّر حاجة الاستهلاك ببلوغ الماء ركبة الرجل، أو كعبيه، أو قدر ذراع، وذلك حتى تغمر المياه الحقل كله، ويُعرف هذا النظام بالمسند باسم: م - ه - ض - ر - م<sup>(١١١)</sup>.

---

F.S.Vidal: The Oasis of al Hasa, The Arabian American Oil Company (١١٠) 135, P135-136.

نورة العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٤٤.

(١١١) بيستون: المعجم السبئي، ص ٣٦ و ٤٠.

وكان ضمان تطبيق هذه الأعراف، يقع على عاتق السلطة المحلية التي تعين ممثلاً عنها لمراقبة سقي المزروعات، بحيث يكون هذا الممثل مسؤولاً عن أية مخالفة، أو إساءة لاستخدام مياه الري، وأن يتمتع بخبرة واسعة في توزيع الماء على الأراضي المزروعة بالعدل والإنصاف، ووفقاً للنسب المقررة عرفاً وقانوناً. وقد ذكر هذا الموظف في بعض النقوش العربية تحت اسم (م - د - ر - ر) أي مراقب الساقية<sup>(١١٢)</sup>، وعُرف في عصر حسن الهمداني باسم «الدائل»<sup>(١١٣)</sup>.

#### ٤ - معاملات المزارعة وتأجير الأراضي:

كان ملاك الأراضي الصغار يعملون مع أسرهم في الزراعة، فيزرعون ما يملكون من حقول لتأمين رزقهم ورزق عيالهم. في حين كان أصحاب رؤوس الأموال، من ملوك وقادة وأقيال ورؤساء قبائل، يقومون بتأجير أملاكهم لفرد أو جماعة، كما كانت الدولة تؤجر أملاكها أيضاً<sup>(١١٤)</sup>، أو تطلب من موظفيها القيام بهذه المهمة. ويكون ريعها لصالح الحكومة، حيث تصرف بعضه في المشاريع العامة كبناء السدود والقنوات والطرق والمعابد...، وتصرف بعضه الآخر على القوات المسلحة كغذاء وعتاد... وعادة كانت الدولة تُعين موظفاً، لمدة سبع سنوات، للإشراف على أملاكها. وقد شكر أحد الموظفين الإله المقه (إله القمر) على ثقة الملك في تعيينه مشرفاً على أراضي الدولة لمدة سبعة أعوام، في كل من مأرب وصنعاء، على حدّ ما سُجِّل في «النقش جام ٦٤٧ / ٢٦ / ٢٩»<sup>(١١٥)</sup>.

(١١٢) المرجع نفسه، ص ٣٦.

(١١٣) الحسن الهمداني: الإكليل، ج ٨، ص ١٢١.

(١١٤) كانت أراضي الدولة كثيرة منها الأراضي التي تملكها بصفتها الحاكمة، والأراضي التي حصلت عليها عن طريق الحروب واستولت عليها بعد هزيمة أصحابها، والأراضي التي صادرتها من أصحابها.

Jamme: Sabaeen Inscription from Mahram Bilqis, P149-150.

(١١٥)



وكذلك كانت أملاك المعابد، التي تحجز باسم الآلهة، والتي يتولّى إدارتها مشرف يُدعى رشو<sup>(١١٦)</sup>، تُؤجّر لمن يزرعها بعقد محدّد الشروط، أو يُجلب لها مزارعون يعملون بأجور معلومة، أو يقوم بزراعتها عبيد المعابد، أو يستمرّ الواهبون في زراعة الأراضي التي منحوها وفقاً للآلهة، أو يمنحها رجال الدين لمن يزرعها مقابل دفع العشور عنها<sup>(١١٧)</sup>. وكان ريع هذه الأملاك يعود لخير الهياكل والقيمين عليها. وقد اكتُشفت نقوش كثيرة تتحدّث عن أملاك دور العبادة وتنظيمها، منها نقش يشير فيه صاحبه إلى قرابين قُدّمت للإله عثر الذي أرحب على جميع أرض عثر ومنحها سقياً متوالياً في موسمي الخريف والربيع<sup>(١١٨)</sup>، ومنها نقش معينيّ سجلّه أحد أفراد قبيلة «ظلومان»، من رعايا اليفع ياسر وابنه حفن ريال، ملكي معين، وقد وهب هذا الفرد وإخوته أملاكاً للإله عثر ذي فيض وود<sup>(١١٩)</sup>.

وكانت الأرض المؤجّرة يُطلق عليها بلغة أهل جنوب شبه الجزيرة اسم «مقبلت»<sup>(١٢٠)</sup>. وتؤجّر، لمدّة زمنية معينة، لمن يقوم بتعهدها وزراعتها مقابل شروط محدّدة. وتُعرف في النصوص القديمة باسم «الوقف» أو «وقفهم»<sup>(١٢١)</sup>. وقد أشار النقش (٦٤٠٤ ر) إلى عقد مزارعة، وُضع بين الدولة، بصفتها مالكة لأرض زراعية، وبين قبيلة سخيم الأرستقراطية التي تولّت زراعة هذه الأرض، وتحملت تبعاتها المالية والقانونية أمام الحكومة. ويبدو أن هذه القبيلة لم تكن تباشر، دائماً، بزراعة الأرض بنفسها، بل كانت في أغلب الأوقات تُسخر العبيد

(١١٦) Ibidem, P193-194.

(١١٧) A.F.I. Beeston: The labakh texts, Qahtan studies in Old South Arabian Epigraphy, Luzac and Co. London 1971, P10-11.

(١١٨) أحمدحسين شرف الدين: اللغة العربية قبل الإسلام، طبعة ثانية، مطابع الفرزدق، الرياض ١٩٨٥، ص١١٢.

(١١٩) يحيى نامي: نقوش عربية جنوبية، المجموعة الثالثة، نقش رقم ١١، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد ٢٠، الجزء الأول، سنة ١٩٥٨، ص٥٧.

(١٢٠) بيستون: المعجم السبئي، ص١٠٢.

(١٢١) A.F.I. Beeston: Warfare in Ancient South Arabia, Qahtan studies in Old South Arabian Epigraphy, Luzac and Co. London 1976, P8.

للقيام بذلك، أو تستأجر العمال لهذه المهمة، أو تؤجرها بدورها إلى مزارع أو أكثر<sup>(١٢٢)</sup>.

غير أن العرب في القديم قد عرفوا أنواعاً عديدة من عقود التأجير والمعاملات الزراعية، منها المحاقلة وهي تأجير الأراضي الزراعية لقاء مبلغ من المال، قد يكون عيناً كثلث الإنتاج أو رבעه، وقد يكون نقداً من الذهب أو الفضة.

ومنها المزارعة وهي تعني أن يسلم المالك أرضه مع البذار مقابل نسبة من الثمر أو المحصول، يدفعها المستأجر عند القطف أو الحصاد. والمخابرة وهي أن يقدم المؤجر أرضه للمزارع الذي يقوم بدوره بتأمين البذار على نفقته، ويدفع، ما اتفق عليه من حصة في نهاية الموسم، للمالك.

ومنها أيضاً المخاضرة وهي أن يبيع المالك ثمار بستانه قبل أن تنضج، كي يتخلص من المخاطر التي قد يتعرض لها الثمر أو المحصول بسبب الجفاف وغيره، أو يتخلص من مشقات جني الغلال وجمعها وحراستها ونقلها وبيعها وتخزينها، وما يحيط بذلك أو يتصل به من معاملات تستلزم كثيراً من الجهد والعناء. وفي كثير من الأحيان كان ينتج عن عقد المخاضرة خلافات ومنازعات بين الأطراف المتعاقدة، بسبب ما قد يصيب الثمر من آفات أو تلف، تعرض المحصول كله أو بعضه للضياع. وهذا ما يدفع المشتري أو الضامن للمطالبة بفسخ العقد واسترجاع ما دفعه من مال لصاحب الأرض.

وكذلك المساقاة وهي أن يعمل شخص على إيصال المياه إلى أرض شخص آخر لقاء نسبة معلومة من الإنتاج. والمحينة وهي الحصاد لقاء أجر. والقسارة وهي الاتفاق على ما تبقى في السنبال من الحب، فأحياناً تكون نصيب الذاري وأحياناً أخرى من نصيب صاحب الزرع<sup>(١٢٣)</sup>.

---

Beeston: The Labakh texts, Qahtan Studies in Old South Arabian Epigraphy, P15.

نورة العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية...، ص ١٤٩.

(١٢٣) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٢١٦ - ٢٢٠. لطفي عبد الوهاب يحيى: العرب في العصور القديمة، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام، طبعة ثانية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٩، ص ٢٩٨ - ٢٩٩.

وكان من بين شروط هذه المعاملات أو العقود، أن يُقدّم المالك على فسخ العقد وإبطال أعمال الإجارة، إذا ما وجد أن المستأجر قد أهمل الأرض أو قام بأعمال تسيء إليها وتضرّ بالإنتاج الذي يكون للمالك نصيب فيه<sup>(١٢٤)</sup>.

وإلى جانب ذلك كانت الدولة تمنح الأراضي لمن يريد استصلاحها وزراعتها، وتسمح له بعد ذلك بامتلاكها بناء على حقي السقاية والإجارة. وقد ذكرت هذه المعاملات في المسند تحت عبارة «م س ت ق ي ن / م ش ر ع ن»<sup>(١٢٥)</sup>.

وتشير بعض النصوص إلى وجود هيئات زراعية لها اختصاصات معينة منها:

- هيئة تهتمّ بالأراضي الزراعية وتمنحها لآجال محدّدة لمن يزرعها مقابل ودیعة نقدية، ومن يُخالف شروط هذه المنحة ويخرّب الأرض يخسر ودیعته، ويبدو أنّ هذه الهيئة قد ساعدت في استصلاح الأراضي وإعمارها، وسمحت للمزارعين بالعمل في حقول لمدد قد تطول أو تقصر وفقاً لرغبتهم، دون أن يترتّب عليهم التزامات مالية غير الوديعة والضرائب المقرّرة من قبل الحكومات ورجال الدين<sup>(١٢٦)</sup>.

- وجمعيات زراعية تتألف عادة من مجالس، تضمّ ثمانية أعضاء، ويرأسها مسؤول، يُنتخب لوقت معلوم. وكانت هذه الجمعيات تختلف من مجتمع لآخر، ففي المجتمعات الزراعية الصغيرة كالقرى والداكر كانت تتميز بقلّة عدد أعضائها، وفي المجتمعات الكبيرة كالمدن، كانت تتميز بكبر عدد أعضائها، وبانضمام كبار ملاك الأراضي بما فيهم الملك إلى مجالسها. أمّا أهدافها فكانت الإشراف على الأراضي الزراعية، وحفظ حقوق المزارعين، وتأمين البذار وغيره، كما كان عليها أن تتحمّل، أمام الدولة، مسؤولية دفع

(١٢٤) جواد علي: المرجع السابق، ص ٢٢١. لطفي يحيى: المرجع السابق، ص ٢٩٩.

(١٢٥) بيستون: المعجم السبئي، ص ١٣٤.

(١٢٦) Albert Jamme: Yemen expedition, Carnegie Museum of Natural history, Special Publication, Pittsburg, 1976, P84.

الضرائب وبدلات الإيجارات، وما يترتب على المزارعين من واجبات<sup>(١٢٧)</sup>. ولا ريب أنَّ هذه الجمعيات قد أشاعت جواً من التعاون بين المزارعين، ونظّمت عملية الحصاد وجمع الثمار في أوقات محدّدة؛ وقد ساعد ذلك في نموّ الزراعة وتطورها في عصور ما قبل الإسلام<sup>(١٢٨)</sup>.

## ٥ - مخاطر الزراعة وضرائبها:

وعلى الرغم من النمو الذي أصاب الزراعة العربية في العصور القديمة، وخاصّة في اليمن، إلّا أنّها كانت تتعرّض، كغيرها، لمخاطر طبيعية وبشرية. ومن المخاطر الطبيعية: الجفاف وانحباس الأمطار لفترات طويلة، وما يتبع ذلك من قحط ويباس المزروعات وتدهور في الإنتاج؛ ومنها تعرّض النبات للآفات الزراعية كالجراد وغيره؛ وقد أشارت النقوش الأثرية إلى هذه المخاطر وما نتج عنها من كوارث أضرت بالمزارعين، فبعض النقوش الجنوبية تتحدّث عن تضرّع الناس للآلهة كي تساعد في تساقط الأمطار في مواسمها، وبعض النقوش الأخرى تذكر بعض الآفات الزراعية التي كانت تفتك بالغلّال، من بينها أسراب الجراد<sup>(١٢٩)</sup>. ومن المخاطر الطبيعية أيضاً الفيضانات التي تسببها السيول المنحدرة من الجبال التي يعجز الفلاحون، في كثير من الأحيان، من السيطرة عليها، كالسيول التي حدثت في اليمن وهدّمت سدّ مأرب وقضت على البساتين المجاورة. وفي جنوب شبه الجزيرة نقوش كثيرة سجّلت بعض الكوارث الطبيعية التي وقعت حينذاك، كما سجّلت تضرّع الأهالي أو شكرهم للآلهة على حماية مزارعهم من فيضانات السيول المدمّرة<sup>(١٣٠)</sup>. أمّا المخاطر البشرية فتتمثّل

---

(١٢٧) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٧، ص ٢٢٣ - ٢٢٤. لطفي عبد الوهاب يحيى: العرب في العصور القديمة، ص ٣٠٠.

(١٢٨) جواد علي: المرجع السابق، ص ٥٣ - ٥٤.

(١٢٩) مطهر الأرياني: في تاريخ اليمن، شرح وتعليق على نقوش لم تنشر، طباعة مصر، القاهرة ١٩٧٣، ص ١٣٤. بيستون: المعجم السبئي، ص ١٠٥.

(١٣٠) الأرياني: المرجع السابق، ص ١٢٦ - ١٢٧.

Jamme: Inscription from Mahram Bilquis, J610/5-6, P107.

بالحروب التي أدت إلى تخريب المزارع وتدمير وسائل الري؛ ذلك أن هدم الآبار وردمها، وتخريب الحقول الزراعية وإحراق الأشجار واقتلاعها، كانت من الوسائل التي يلجأ إليها العدو لإضعاف خصمه. وقد ألحقت المعارك العسكرية أضراراً جسيمة بالقطاع الزراعي في بلاد العرب في عصور ما قبل الإسلام. وقد تحدثت نقوش كثيرة عن هذه الأضرار، فالنقش (جام ١٤/٧٧٥) الذي كتبه ايلشرح يحضب وأخوه، من ملوك سبأ وذي ريدان، يذكر أن قواتهما التي هاجمت نجران، دمرت حوالي ٦٠ ألف قطعة زراعية، وهدمت ٩٧ بئراً. والنقش (جام ٦٢٥) سجل تدمير أراضي زراعية وقنوات ري وآبار تابعة للعدو<sup>(١٣١)</sup>.

وإلى جانب هذه المخاطر كانت السلطات الحاكمة ورجال الدين يفرضون على أصحاب الأراضي الزراعية ومستأجريها ضرائب إلزامية، يعلنونها على الناس بمراسيم ملكية، ويعتنون مندوبين لجمعها يُعرفون باسم أمناء الضرائب. ويبدو أن الدولة كانت تنفق هذه الضرائب على المشاريع العامة، وعلى بيوت الآلهة. وقد أشارت بعض النقوش الأثرية إلى ترميم معبد أو إتمام بناء من الضرائب المقدمة للآلهة؛ كما أشار بعضها الآخر إلى تقديم قرابين وتمائيل من الذهب أو البرونز من عُشر الإنتاج<sup>(١٣٢)</sup>. وهذا يدل على أن الضرائب الزراعية كانت تُدفع نقداً أو عيناً، وأن قيمتها عُشر المحصول، وأن مقدارها يختلف حسب نوع الأراضي وريها، فالأراضي التي تُسقى من مياه الأمطار تدفع ضرائب أقل من الأراضي التي تُسقى من مياه المشاريع كالسدود والقنوات والآبار

---

Jamme: Op.Cit, P128-129. Beeston: Warfare in ancient South Arabia, P40. (١٣١)

(١٣٢) أحمد شرف الدين: اللغة العربية قبل الإسلام، نقش ١٠، ص ١١٣ - ١١٤.

Beeston: The Labakh Texts, Qahtan Studies in Old South Arabian Epigraphy, P17.

أحمد شرف الدين: تاريخ اليمن الثقافي، ص ٤٩. يحيى نامي: نقوش خربة براقش، مجلة كلية الآداب، المجلد ١٦، الجزء الأول، القاهرة ١٩٥٤، النقش (توفيق ٢٠)، ص ٢.

Jamme: Sabaeen Inscription from Mahram Bilquis, J610/9-10-11, P112, 153-154, J650 P5.

وغيرها<sup>(١٣٣)</sup>. ويُخبرنا النقش (الأرياني ٢٥) أنّ أقيال غيمان دفعوا من مزارعهم القياض، التي تُسقى من مياه السيول، عشر الإنتاج إلى الإله المقة. كما يخبرن النقش (الأرياني ٢٠) أنّ أقيال بكيل دفعوا عشر المحصول من الأراضي التابعة لهم والأراضي التي يملكها أفراد القبيلة كضرائب للدولة<sup>(١٣٤)</sup>.

## ٦ - المحاصيل الزراعية:

كانت المحاصيل الزراعية في بلاد العرب، في عصور ما قبل الإسلام، كثيرة ومتنوعة، وذلك تبعاً لتنوّع المناخ والبيئة الطبيعية. وقد ذكر القرآن الكريم عدداً من هذه المحاصيل، وأشارت النقوش العربية التي اكتُشفت في جنوبي شبه الجزيرة وشمالها ووسطها إلى معظمها. ومن أبرز هذه المحاصيل النخيل والأعناب والحبوب.

وتُعدّ شجرة النخيل من أكثر النباتات انتشاراً في بلاد العرب، إذ لا تكاد منطقة من مناطق شبه الجزيرة تخلو منها، وإن كانت كثافتها وجودة ثمرها تختلف من منطقة لأخرى. ويُعتقد أنّ وجودها يعود إلى عصور قديمة حيث أسفرت الدراسات الأثرية في عُمان عن وجودها منذ الألف الثالث قبل الميلاد<sup>(١٣٥)</sup>.

وأشادت كتابات العصر الهلّيني والروماني بأهمية شجرة النخيل وكثرة أعدادها في بلاد العرب وجودة ثمرها. ففي كتابه النباتات أسهب ثيوفراستوس في الحديث عن مزايا نخيل بلاد العرب، وعن طريقة زراعته وتلقيحه وأنواع تموره<sup>(١٣٦)</sup>. وفي مؤلفه يذكر ديودوريس الصقلي أنّ تمور شبه الجزيرة متعددة الألوان، فمنها الأصفر والأحمر والأسود، وأن أشجارها تُزرع في شمال غربي

---

Jamme: Op.cit, J703, P193-194.

(١٣٣)

(١٣٤) مطهر الأرياني: في تاريخ اليمن، ص ١٢٧ - ١٢٨ و ١٣٨.

(١٣٥) T.Berthoud and S.Cleazion: Farming Community of the Oman Penninsula, the Ministry of Information and Culture, Oman, Journal of Oman Studies, 1983, Vol6, Part 2, p245.

Theophrastus: Enquiry into Plants, Bk2, P137-139 and 155.

(١٣٦)

شبه الجزيرة على هيئة جلول مستطيلة تتخللها جداول مياه لريها<sup>(١٣٧)</sup>. أما استرابون فقد تحدّث عن فوائد النخلة وقال إنّها مصدر للخبز والخمر والخل والعسل (الدبس)، كما قال إنّ هناك قصيدة فارسية تذكر ٣٦٠ فائدة للنخلة، ثم عدّد الصناعات التي تعتمد على بعض أجزائها كالسعف وغيرها<sup>(١٣٨)</sup>. وفي كتاب التاريخ الطبيعي أفرد بلينيوس فصلاً عن النخلة وفوائدها<sup>(١٣٩)</sup>. واعتبر صاحب كتاب الطواف أنّ التمر كانت من أهم صادرات بلاد العرب حيث كانت تُنقل من ميناء عمانا (صحار اليوم) إلى الأسواق العالمية<sup>(١٤٠)</sup>. كما كانت تُصدّر من شرقي شبه الجزيرة وخاصّة من ديلمون إلى بلاد الرافدين حيث كانت هذه المادة تحتلّ قوائم واردات بلاد سومر وبابل وآشور وكلدان<sup>(١٤١)</sup>.

وقد شكّلت التمر الغذاء الرئيس لسكان شبه الجزيرة، فكان يتناولها الإنسان العربي مع شيء من حليب النوق، أو شيء من لحم الإبل في مناسبات نادرة، ويصنع من بذوره المدقوقة أقراصاً ويقدمها علفاً للإبل<sup>(١٤٢)</sup>. ويبرز اهتمام العرب بالنخيل في عصور ما قبل الإسلام، من كثرة ورودها في أشعارهم، وذكرها في معظم النقوش التي خلفوها، حتى إنّهم أطلقوا على المزرعة كلها اسم النخيل، فكان يقال نخلهم بدل مزرعتهم<sup>(١٤٣)</sup>.

وفي كتاب «Le Berceau de l'Islam» وردت ملاحظة ذات دلالة يُشير فيها صاحبها إلى أن لفظه «نخل»، وهي مصدر من فعل نَخَلَ يفيد معنى استخلاص الشيء الطيب من غيره من الشوائب، إذن هذه الشجرة هي خلاصة

Diodorus Siculus: Library of History, Bk2, P45. (١٣٧)

Strabo: The Geography of Strabo, bk16, P215. (١٣٨)

Gaius Pliny: Natural History, Bk13, P115. (١٣٩)

The Periplus, chapter 36, P37. (١٤٠)

Bendt Alster: «Dilmun» Bahrain and the Alleged Paradise in Sumerian (١٤١)

Myth and literature in Dilmun, ed. by P.Potts Berlin, Dietrich Reimer Verlag, 1983, P39.

(١٤٢) لطفني يحيى: العرب في العصور القديمة، ص ٣٠٠.

Jamme: Inscription from Mahram Bilqis, J 550/6, P9-10. (١٤٣)

نورة العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٣٤.

الشجر جميعاً؛ كذلك لفظة تمر التي هي نطق آخر للفظ «ثمر»، وكأثما المقصود هو أن الثمر إذا ذكر وحده فلا بد أن يكون ثمر النخيل أولاً وقبل كل شيء، فإذا كان المقصود ثمرأ آخر فلا بد أن يُحدّد نوعه<sup>(١٤٤)</sup>. هذا إلى ما نراه في الرسوم والحفريات التي تركها سكان بلاد العرب في عصور ما قبل الإسلام في مواضع عديدة من آثارهم، والتي يظهر فيها رسم النخلة بشكل ظاهر<sup>(١٤٥)</sup>. وإلى ما أوردته كتاب المسلمين عن النخل وأنواع التمور، فقد ذكر الحسن الهمداني أنواع التمر التالية: الصفري، السري، اللصف، الفحاحيل، المحيني، الجعادي، الشماريخ، البياض، السواد، البري، العسب، المدبس<sup>(١٤٦)</sup>.

ومما تجدر الإشارة إليه أن القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على رسوله محمد ﷺ في مكة والمدينة المنورة، قد ذكر أشجار النخيل والأعناب في آيات كثيرة، وأعطاهما المكانة الأولى بين النباتات الأخرى التي أشار إليها، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا مَخْرُجًا مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْوَعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١٤٧)</sup>.

ويبدو أن زراعة الكرم كالنخيل تعود إلى عهود قديمة، وقد ظهرت أشجارها بشكل واسع، مثل أشجار النخيل، في زخارف سكان شبه الجزيرة العربية، وخاصة في دولة الأنباط وبلاد اليمن<sup>(١٤٨)</sup>، ونالت شهرة واهتماماً

(١٤٤) Henri Lammens: Le Berceau de l'Islam, Rome 1914, P85.

(١٤٥) لطفي يحيى: العرب في العصور القديمة...، باب الملاحق ص٤٤١، نقش رقم ٢٠.

Jamme: Inscription from Mahram Bilquis, P9-10.

(١٤٦) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص٣٠٦ - ٣٦١.

(١٤٧) قرآن كريم، سورة الأنعام آية ٩٩، وذكرت هذه الأشجار في سورة البقرة آية ٢٦٦، وسورة الإسراء آية ٩١، وسورة النحل آية ٦٧. وورد اللفظ أيضاً في سور: مريم، الكهف، طه، الشعراء، ق، القمر، الرحمن، الحاقة، الرعد، المؤمنون، يس، آيات: ٢٣، ٢٥، ٣٢، ٧١، ١٤٨، ١٠، ٢٠، ١١ و٦٨، ٧، ٤، ١٩، ٣٤ على التوالي.

(١٤٨) Western Arabia and the Red Sea, P493. Nelson Glueck: The Other Side of Jordan, American School of Oriental Research, New Haven, 1940, P175, 178.



كبيرين، نظراً لكونها فاكهة طيبة الطعم، ومصدراً لصناعة الخمر في اليمن وقرية آثافت وجبل حكر ونجران وحوار<sup>(١٤٩)</sup>. وتُشير بعض النصوص العربية الجنوبية إلى المعاملات التي تتعلّق بزراعة الكروم، وبتجفيف الأعناب زيباً. ومن بين هذه النصوص نصٌّ يُشير إلى توزيع أبرهة الحبشي لحصص من الزبيب على العمال، بمناسبة إسهامهم في ترميم سد مأرب<sup>(١٥٠)</sup>. وأسهب الشعراء الجاهليون في وصف الكرمة والخمرة معاً، وأشاد الأعشى الكبير بأعناب آثافت، إحدى مدن نجران، وقت قطافها وعصرها حيث قال:

أحب آثافت يوم القطاف ف ووقت عصارة أعنابها<sup>(١٥١)</sup>

وعدّد الهمداني أنواع العنب، فذكر: الأحمر والأبيض، والجرشي والملاحى والزبادي والتبوكي والتربي والرمادي<sup>(١٥٢)</sup>.

وذكرت الكتب الإغريقية والرومانية الزيتون كأحد محاصيل بلاد العرب، واشتهرت به بلاد الأنباط والبحرين وتدمر وسوريا وفلسطين، ويُعتبر مصدراً رئيساً للزيت قديماً وحديثاً<sup>(١٥٣)</sup>. وتُعدّ شجرته، مع شجرة التين، مباركة، إذ باركها الله سبحانه وتعالى، وجعل زيتها صافياً، لا يؤثر عليه حرّ ولا برد، ويكاد يضيء ولو لم تمسسه نار، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْكَوٍ فِيهَا مَصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ

(١٤٩) بيستون: المعجم السبئي، ص ١٧.

(١٥٠) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٧٣. لطفي يحيى: العرب في العصور القديمة، ص ٣٠٣.

(١٥١) ولمزيد من الاطلاع يمكن الرجوع إلى الأب لويس شيخو اليسوعي: مختارات من مجاني الأدب في حقائق العرب، الجزء الأول: العصر الجاهلي، تبويب وشرح وتحقيق فؤاد أفرام البستاني، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٦٠.

(١٥٢) الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٩٧ و ٣٥٤. والإكليل، ج ٨، ص ١١٩.

(١٥٣) Strabo: Geography, Bk16, P343. Pliny: Natural history, Bk13, P115 Philp Hammond: The Nabataean, their History Culture and Archaeology, Sweden, Paul Astroms Forlag, Gothenburg 1973, P73.

تَمَسَّهُ نَارٌ تُورُّ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ  
يَكُلُّ شَيْءٌ عَلَيْهِ ﴿٢٥﴾ (١٥٤).

وفي سورة أخرى يقسم الله تبارك وتعالى بالتين والزيتون قسماً جازماً بأنه  
سبحانه خلق الإنسان في أحسن تقويم. . . ويُعطي، عزّ وعلا، للسورة اسم  
شجرة التين، وما ذلك إلا ليوجه فكر الإنسان وبصره إلى هاتين الشجرتين  
ومكانتهما عند الله تعالى، وما فيهما من فوائد ومنافع للناس. يقول الله سبحانه:  
﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾ ① ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ ② ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ ③ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ  
تَقْوِيمٍ﴾ ④ (١٥٥).

وتعيش شجرة التين في البراري، وتُزرع في البساتين والقرى، وقد  
اشتهرت بزراعته المرتفعات الغربية، والجبل الأخضر في عُمان، وفي نجد  
والبحرين، وشمالى شبه الجزيرة وسوريا ولبنان وفلسطين. . . ويؤكل طرياً  
ومجففاً يابساً (١٥٦).

وتشير النقوش العربية إلى وجود نبتة القطن في بلاد العرب (١٥٧). كما  
تتحدث المصادر القديمة عن وجود القطن في شبه الجزيرة العربية، حيث كان  
ينمو برياً في مرتفعات ظفار وفي جزيرة البحرين، وكان يشكل أحد صادرات  
شبه الجزيرة إلى الخارج (١٥٨). وكان يُزرع في بلاد العرب الكتان، وهو مصدر

(١٥٤) قرآن كريم، سورة النور، آية ٣٥.

(١٥٥) قرآن كريم، سورة التين، الآيات ١ - ٤.

(١٥٦) يوسف الغنيم: جزيرة العرب في كتاب المسالك والممالك لأبي عبد الله البكري، ص ١٢١.

Pliny: Natural history, Bk12, P29. Glueck: The other side of Jordan, P182.

(١٥٧) محمود الروسان: القبائل الثمودية والصفوية، دراسة مقارنة، عمادة شؤون المكتبات، جامعة  
الملك سعود، الرياض ١٤٠٧هـ، ص ١٤١. يوسف الغنيم: الجزيرة العربية في كتاب المسالك  
والممالك للبكري، ص ١٢١. حسن صالح شهاب: أضواء على تاريخ اليمن البحري، دار  
العودة، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨١، ص ١٥٥ - ١٥٦.

Theophrastus: Enquiry into plants, bk4, P343. Pliny: Natural history, (١٥٨)  
Bk12, P27. Western Arabia and the Red Sea, P595. The Periplus of the  
Erythean Sea, P71.

هام للزيت ولخيوط النسيج والألبسة. وقد عُثر على آثار حبوبه في فخار جنوب شبه الجزيرة العربية الذي يُعتبر المصدر الرئيس له، ومن هناك صُدّر إلى أسواق مصر (١٥٩).

وتأتي الحبوب في الدرجة الثانية بعد التمور كمصدر للغذاء في بلاد العرب في عصور ما قبل الإسلام. ويحتل القمح المرتبة الأولى بينها، ويُزرع في بطون الأودية وواحاتها، وزراعته تستمر طوال العام، فهو يُزرع شتاء في الأقسام الشمالية والوسطى من شبه الجزيرة العربية، ويُزرع صيفاً في الأقسام الجنوبية منها، حسب اختلاف تساقط الأمطار (١٦٠).

وكانت البلاد العربية تنتج كمية كبيرة من القمح، وتُعرف في القديم بإهراءات روما؛ أما ما يرد إليها من الخارج، فهو عبارة عن هدايا كان يتودّد بها الرومان لملوك حُمير للسماح لهم بارتياح الموانئ العربية والمتاجرة فيها، على حدّ ما جاء في كتاب الطواف (١٦١). ولزراعة القمح كانت الأراضي تُحرث وتُنكش مرتين، سواء الأراضي البعلية أو الأراضي المروية، ويُحصّد المحصول في نهاية الموسم باقتلاع السنابل من جذورها، أو بقطعها بالمنجل المعدني، ثم يُداس ليُفصل الحبّ عن القش، إمّا بواسطة المزارعين أنفسهم، وإمّا باستخدام الحيوانات التي تجرّ حجراً من خلفها على البيادر التي تكون عادة مبلّطة بأحجار الغرانيت، وبعدها يُذرى باليد أو المذراة أو باستعمال سلال مخصصة لذلك، يُحرّكها الفلاح في الهواء، ثم تجمع الحبوب وتخزن في مخازن خاصّة داخل البيوت ويُطحن قسم منها. أما القش الذي يُسمّى تبناً فيستخدم علفاً للحيوانات (١٦٢).

---

(١٥٩) نورة العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية...، ص ١٣٨ - ١٣٩.

(١٦٠) Western Arabia and the Red Sea, P483-484.

(١٦١) The Periplus, Chapter 17, P31.

(١٦٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٥٣.

Western Arabia and the Red Sea, P481. Kamal Abdulfattah: Mountain Former and Fellah in Asir, South West Saudi Arabia, Erlanger Geographische Arbeiten, Erlangen 1981, P50.

وتذكر النقوش العربية الجنوبية أن الذرة انتقلت من شرقي أفريقيا إلى شبه الجزيرة العربية منذ عهد مبكر، ومنها انتقلت إلى الهند عن طريق عُمان؛ وقد ظهرت في بلاد العرب منذ الألف الثالث قبل الميلاد. وتُزرع الذرة في الأراضي البعلية، وفي الأراضي المروية، وتنتج أكثر من محصول في العام الواحد، ويتم جمع المحصول ويُداس ويُذرى كالكمح. وذكر الهمداني أن الذرة كانت تُخزن في مدافن تحت الأرض حتى أن بعضها يسع خمسة آلاف قمبيز، وكانت الذرة تُطحن ويصنع منها الخبز، وتُقدّم أوراقها وأغصانها علفاً للماشية<sup>(١٦٣)</sup>.

وعُرف الشعير في بلاد العرب منذ زمن قديم، وتحديدًا منذ الألف الثالث قبل الميلاد في عُمان، والألف الأول قبل الميلاد في جنوب شبه الجزيرة، وهو يُطحن ويُصنع منه خبز أكثر الأعراب وخاصة الأمراء منهم. ويُقدّم القش والحب علفاً للحيوانات. والشعير أنواع منه: الشعير العربي وهو أبيض وحبّه كبير، والشعير الحبشي وهو أسود الحب<sup>(١٦٤)</sup>.

وكان العرب يزرعون الدخن، وهي حبوب تشبه الذرة إلا أنها أصغر منها، وزراعتها لا تحتاج إلى عناية كبيرة، لذا كان الفلاحون يشنون بذورها في الأراضي البعلية، وبخاصة في القيعان والسهول الرملية، وتنبت خلال ثلاثة أشهر، وتُحصد وتُداس وتُذرى كالكمح، ويُصنع من دقيقها الخبز الذي يعتبر مصدراً هاماً لغذاء البدو، كما يقدم الدخن علفاً للحيوانات<sup>(١٦٥)</sup>.

ومن الحبوب الطهف وهو أشبه ما يكون بالدخن، وله حبة حمراء ودقيقة

---

(١٦٣) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢١٥ و ٢٦٠. يستون: المعجم السبئي، ص ٤٩. العقيلي: المخلاف السلمي، ج ١، ص ٤٤.

Western Arabia and the Red Sea, P480. Abdul Fattah: Mountain Farmer and Fellah in Asir, P46.

(١٦٤) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة: المخصص، الجزء ١١، طبعة مصر ١٣١٦هـ، ص ٦١. نورة العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٣٨. لطفي يحيى: العرب في العصور القديمة، ص ٣٠٣. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ٢٥٩.

Western Arabia and the Red Sea, P480. Abdul Fattah: Mountain Farmer and Fellah in Asir, P49.

تشبه حبة الذرة؛ وينمو الطهف طبيعياً، ويزرع في الشعاب والجبال وفي الجرد التي تمتلئ بمياه الأمطار، ولا يحتاج إلى عناية كبيرة، ولا إلى فترة كبيرة لينضج، بل ينمو بسرعة كالدخن، ويُصنع من حبوبه الخبز، كما يُقدّم علفاً للماشية<sup>(١٦٦)</sup>.

ومن نباتات شبه الجزيرة العربية السمس الذي يُزرع في اليمن كالحبوب، ويستخرج من حبوبه الزيت بعد عصرها إذ أنّ الحبة الواحدة منه تُعطي نصف وزنها زيتاً. وقد عُثر على بقايا معاصر السمس في جنوب شبه الجزيرة، ممّا يدلّ على انتشار هذه الصناعة هناك. وكان زيت السمس يدخل في غذاء الإنسان العربي وفي صناعة أدويته<sup>(١٦٧)</sup>.

ومن الحبوب التي تزرع في بلاد العرب أيضاً الفول والحمص والعدس والبيقة والكرسنة والشوفان والكمون الذي يُعطي زيتاً وهو من التوابل. ومن محاصيله كذلك قصب السكر الذي تحدّث عنه بلينوس فقال إنّه يسيل منه سائل أبيض غليظ كاللبان ويلتصق باللسان<sup>(١٦٨)</sup>. والرمان والموز والخوخ والسفرجل والإجاص والتفاح، واللوز والجوز وهما من الأشجار التي تنمو برياً، وأخشابهما صلبة كانت تُستخدم في البناء<sup>(١٦٩)</sup>. وذكرت بعض المصادر أن الزنجبيل كان من منتجات شبه الجزيرة، وقال بلينوس أنّ له مزارع خاصّة. ومن خصائصه سرعة التسوس<sup>(١٧٠)</sup>.

ومن المفيد أن نشير إلى بعض مناطق الإنتاج الزراعي في بلاد العرب في عصور ما قبل الإسلام.

---

Western Arabia and the Red Sea, P482-483.

(١٦٦)

نورة العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٣٨.

Western Arabia and the Red Sea, P595. Abdul Fattah: Mountain farmer and fellah in Asir, P51.

Pliny: Natural history, Bk12, P23.

(١٦٨)

(١٦٩) الهمداني: الإكليل، ج ٨، ص ١١٩. وصفة جزيرة العرب، ص ٣٥٦. عرام: أسماء جبال يهامة وسكانها ص ٤٧ و ٦٤.

Pliny: Natural history, Bk12, P21.

(١٧٠)

وتُعدّ اليمن قديماً، من أكثر مناطق شبه الجزيرة العربية تحضراً، وقد دعاها جغرافيو العرب باليمن الخضراء، وفيها يقول الكلاعي:

هي الخضراء فاسأل عن رباها      يخبرك اليقين المخبرونا  
ويمطرها المهيمن في زمان      به كل البرية يظمؤنا  
وفي أجبالها عزّ عزيز      يظلّ له الوري متقاصرنا<sup>(١٧١)</sup>

وأطلق عليها اليونان اسم بلاد العرب السعيدة (Arabia Felix)، وذلك لكثرة خيراتها ومزارعها وأشجارها ونخيلها وأثمارها ومياهها. ويقول هيرودوت إنّها تزفر أريجاً عطرياً، لأنّها البلاد الوحيدة التي تنتج البخور والمرّ والقصية..<sup>(١٧٢)</sup>. وذكر ابن الفقيه أنّ في «اليمن من أنواع الخصب وغرائب الثمر وطرائف الشجر ما يستصغر ما ينبت في بلاد الأكاسرة والقياصرة»<sup>(١٧٣)</sup>.

وكانت الزراعة في اليمن تعتمد على الأمطار، وخصوصاً الأمطار الموسمية التي كانت توفّر للفلاحين الماء الكافي، لسقي البساتين وزراعة الحبوب: كالبر (القمح) والشعير والذرة، التي توسّعت زراعتها عقب انهيار سدّ مأرب<sup>(١٧٤)</sup>، كما تعتمد على مياه الريّ التي كانت توفّرها السدود والأحواض. وكان النخيل يكثر في مناطق نجران ووادي الجنات ومأرب. وكان أكثر تمر صنعاء يأتي من مخلاف مأرب، وبها جنس يُقال له الرئيس. وزُرعت كروم العنب على اختلاف أنواعه على السفوح المدرّجة وفي مخاليف صنعاء ووادي الجنات والأماكن الأخرى التي تتوفّر فيها المياه<sup>(١٧٥)</sup>. وكان أهل اليمن يكثر من زراعة الكروم، بدليل وروده في كثير من نصوص المسند، وفيها أنّ أصحابها غرسوا كروماً في مناطق معيّنة..، وحفروا صور أغصان العنب

---

(١٧١) محمود شكري الآلوسي: بلوغ الأرب، باعتناء محمد بهجت الأثري، دار الكتاب العربي، مصر ١٣٤٢هـ، ص ٢٠٣.

(١٧٢) جاكليين بيرين: اكتشاف جزيرة العرب، ترجمة قدرى قلعي، بيروت ١٩٦٣، ص ٣٢٨.

(١٧٣) ابن الفقيه: كتاب البلدان، ص ٩٢.

(١٧٤) ي. أ. بليانيف: العرب والإسلام والخلافة العربية في القرون الوسطى، ص ٩٢.

(١٧٥) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٧٦ و ١٠٢ و ١٩٦.

وعناقيده في الأحجار، وعلى ألواح الجبس والأخشاب للزخرف والزينة<sup>(١٧٦)</sup>.  
وعنب اليمـن أجناس وألوان وأحجام، وقد نُسب بعضها إلى أماكن زراعتها،  
فمنها: العنب الجرشي وهو منسوب إلى مدينة جرش في اليمـن، والعنب  
الكلافي وهو منسوب إلى مدينة كلاف في شق اليمـن<sup>(١٧٧)</sup>.

ومن أشجار اليمـن المثمرة أيضاً: الرّمان والتفاح والإجاص والخوخ  
والجوز واللوز... وغيرها، ومن خضرها: القثاء والخيار والبصل والثوم،  
وبعض أنواع البقول: كالعدس والحمص والفل، وأعلاف الحيوانات وما  
شابهها<sup>(١٧٨)</sup>.

ونستنتج ممّا ذكره جغرافيو العرب من كثرة القرى والغلال، أنّ الزراعة  
في حضرموت كانت تتركز في واحات الوادي الكبير، والشعاب المتفرّعة عنه.  
وكان الناس يزرعون، في هذه الأودية التي تكثُر في قيعانها آبار الماء، النخيل  
والبُرّ والذرة، ويستخدمون في أعمال الفلاحة الأدوات الحديدية والحيوانات في  
الحراثة، وذلك على شاكلة جيرانهم اليمـنيين<sup>(١٧٩)</sup>. واشتهرت حضرموت وظفار  
بإنتاج اللّبان الذي كانت مصر الفرعونية تستخدمه مع اللّبان اليمـني والصومالي،  
كالبخور في المعابد، وفي تحنيط جثث الموتى. كما اشتهرت بشجرة المرّ التي  
كانت تزرع في الجبال ولها بساتين على سواني<sup>(١٨٠)</sup>.

وفي عُـمان كانت تكثُر المياه الجوفية التي تظهر، في كثير من الأحيان،  
على سطح الأرض، أو تُستثمر بواسطة الآبار؛ وقد ساعد ذلك على انتشار  
الواحات العامرة بحقول الفاكهة وبساتين الرّمان والموز وغيرها. والتي كانت

---

(١٧٦) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ٢٦٣.

(١٧٧) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٩٦. جواد علي: المرجع السابق، ص ٢٦٣.

(١٧٨) الهمداني: المصدر السابق، ص ١٠٥.

(١٧٩) الهمداني: المصدر السابق، ص ٨٦.

(١٨٠) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٦٠. دائرة المعارف الإسلامية، ج ١٥، ص ٤٢٤.  
أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٩٣.

عامرة أيضاً بحقول الحبوب في سهل الباطنة الساحلي، وفي واحات السفوح، وفي بعض الأودية الخصبة التي تخترق نجد وعُمان<sup>(١٨١)</sup>.

وكانت اليمامة غزيرة المياه، وذات عيون وآبار، ومزارع ومراع. ومن أوديتها: العِرض أو وادي حنيفة الذي يبتدىء من غرب جبل طويق، ويتجه شرقاً نحو الخليج العربي، وهو وإد هام تكثر فيه المياه الجوفية، وتسيل فيه مياه الأمطار عند هطولها<sup>(١٨٢)</sup>. وكان بنو حنيفة قد سكنوا اليمامة قبل ظهور الإسلام بنحو قرنين من الزمان، وقد ازدهرت مدينة حَجْر في عهدهم، واتخذها العرب سوقاً من أسواقهم، يفدون إليها من الأقاليم المختلفة للبيع والشراء<sup>(١٨٣)</sup>. وفي كتب التاريخ والجغرافية عند العرب القدماء، ذُكرت اليمامة بأنها كانت من أخصب البلاد أرضاً، ومن أكثرها مياهاً وزرعاً ونخلاً. أما محاصيلها فكانت الحبوب والنخيل والأثمار، وقد اعتمد عليها المكيون قديماً للحصول على ما يحتاجون إليه من حبوب<sup>(١٨٤)</sup>. وقال أهل اليمامة: «لا أطيب طعاماً من حنطتنا (قمحنا)، ولا أشد حلاوة من تمرنا، ولا أطيب مضغة من لحمنا، ولا أعذب من مائتنا...»<sup>(١٨٥)</sup>.

وكان للواحات دور مهم في اقتصاد شبه الجزيرة العربية، لا يقل شأناً عن دور المناطق الزراعية الواسعة، بل إن دور الأولى متمم لدور الثانية منهما. والواحات مناطق واسعة خصبة تشمل حقولاً صالحة للزراعة، وبساتين فاكهة، وأجمات نخيل، يرويهها جميعها ينبوع ماء لا ينضب معينه. وتنتشر الواحات في عسير والحجاز وأواسط نجد والنفود الكبرى وجبل طيء (شمر) ووادي الدواسر والأحساء، وفيها قرى كبيرة وصغيرة ونخل وزروع، وأسواق تجارية

---

(١٨١) الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٨٦. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ١٦٢.

(١٨٢) جواد علي: المفصل...، ج ١، ص ١٦٢.

(١٨٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٢١ - ٢٢٢ وج ٤ ص ١٠٢ - ١٠٣. ابن منظور: لسان العرب، ج ٥، ص ٢٤٢.

(١٨٤) الحموي: المصدر السابق، ج ٥، ص ٤٤٢. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٢٠٣. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٣٩ - ١٤٠. ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر...، ج ٢، ص ٤٤. جواد علي: المفصل، ج ٦، ص ٦٩٤.

(١٨٥) ابن الفقيه: كتاب البلدان، ص ٨٧.



ومعابد للآلهة، ومراكز تموين لاستراحة القوافل التجارية التي تمرّ بجانبها. وكان يقطن الواحات قبائل متحضّرة، اعتمدت الزراعة كمورد رئيس في حياتها. وقد تحوّلت بعض هذه الواحات إلى مدن ومراكز حضرية كبرى كيثرب (المدينة المنورة) والطائف ودومة الجندل وغيرها<sup>(١٨٦)</sup>.

أمّا يثرب التي كانت تمتلك إمكانيات طبيعية هائلة، فهي تمتاز بكثرة مياهها السطحية والجوفية، وبتربتها البركانية الخصبة، وبمناخها المعتدل نسبياً، وكانت أوديتها تفيض بالمياه فتروي أرضها. وكان الفلاحون يسقون نخيلهم وزروعهم من هذه المياه، فيقتسمون المياه فيما بينهم<sup>(١٨٧)</sup>. وفي الأوقات التي تشخّ فيها الأودية أو تجفّ، وفي الأماكن التي لم تكن تصل إليها، كان الناس يستخدمون مياه الآبار في إرواء مزروعاتهم؛ وقد أشار ياقوت الحموي إلى ذلك بقوله: «نخيل المدينة وزرعها تُسقى من الآبار عليها العبيد»<sup>(١٨٨)</sup>. وكان المزارعون يستخدمون الجمال والثيران والحمير في متح الماء بالدلاء من الآبار الكبيرة الواسعة لريّ البساتين والحقول. ويعمل الفلاحين الدؤوب، ونشاطهم الجثم، وخبراتهم المتراكمة مع الزمن تحوّلت يثرب إلى واحة كبرى عامرة بأجمات النخيل، وبساتين الفواكه والخضروات وحقول الحبوب<sup>(١٨٩)</sup>. وقد أطلق عروة بن الورد في شعره على منطقة يثرب اسم «منبت النخل»:

فإنّكم لن تبلغوا كلّ همّتي ولا أربي حتى تروا منبت النخل<sup>(١٩٠)</sup>

وقال حسان بن ثابت في وصف هذه البيئة:

غرسوا لينها (نخلها) بمجرى معين ثمّ حصّئوا الفسيل بالآطام  
بيثرب قد شيّدوا في النخيل حصوناً ودُجّن فيها النّعم

(١٨٦) بليانيف: العرب والإسلام. ص ٩٦ - ٩٧.

(١٨٧) صحيح البخاري بشرح الكرمانى الجزء الأول، المطبعة البهية المصرية، القاهرة ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م، ص ١٧٥ - ١٧٧. أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص ٣٥٦.

(١٨٨) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٨٢.

(١٨٩) الحموي: المصدر السابق. أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي: كتاب البلدان، مطبعة بريل - ليدن ١٨٩١، ص ٣١٣.

(١٩٠) ديوان عروة بن الورد، شرح ابن السكيت، تحقيق عبد المعين ملوحي، دمشق، ١٩٦٦، ص ١١٤.

وفيما اشتهوا من عصير القطاف وعيش رضيٍّ على غير همٍّ (١٩١)  
 وكانت أوسع أراضي المدينة وأخصبها وأكثرها غلة بأيدي أثرياء القبائل  
 ووجهائها من يهود وعرب. فقد روى بعض المؤرخين أن الحبر اليهودي  
 مخيريق كان غنياً كثير الأموال من النخل، وكان له سبعة بساتين (١٩٢). أما  
 محاصيل المدينة وضواحيها فقد كانت من النخيل، والحبوب كالحنطة (القمح)  
 والشعير، والعنب والزمان والموز والليمون والبطيخ، والبقول، والخضر كالقرع  
 واللوبياء والسلق والبصل والثوم والقثاء. وكان النخيل أهم مزروعات المدينة،  
 وعليه يعتمد أهلها بالدرجة الأولى. وقد اكتسب مزارعوها خبرة بفنون زراعته،  
 وتحديد المسافة بين فسيلة وأخرى، وشروط التباعد بين غرسه وامتداد جريده،  
 ورعايته والمحافظة عليه. ووقايته من الآفات الطبيعية بتغطية عروقه وحراسته  
 والدفاع عنه (١٩٣). كما اكتسبوا خبرة في التمييز بين أنواع التمور الجيدة والأقل  
 جودة، وقالوا إن أجود تمر المدينة: الصيحاني، والعجوة، والجنيب، واللوز  
 وهو أصفر شديد الصفرة تُرى النواة من اللحم.

وكان هؤلاء المزارعون خاصة، وسكان المدينة عامة، يصنعون من جذوع  
 النخل أعمدة لبيوتهم، وحمالات لسقوفهم، ويبنون من جريدها سقوفاً  
 لمنازلهم، ويعملون من خوصها مكاتل وقففاً، ويرضخون الثوى بالمراضخ حتى  
 يتكسر فيكون علفاً لإبلهم. وكانوا يعتمدون على التمور، فجّل طعامهم من  
 التمر، وبه يتعاملون فمنه تُدفع الأجور وتُسدد الديون (١٩٤).

(١٩١) ديوان حسان بن ثابت، تحقيق الدكتور سيّد حنفي حسنين، القاهرة ١٩٧٤، ص ١٣٧ و ١٣٨.  
 (١٩٢) أبو محمد عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة  
 الحلبي، القاهرة ١٩٣٦ ص ٢٠. نور الدين علي بن جمال الدين أبو المحاسن عبد الله  
 شهاب الدين السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ج ٢ مطبعة الآداب والمؤيد،  
 القاهرة ١٣٢٦ هـ. ص ١٥٢ - ١٥٣.

(١٩٣) اليعقوبي: كتاب البلدان، ص ٣١٣. ابن سيّدة: المخصص، ج ١١، ص ١٠٢ و ١٣٥. أحمد  
 إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص ٣٥٨.  
 (١٩٤) الشيخ عبد الحي الكتاني: نظام الحكومة النبوية المسمّى التراتيب الإدارية، الجزء الأول، دار  
 الكتاب العربي، بيروت، لا تاريخ، ص ٤٠٠ - ٤٠٣. صحيح البخاري بشرح الكرماني، ج ٣،  
 ص ٦٣ و ٧٠ و ٧١ و ١٣٧. السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ٢، ص ١٥٥.  
 أحمد الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص ٣٥٧.

ويبدو أن يهود المدينة كانوا يملكون معظم مزارع النخيل، ويتاجرون بثمره مع حبوب الشعير ودقيقه في أسواق المدينة ولا سيما سوق بني قينقاع<sup>(١٩٥)</sup>. وكان وادي العقيق الذي هو عبارة عن مجموعة أودية شقَّتْها السيول، أخصب أودية المدينة وبطاحها، ففيه كانت تُحفر الآبار التي لا تزال آثار بعضها بادية إلى العيان، وبه تتدفق مياه العيون، وتمتدّ مزارع النخيل، وتقوم المصايف والمنتزهات التي تحجبها الأشجار الخضراء<sup>(١٩٦)</sup>.

وإلى الشمال من يثرب، على طريق القوافل ما بين المدينة والشام، تقع واحة خيبر التي اشتهرت بكثرة أوديتها وغزارة مياهها، وبخصب تربتها البركانية، وبوفرة مزارعها ونخيلها. وكان سكانها يعتمدون على وسائل الريّ المعروفة لديهم لإرواء بساتينهم ومحاصيلهم من النخيل وحبوب القمح الوافر الإنتاج<sup>(١٩٧)</sup>.

وكانت واحات، وادي القرى الذي كان محطة مهمّة من محطات القوافل التجارية بين بلاد الشام واليمن، وافرة المياه، تسكنها قبائل غنيّة من اليهود، وقد مارست الزراعة المروية، وأقامت حول مواضع المياه مستوطنات وقرى عديدة، عاشت على ثمر النخيل وإنتاج الحبوب من الحبوب والبقول وغيرها<sup>(١٩٨)</sup>.

ولم تقلّ مدينة الطائف أهميّة عن غيرها من واحات شبه الجزيرة العربية، بلطفة جوّها في الصيف، وبغزارة مياهها، وبغنى وخصوبة تربتها، وبإنتاجها الزراعي الوافر. فكان يعتبرها البعض المدينة الثانية في الحجاز بعد مكّة من حيث الأهمية الاقتصادية، واسمها كان يقترن عادة مع اسم مكّة، فيقال مكّة من

---

(١٩٥) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ٢٥٩.

(١٩٦) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٣٨ - ١٣٩. المسعودي: المصدر السابق، ص ٢١٠. محمد بن محمود النجار: أخبار مدينة الرسول، الدرة الثمينة، تحقيق صالح محمد جمال، القاهرة ١٩٤٧، ص ٣١.

(١٩٧) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٠٩، دائرة المعارف الإسلامية، ج ٩، ص ٥٤.

(١٩٨) الحموي: المصدر السابق، ص ٤٠٩ - ٤١٠.

الطائف، والطائف من مكة، وكانتا تسميان بالقريتين<sup>(١٩٩)</sup>. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾<sup>(٢٠٠)</sup>.

أما سكانها فكانوا من قبائل: ثقيف وحمير وهوازن وهذيل والأوس والخزرج ومزينة وجهينة وقريش ويهود. وقد مارست هذه العناصر حرفة الزراعة، وأنشأت القرى والمزارع والبساتين، وأحاطت الطائف بحصن حصين لحماية نفسها وممتلكاتها من الطامعين والغزاة. وكانت الطائف محلّتين على جانبي وادي وجّ، وحول بيوت هاتين المحلتين، وعلى سفوح جبل غزوان، كانت تنتشر مزارع الكروم والبساتين على اختلافها، وتمتدّ إلى نحو ٣ أو ٤ كيلومترات من مركز العمران فيها<sup>(٢٠١)</sup>.

وتُعتبر الحنطة الإنتاج الزراعي الأول في الطائف، وعليه كانت تعتمد حواضر الحجاز وخاصة مكة. فكانت القوافل من السراة والطائف تحمل الحنطة والحبوب والسمن والعسل إلى أمّ القرى<sup>(٢٠٢)</sup>. في حين كان العنب ثروة الطائف الاقتصادية، وكان إنتاجها من الكثرة بحيث يذكرون أن سليمان بن عبد الملك، قد مرّ بالطائف في طريق عودته من إداء فريضة الحج، فرأى بياذر الزبيب فقال: «ما هذه الحرة؟ قالوا: ليست حرة ولكنّها بياذر الزبيب»<sup>(٢٠٣)</sup>.

وذكر المقدسي أنّ في أكناف الطائف كروماً على جوانب جبلها «فيها من العنب العذب ما لا يوجد مثله في بلد من البلدان، وأمّا زبيبها فيضرب بحسنه

---

Henri Lammens: La cité Arabe de Taïf à la veille de l'Hegire, Beyrouth (١٩٩) 1922, P12.

عبد العزيز سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٩، ص ٣٧٤.

(٢٠٠) قرآن كريم، سورة الزخرف، آية ٣١.

(٢٠١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٩ - ١١.

(٢٠٢) أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، بيروت ١٩٦٤، ص ١٩٣.

نسب البدو إلى أهل الطائف الكياسة والدهاء، لاعتيادهم العيش على الحنطة، فغدا هذا مضرب الأمثال. دائرة المعارف الإسلامية، ج ١٥، ص ٥٥.

(٢٠٣) ابن الفقيه: كتاب البلدان، ص ٧٩.

المثل»<sup>(٢٠٤)</sup> ومن أشهر هذه الكروم: كرم عمرو بن العاص الذي غرس فيه ألف ألف عود على ألف ألف خشبة ابتاع كل خشبة بدرهم، ووادي لية الذي قال فيه خفاف بن ندية:

سرت كلّ وادٍ دون رهوةٍ دافع      وجلدان أو كرم بليّة محقق<sup>(٢٠٥)</sup>

وكروم عباس بن عبد المطلب، وأبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية، وعتبة بن ربيعة وأخيه شيبه بن ربيعة وغيرهم. وقد اتخذ أغنياء قريش في تلك المناطق منازل لهم، كانوا يلجؤون إليها في فصل الصيف هرباً من حرّ مكة، إذ كانت الطائف مصيفاً لأهل مكة ومزار استجمام وصيد لهم<sup>(٢٠٦)</sup>. وفي عنب الطائف وكرومها يقول شاعرها أبو محجن الثقفي:

إذا متّ فادفنوني إلى أصل كرمه      تروي عظامي بعد موتي عروقها  
ولا تدفنوني بالفلاة فإنني      أخاف إذا متّ ألا أذوقها<sup>(٢٠٧)</sup>

ومن محاصيلها أيضاً: النخيل والموز والزمان والتين والخوخ والسفرجل والبطيخ. إلا أن أفضلها التمر والعنب؛ أما التمر فكان يتمتع بشهرة كبيرة، فهو تمر طريّ ممتلئ بوحل الضرس<sup>(٢٠٨)</sup>.

ولا ريب أن نمو الزراعة في الطائف، وتنظيم عملية الريّ، وبناء الأسوار والأبراج، وتطوير الصناعة وبخاصة صناعة الأسلحة، وتنشيط التجارة وتنظيم

---

(٢٠٤) شمس الدين أبو عبد الله بن أحمد المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بريل - ليدن ١٩٠٦، ص ٧٩.

(٢٠٥) أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن الفقيه الهمداني: مختصر تاريخ البلدان، ليدن ١٨٨٤، ياقوت الحموي، المعجم... ج ٥، ص ٣٠٠ و ٣٨٦.

(٢٠٦) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٥٦. المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٩٥. أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: أنساب الأشراف، تحقيق حميد الله، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٥٩، ص ٥٧ و ١٤٢.

(٢٠٧) عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص ٢٦٨.

(٢٠٨) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٧٩. ياقوت الحموي: المعجم... ج ٤، ص ٩. أبو عبد الله محمد بن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، بيروت ١٩٦٠، ص ١٣٢ و ١٥٤.

Lammens: La cité arabe de Taïf à la veille de l'Hegire, P33.

حركة العمران، تدلّ على مؤشرات إيجابية في توسيع الأسواق الموسمية، وفي تطوير الاقتصاد والسير به نحو التكامل والتعاقد بين كافة مناطق شبه الجزيرة العربية.

وفي شمالي شبه الجزيرة العربية عدد من الواحات: كواحات الجوف أو دومة الجندل التي تقع في شمال صحراء النفود، وفي أسفل مجرى وادي سرحان الذي كان يشكل أكبر واحة في بلاد العرب الشمالية بعد تيماء، ومنه تُسقى بساتين النخيل ومحاصيل الزرع<sup>(٢٠٩)</sup>. وكانت دومة الجندل وحصنها (مارد) أهم مدن هذه الواحة التي امتازت بغزارة مياهها ووفرة غلاتها<sup>(٢١٠)</sup>.

وفي وادي الرمة وجبل شمر وأواسط نجد ووادي الدواسر، واحات كثيرة كانت تسكنها قبائل مستقرة أو نصف رحّل، اعتمدت الزراعة وتربية المواشي مورداً رئيساً لكسب معاشها. ففي الرمة وفروعه أراضٍ خصبة، تتوافر فيها المياه على أعماق مختلفة، وتتسرب إليها من المرتفعات التي تشرف عليها، وبخاصة من جبل شمر ومن الحرار الغربية. وفي واحات وادي الرمة وشعابه، قامت قرى ومزارع النخيل وحقول القمح حول الآبار والينابيع<sup>(٢١١)</sup>.

واشتهرت واحات طيء (جبل شمر) بوفرة ينابيعها ومياهها القريبة من سطح الأرض، وبترتبتها الخصبة الصالحة للزراعة، وبمراعيها الغنية التي تنتشر على سفوح الجبل. وكان يقطن بلاد شمر - السهل الواسع بين سلسلتي جبلي أجأ وسلمي - قبائل طيء، وهي قبائل مستقرة ونصف راحلة، وقد اعتمدت على الزراعة وتربية الماشية في تأمين معاشها. وكانت تكثّر في هذه المنطقة زراعة الحبوب والفواكه وخصوصاً أشجار النخيل التي تنمو فيها نمواً كبيراً<sup>(٢١٢)</sup>.

---

(٢٠٩) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٨٧. دائرة المعارف الإسلامية، ج٧، ص١٦٨.  
(٢١٠) ياقوت الحموي: المصدر السابق. دائرة المعارف الإسلامية، ج٧، ص١٦٨. فؤاد حمزة:  
قلب جزيرة العرب، الرياض ١٩٦٨، ص٤٨.  
(٢١١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ص١٨٢.  
(٢١٢) حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين، القاهرة ١٩٦٧، ص٥٧.

أما واحات وادي الدواسر وفروعه وشعابه، وأهمها واحة السليل التي تقع في وادٍ رملي، مكوّن من التقاء الأودية في قلب أعالي جبل طويق (جبل في نجد الوسطى)، فتقوم فيها قرى ومزارع النخيل والكروم وبساتين الفاكهة وحقول القمح<sup>(٢١٣)</sup>.

## ثانياً: رعي الماشية:

### أ - أنواع الرعي:

نشأت مهنة الرعي على تدجين الحيوان وتربية المواشي، وعلى النباتات والأعشاب الطبيعية التي كانت تنبت في أماكن مختلفة من بلاد العرب، وهي مكّلة للزراعة وتابعة لها، وتشكّل إحدى ركائز الاقتصاد العربي في عصور ما قبل الإسلام. وكان الرعي حينذاك نوعين: رعي ثابت ورعي متنقل.

ويُقصد بالرعي الثابت، الرعي الذي كان يمارسه سكان بعض القرى والمدن والواحات، حيث كان الرعاة من مربّي الحيوانات أو الفقراء أو العبيد، يخرجون بالماشية صباحاً إلى المراعي القريبة، ثم يعودون بها مساءً إلى حظائرهم. ويبدو أنّ هؤلاء السكان كانوا يمارسون مهنة الرعي وتربية الماشية جنباً إلى جنب مع المهن الأخرى: كالتجارة والصناعة والزراعة التي كانت تعتبر المورد الرئيس في حياتهم.

أما الرعي المتنقل فهو الرعي الذي امتنّته القبائل العربية غير المستقرّة في البوادي، والذي يُعتبر المصدر الرئيس لعيشهم ورزقهم؛ إلى جانب ما يقومون به من أعمال سلب ونهب لبعض الواحات القريبة للأراضي التي يقيمون عليها، وذلك عن طريق شنّ غارات على هذه الواحات، ونهب جزء من محصولها من التمر وغيره. أو عن طريق بسط نفوذهم على هذه الواحات، والحصول على نسبة من الإنتاج، لقاء عدم تعرّضهم لسكانها أو لحمايتهم من مغيرين آخرين<sup>(٢١٤)</sup>.

(٢١٣) المرجع نفسه، ص ٥٠ - ٥١.

(٢١٤)

كما كانت هذه القبائل البدوية تنتفع بمرور القوافل التجارية في أراضيها، فتحصل منها على مبالغ مالية لقاء حمايتها، وتقديم ما تحتاج إليه من خدمات، وإرشادها إلى الطريق الآمن. ونقلًا عن الكاتب اليوناني أرثميدوروس، يشير استرابو في هذا الصدد إلى قوافل البخور والطيبوب الآتية من جنوبي شبه الجزيرة، وكيف أنّ سكان كل منطقة كانوا يسلمونها إلى سكان المنطقة التي تليهم، حتى تصل هذه القوافل إلى بلاد سورية<sup>(٢١٥)</sup>.

وكانت بعض هذه القبائل تمتهن أيضاً حرفة الزراعة في مواسم الأمطار، حيث كانت تستقرّ بالقرب من مواطن الحضر مثل تهامة ورأس مسندم وصحراء النقب، وتزرع الحبوب كالدخن وغيره في قيعان الأودية والسفوح الجبلية، ثمّ ترحل إلى البادية بعد تمام المحصول وحصده<sup>(٢١٦)</sup>.

وكذلك كانت هذه القبائل تقوم بدور صلة الوصل بين البادية والحضر، ذلك أنّ الدول المتاخمة للصحراء، سواء في وادي الرافدين أو في بلاد الشام، كانت تحمي نفسها من غارات أهل البادية بإقامة حراسة مشددة في المناطق المتاخمة الحدودية، وبالسماح للقبائل البدوية بالاستقرار في بعض هذه المناطق المتاخمة، وبالمتاجرة مع مدنها القريبة، حيث كانت هذه القبائل تحمل منتوجاتها من الألبان والأجبان والوبر والصوف لتبادلها بسلع تلك المدن. وقد تزاوَل هذه القبائل حرفة الزراعة أو بعض الحرف الأخرى، أو ينخرط بعض أفرادها في قوات هذه الدول ليرتزقوا. ويبدو أن دور هذه القبائل قد تطوّر عندما اتخذت الدول الكبرى، في ذلك الوقت، مناطق البادية المتاخمة لها مناطق تابعة تصدّ عنها الغارات الخارجية، كحالة الدولة الفارسية التي كانت تسيطر على منطقة وادي الرافدين، وحالة الدولة البيزنطية التي كانت تسيطر على بلاد الشام.

---

(٢١٥) لطف يحيى: العرب في العصور القديمة، ص ٢٩٢ - ٢٩٣.

Strabo: The Geography of Strabo, Bk16, P19.

P.Costa: Notes on traditional hydraulics and agriculture in Oman, P288. (٢١٦)

Kamal Abdulfattah: Mountain Farmer and Fella in Asir South West Saudi Arabia, P57.



فقد حوّلت هاتان الدولتان المنطقة البدوية المتاخمة لها إلى إمارة تابعة تساعدتها وتساندها مادياً ومعنوياً، لقاء قيام هذه الإمارة بالتصدي للغارات الآتية من بدو الصحراء. وهكذا قامت إمارة المناذرة على الحدود الغربية لوادي الرافدين، وإمارة الغساسنة على الحدود الشرقية لبلاد الشام، بهذه المهمة<sup>(٢١٧)</sup>.

#### ب - ملكية الرعي:

كانت المراعي ملكاً عامة للقبيلة، يرمى بها القوم ماشيتهم، فلا يحق لأحد من أفرادها، شيخاً كان أم مقاتلاً، أن يمنعهم من هذا الحق. غير أن هذه الملكية العامة لم تكن ملكية دائمة، بل كانت تزول بنفاد المراعي وانتقال القبيلة إلى مكان آخر أكثر عشباً. ومع وجود المراعي العامة، التي كان الزعماء والقادة والملوك يشاركون الناس في رعي دوابهم فيها، كانت توجد مراعي خاصة لزعيم القبيلة أو رئيس الدولة أو لرجال الدين باسم المعبد<sup>(٢١٨)</sup>؛ وهي التي عُرفت حينذاك بنظام الحمى، ذلك أن هؤلاء أو أحداً منهم كان يحمي أراضي رعية خصبة لترعى بها حيواناته الخاصة، أو حيوانات الدولة المُعدة للحروب كالخيل والإبل أو المخصصة لمؤونة الجيش من الأغنام والأبقار والإبل، أو الموقوفة للمعبد باسم الإله للنذور وغيرها. وقد وردت ألفاظ عربية جنوبية تدلّ على انتشار هذا النظام في بلاد العرب منها: محمت (م - ح - م - ت)، وعتهد (ع - ت - ه - د)، ووربضو (و - ر - ب - ض - و)، وعشبت (ع - ش - ب - ت) وغيرها<sup>(٢١٩)</sup>.

ويعود نظام الحمى في شبه الجزيرة العربية إلى الألف الأول قبل الميلاد، وقد مارسه الملوك وأقوال اليمن وحموا بعض المناطق لاستعمالهم الخاص. كما مارسه الدولة الأشورية، حيث كانت تمنح بعض زعماء القبائل العربية في شمال شبه الجزيرة، أراضي رعية خاصة بهم، لقاء خدمات يقومون بها، كالمحافظة

(٢١٧) لطفی یحیی: العرب في العصور القديمة، ص ٢٩٣ - ٢٩٤. فيليب حتى، وأدورد جرجي، وجبرائيل جبور: تاريخ العرب، دار غندور، الطبعة الخامسة، بيروت ١٩٧٤، ص ٥٢ - ٥٤.

(٢١٨) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٤٩ و ١٥٠.

(٢١٩) بيستون: المعجم السبئي، ص ٢١ و ٤١ و ١١٣ - ١١٤.

على الأمن والنظام في مناطقهم وعلى الحدود، وحماية القوافل التجارية من السطو والنهب من الجماعات المغامرة أو اللصوص<sup>(٢٢٠)</sup>. وفي اليمن اكتُشف نقشان صادران عن الإله تالب الذي كان يُعتبر إله الرعي في جنوب شبه الجزيرة، أحدهما: يمنع الرعاة من سوق مواشيهم إلى منطقة معينة تابعة للمعبد. وثانيهما: يحمي أراضي رعية لصالح قبيلة ويُحذّر القبائل الأخرى المجاورة من الاقتراب منها والرعي فيها<sup>(٢٢١)</sup>.

### ج - مناطق الرعي ونباتاتها:

تمتاز منطقة شمالي شبه الجزيرة العربية، التي تقع بين صحراء النفود وأواسط بادية الشام، بخصب أراضيها وجودة مراعيها وخاصة في فصل الربيع. ويستدل على ذلك من الكتابات التي نُقشت على الصخور المنتشرة هناك<sup>(٢٢٢)</sup>، والتي تركتها القبائل العربية التي سكنت فيها؛ وترد أسماء بعض هذه القبائل في كتابات بلاد ما بين النهرين، وفي الكتب القديمة والمقدسة<sup>(٢٢٣)</sup>.

وتنمو في منطقة وسط شبه الجزيرة الواسعة أعشاب كثيرة، وشجيرات خاصة، وخصوصاً في حقول وقيعان بعض الأودية، ولكنها لم تكن بكثافة أعشاب المناطق الأخرى، بسبب قلة الأمطار وندرتها<sup>(٢٢٤)</sup>.

وكانت مراعي شرق شبه الجزيرة غنية وثابتة، وذلك لارتفاع نسبة الرطوبة

---

I.EPH'al: The Ancient Arabs: Nomads on the Border of the Fertile Crescent 9-5 th Century B.C. second Ed., the Magnes Press, Jerusalem 1984, P90-100.

A.F.I. Beeston: The TA'Lab Lord of Pastures Texts, Bulletin of the school of Oriental and African Studies, Vol 17, London 1955, P154-156.

نورة العلي النعيم: الوضع الاقتصادي الجزيرة العربية، ص ١٥٧.

(٢٢٢) محمود محمد الروسان: القبائل الثمودية والصفوية، دراسة مقارنة، ص ١٤٠ و ٤٠٧ - ٤٠٨.

(٢٢٣) عن هذه القبائل وعلاقاتها مع بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام يمكن الرجوع لكتاب:

I.Eph'al: The Ancient Arabs.

(٢٢٤) عمر عبد المجيد دراز: المراعي ووسائل تحسينها في المملكة العربية السعودية، مطابع الرياض، الرياض ١٣٨٥هـ، ص ٣٢ و ٣٦.

Western Arabia and the Red Sea, P198.

فيه، وتكوّن الندى الذي ساعد على نمو الأعشاب والنباتات، وبسبب انتشار الواحات وخاصة الواحات الداخلية التي تقع في أسفل سفوح المرتفعات. وتعدّ عُمان من أهمّ مناطق تربية الإبل في بلاد العرب. أمّا أقسامه الغربية فتنتشر مراعيها المتنقلة في الدهناء والصمان<sup>(٢٢٥)</sup>.

وتتنوّع في مناطق غرب وجنوب شبه الجزيرة المظاهر الطبيعية وكميّات الأمطار المتساقطة، ويتنوّع معها تبعاً لذلك الغطاء النباتي والمراعي. وكانت المراعي تكثّر في المرتفعات التي يصعب على الإنسان زراعتها، وفي السواحل التي ترتفع فيها نسبة الرطوبة وتزيد كميات الأمطار التي تنحدر من الجبال الغربية؛ كما تكثّر في المنحدرات الشرقية للمرتفعات وخصوصاً في بطون الأودية الكبيرة التي تجنّب السكان زراعتها، نظراً لِعِظَم السيول وشدّة تدفقها؛ وقد كانت الأعشاب تنبت بكثافة في هذه الأودية حيث يغلب عليها النوع الثابت من الرعي<sup>(٢٢٦)</sup>.

غير أنّ الإسلام قد حرّم حِمَى الأفراد من زعماء وغيرهم، وأبقى حمى الدولة والناس. وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «الناس شركاء في الماء والكلأ والنار» ويقول أيضاً: «لا يُمنع فضلُ الماء لِيُمنعَ به فضلُ الكلأ»، «ومن منَعَ فضلَ الله لِيمنعَ به فضلَ الكلأ منعه الله فضله يوم القيامة»<sup>(٢٢٧)</sup>. وقال أبو عبيد: «وتأويل الحِمَى المنهي عنه، في ما نرى، والله أعلم، أن تُحمى الأشياء التي جعلَ رسول الله ﷺ الناسَ فيها شركاء، وهي الماء، والكلأ، والنار»<sup>(٢٢٨)</sup> وأمّا ما أباحه الرسول ﷺ للناس كافة، وجعلهم فيه أسوة هو الماء، والكلأ، والنار.

---

(٢٢٥) عمر دراز: المرجع نفسه، ص ١٤ و ٣١. محمود طه أبو العلاء: جغرافية شبه الجزيرة العربية، مؤسسة سجل العرب، الجزء الأول، القاهرة ١٩٧٢، ص ١٧٥.

Wilkinson: Water and Tribal Settlement in Southe East Arabia, P52-53.

(٢٢٦) عمر دراز: المراعي ووسائل تحسينها في المملكة العربية السعودية، ص ٤٣ و ٤٧. محمود طه أبو العلاء: جغرافية شبه الجزيرة العربية، ج ١، ص ١٧٤.

Abdul fattah: Mountain Farmer and fellah in Asir, P71.

(٢٢٧) أبو عبيد القاسم بن سلام: الأموال، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت تشرين الثاني، ١٩٨١، ص ١٢٤.

(٢٢٨) المصدر نفسه.

وذلك أن ينزل القوم في أسفارهم وبواديهم بالأرض فيها النبات الذي أخرجه الله للأنعام ممّا لم ينصب فيه أحد بحرث ولا غرس، ولا سقي، فهو لمن سبق إليه، ليس لأحد أن يحتظر منه شيئاً دون غيره. ولكن ترعاه أنعامهم ومواشيهم ودوابهم معاً، وترد الماء الذي فيه كذلك أيضاً. ويقول ﷺ: «المسلم أخو المسلم، يسعهما الماء والشجر» فنهى رسول الله ﷺ أن يُحمى من ذلك شيء إلا ما كان من حمى الله ولرسوله أي للدولة. ومذهب الحمى لله ولرسوله أو للدولة يكون في وجهين: أحدهما أن تحمى الأرض للخيال الغازية في سبيل الله، فقد حمى رسول الله ﷺ النقيع وهو موضع معروف بالمدينة لخيال المسلمين. وثانيهما أن تحمى الأرض لنعم الصدقة إلى أن توضع مواضعها وتفرق في أهلها، وقد عمل بذلك عمر بن الخطاب الذي قال: «المال مال الله، والعباد عباد الله، والله لولا ما أحمل عليه في سبيل الله ما حميت من الأرض شبراً في شبر». وقال أبو عبيد: «فحمى عمر لإبل الصدقة ولابن السبيل جميعاً» (٢٢٩).

أما الأعشاب التي تنبت في هذه المراعي فهي كثيرة ومتنوعة نذكر منها: العرقصان، والبقل، والذرق، واليعضيد، والمكان، والشقاي، والخمخم، واليمنة، والزباد، والصفراء، والحريث، والأقحوان، والخرامن، والصمعاء، والقت، والثداء، والمكر، والخطرة، والنضبي، والسبط، والثقام، والثمام، والعرفج. ومنها بعض أعشاب الحمض: كالغمضاء، والرمث، والغصة، والرغل وهو من أطيب أنواع الحمض فإذا رعت الإبل قيل هي حوامض وأعطت لبناً طيباً، وإذا رعت السبحاء أعطت لبناً أخيراً، وإذا رعت المرار جاء لبنها من أمرّ الألبان<sup>(٢٣٠)</sup>. ومن الأعشاب أيضاً: الرعم وهي من الحشائش التي ترعاها الأغنام، والعثرب الذي ينمو على أطراف الأودية وعلى حدود المناطق الزراعية وترعاه الإبل، والصليان وهو نبات له شنفه تحبه الإبل ويسميه العرب خبيرة الإبل<sup>(٢٣١)</sup>.

(٢٢٩) المصدر نفسه، ص ١٢٥.

(٢٣٠) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٣٠٢.

(٢٣١) الأصفهاني: بلاد العرب، ص ٢٩٧.

## ثالثاً: تربية الحيوانات:

### ١ - الحيوانات الأليفة:

كان معظم سكان بلاد العرب في القديم يعملون في تربية الماشية، وكانت الإبل أهم هذه المواشي على الإطلاق، ويأتي الغنم والخيول والأبقار والبغال والحمير في المرتبة الثانية، أما الماعز فيربي في الجبال ويندر في المناطق الأخرى<sup>(٢٣٢)</sup>.

وتحدّد ظروف الطبيعة، وأحوال المناخ والطقس، ولا سيما كمية الأمطار التي تتساقط في بلاد العرب، وما ينتج عنها من مراعي، أنواع المواشي التي يمكن تربيتها. ومن المشاكل التي كانت تعانيها القبائل العربية في حياتها الرعوية، قلة المياه، وندرة الأمطار، وعدم انتظام سقوطها؛ وقد ينحبس المطر مدة قد تطول ثلاث أو أربع سنوات، ممّا ينزل بالسكان أفدح الأخطار. وكانت القبائل تطلق على هذه السنين العجاف اسم «السنوات الرمادية» أو «سنوات الشيب»؛ فكانوا يضطرون إلى الارتحال من مواطن الجفاف بأغنمهم إلى نجد اليمن أو إلى بلاد الشام والعراق ومصر. ويُحدّثنا الأصبهاني أن بطوناً من خزاعة خرجوا إلى مصر والشام لأنّ أرضهم أجذبت<sup>(٢٣٣)</sup>.

وتظهر، في حوران والبادية الشرقية من بلاد الشام، آثار مزارع وأماكن، كانت مأهولة بالسكان، وقد جاؤوا إليها من شبه الجزيرة، واستقروا في مواضع تتوافر فيها المياه، وزرعوا وبنوا البيوت، واشتغلوا ببعض الحرف كغزل الصوف ونسجه، ومارسوا التجارة بين الأعراب وسكان المدن والقرى البعيدة عن البادية<sup>(٢٣٤)</sup>.

وكانت تربية الحيوانات قائمة على نتاج الطبيعة بوجه عام، فليس ما يحميها من القرّ والحرّ ورياح السموم والجفاف والسيول المتدفقة التي قد تجرف القطيع والبيوت والناس<sup>(٢٣٥)</sup>.

(٢٣٢) بليّيف: العرب والإسلام، ص ٨٣.

(٢٣٣) أبو الفرج الأصبهاني: الأغاني، الجزء الثالث عشر، ص ٥.

(٢٣٤) رينيه ديسو: العرب في سورية قبل الإسلام، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، طبعة مصر، القاهرة ١٩٥٩ ص ٤ - ٦.

(٢٣٥) المرجع نفسه، ص ٩٤ - ٩٦.

ويعتبر الجمل في العصور القديمة سفينة الصحراء، وهو أقدم الحيوانات وأعزها عند العرب. وفي رأي بعض الباحثين كان الجمل يعيش وحشياً بموطنه في الأجزاء الشرقية أو الجنوبية - الشرقية من شبه الجزيرة العربية. وقد أشار الجاحظ إلى ذلك بقوله: «زعم ناس أن من الإبل وحشياً... فزعموا أن تلك الإبل تعيش في أرض وبار، لأنها غير مسكونة»<sup>(٢٣٦)</sup> ثم تم تدجينه في الألف الثاني قبل الميلاد. وبفضل الجمل اتصل عرب الجاهلية بعضهم ببعض، وقامت مدن وقرى في مواضع نائية منعزلة من بلاد العرب، وازدهرت التجارة، وعمرت الطرق البرية بالقوافل، وكان الجمل يخترقها بغير كلل أو ملل، صابراً على الجوع والعطش<sup>(٢٣٧)</sup>.

ومن المؤكد أن الجمل يسير نحواً من خمسة وعشرين يوماً في الشتاء، ونحواً من خمسة أيام في الصيف دون أن يذوق الماء<sup>(٢٣٨)</sup>. وإذا توافر له القوت في المراعي الربيعية من الأوراق الخضراء والحشائش، فإنه يستطيع البقاء حياً دون ماء أسابيع عدة. والجمل قنوع ومتواضع في طعامه وشرابه، إذ يكفي بالغذاء اليابس من العود، ومرّه القاسي من النبات الشوكي<sup>(٢٣٩)</sup>، ويشرب الماء الآسن الكدر. وفي الواحات الغنية بزراعة النخيل كان العرب يطعمونه نوى التمر مجروشاً، كما يطعمونه في شواطئ اليمن الجنوبية الجراد والسّمك المجفف أو المطحون<sup>(٢٤٠)</sup>.

وكانت الإبل تُربى في مختلف أقاليم بلاد العرب، وخاصة في الواحات وحول المدن. وقد استخدمها الإنسان العربي في تنقلاته وأسفاره وحروبه، وفي أعماله الزراعية، ونقل بضائعه وتجارته التي كانت مزدهرة بين اليمن والعراق وبلاد الشام عبر مكة ويثرب وغيرهما. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه التجارة

---

(٢٣٦) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: كتاب الحيوان الجزء الأول، طبعة البابي بمصر، لا تاريخ، ص ١٥٤.

(٢٣٧) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ١٩٦.

(٢٣٨) المرجع نفسه، ج ٥، ص ٣٣٩. فيليب حتى: تاريخ العرب، ص ٢٧.

(٢٣٩) بليانيف: العرب والإسلام...، ص ٨٥.

(٢٤٠) الجاحظ: كتاب الحيوان، ج ٢، ص ١٤٢.

في سورة قُرَيْش، يقول الله تعالى: ﴿لِإِيْلَافٍ قُرَيْشٍ ۝١﴾ لِأَنَّهُمْ رَحَلَهُ السَّيَّةَ وَأَصْيَفَ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ (٢٤١). وانتفع العربي كذلك بلحم الإبل، وحلييها، وجلدها، فكان يُحْيِك من وبر الجمل ثيابه وخيامه، ويصنع من جلده نعلاً وهودجاً وسيوراً يحزم بها البضائع والسلع التي تنقلها القوافل، ويجعل من روثه وقوداً (٢٤٢). أما بوله فكان يدخله في تحضير أدوات التجميل، ويعدّه من الأدوية الشافية، وقد ثُبِت عند البدوي أَنَّ بول الجمل يمنع نمو الطفيليات المؤذية، ويُشفي من الحمى، ويقوّي الشعر وينمّيه. وكانت النساء يستعصن عن الماء النادر ببول الجمل لغسل أطفالهنّ وشعورهن (٢٤٣).

وكان أهل مكّة يراعون إبلهم في الأودية والشعاب المجاورة التي كان ينبت فيها الكلاً وبعض شجيرات رعوية في مواسم معينة من السنة (٢٤٤). أمّا سكان المدينة المنورة، الذين كانوا يملكون ثروة كبيرة من الإبل، فكانوا يطعمونها من الشجيرات الرعوية ومن بعض الأشجار التي تنبت في أراضيهم (٢٤٥). وكان للإبل وغيرها من المواشي سوق نشطة في مكّة، إذ اتخذ الأعراب الجمل مقياساً للثروة والمال، وبه كانت تُقدّر أثمان السلع والحاجيات، وتُدفع الذّيات والفديات والمهور وما شابهها (٢٤٦).

ويظهر من نقوش بلاد ما بين النهرين كثرة أعداد الجمال في شبه الجزيرة العربية مثل النقوش التي ذكرت أَنَّ الملك العربي جندبو قدّم ألف جمل،

(٢٤١) قرآن كريم، سورة قریش، آية ١ - ٤.

(٢٤٢) ابن سيدة: المخصص، ج ٧، ص ٩٣.

(٢٤٣) بلياييف: العرب والإسلام، ص ٨٦ - ٨٧.

(٢٤٤) عزّ الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزريّ المعروف بابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، الجزء الأول، دار الشعب، القاهرة ١٢٨٠هـ، ص ١٠١.

(٢٤٥) تقي الدين أحمد بن علي المقرئ: أمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع، الجزء الأول، تحقيق محمود محمد شاكر، طبعة مصر، القاهرة ١٩٤١، ص ٢٤٧.

(٢٤٦) أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص ٢١٩. فيليب حتى: تاريخ العرب، ص ٤٩.

كمساعدة منه، إلى أمراء الشام في حروبهم ضد شلمنصر الثالث؛ والنقوش التي أشارت إلى القبائل العربية التي أهدت أعداداً ضخمة من الجمال إلى ملوك بلاد الرافدين<sup>(٢٤٧)</sup>. وفي النقوش الثمودية والصفوية وردت الجمال بأسماء مختلفة مثل: البكرة والبكر والمطية والناقة والإبل<sup>(٢٤٨)</sup>. واشتهرت من الإبل: القطرية نسبة إلى قطر، والمهرية نسبة إلى بلاد المهرة، والجرشية نسبة إلى بلاد جرش باليمن، والأرحبية من أرحب في بلاد همدان، والصفوية والسكسية وهي مخصصة للنقل<sup>(٢٤٩)</sup>.

وكانت الأغنام وافرة، وتُربى في البادية والحضر، وفي كل أقاليم بلاد العرب، للاستفادة من لحومها وصوفها وألبانها، ولذبحها في بعض المناسبات الدينية. وتحديث هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد عن نوعين من الأغنام في شبه الجزيرة العربية؛ نوع امتاز بألية سمينية في مأخرته، والآخر امتاز بذيل طويل<sup>(٢٥٠)</sup>.

أما الماعز فكان يُربى في المناطق الجبلية بصورة خاصة، وعلى مختلف التلال المنتشرة هناك بصورة عامة، وذلك للاستفادة من لحومها وألبانها وجلودها وشعرها الذي تُصنع منه الخيام السوداء. وكانت أنواع من الماعز تعيش برياً أيضاً<sup>(٢٥١)</sup>.

وإلى جانب هذه الحيوانات، مارس العرب في القديم تربية الأبقار في المناطق الزراعية والقريبة من مصادر المياه، حيث كان المزارعون يعتمدون عليها في حراثة الأرض، وفي رفع الماء من الآبار أو الخزانات، وفي تشغيل مطاحن

---

I.Eph'al: The Ancient Arabs, P5-15, 76. (٢٤٧)

(٢٤٨) محمود الروسان: القبائل الثمودية والصفوية، ص ٤٠٧.

(٢٤٩) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٣٦٢. الجاحظ: التبصر بالتجارة، ص ٣٥.

Herodotus: The History of Herodotus P141. (٢٥٠)

مصطفى كمال عبد العليم: هيرودوت يتحدث عن العرب وبلادهم، العصور، دار المريخ، المجلد الثاني، الجزء الأول، لندن، الرياض ١٩٨٧، ص ١٥.

(٢٥١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٢٠٣.



الحبوب والزيوت. كما ربوها للانتفاع بلحومها وحليبها<sup>(٢٥٢)</sup>. واشتهرت في بلاد العرب فصائل جيدة من الأبقار مثل: الجواميس، والبقر المملعة، والجندية، والخديرية، والجيلاتية<sup>(٢٥٣)</sup>.

وكرثت في بلاد العرب كذلك الخيول التي اشتهرت بأصالتها وجمالها. ويُعتقد أنَّ الموطن الأول لهذه الخيول كان في منطقة بحر قزوين، ومن هناك استوردوها الكاشيون والحثيون وتعلّموا تربيتها، ونقلوها إلى بلاد الشام منذ ما يزيد على ألفي عام قبل الميلاد. ثم أُدخلت إلى شبه جزيرة العرب قبل ميلاد النبي عيسى عليه السلام، حيث تهتأت لها السبل للاحتفاظ بنقاوة دمها وخلوصها من الهجنة والاختلاط<sup>(٢٥٤)</sup>. وهناك توالدت وتكاثرت، وغلب عليها الطابع العربي؛ وأضحت تُعرف باسم الخيول العربية الأصيلة، التي زاد الطلب على شرائها واقتنائها. وبذلك تحوّلت بادية العرب إلى مركز توالد لهذه الخيول ومصدر لها. وفي القرن الثامن الميلادي أدخل العرب المسلمون الخيل إلى أوروبا عن طريق إسبانية حيث خلفت أثرها الدائم في أنسالها من الخيول المغربية والأندلسية<sup>(٢٥٥)</sup>. وخلال الحروب الصليبية تلقّحت الخيول الإنكليزية بخيول عربية أصيلة، فاكسبت دماً جديداً ونسلاً مميزاً. ويُعتبر «الكُحيلان» من أهمّ الخيول العربية الأصيلة، فهو يتميز بجمال جسمه وقوة احتماله ونباهته وإخلاصه لسيده وتعلّقه به، وقد اتخذه الأوروبيون مثلاً يُحتذى في تربية الخيول الجيدة والممتازة<sup>(٢٥٦)</sup>.

وكان اقتناء الخيل في بلاد العرب من الأمور الكمالية، التي يسعى إليها البدوي لتحقيق أغراضه في الغزو واللهو وممارسة الألعاب الرياضية كرمي

---

Western Arabia and the Red Sea, P499.

(٢٥٢)

(٢٥٣) الجاحظ: التبصر بالتجارة، ص٣٤. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص٣٦٢. يوسف الغنيم: الجزيرة العربية في كتاب المسالك والممالك للبكري، ص٢٧.

(٢٥٤) حتى وآخران: تاريخ العرب، ص٤٨. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ص١٩٩.

William R.Brown: The Horse of the Desert, Ney York, 1929, P123.

(٢٥٥)

(٢٥٦) حتى وآخران: تاريخ العرب، ص٤٨.

الجريد والسباق والصيد. ولذا كثر وجودها عند الأثرياء من المشايخ والملوك وكبار رجال الدولة<sup>(٢٥٧)</sup>. وتؤكد الرسوم التي تركها سكان شبه الجزيرة على صخور المنطقة على وجود هذه الخيول وأهميتها؛ كما تؤكد النقوش الحربية التي تعود إلى القرنين الثاني والثالث الميلاديين وما بعدهما، والتي ظهرت فيها صور فرق الفرسان، على أنّ هذه الخيول لم تصبح أداة قتالية عند العرب إلاّ في عصور متأخرة. ويبدو أنّ فرق الفرسان قد كثر وجودها في القوات الحضرمية، وذلك يعود إلى أنّ سكان حضرموت كانوا يعتمدون، في غالب الأحيان، على فرسان البدو للقتال إلى جانبهم. ولم تدخل هذه الخيول إلى اليمن إلاّ في عهد الدولة السبئية - الحميرية، حيث بدأت تستعمل في الحروب كأداة قتالية، ممّا أدى إلى إحداث تغيير في موازين القوى لصالح اليمنيين حينذاك<sup>(٢٥٨)</sup>. وظلّ عرب الحجاز إلى ظهور الإسلام، لا يملكون أعداداً كبيرة من الخيل، مع أنّها كانت أداة قتالية مهمّة جدّاً، نظراً لسرعتها وخفتها ومرونتها في المعركة<sup>(٢٥٩)</sup>. وقد ضرب الله تعالى المثل بها باعتبارها مصدراً من مصادر القوّة لإرهاب العدو، ومصدراً من مصادر الثروة والجاه في تلك الحقبة من الزمان<sup>(٢٦٠)</sup>.

ومن حيوانات بلاد العرب الحمير التي كان معظمها يُربّى في المدن والقرى، للاستخدام في النقل إلى مسافات قصيرة، أو للإفادة منها في الأعمال الزراعية: كرفع الماء من الآبار وحراثة الأرض وفصل الحبّ عن القش. وقد اشتهرت هجر التي تقع في شرقي شبه الجزيرة العربية بحميرها الجيدة، كما اشتهرت اليمن أيضاً بأنواع جيّدة منها مثل: الحضرمية والمعارفة<sup>(٢٦١)</sup>.

---

Albert Jamme: Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis, P90 and 218 (٢٥٧)  
Beeston: Warfare in Ancient South Arabia, P11 j643 P45, j665 P52.

(٢٥٨) بيستون: المعجم السبئي، ص ٤٦.

(٢٥٩) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ١٩٩ - ٢٠٠.

(٢٦٠) قرآن كريم، سورة آل عمران، آية ١٤. سورة الأنفال، آية ٦١. سورة النحل، آية ٨. سورة الحشر، آية ٦. سورة الإسراء، آية ٦٤.

(٢٦١) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٣٦٣.

F.Vedal: The Oasis of Al Hasa, P171.

أما البغال فكانت قليلة في بلاد العرب، ونادرة الاستخدام، على الرغم من أنها قادرة على تأدية خدمات، يعسر على الجمل أو يعجز عن القيام بها في تلك البلاد المتعددة التضاريس الطبيعية<sup>(٢٦٢)</sup>.

#### ب - الطيور الداجنة:

وإلى جانب الحيوانات الأليفة التي أشرنا إليها، اهتم العرب عامة، وسكان المناطق الزراعية خاصة، بتربية عدد من الطيور مثل: الدجاج والأوز والبط. وذلك لما تقدّمه هذه الطيور للإنسان من لحم طري وبيض مفيد ومغذٍّ<sup>(٢٦٣)</sup>.

#### ج - تربية النحل:

تعتبر تربية النحل من الحرف الأساسية في بلاد العرب في العصر الجاهلي. وقد اشتهرت به مدن وقرى عديدة، وصنعت له القفران، وأقامتها على أشجار البساتين، وفي الحقول والمزارع والكهوف، وبين الصخور، وبالقرب من المنازل والخيم... ويعيش النحل أيضاً في البراري والجبال، وعلى أغصان الأشجار، ويكثر وجوده في المناطق الباردة والنجود، ويقل في الأغوار<sup>(٢٦٤)</sup>. وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾<sup>(٢٦٥)</sup>.

وتشير الدراسات الأثرية الحديثة إلى شهرة بعض أقاليم شبه الجزيرة العربية بتربية النحل وجودة عسلها منذ القديم. ومن هذه الأقاليم: المرتفعات الغربية في جبال السراة، ومرتفعات الجول وجبل هنوم - الذي يعدّه الهمداني من أكثر بلاد الله عسلاً - في جنوبي شبه الجزيرة، وأودية حضرموت مثل وادي عمد ووادي جردان، ومرتفعات وادي جردا وجبل العود وجبل حضور<sup>(٢٦٦)</sup>.

(٢٦٢) جوادعلي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ص٢٠١.

(٢٦٣) المرجع نفسه، ج٧، ص١٤٧.

(٢٦٤) أبو حنيفة الدينوري: كتاب النبات، ص٢٦٦.

(٢٦٥) قرآن كريم، سورة النحل، آية ٦٨.

(٢٦٦) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص١٤٧ و٢١٥ و٣٥٠ و٣٥٧.

Stabo: The Geography of Strabo, Bk16, P311.

Western Arabia and the Red Sea, P513.

وتحدّث بعض الرحالة الأوروبيين عن تربية النحل في شبه الجزيرة، فذكر ويلستد أنّ خلايا النحل كانت توجد في كهوف المرتفعات الغربية<sup>(٢٦٧)</sup>، وأشار هيو سكوت إلى طريقة تربية النحل في اليمن، معتبراً أنّها لا تختلف عن الطريقة التي كانت متبعة في مصر الفرعونية منذ عام ٢٦٠٠ قبل الميلاد<sup>(٢٦٨)</sup>.

وكانت تربية النحل من الأعمال المهمة التي مارسها أهل الطائف، وكان العسل أحد مصادر ثروتهم، فكان ممّا يُهادى به في مكّة والعراق وسائر بلاد العرب<sup>(٢٦٩)</sup>. وقد ذكر البلاذري أنّ أم سلمة زوج الرسول ﷺ كان لها نسيب بالطائف يهديها عسلاً<sup>(٢٧٠)</sup>. وذكر أبو حنيفة الدينوري «أنّ السّراة أكثر أرض العرب عسلاً وعنّباً وتيناً وزبيباً وربّاً، والسّراة كلها باردة لذلك كثر بها النحل وقلّ النخل، وأنّ أرض اليمن كلها عسل»<sup>(٢٧١)</sup>. واشتهرت صنعاء بالشهد الحضوري الماذي الذي يُقطع بالسكاكين. وفيه قال امرؤ القيس:

كَأَنَّ الْمَسْكَ وَالْكَافُو رِبَالَحَ الْيَمَانِي  
عَلَى أَنْيَابِهَا وَهَنًا مَعَ الشَّهْدِ الْحَضُورِي<sup>(٢٧٢)</sup>

وكذلك اشتهر بنو سُلَيْم بتربية النحل وتصدير العسل، وكانت لهم تجارة في ذلك، وقد بقيت على شهرتها في العصر الإسلامي<sup>(٢٧٣)</sup>.

ومن أجود أنواع العسل عند العلماء، ما طابت ريحه، وعذب طعمه، وصدقت حلاوته، ومتن حتى إذا مددته امتدّ، وشابه لونه لون الذهب، الذي إذا قطر على الأرض استدار، واستجمع على نفسه كما يجتمع قاطر الزئبق. والعسل مختلف الألوان والطعوم والروائح والمتانة والرّقة والصفاء والكدر وكثرة

(٢٦٧)

Wellested: Travel in Arabia, vol 2, P256.

Hugh Scott: In the High yemen, John Murray, London 1942, P58-59. (٢٦٨)

(٢٦٩) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٩٨.

(٢٧٠) البلاذري: أنساب الأشراف، ص ٤٢٧.

(٢٧١) أبو حنيفة الدينوري: كتاب النبات، ص ٢٦٦.

(٢٧٢) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٩٨.

(٢٧٣) ابن مجاور البغدادي النيسابوري: صفة بلاد اليمن ومكة والجاز، المسماة بتاريخ المستبصر، ص ١٤.

الحلاوة وقتلتها، وكل ذلك على قدر النبات الذي يمتصّ رحيقه النحل<sup>(٢٧٤)</sup>. وكان العسل من أشهر الأطعمة عند العرب القدماء، فيه كانوا يتغذون، ويتعالجون من عدد كبير من الأمراض. وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(٢٧٥)</sup>.

#### رابعاً: صيد الحيوانات البرية والبحرية:

تحدثنا كتب التاريخ والأدب ودواوين الشعراء عن عدد كبير من الحيوانات البرية التي كانت تعيش في بلاد العرب. وقد مارس العرب في القديم هواية صيد هذه الحيوانات والطيور، واستخدموا في صيدهم الكلاب وأسلحة: السهام والنبال والرماح. وكان الصيد بواسطة الخيل يُعدّ متعة ومظهراً من مظاهر الفروسية. ومن فوائد الصيد التنزه والاستجمام، والحصول على لحم طري ولذيذ، وعلى جلود نادرة جميلة<sup>(٢٧٦)</sup>.

وكان الصيد من الحرف المهمة التي اشتغل بها أهل الطائف، وقد مارسوها في الغابات المجاورة لمدينتهم على سفوح جبل غزوان. فإلى هذه الغابات، كان يأتي الصيادون من مكة والطائف، وهم يلبسون بزات الصيد، ويصطحبون الكلاب، لصيد الفهود والحيوانات التي تعيش هناك<sup>(٢٧٧)</sup>.

وإلى جانب صيد البر، خبر العرب في عصور ما قبل الإسلام صيد البحر أيضاً. فمن شواطئ شبه الجزيرة العربية كان العرب يصطادون الأسماك الصغيرة: كالسردين وغيره، ويجففونها ويقدمونها علفاً للحيوانات، كما كانوا يصطادون الأسماك الكبيرة، ويتخذونها غذاءً مفيداً لهم<sup>(٢٧٨)</sup>.

(٢٧٤) الدينوري: كتاب النبات، ص ٢٦٣ و ٢٦٦.

(٢٧٥) قرآن كريم، سورة النحل، آية ٦٩.

(٢٧٦) نوري القيسي: الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص ٧٦ - ٩١.

(٢٧٧) H.Lammens: La cité Arabe de Taïf., P32.

(٢٧٨) نوري القيسي: الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص ٣٠٢.

## الفصل الرابع

### الإنتاج الصناعي والتعدين في عصور ما قبل الإسلام

تقوم بين الزراعة والصناعة صلات تفاعل وتكامل، فالزراعة تُقدّم الخامات التي لا غنى عنها للصناعة، والصناعة تُقدّم الأدوات والآلات التي لا تطوّر الزراعة بدونها. وكلّما تطوّرت واحدة منهما تطوّرت الثانية. وهذا ما حدث بالفعل في بلاد العرب في عصور ما قبل الإسلام. ذلك أنّ تطوّر الزراعة فيها انعكس إيجاباً على الحرف الصناعية التي أخذت تتقدّم شيئاً فشيئاً، وخصوصاً في المرحلة الأخيرة التي سبقت الدعوة الإسلامية مباشرة. ففي تلك المرحلة انتقلت العملية الصناعية من طور العمل الحرفي الذي يلبي الحاجات المحلية، إلى طور الإنتاج الصناعي الذي يبغى الربح والتصدير إلى الخارج بالدرجة الأولى.

ومن العوامل الأساسية لتطور الإنتاج الصناعي في بلاد العرب حينذاك: التطور النسبي الذي طرأ على حياة العرب عموماً، وعلى سكان المدن خصوصاً، وما استتبع ذلك من ازدياد الطلب على بعض السلع الصناعية الضرورية. وكذلك التقدّم الذي أصاب القطاع الزراعي، وتوافر المواد الأولية، والخامات المعدنية التي تتوزّع في أراضي الأقاليم العربية وبخاصة في أقاليم اليمن والحجاز والساحل الشرقي المطلّ على الخليج العربي والمحيط الهندي، كخامات الحديد والذهب والفضة والنحاس والرصاص والزمرّد والعقيق والملح وغيرها. ووجود المواد الصلصالية، والأحجار التي تقبل النحت والتشكيل كالرخام والمرمر والحجر الصابوني... وأيضاً وجود ثروة حيوانية قامت على جلودها وأصوافها وبرها وألبانها صناعات كثيرة ملائمة لظروف البيئة وحاجات

السكان. ونمو بعض النباتات التي استُخرجت منها مواد ذات أهمية في عدد من الصناعات: كالدباغة والنسيج والعطور والزيت والخمور... وظهور أيدي عاملة خبيرة اكتسبت مهارات مهنية جديدة. وبروز حركة تجارية ناشطة تمثلت في الأسواق المحلية والموسمية في داخل البلاد وخارجها.

ولم تقتصر الصناعة في بلاد العرب على نوع معين أو حرفة واحدة، بل شملت جميع الصناعات المعروفة في القديم، والتي تعكس مدى الثراء والتقدم والرفي الذي وصل إليه العرب في ذلك الوقت. وكانت هذه الصناعات تتدرج، من صناعات بسيطة مارسها سكان البادية، إلى صناعات متطورة غاية في الدقة والإتقان زاولها صناعيو المدن والقرى ومراكز الاستقرار.

## ١ - التعدين وطرقه:

ويُعدّ التعدين من المهن الأساسية التي اشتغل بها العرب منذ العصور القديمة وتحديداً منذ الألف الثالث قبل الميلاد. والذي يُشير إلى ذلك اكتشاف أكثر من ٤٤ موقعاً في عُمان لاستخراج المعادن وتعبينها، تعود إلى هذا التاريخ، وخاصة معدن النحاس الذي كانت عُمان مصدراً مهماً من مصادره، والذي كانت مواقع التعدين تعمل على استخراجهِ من باطن الأرض وتنقيته من الشوائب وصهره وربّما تصنيعه أيضاً<sup>(١)</sup>.

وفي شمالي شبه الجزيرة العربية، اكتُشف عدد من مناجم التعدين في بلاد مدين التي كان أهلها يعملون في استخراج المعادن وتصنيعها مثل معدني النحاس والذهب، وكان مركزهم في المنطقة الممتدة من بلدة القرية (على بعد ٧٥ كيلومتراً تقريباً شمال غرب تبوك) شرقاً حتى سواحل البحر الأحمر غرباً<sup>(٢)</sup>. وقد استفاد الأنباط الذين حلّوا بأرض مدين، وغيرهم، من هذه المناجم، واستخرجوا بعض معادنها، وحفروا مناجم جديدة في شبه جزيرة سيناء بالقرب

(١) G.Weisgeber: Evidence of Ancient Mining Sites in Oman, P17, 28.

(٢) رشيد سالم الناضوري: دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ٧٣. نورة العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية...، ص ١٦٧.

من وادي فيران للحصول على معادن النحاس والتركواز، وشقوا الطرق التي تصل بين هذه المناجم وبين مدنها الرئيسية في شمال شبه الجزيرة العربية<sup>(٣)</sup>.

ولا ريب أن بلاد العرب كانت مصدراً للعديد من المعادن، وخاصة معدني الذهب والفضة، فقد تحدث كتاب العصر الهلنستي والروماني عن أنواع المعادن المتوفرة في شبه الجزيرة العربية، وعن تعدينها ومجالات استخدامها، فوصفوا الأواني الذهبية والفضية التي صنعها العرب حينذاك، والعربات والمقاعد التي زينوها بالذهب والفضة، والمنازل التي رصعوها بالعاج والذهب والفضة وطعموها بالجواهر الأخرى<sup>(٤)</sup>.

وقد استمرت حركة التعدين هذه، في العصور الإسلامية، فقد ذكر الهمداني، في معرض حديثه عن معادن شبه الجزيرة العربية، أن جالية فارسية تُقيم في معدن شمام وأخرى تقيم في معدن الرضراض<sup>(٥)</sup>. ويُعتقد أن حركة التعدين الواسعة التي شهدتها بلاد العرب في العصر العباسي، قامت على أنقاض النشاط التعديني لسكان تلك البلاد في عصور ما قبل الإسلام. وتؤكد الدراسات الأثرية أن حركة التعدين في العصور الإسلامية، لم تكن بدايات هذا النشاط، بل هي تمثل المراحل الأخيرة منه، استناداً إلى أساليب الحفر واستخراج المعادن الخام.

ويبدو أن العرب في القديم قد بدؤوا عملية التعدين بجمع المعادن عن سطح الأرض، ثم طوروها إلى عملية قشط للطبقة الخارجية الحاملة للمعدن،

---

G.Bowersock: Roman Arabia, Harward University Press, Cambridge Mass, (٣) 1983, P94.

Diodorus: Library of History, Bk3, P231-232. Bk19, P99. Strabo: The Geo- (٤) graphy of Strabo, Bk16, P349.

Polybius: Historia, Translation by W.R.Paton, Loeb classical Library, London 1925, Bk13, P427.

I.Eph'al: The Ancient Arabs., P91.

نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٦٧ - ١٦٨.

(٥) الهمداني: الجوهريتين العتيقتين المائعتين، ص ٢٥.



ومنها انتقلوا إلى حفر الأنفاق والممرات في جوف الأرض على طريقة المناجم المفتوحة<sup>(٦)</sup>.

وكانت المعادن الممزوجة بالرمل والحصى، كالذهب مثلاً في أراضي قبائل زبيد في غرب شبه الجزيرة العربية، تُجمع وتُغربل حتى تسقط الشوائب، وتبقى قطع الذهب التي تتراوح أحجامها بين نواة حبة الزيتون وثمره الجوز. وكانت هذه القطع إما تُستخدم مباشرة وإما تُصهر وتُصب في سبائك وتُرسل إلى المصانع الموجودة في داخل شبه الجزيرة العربية، أو الموجودة في خارجها<sup>(٧)</sup>.

وعندما يكون الذهب مختلطاً بعروق الكوارتز والمرمر، كانت المناجم تُحفر على هيئة أنفاق عمودية أو أفقية، ثم تُكسر القطع الحجرية، التي تحوي على نسبة عالية من الذهب، إلى قطع صغيرة، ثم تُطحن بالرحى حتى تتحوّل إلى بودرة ناعمة، كانت تُوضع بالماء، فيذوب التراب ويبقى الذهب<sup>(٨)</sup>.

وعلى العموم فإنّ التفيت للمعدن الخام وطحنه كان يحصل بالقرب من المناجم في أكثر الأحيان. كما كانت المادة المطحونة تُحرق بعد ذلك في أفران قريبة من مناطق التعدين أيضاً، لتخليص المعدن من المواد المختلطة به، مثل الكبريت الذي يوجد ممزوجاً بالنحاس في عُمان أو المزوج بالذهب في غرب شبه الجزيرة العربية<sup>(٩)</sup>. وكان يلي ذلك صهر المعدن الحاصل في الأفران وجمعه في أحواض خاصة لنقله أخيراً إلى مراكز التصنيع في المدن حيث كان يُحوّل إلى أدوات مفيدة للإنسان<sup>(١٠)</sup>.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٢٩.

(٧) A.Kisnawi: Preliminary Survey on the Mining Survey North West Hijaz, Atlal, Vol 7, Riyadh 1983, P.77.

نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية ص ١٦٩.

(٨) Kisnawi: op.cit. P77-78.

(٩) G.Weisgeber: Pattern of early Islamic Metallurgy, Proceedings of the Seminar for Arabian Studies, vol 10, Institute of Archaeology, London 1980, P116.

Ministry of Petroleum and Mineral Resources: Mineral Resources of Saudi Arabia, Bulletin No1, Riyadh, P21.

Weisgeber: op.cit. P117.

(١٠)

أما أفران التعدين فكانت تُحفر في الصخور أو تُبنى بالحجارة وتُبطّن بمادة صلصالية كما هي الحال في أفران معدن النقرة<sup>(١١)</sup>. وكانت تُستخدم إلى جانبها أدوات أخرى مثل الألواح الحجرية، ودواليب الرحي المصنوعة من الصخور الجيرية أو البازلتية أو الديورايتية التي يكثر وجودها في أراضي شبه الجزيرة. وقد اكتُشفت أجزاء من هذه الدواليب في مناطق مختلفة من بلاد العرب، يعود بعضها إلى الألف الثالث قبل الميلاد<sup>(١٢)</sup>.

## ٢ - صناعات الأواني والأدوات المعدنية:

توصّلت الدراسات الأثرية إلى اكتشاف عدد كبير من الأدوات والأواني المعدنية التي يعود تاريخ صنعها إلى عصور ما قبل الإسلام، والتي اعتمدت في صناعتها على خامات معدنية محلية مستخرجة من أراضي عربية. ومن هذه الأدوات: التماثيل واللوحات البرونزية والأقداح والصواني والمرايا والمسارج والأسلحة والمسكوكات وأدوات البناء والفلاحة...

وقد ساعد وجود معدن الحديد في بعض مناطق بلاد العرب، كمضارب قبيلة سُليم الواقعة إلى الشرق من يثرب، وأراضي نُفم وعُمدان حول صنعاء، وجبل الحديد بعدن<sup>(١٣)</sup>، إلى قيام صناعة حديدية ناشطة في بعض مدن وقرى شبه الجزيرة العربية في عصور ما قبل الإسلام. وعلى بروز قبائل معينة ارتبط اسمها بهذه الصناعة، كبني أسد الذين كان يُقال لهم القيون (أي الحدادون)<sup>(١٤)</sup>. وبني سُليم الذين كانوا يصهرّون الحديد مع بني أسد، ويعملون على تنقيته وتحويله إلى معدن نافع لصناعة بعض الأدوات الفلاحية ووسائل

---

(١١) Weisgeber: op.cit, P166. Prentiss S. De Jesus: Preliminary Report of the Ancient Mining survey 1981, Atlal, Vol 6, Department of Antiquities and Museums of Saudi Arabia, Riyadh 1982, P72.

(١٢) نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٦٩.

Kisnawi: op.cit, P77-78.

(١٣) محمود شكري الألوسي: بلوغ الأرب، ص ٢٠٤.

الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٠٢. أبو القاسم عبد الله بن خرداذبة: المسالك والممالك، باعتناء دي غوية، مطبعة بريل، ليدن ١٨٨٩، ص ١٣١.

(١٤) الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ص ٣١٦. الألوسي: بلوغ الأرب، ص ٦٢.

الرّي: كسكة الحديد والمسحاة (المجرفة)، والمكتال (المعول)، والشادوف والدلو<sup>(١٥)</sup>، وإلى صناعة الأسلحة: كالسيوف والدروع، وكانت الأسلحة اليمانية، ومنها السيف اليماني والدرع اليماني، مشهورة بجودتها، يُقبل على اقتنائها الناس، ويتغنى بها الشعراء<sup>(١٦)</sup>.

وكانت الحدادة حرفة شائعة في مكة ينتسب إليها أناس من أشراف العرب أمثال: الوليد بن المغيرة، والعاص بن هشام أخو أبي جهل عمرو بن هشام<sup>(١٧)</sup>. وكان حدادو مكة يصنعون الأدوات الزراعية، والأسلحة من سيوف ودروع ورماح ونبال وسكاكين... وكان خباب بن الارت قيناً يصنع السيوف<sup>(١٨)</sup>. وكان سعد بن أبي وقاص يبري النبال<sup>(١٩)</sup>. وذكر الواقدي أنه كان في قوام جيش قريش، يوم أحد، سبعمائة دارع<sup>(٢٠)</sup>.

وفي يثرب نشطت صناعة الحديد أيضاً، فكان الحدادون، من العرب واليهود والموالي، يصنعون المحارث والمساح والفؤوس ومناجل الحصاد، وغير ذلك مما يستخدمه الزراع من آلات. كما كانوا يصنعون الأسلحة والدروع. يحدثنا البلاذري أنّ رسول الله ﷺ قد غنم كل ما لدى بني النضير من سلاح الحلقة والدروع<sup>(٢١)</sup>. كما غنم من بني قينقاع كثيراً من الدروع والسيوف والأقواس<sup>(٢٢)</sup>، ومن بني قريظة ألفاً وخمماية سيف وألفي رمح وخمسمائة ترس وجحفة وثلاثمائة درع<sup>(٢٣)</sup>.

وتشكّل الخناجر والسكاكين والسيوف والنبال أهمّ الأسلحة التي كانت

(١٥) بليبييف: العرب والإسلام... ص ١١٣.

(١٦) المرجع نفسه، ص ٩٣. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٥، ص ٤٢٣.

(١٧) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: المعارف، تحقيق ثروة عكاشة، دار الكتب بمصر، القاهرة ١٩٦٠، ص ٥٧٥.

(١٨) ابن هشام: السيرة النبوية، القسم الأول، ص ٣٨٣.

(١٩) ابن قتيبة: المعارف، ص ٥٧٥.

(٢٠) محمد بن عامر الواقدي: كتاب المغازي، دار السعادة، الجزء الأول، القاهرة ١٩٤٨، ص ١٥٩.

(٢١) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: فتوح البلدان، باعتناء دي غوية، ليدن ١٨٦٦، ص ١٨.

(٢٢) الواقدي: المغازي...، ص ١٤٠.

(٢٣) أبو عبد الله محمد بن منيع بن سعد: الطبقات الكبرى، الجزء الثالث، باعتناء أوجين متوخ، دار صادر، بيروت ١٩٥٧، ص ١١٧.

تُصنع في بلاد العرب حينذاك، وتُصدّر بعض مناطق شبه الجزيرة جزءاً منها إلى ساحل أفريقيا الشرقي<sup>(٢٤)</sup>. وكانت تُصنع الدروع من رقائق الحديد وتُبطن بطبقة من النسيج أو الجلد. وذكر الهمداني أن سيوف الحديد اليمينية كانت تُصنع من حديد جبل نقم<sup>(٢٥)</sup>. واشتهرت مدينة نشق التي كانت قاعدة عسكرية سيئية بصناعة الأسلحة<sup>(٢٦)</sup>.

وكانت أدوات البناء والنحت والزراعة وغيرها، تُصنع من معادن الحديد أو الرصاص أو النحاس، كالمسامير المعدنية التي كانت تُستخدم في تثبيت الأحجار الكبيرة في أبنية المسارح والقصور والسدود<sup>(٢٧)</sup>. والفؤوس والمزاميل والعتل والمطارق، التي كانت تُستعمل في أعمال البناء الأخرى وعمليات التعدين وأعمال النحت وغيرها<sup>(٢٨)</sup>. وبعض أجزاء السروج والألجمة مثل الحلقات والمقابض والسلاسل وغيرها التي كانت تطلبها تجارة القوافل، ووحدات الموازين والمكايل التي كانت تُستعمل في البيع والشراء<sup>(٢٩)</sup>.

ودخلت المعادن في صناعة الأثاث المنزلي وأثاث المعابد، وأذرع المقاعد وبعض المفاتيح، ومقابض الأبواب على هيئة رؤوس حيوانات كالأسد. ولا يُستبعد أن القصور والمعابد الكبرى كانت تُزَيّن بقطع من الأثاث المرصعة بالذهب والفضة، كما صُنعت منها المركبات الملكية التي وصفها الكتاب الكلاسيكيون<sup>(٣٠)</sup>. وتشمل الأواني المنزلية التي صنعها العرب من البرونز

---

(٢٤) The Periplus of the Erythraean Sea, Chapter 17, P28.

(٢٥) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٥٤.

(٢٦) A.F.I. Beeston: Warfare in Ancient South Arabia, P18.

(٢٧) Gus Van Beek: Hajar Bin Humeid, Johns Hopkins, Baltimore 1967, P248.

(٢٨) Ibidem, P248 وأيضاً:

Philp Hammond: The Nabataean, their History culture and Archaeology, P71-72.

(٢٩) Hammond: op.cit, P71-72. Ray Cleveland: An ancient south Arabian Ne-cropolis, the Johns Hopkins Press, Baltimore 1965, P128.

(٣٠) Ray Cleveland: op.cit, P121-128. B.Dœ: Southern Arabia, Thomas and Hadson, London 1971, P103.

عبد الرحمن الطيب الأنصاري: قرية الفاو، صورة للحضارة العربية قبل الإسلام، جامعة الرياض، الرياض ١٩٨٢، ص ٢٨.

والنحاس والذهب والفضة، القدرور والأطباق والسكاكين ومقابض الأواني والأكواب والأقداح والصواني والمرايا والمسارج<sup>(٣١)</sup>.

وتُشكّل التماثيل المعدنية البرونزية أو النحاسية، نسبة كبيرة من التماثيل التي خلفها سكان شبه الجزيرة العربية، وهي بمعظمها تماثيل صغيرة لها قواعد معدنية، كانت تُصنع لتقديمها كقرايين للآلهة تقريباً منها أو شكراً لها. وتعكس هذه التماثيل قدرة الإنسان العربي في عصور ما قبل الإسلام على صبّ وتشكيل صور الإنسان والحيوان الصغيرة والكبيرة على حدّ سواء<sup>(٣٢)</sup>.

وبرع العرب كذلك في صناعة بعض اللوحات المعدنية البرونزية التي كانت تحمل نقوشاً بحروف بارزة، وثقوباً لتعليقها على جدران المعابد والقصور. وقد امتازت أقاليم جنوب شبه الجزيرة العربية بهذا النوع من اللوحات، ووجدت نماذج مختلفة منها، وعُثر على ما يزيد من سبعين لوحة تتراوح أطوالها بين عدّة بوصات إلى مترين في تلك الأقاليم<sup>(٣٣)</sup>.

وكان الحدادون يقومون باستخلاص المعادن من الشوائب وتركيبها بخلطها بنسب متفاوتة لإنتاج معادن ذات خصائص جديدة، كما هو الحال في الصناعات البرونزية، كما كانوا يستخدمون الحديد وما شابهه في إصلاح الكثير من الأدوات، وخاصة الأدوات الحجرية التي تُصنع محلياً<sup>(٣٤)</sup>.

وقد استعمل هؤلاء في حوانيتهم بعض الآلات مثل: الكير الذي هو عبارة عن منفاخ يساعد على إشعال النار التي تستخدم في صهر المعادن وإذابتها، والأفران المبنية من الحجارة والطين التي توقد فيها النيران لعملية الصهر،

---

(٣١) الأنصاري: قرية الفاو...، ص ٢٨ - ٢٩.

Strabo: The Geography of Strabo, Bk16, P349.

Ray Cleveland: op.cit, P121-122.

(٣٢) الأنصاري: قرية الفاو...، ص ٢٥ - ٢٦.

Ray Cleveland: op.cit, P93.

Jamme: Sabaeen Inscriptions from Mahram Bilquis, P245. B.Dæ: op.cit, (٣٣) P160.

Van Beek: Hajar Bin Humeid, P369.

(٣٤)

نورة العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٩٨.

والبوتقات التي كانوا يستعملونها في نقل المعادن الذائبة، والمطارق التي يُطرق فيها الحديد على الفرازيم، والمبرد الذي تُبرد به أدوات الحديد وتُهدَّب<sup>(٣٥)</sup>.

### ٣ - الصناعات المعدنية الثمينة:

كان الذهب من المعادن الثمينة الذي عرفه العرب في عصور ما قبل الإسلام، ومارسوا تعدينه كما ذكرنا قبلاً. وكانت بلاد اليمن أغنى شبه جزيرة العرب بهذا المعدن الثمين الذي يوجد في مواضع: بيش، وضُنْكان بمخلاف تهامة اليمن، ومأرب، وذمار، والقفاعة، والمُخَلْفَة من أرض حَجُور، وبأرض بني سابقة بالحد ما بين صعدة ونجران، والمنطقة بين القنفذة وعُثُود، وفي وادي التثليث على مقربة من حمضة وعلى مسافة ١٨٣ ميلاً من نجران<sup>(٣٦)</sup>. وليس أدلّ على وفرة الذهب في أرض اليمن ما قاله سيف بن ذي يزن لكسرى عندما نشر دراهمه على خدم القصر: «ما أصنع بالمال وتراب أرضي ذهب وفضة»<sup>(٣٧)</sup>. وكان يوجد الذهب أيضاً بديار بني سُليم وخصوصاً في منجم الذهب الذي عُرف بـ«معدن بني سُليم» وفي أرض مَدْيَن وما والاها في شمالي وادي إضم الذي بدأ التعدين فيه قبل الميلاد بمئات السنين. كما وجد في معظم مناطق الإمامة كمعدن الحسن، ومعدن الحفير، ومعدن الضُبَيْب، ومعدن ثنية، ومعدن العَوْسَجَة، ومعدن تياس ذهب<sup>(٣٨)</sup>.

وكانت عملية تعدين الذهب عبارة عن جمع التبر واستخلاص الذهب منه بتنقيته من شوائبه. أما الأدوات التي استخدمها العرب حينذاك فكانت: رحي

---

(٣٥) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٥٥٧.

(٣٦) الهمداني: الجوهرة العتيقة المائعتان الصفراء والبيضاء، ص ١٣٩. أبو علي أحمد بن عمر بن رسته: الأعلام النفيسة، باعتناء دي غوية، ليدن ١٨٩١، ص ١١٣. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٨٣.

(٣٧) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٥٥٩. ابن هشام: السيرة النبوية، القسم الأول، ص ٦٣. وهب بن منبه: كتاب التيجان في ملوك حمير، حيدر آباد - الدكن، الهند، ١٣٤٧ هـ ص ٣٠٤.

(٣٨) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٣١ - ١٦٥٤. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ١٩٣ - ١٩٤.

وأدوات تنظيف، ومدقات، ومصاييح. وتُشير بعض المصادر إلى أنَّ الذهب كان يُستخرج في مواضع من شبه جزيرة العرب خالصاً نقياً، لا يعالج بالنار، ولا يُصهر لتنقيته من الشوائب الغريبة<sup>(٣٩)</sup>.

وإلى جانب معدن الذهب، كان في اليمن معدن الفضة بالرُّضراض، وهو معدن جيد لا نظير له<sup>(٤٠)</sup>. ومعدن الرصاص بين فهم وخولان، وقد استخدمه اليمينيون في كثير من الأعمال، منها صبه في أسس الأعمدة، وتحويله إلى حلي ونقود لآثته من المعادن النفيسة المستعملة كالذهب<sup>(٤١)</sup>.

كانت صناعة الحلي من الحرف المنتشرة في بلاد العرب، وتقوم على تحويل المعادن المتوفرة فيها، سواء كانت من المعادن الثمينة أو المعادن الرخيصة كالنحاس والبرونز، إلى قطع من الحلي تتزيّن بها النساء. وقد يضيف إليها الصائغ قطعاً من الجواهر الثمينة: كالعقيق والجزع والياقوت والزمرد والشذر واللؤلؤ والزجاج. وأهم أنواع الحلي: القلائد والأساور والخلاخل والخواتم والتيجان والأقراط والسلاسل. وقد عثر على الكثير من قطع الحلي، سواء الذهبية منها أو المصنوعة من البرونز والنحاس، في مدن شبه الجزيرة العربية كالفاو، ومأرب، والبحرين، والبتراء، وتدمر<sup>(٤٢)</sup>. كما عُثر في مقابرها على أقراط وحلي نسائية، كان من بينها قلادة من الذهب على شكل هلال بداخلها زخارف ونقوش بالأحرف القتبانية، وُجدت في مقبرة قديمة من مقابر «تمنع» عاصمة دولة قتيان<sup>(٤٣)</sup>. كذلك عُثر فيها على أحجار كريمة يعود أصلها إلى العراق ومصر، وعلى أحجار كريمة يعود أصلها إلى اليونان أيام الرومان

(٣٩) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ١٩٣.

(٤٠) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٠٢.

(٤١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ١٣٨.

(٤٢) الأنصاري: قرية الفاو...، ص ٢٨.

B.Dæ: Southern Arabia, P118. Van Beek: The land of Sheba, P59. Hammond: The Nabataean their history., P70. Ray Cleveland: An Ancient South Arabian Necropolis, P129.

(٤٣) ويندل فيليبس: كنوز مدينة بليقيس، ترجمة عمر الديراوي، بيروت ١٩٦١، ص ١٣١.

وأيام العصور الهلينستية، وقد نُحتت على بعض منها حروف بالمسند، تُعبّر عن بعض المعاني الدينية أو عن أسماء أصحابها. ويُعتقد أنّها كانت تستعمل خاتماً للزينة أو لختم الوثائق والرسائل<sup>(٤٤)</sup>.

وفي حفريات عاصمة كُندة وجد المنقبون مجموعة حلّي، وهي عبارة عن أساور من المعدن والزجاج والعظام والعاج، وخواتم فضيّة ونحاسية وحديدية، وخرز بأشكال مختلفة من العقيق والبلور الصخري والشيست والدولوميت والياقوت والزجاج المعتمّ والشفاف، وفصوص من العقيق متعدّدة الألوان والأحجام، وأقراص زجاجية لعلّها فصوص خواتم<sup>(٤٥)</sup>.

وعُثر في مدافن جرن بديع بنت سعود، التي تقع على بعد حوالي ٢٥ كيلومتراً من وسط مدينة العين، على صفائح رقيقة من الذهب وأقراط ذهبية وتشكيلة من الخرز المصنوع من الصدف والعقيق. كما عُثر في موقع الرميّة، الذي يبعد عن متحف العين بحوالي ثلاثة عشرة كيلومتراً لجهة الغرب، على مجموعة من الحلّي البرونزية خاصة الأساور الكبيرة الحجم<sup>(٤٦)</sup>.

ومما لا ريب فيه أنّ هذه الحلّي الأثرية، تدلّ دلالة واضحة على أنّ صناعة الحلّي والمجوهرات، كانت رائجة في بلاد العرب في المرحلة التاريخية التي سبقت ظهور الدعوة الإسلامية.

ويبدو أنّ سكان جنوب شبه الجزيرة العربية قد برعوا في هذه الصناعة، ولا يزال الصّاعة إلى الآن، يُقلّدون أشكال الحلّي القديمة في مصوغاتهم. وكان لعقيق اليمّن ولجزع ظفّار شهرة واسعة بين القبائل والأمم. ويُروى أن عقد عائشة زوج رسول الله ﷺ كان من جذع ظفّار، وكذلك قلادة زينب بنت أبي العاص<sup>(٤٧)</sup>.

أمّا يشرب في الحجاز فقد فاقت غيرها من المدن في هذه الصناعة، ففي

(٤٤) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ٧٤.

(٤٥) الأنصاري: قرية الفاو...، ص ٢٨ و ١٢٧.

(٤٦) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٤٧ - ٤٨.

(٤٧) ابن هشام: السيرة النبوية، القسم الثاني، ص ٢٩٧. الواقدي: مغازي رسول الله، ج ١، ص ٩٩.



قرية زُهرة وحدها - وهي أكبر قرى يشرب بين حرّة واقم والسافلة - ثلاثمائة صائغ<sup>(٤٨)</sup>، كانوا يصوغون الأساور والدمالج والخلاخيل والأقراط والخواتم والفتح والعقود، من الذهب أو من الجواهر والزمرد أو من الجزع الظفاري<sup>(٤٩)</sup>.

وكان يهود المدينة أهل هذه الصناعة ومُحترفيها. وكان ليهود بني قينقاع سوق تباع فيه الحلّي والمجوهرات، فكان يأتيه الناس من يشرب وغيرها لشراء ما يطلبونه من مصاغ<sup>(٥٠)</sup>. وقد بلغت ثرو هؤلاء اليهود من الحلّي مبلغاً كبيراً. ففي غزوة خيبر غنم رسول الله ﷺ كنز بني النضير الذي وجده في جلد جمل، والذي كان يتألف من حلّي ذهبية فيها: أساور ودمالج وخلاخيل وأقراط وخواتم ونظم من جوهر وزمرد وفتح بجزع ظقار مجزّع بالذهب<sup>(٥١)</sup>.

وكان نساء الطبقة الغنية ورجالها يتسابقون على اقتناء الحلّي والمجوهرات والتزيّن بها، فعبد الله بن جدعان - أحد أثرياء مكّة - كان لا يشرب ولا يأكل إلاّ بآنية من ذهب وفضة، فعُرف لذلك بـ«حاسي الذهب»<sup>(٥٢)</sup>.

وغزارة الحلّي الظاهرة في المنحوتات التدمرية، تُبيّن أنّ نساء تدمر كنّ يتحلّين بالقلادات والعقود والأساور والأقراط والخواتم والمرصعات التي كانت مصاغة من الذهب واللؤلؤ والأحجار الكريمة.. وقد تغنّى العرب قديماً بالأذن التدمرية، كناية عن جمال الأقراط التي تزيّنها<sup>(٥٣)</sup>.

وعلى الرغم من اتساع حرفة الحلّي والمجوهرات في بلاد العرب، فإنّ

---

(٤٨) نور الدين علي بن جمال الدين أبو المحاسن عبد الله شهاب الدين بن العباس السهمودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، مطبعة الآداب والمؤيد بمصر ١٣٢٦هـ، ص ٣١٩.

(٤٩) أحمد إبراهيم الشريف: مكّة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص ٣٧٧.

(٥٠) أبو محمد علي بن أحمد بن حزم: جوامع السيرة وخمس رسائل، تحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد، دار المعارف، مصر لا تاريخ، ص ١٥٤. الواقدي: مغازي رسول الله، ج، ص ١٣٨.

(٥١) المقرئزي: إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع، ص ٣٢٠.

(٥٢) محمد أحمد جاد المولى وآخرون: أيام العرب في الجاهلية، طبعة مصر، القاهرة ١٩٤٢، ص ٢٤٨.

(٥٣) عدنان البني: تدمر والتدمريون، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧٨، ص ٢٩٢.

الأدوات التي كان يستخدمها الصائغ قليلة ومحدودة منها: العسقلان (أصغر مطرقاته)، والغداف، والجبأة (الخشب بين يديه)، والجملّاج (منفاخه)، والكبر، والمثقب، والكلبتان<sup>(٥٤)</sup>.

#### ٤ - صناعة النقود المعدنية (المسكوكات):

عرف العرب صناعة النقود المعدنية منذ عصور ما قبل الإسلام، وتحديدًا منذ أوائل القرن الثالث قبل الميلاد. وذلك يعود إلى الازدهار التجاري الذي شهدته الدول العربية التي نشأت في القديم. ويبدو أنّ هذه الدول قد استخدمت في صناعة العملات، التي اصطلح على تسميتها بالمسكوكات<sup>(٥٥)</sup>، معادن الذهب والفضة والنحاس والبرونز، وإن كان معدنا الفضة والبرونز يشكّلان النسبة الكبرى منها.

وكانت سبأ أولى هذه الدول التي سكّت نقوداً، وقلّدت في بادئ الأمر العملة الأتيكية، وتأثرت في الفترة المتأخرة بالعملة الرومانية. وكانت مراكز سكّ النقود السبئية، التي حُفر بعض أسماؤها على هذه النقود، متعدّدة منها: نجران وحضور وخمر. وورثت الدولة الحميرية العملة السبئية وسكّت نقوداً مشابهة لها في مركزها بمدينة ظفار، وبذلك أضحت العملة الحميرية استمراراً للعملة السبئية، مضافاً إليها رسوماً ونقوشاً جعلت الطابع العربي فيها أكثر وضوحاً من الطابع الأجنبي<sup>(٥٦)</sup>.

أما الدولة المعينية فقد سكّت نقوداً خاصة بها، وحفرت عليها نقوشاً

(٥٤) الألوسي: بلوغ الأرب، ص ٤٠٤.

(٥٥) السكّة: هي الحديدية التي تطبع عليها الدراهم، ولذلك سميت الدراهم المضروبة سكّة. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري: الأحكام السلطانية في الولايات الدينية، تحقيق خالد عبد اللطيف السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٢٧٥. وجاء في «المنجد في اللغة والأعلام» أنّ السكّة جمع سيكك، وهي حديدة منقوشة تُضرب عليها الدراهم، والسيكي: الدينار، والسيكك الذي يضرب السكّة. المنجد في اللغة والأعلام، ص ٣٤١.

(٥٦) G.F.Hill: Catalogue of the Greek Coins of Arabia, Mesopotamia and Persia, British Museum, London 1922, PIV, XVI-XVII.

عربية، منذ نهاية القرن الثالث قبل الميلاد، ولكن هذه النقود جاءت محاكاة للنقود اليونانية أيام الإسكندر المقدوني. وقد تميّزت النقود المعينية والنقود النبطية عن العملات العربية الأخرى بسعة انتشارهما وانتقالهما إلى خارج حدود شبه الجزيرة العربية<sup>(٥٧)</sup>. وفي الفترة الممتدة من عام ٥٠ إلى عام ١٥٠ ميلادية سكّت الدولة القتبانية، في مركزها بمدينة تمنع، نقوداً خاصة بها. كذلك استمرت الدولة الحضرية في سكّ عملة لها حتى القرن الثالث الميلادي. وكانت هذه العملة تحمل صورة وجه الملك على الجهة المحذبة وصورة نسر على الجهة الأخرى المقعرة، إلى جانب صورة رأس ثور في بعض الأحيان، ويسجّل عليها اسم الإله سن<sup>(٥٨)</sup>. وتعامل الناس في دولة كندة بالعملات المحلية ذات الطابع العربي، والتي كانت تحمل على وجهها المحذّب صورة إنسان من المرجّح أن تكون صورة الملك، وتحمل على وجهها الآخر المقعر نقوشاً تشير إلى إله الدولة كهل<sup>(٥٩)</sup>.

وبدأ الأنباط في شمالي شبه الجزيرة العربية بسكّ عملة خاصة بهم، منذ عهد الملك الحارث الثالث، مقلّدين بذلك العملات اليونانية في العهد الهلّيني، وتحديدًا الدراخما الأثينية أو الدراخما التي كانت تسكّها مدينة صيدا<sup>(٦٠)</sup>. وبمرور الوقت تطوّرت النقود النبطية وأخذت طابعها العربي في رسومها ونقوشها التي حفرت عليها، ولكن ما لبث الأنباط أن عادوا وتأثروا بالغرب أيام الإمبراطورية الرومانية، وضربوا نقوداً تتبع في وزنها الدينار الروماني<sup>(٦١)</sup>.

وبرز في شرقي شبه الجزيرة العربية مركزان لسكّ العملة في تلك

---

Otto Morkholm: New Coins Finds from Failaka, Kuml, Jysk Archeologist (٥٧) Selskab, Denmark 1981-1982, P232.

J.Walker: The Moon god on Coins of the Hadramaut, Bulletin of the- (٥٨) School of Oriental and African Studies, vol 14, London 1952, P623-626.

(٥٩) الأنصاري: قرية الفاو...، ص ١٢٤ - ١٢٥.

Y.Mesharar: Nabataean Coins, the Institute of Archaeology, Jerusalem (٦٠) 1975, P8.

Hill: op.cit, PXXI.

(٦١)

المرحلة. الأول في الجرهاء التي كانت تقلد في رسومها العملة اليونانية في العهد السلوقي. والثاني في مملكة هجر التي يُعتقد أنّ مقرّها كان هناك، والتي كانت تقلد العملة اليونانية في العهد السلوقي أيضاً، وتحمل نقوشاً عربية باسم ملك البلاد<sup>(٦٢)</sup>. وسلكت مملكتنا تدمر وخاراكس سبيل أخواتها العربيات وسكّتا نقوداً خاصة بهما. ويبدو أن دار سكّ العملة التابعة لمدينة خاراكس قد استمرت في صناعة النقود وضربها حتى العهود الإسلامية الأولى وتحديدًا حتى العهد الأموي<sup>(٦٣)</sup>.

وتميّزت العملات العربية هذه، برموزها التي تشير إلى اسم المدينة التي سكّت فيها النقود، أو إلى شعار الدولة وإلّوها الرسمي، أو إلى اسم الأسرة التي امتهنت صناعة العملات. ممّا يدلّ على وجود أسر متخصصة في عملية السكّ، كما هو الحال في دولة الأنباط في الشمال، وفي دولة سبأ في الجنوب حيث حازت أسرة «حي ايلتم» على حقّ سكّ العملة السبئية لمُدّة طويلة<sup>(٦٤)</sup>.

كما تميّزت العملات العربية في اليمن بدقّة أوزانها التي كانت تتبع الدراخما البابلية التي تبلغ ٥,٠٦ غرامات. وكان السكّاك في دار الصناعة يصبّ المعدن المنصهر بالوزن المحدّد في قوالب برونزية خاصّة ثم يبرّده بالماء، وهكذا حتى يتمّ صنع النقود التي يتداولها الناس في الأسواق<sup>(٦٥)</sup>.

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ العرب قبيل الدعوة الإسلامية لم يعد لديهم سكّة خاصة بهم، ولا نقود تحمل اسمهم، ولكن عندما كانوا يتصلّون بالأمم المجاورة لهم عن طريق التجارة كانوا يرجعون إلى بلادهم حاملين معهم دنانير بيزنطية من بلاد الشام ومصر، ودراهم فارسية من العراق، وقطع فضيّة غير مضروبة ولا منقوشة يمانية ومغربية<sup>(٦٦)</sup>. وكانوا يُعبّرون عن الذهب بالعين،

---

Morkholm: op.cit, P232. (٦٢)

(٦٣) نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية...، ص ١٧٦.

Mesharer: op.cit, P72-78. A.Jamme: Garnegie Museum 1974-1975, Yemen Expedition, P133. (٦٤)

Hill: op.cit, PXVI. B.Dœ: Southern Arabia, P120. (٦٥)

(٦٦) عبد الحي الكتاني: نظام الحكومة النبوية المسمّى التراتيب الإدارية، ص ٤١٤ - ٤١٥.

وعن الفضة بالورق، وكانوا يتعاملون بهذه الدنانير والدراهم وزناً باعتبارها تبراً، وليس عدلاً كما هو الحال في أيامنا، ويغضون النظر عن كونها نقوداً مضروبة، وذلك لاحتمالاً أن تنقص الدنانير من كثرة تداولها، وإن كانت حينذاك ثابتة الوزن<sup>(٦٧)</sup>.

## ٥ - الصناعات الحجرية:

ساعد وجود أنواع عديدة من الأحجار القابلة للقطع والنحت في بلاد العرب وخاصة في أراضي شبه الجزيرة العربية، كأحجار المرمر والرخام والبلور الخشن والأحجار الجيرية والگرانيت والبازلت والديورايت والحجر الصابوني، على قيام صناعة حجرية متطورة، تمثلت بصناعة الأدوات والأوعية التي كانت تستخدمها الشعوب العربية في تلك المرحلة.

وقد صُنع من أحجار المرمر والرخام أوعية لحفظ مواد الزينة: كالعطور واللبان والدهان، على هيئة جرار صغيرة أو صناديق لها أغطية كانت تُزين بالنقوش أو الصور المحفورة عليها. كما صُنع من هذه الأحجار الأطباق والمجامر (المباخر) والتماثيل البشرية والحيوانية وقواعدها. ودخلت هذه الأحجار في المعابد كأجزاء منها مثل: المذابح والأفريزات التي كانت تُبنى في مقدمة المعبد وتُزخرف بالنحت البارز<sup>(٦٨)</sup>.

وصُنعت من الحجر الصابوني، الذي تنتشر مقالعه في اليمن وعسير ونجد (قرب الدوادمي)، وفي حجلة جنوبي الطائف، وفي إقليم عُمان، أواني الطبخ كالقدور. وكانت هذه الأواني تُصنع بدق الحجر الصابوني ومزجه مع بعض المواد مثل: القش أو الحصى الصغير أو ذرات الكلس، وذلك لتقوية العجينة

---

(٦٧) أبو الحسن البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٥٢ - ٤٥٣. عبد القديم زلّوم: الأموال في دولة الخلافة، دار العلم للملايين، بيروت نيسان ١٩٨٣، ص ١٩٩ - ٢٠٠. فؤاد علي رضا: أم القرى: مكة المكرمة، دار المعارف، بيروت ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧، ص ١٦٠.

(٦٨) Frank P. Albright: Catalogue of Objects found in Marib, Johns Hopkins Press, Baltimore 1958, P273. Gus Van Beek: Hajar Bin Humeid, P376.

حتى تتحمّل الحرارة سواء أثناء عملية الصناعة أو عند الاستعمال، وهذا ما أعطى لهذه الأواني لونها الأسود والرمادي<sup>(٦٩)</sup>.

وُصُنعت من أحجار الديورايت والغرانيت دواليب الرحي والمساحق اللازمة لطحن الحبوب، أو لطحن وتكسير الصخور التي تحتوي على نسبة عالية من المعادن، كإحدى الوسائل التي كانت تستخدم لاستخلاص المعدن الخام منها، وخصوصاً في مناجم الذهب والنحاس<sup>(٧٠)</sup>.

وُصُنعت من حجر المسن مقابض السكاكين، ومن حجر الشذب ألواح وصفائح وقوائم السيوف ونصل السكاكين. وُصُنعت من الحجر الهيصمي، الذي يسميه الحسن الهمداني بهذا الاسم والذي يشبه الرخام إلا أنه أشدّ بياضاً منه، الآنية. كذلك صُنعت هذه الآنية من حجر الحرص، وهو حجر يمتاز بخاصية الاحتفاظ بالحرارة مدة طويلة<sup>(٧١)</sup>.

وُصُنعت من بعض الأحجار عدد من الآلات التي كانت تُستخدم في عزق الأرض كآلات الحفر التي وجدت في حقول تيماء وثاج، وتعود إلى منتصف الألف الأول قبل الميلاد. كما صُنعت منها آلات بسيطة كانت تُستخدم في قطع الأحجار والزجاج، وفي ذبح الحيوانات، وأعمال الحلاقة، وفي الطب كالعلاجات الجراحية، وفي صناعة الجلود والمنسوجات وبعض أنواع القداح التي كانت تستعمل في إشعال النار<sup>(٧٢)</sup>.

وتُظهر الأواني والآلات الحجرية، التي اكتشفتها البعثات الأثرية في مواضع مختلفة من بلاد العرب، المستوى الرفيع الذي بلغته هذه الصناعة في مجالات النحت والتشكيل والزخرفة الفنية<sup>(٧٣)</sup>.

---

(٦٩) نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية...، ص ١٧٧.

(٧٠) A.Kisnawi: Preliminary report on the mining Survey, North West Hijaz, P179-180.

(٧١) الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١١٧ و ٣٦٣ - ٣٦٥.

(٧٢) نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في جزيرة العرب، ص ١٧٨.

(٧٣) Gus Van Beek: Hajar bin Humeid, P370.

ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ أحجار جنوب شبه الجزيرة العربية كانت تُقطع بشكل واسع في عصور ما قبل الإسلام ليس فقط للاستعمال المحلي بل للتصدير إلى خارج البلاد<sup>(٧٤)</sup>. ويبدو أن هذه الأحجار قد نالت شهرة عالمية، وخاصة عند الإغريق، فقد امتدحها ديودوريس وقارن بينها وبين أحجار جزيرة باروس (Paros) التي اشتهرت بجودة أحجارها الرخامية، فوجد أنَّ أحجار بلاد العرب تفوقها جودة في نصاعتها وثقل وزنها وملاسة سطحها؛ وذلك لشدة حرارة الشمس في تلك البلاد<sup>(٧٥)</sup>.

وإلى جانب الصناعات الحجرية التي أشرنا إليها نشأت في بلاد العرب حينذاك عدّة حرف ذات صلة بوجود الحجارة ومنافعها نذكر منها:

حرفة قطع الأحجار من المحاجر وتهذيبها ونقلها إلى الأماكن المعدة لها. وحرفة حفر الآبار وأساسات المباني وحفر المقابر التي كانت تتطلب جهوداً كبيرة، والتي كانت تُحفر في باطن الأرض أو في صخور الجبال، وتتألف من عدّة غرف أو مدفن. وقد عُني بحفرها جيداً وبُطنت جدرانها بألواح حجرية وطلّيت بالجص. وخير شاهد على هذه القبور، قبور الحجر (مدائن صالح) وقبور البتراء التي أقامها عرب الأنباط في الصخور والجبال والأودية<sup>(٧٦)</sup>.

وحرفة النحت التي كانت فنّاً راقياً، والتي اشتهرت بها جماعة وأدخلتها في أعمال البناء لزخرفة الجدران والإفريزات، ولإضافة بعض المنحوتات عليها كالتماثيل وغيرها. وقد استخدم النحاتون في عملهم أنواعاً مختلفة من الحجارة المحلية: كالرخام والمرمر والحجر الرملي وغيره. وتتجلى قدرة النحات العربي في هذا الفن في أحد صالات معبد محرم بلقيس إذ عمد إلى نحت ٦٤ نافذة في جدران هذه الصالة تدلّ على قدرته وإبداعه<sup>(٧٧)</sup>.

The Periplus of the Erythrean Sea, Chapter 24, P31.

(٧٤)

Diodorus: Library of History, Bk2, P59.

(٧٥)

(٧٦) عبد الرحمن الأنصاري، وأحمد حسن غزال، وجيفري كنج: مواقع أثرية وصور من حضارة العرب، قسم الآثار والمتاحف بكلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٤هـ، ص ٥٢.

Gus Van Beek: The land of Sheba, P52. F.Albright: op.cit, P223.

(٧٧)

وأيضاً حرفة بناء القصور والمنازل والمعابد والمقابر والمسارح وشق الطرق وإقامة مشاريع الري، وما رافق هذه الحرفة من أعمال تابعة لها، كعمل تحضير الملاط سواء من الطين أو الجص أو الأسمنت. وقد عُثر على أجزاء كثيرة من المباني والقبور المخصصة<sup>(٧٨)</sup> وكذلك مشاريع الري. وكان يشرف على أعمال البناء، كما يظهر من بعض النقوش، متخصصون وأهل خبرة وعلم هم بمثابة مهندسي العمارة في زماننا. وقد استخدم عمال البناء الفؤوس والأزاميل في أعمالهم؛ وترك العديد من هؤلاء أسماءهم على واجهات الحجارة، تعبيراً عن افتخارهم بما كانوا يقومون به من أعمال وما يبنونه من منشآت<sup>(٧٩)</sup>.

## ٦ - صناعة استخراج الملح:

عرف العرب القدماء الملح واستخرجوه من جبل الملح في منطقة مأرب والذي امتاز بصفاته كالبلور. كما استخرجوه من ممالح نجد، ومن ممالح تهامة التي قال فيها الهمداني إن كثيراً من مياهها أملاح، وكل ما قارب الساحل أملاح إلا اليسير. واستخرجوه من مدينة شبوه التي تقوم على منجمين للملح وتكثر في شرقي شبه الجزيرة السبخات الملحية التي كانت مصدراً هاماً لهذه المادة، ويُعتقد أن ظهور مدينة ثاج قد ارتبط بوجود سبخة للملح هناك، وبكونها مركزاً تجارياً له. كما تكثر السبخات الملحية في وادي السرحان التي عُرفت قراء «بقرى سبخات الملح»<sup>(٨٠)</sup>.

(٧٨) الأنصاري: قرية الفاو...، ص ٢٠ - ٢١.

(٧٩) نورة العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية...، ص ١٩٩ - ٢٠٠.

F.Albright: op.cit, P218. P.Hammond: The Nabataean, their history culture and Archaeology, P112.

(٨٠) حسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٥٥ و ٢٠١.

نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية...، ص ٢٤١ - ٢٤٢.

Western Arabia and the Red Sea, P39.



## ٧ - صناعة الغزل والنسيج:

كان من الطبيعي أن تنشط صناعة غزل الخيوط وحياسة الأثواب وخطاطتها عند العرب في عصور ما قبل الإسلام، وذلك لتوافر الخامات الأولية لهذه الصناعة، من صوف غنم ووبر جمل وشعر ماعز، ومن خامات الكتان والقطن والأصبغة من جهة، ولتوافر الأيدي العاملة الخبيرة من جهة ثانية. وتشير المصادر الكلاسيكية إلى ملابس سكان شبه الجزيرة العربية المطرزة والموشاة بالذهب، كما تشير إلى وجود القطن ضمن محاصيل بلاد العرب وخصوصاً في البحرين، وإلى وجود بذور الكتان في جنوب شبه الجزيرة<sup>(٨١)</sup>. ويذكر صاحب كتاب الطواف أن عمانا (صحار) كانت تُصدّر الثياب العربية إلى الخارج، وأن العرب كانوا يستوردون الأنسجة، إما كثياب جاهزة، وإما كمنسوجات يتم تصنيعها محلياً<sup>(٨٢)</sup>.

وكانت جماعة في مكة قد احترفت صناعة الغزل والنسيج، منها: مُجمّع الزاهد الذي كان حائكاً، والعوّام أبو الزبير، وعثمان بن طلحة، وقيس بن مخزّمة، وجميعهم كانوا خياطين<sup>(٨٣)</sup>. وكشفت الدراسات الأثرية عن وجود كميات من بقايا الأنسجة في قرية الفاو، تدلّ على تطور قيام هذه الصناعة فيها، ويظهر من القطع التي عُثر عليها هناك مدى دقّة وإتقان هذه الصناعة، حيث يتجلّى فيها تمازج الألوان لدرجة تثير الدهشة والإعجاب<sup>(٨٤)</sup>.

واشتهرت اليمن ونجران بنسج الحلل والثياب الملوّنة والمزركشة: كالخال وهو ثوب ناعم وضرب من البرود. والوصائل وهي ثياب يمانية حمراء أو بيضاء، أو مخططة بالأبيض والأحمر. والعَصْب وهو نوع من البرود اليمنية،

(٨١) يوسف الغنيم: الجزيرة العربية في كتاب المسالك والممالك للبكري، ص ٣٨.

Gus Van Beek: Hajar Bin Humeid, P401.

(٨٢) نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية...، ص ١٩٤.

The Periplus of the Erythraean Sea, P36.

(٨٣) ابن قتيبة: المعارف، ص ٥٧٧.

(٨٤) نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية...، ص ١٩٤.

يُعصب غزله ويُدرج ثم يُصبغ ويُحاك<sup>(٨٥)</sup>. والمُمَرَّجَل وهي ثياب من الوشي فيها صور المراحل، والحَبْرَة وهي من برود اليمن الموشاة والثوب الجديد الناعم. والمعاجر وهي من الثياب المصنوعة في اليمن. والسَّخْل وهي ثوب أبيض رقيق، أو من القطن المصنوع في بلدة سحول اليمنية. والسيراء وهي برد مخططة بخيوط صفراء، أو يخالطها حرير وذهب خالص، أو هي ثياب مخططة تنسج من حرير القز. والمُرَّحَل وعليه صور الرِّحال<sup>(٨٦)</sup>.

وتُشير التوراة إلى الثياب المطرزة والأنسجة البنفسجية التي كان يجلبها تجار سبأ إلى فلسطين. وفي صلح المسلمين مع أهل نجران، كان على التجارانيين أن يدفعوا جزية سنوية من بينها ألفا حلة - ألف حلة في شهر صفر وألف حلة في شهر رجب<sup>(٨٧)</sup>. وتروي المصادر أن كسوة الكعبة في عصور ما قبل الإسلام كانت من الأنطاع والمعافر، وأن أحد تبابعة اليمن ويُدعى تبان أسعد أبي كرب هو أول من كسا الكعبة بالوصلات اليمنية، وهي ثياب يمنية تُصنع في المعافر<sup>(٨٨)</sup>، وكساها رسول الله ﷺ الثياب اليمنية أيضاً<sup>(٨٩)</sup>، وقد استمرت الكعبة تُكسى من اليمن حتى عهد الخليفة عثمان بن عفان.

وترتبط الصباغة ارتباطاً وثيقاً بصناعة الغزل والنسيج، وكان العرب عامة، وأهل اليمن خاصة يستخدمون أصباغاً مستخرجة من النباتات الطبيعية: كالورس والعصفر وقَرْف الأُرطي وقَرْف السِّدر والقوّة والعصب والأيدع وغيرها، لتلوين الثياب والأقمشة باللون الأحمر أو الأصفر أو الأخضر، أو بمزج الألوان للحصول على صبغة أكثر ثباتاً وتركيزاً. وهكذا حتى راجت الأقمشة والثياب

(٨٥) ابن سيدة: المخصص، ج ٤، ص ٦٣-٦٤.

(٨٦) أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ج ٣ طبعة مصر القاهرة ١٩٥٢ ص ٥٤ و ٣٩٣. محب الدين أبو الفيض محمد بن مرتضى الزبيدي: شرح القاموس، الجزء الثالث، طبعة مصر ١٣٠٦ هـ، ص ٧ و ١١٨ و ٣٤١ و ٣٨٣.

(٨٧) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٦٤.

(٨٨) عبد السلام هارون: تهذيب سيرة ابن هشام، ج ١، دار سعيد، مصر ١٩٥٥، ص ١٢.

(٨٩) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٧.

اليمنية في الأسواق، وأقبل عليها الناس من مختلف أنحاء شبه الجزيرة العربية، وكان أثرياء العرب يتباهون بلبسها ويتفاخرون<sup>(٩٠)</sup>.

واشتهرت عدن أيضاً بصنع البرود، كما اشتهرت قطر بحياكة الثياب الملونة<sup>(٩١)</sup>.

وإلى جانب إنتاج الثياب والحلل والبرود، راجت في شبه الجزيرة العربية صناعة الخيم والملاحف والأغطية والوسائد والبسط التي كانت تُحاك من صوف الغنم وشعر الماعز ووبر الجمل. وكان يعمل في هذه الصناعة الرجال والنساء، وينتجون أنواعاً عديدة من البسط، كالבسط العبقري التي راجت في جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية، لجودة أصباغها ونقوشها<sup>(٩٢)</sup>.

وكانت حياكة الخيام، التي تُصنع من وبر الجمل أو شعر الماعز أو صوف الغنم أو جلود الأنعام، مزدهرة عند عرب الجاهليين. وكانت خيام الجلد أفضل أنواعها، لأنها تحمي ساكنيها من البرد والرياح والأمطار<sup>(٩٣)</sup>.

أما طريقة صناعة الألبسة كانت تعتمد على أساليب بسيطة، منها حلج القطن بعد قطفه بمحالج خشبية تُدار يدوياً، ثم يغزل بمغازل يدوية، وتُحاك منها الإزارات والبرود والحلل والرياط والأقطاع<sup>(٩٤)</sup>. وأشارت النقوش المكتشفة إلى وجود مصانع النسيج في بعض مدن شبه الجزيرة العربية، كانت تُستخدم فيها عدد من الآلات: كالموال والمشبكة والثناية والعدل والمغزل<sup>(٩٥)</sup>.

وعلى الرغم من التقدم الذي بلغته صناعة الثياب والأقمشة في شبه جزيرة

---

(٩٠) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٨، ص١٧٢. حسن صالح شهاب: أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص١٦٢ - ١٦٣.

(٩١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٧٣.

(٩٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٧، ص٥٩٧. الزبيدي: تاج العروس ج٣، ص٣٧٩.

(٩٣) جواد علي: المفصل، ج٨، ص١٧٤.

(٩٤) حسن صالح شهاب: أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص١٥٨.

(٩٥) الأنصاري: قرية الفاو، ص٢٢. جواد علي: المفصل، ج٧، ص٥٩٤.

A.Jamme: South Arabian inscriptions, In the ancient near East, P234.

العرب في عصور ما قبل الإسلام، إلا إنَّ العرب ظلُّوا يستوردون المنسوجات النفيسة الغالية من بلاد فارس والهند ومصر والعراق، كالديباج والإستبرق والسندس وغيرها. ويُعتبر الديباج من أغلى الأقمشة الحريرية الذي كان يتنافس الأثرياء على شرائه واستخدامه<sup>(٩٦)</sup>. كما كانوا يستوردون من الهند والصين الأنسجة الحريرية والقطنية والصوفية، ثم يقومون بصناعتها محلياً لتلائم أذواق سكان شبه الجزيرة، كالثياب المطرزة بالخيوط الحريرية والذهب<sup>(٩٧)</sup>.

## ٨ - الصناعات الجلدية والدباغة:

كانت دباغة الجلود من المهن الصناعية الرَّائعة في شبه جزيرة العرب في عصور ما قبل الإسلام. وذلك لسدِّ متطلبات الزراعة ووسائل الريِّ، إلى بعض الآلات والأدوات كالقرب والدلاء، وإلى سدِّ بعض حاجات الناس إلى النعال وغيرها.

وكانت الطائف في الحجاز من المدن الحضرية التي اشتهرت بدباغة الجلود. وقد كثرت مدابغها بحيث أنَّ مياه المدابغ التي يدبغ بها الأديم، كانت رائحتها تصرع الطير إذا مرَّت بها<sup>(٩٨)</sup>. ويقول الهمداني أنَّ الطائف بلد الدباغ يدبغ بها الألب الطائفية المعروفة وفيها الأديم المليح والثقيل<sup>(٩٩)</sup>.

وكان يقوم في صعدة اليمن مركز دباغة الأدم، وذلك لوقوعها في بلاد القَرظ، ومنها يؤخذ الأدم الجيّد، وفيها تُصنع الركاء الجيدة والأنطاع الحسنة<sup>(١٠٠)</sup>. وكذلك كان يوجد مركز في جرش ومركز في نجران. ويُعتقد أنَّ مراكز الدباغة توزَّعت في جزر البحر الأحمر ومنطقة الحجاز ومدن جنوب شبه الجزيرة<sup>(١٠١)</sup>.

(٩٦) ابن سيده: المخصص، ج ٤، ص ٧٦. الفيروزآبادي: القاموس، ج ١ ص ١٩٣.

(٩٧) Strabo: The Geography of Strabo, Bk16, P349.

(٩٨) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٩.

(٩٩) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٢٠.

(١٠٠) المصدر نفسه، ص ٢٠١. المقدسي: أحسن التقاسم، ص ٨٧.

(١٠١) A.Khan: The Tanning Cottage industries in Pre-Islamic Arabia, Pakistan Historical Society, Karachi 1971, P89.

وكانت جلود البقر في بلاد اليمن تُدبغ للنعال الغالية الثمن، بحيث يبلغ النعل الواحد منها عشرة مثاقيل إلى عشرين<sup>(١٠٢)</sup>. وقد ذاع صيت الجلد اليمني المدبوغ في جميع مناطق شبه الجزيرة، وذلك لجودته وحسن صنعه. وقد شبه طرفة بن العبد مشافره ناقته بجلد يمني لا يتجدد، وذلك في البيت التالي:

وخذ كقرطاس الشامى ومشفر  
كسبت اليماني قدّه لم يُحرّد<sup>(١٠٣)</sup>

وكانت الدباغة بالبحرين تتم بالتمر والأرطي، فتجيء الجلود ليّنة متينة<sup>(١٠٤)</sup>.

وعلى العموم فإنّ الجلود كانت تدبغ بالقرظ والأرطي والسلم والظيان والآلاء والعلق والغرف والصرف وغيرها. وأجود أنواعها ببلاد العرب ما يُدبغ بورق القرظ، وكان يُقال لقاطف ورق القرظ القارظ ولبائعه القَرَّاط<sup>(١٠٥)</sup>. وكان دبغ الجلود بورق الشث ألين من القرظ، ولذلك كان يُخلط بالقرظ يبتغي لينه، فيُلينه الشث ويحمّره القرظ. وشَرّ الجلود ما دُبغ بالآلاء، وكل ما يُدبغ بالقرظ فإنّما يُحمّر بالأصباغ كاللُّك والفقوة<sup>(١٠٦)</sup>.

وكانت عملية الدباغة تتم بإلقاء الجلود، قبل مرط شعرها أو صوفها، في الدباغ للحصول على النعال المشعرة أو بالفراء. وإن أرادوا عكس ذلك مرطوا شعره أو صوفه، ثم ألقوه إمّا في ماء ضرب بالغلقة، وهي عشبَة تُجفّف وتطحن ثم تُضرب بالماء وتُنقع فيه الجلود، فتمرط ويُسْتَنْقَى ما فيها من بقايا اللحم، ثم تُطرح في الدباغ، وإمّا أن تُعطن، وعطنها أن تكبس في حفيرة وتدفن فيها حتى يسترخي شعرها وصوفها، أو يُلَفّ وينضد بعضها على بعض، فتمرط حينئذ ثم تُلقى في الدباغ<sup>(١٠٧)</sup>.

(١٠٢) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٠١.

(١٠٣) ديوان طرفة بن العبد، ص ٤٢.

(١٠٤) أبو حنيفة الدينوري: كتاب النبات، ص ١١٩.

(١٠٥) المصدر نفسه، ص ١٠٥.

(١٠٦) المصدر نفسه، ص ١٠٦ و ١١٨ - ١٢٠.

(١٠٧) المصدر نفسه، ص ١١٥.

ومن الطبيعي أن لا تعطن جلود البقر قبل دبغها. وكان العرب يطلقون على الجلود المدبوعة عامة، وعلى جلود البقر خاصة اسم «سَبْت»<sup>(١٠٨)</sup> وهناك من يطلق على الحذاء اسم سَبْت، فيقال أيضاً: نعل السَبْت، ونعال السَبْت، وفي ذلك يقول عنترة:

بطل كأنَّ ثيابه في سَرْحَةٍ يحذى نعال السَبْت ليس بتوأم<sup>(١٠٩)</sup>

أما الآلات التي كانت تُستخدم في دبغه الجلود وصنعها فهي: الإشفى والمِبْقَر والمِسْرَد والمِخْصَف والمِغْرَاص والمِجْوَف والمنحاز والأزاميل<sup>(١١٠)</sup>، والمحط وهو نوع من الخشب وقيل من الحديد كان يستعمل لصقل الأديم، وهناك المحلاة وكانت تُستعمل لإزالة شعر الجلد، واستُخدم الجير لهذه الغاية أيضاً<sup>(١١١)</sup>. وأشارت بعض المصادر إلى ضخامة حجر الطواحين الذي يطحن به ورق القرظ لدباغة الأديم<sup>(١١٢)</sup>.

وكانت هذه الجلود بعد تجهيزها تدخل في مختلف الصناعات الجلدية التي يحتاج إليها الناس في حياتهم اليومية، والتي كانت تُعرف باسم الخرازة، ومن الأدوات الجلدية التي صنعها العرب الخرازون هي: الجفان والأنطعة والسيور والنعال، وقد عُثر على صور وتماثيل لشخصيات تنتعل نعالاً جلدية. كما صنعوا ملابس جلدية من جلود الحيوانات البرية كالأسود والنمور، وصنعوا منها الخيام وهي بيوت غالية الثمن لا يستطيع امتلاكها إلا الأغنياء<sup>(١١٣)</sup>. وقد ذكر الهمداني أنَّ العرب اتخذوا من جلود النمور النفيسة السروج والفرش وأجلة للخيل<sup>(١١٤)</sup>، وصنعوا أيضاً الأشلة وهي جلد من صوف أو شعر مطرز يجعل

(١٠٨) المصدر نفسه، ص ١٠٥ و ١١٥.

(١٠٩) ديوان عنترة، دار صادر، بيروت ١٩٥٨، ص ٢٧.

(١١٠) المِغْرَاص: حديدة عريضة للقطع. والمِجْوَف: حديدة يُخْصَف بها. ابن سيدة: المخصص، ص ١١٥.

(١١١) Khan: The tanning Cottage industry in Pre-Islamic Arabia, P86.

حسن صالح شهاب: أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص ١٦٠.

(١١٢) ابن معجور البغدادي النيسابوري: صفة بلاد اليمن ومكة والحجاز، ص ٢٠.

(١١٣) نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٩٣.

(١١٤) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص.

على عجز البعير<sup>(١١٥)</sup>. وكذلك الغروب والدلاء الجلدية التي تُستخدم في رفع الماء من الآبار، والقرب التي كانت تستعمل لنقل الماء وحفظه، ومنها ما يُحفظ فيه العسل واللبن والخمر والسمن. ومن الجلد صنعوا البسط والأحزمة والمساند، وأدوات الحرب من دروع وخوذ، وأجربة السكاكين والسيوف والخناجر<sup>(١١٦)</sup>. ويُروى أن هذه الجلود كانت تستعمل في بعض الأسلحة الهجومية لحماية من في جوفها من نبال وسهام العدو. يقول البلاذري «إنه كان مع المسلمين وقت حصار الرسول ﷺ لمدينة الطائف المحصنة دبابة صُنعت من جلود البقر، فكانوا يدخلون في جوفها، ثم يدفعونها في أصل الحصن فينقبونه وهم في داخلها»<sup>(١١٧)</sup>.

## ٩ - صناعة استخراج الأصباغ والعطور:

اهتم العرب في العصور القديمة بتحضير الأصباغ والألوان، لتلوين الثياب والأقمشة والجلود. وكانت معظم هذه الأصباغ تُستخرج من النباتات البرية والمزروعة كالوزس، والعصفر، والحلق، وقرف الأُرطي، وقرف السُدر، والفوة وهو نبات له عروق حمراء وحب شديد الحمرة كثير الماء، يطبخ ويصبغ بمائه. والعندم وهو البقم، والبقم شجر ساقه أحمر، يطبخ ويلون بمائه الأحمر، ولكنه ليس من نبات أرض العرب، والعندم شجر أحمر<sup>(١١٨)</sup>. قال الأعشى في وصف الخمر:

فبت كأتى شارب بعد هَجَّة      سخامية حمراء تُحَسَّبُ عَندَما  
بكأس وإبريق كأَنَّ شرابه      إذا صب في المصحاة خالط بَقَمًا<sup>(١١٩)</sup>

(١١٥) أحمد فاروق: دباغة الجلود وتجاريتها عند العرب في مستهل الإسلام، دار اليمامة للنشر، الرياض ١٣٩٦هـ، ص ٥٣٨.

(١١٦) Herodotus: The History of Herodotus, Pk3, P11. The Periplus of the Erythraean Sea, chapter 27, P32.

(١١٧) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٥٥.

(١١٨) أبو حنيفة الدينوري: كتاب النبات ص ١٧١ و ١٩٤ - ١٩٥.

(١١٩) ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس)، شرح وتعليق الدكتور محمد حسين، المطبعة النموذجية، مصر ١٩٥٠م، ص ٢٩٣. سخامية: الخمر السلسة في الحلق. المصحاة: قذح من فظة يُشرب به.

أما الوُزس فيزرع زرعاً في اليمن، ويبقى في الأرض عشرين سنة لا يتعطل، ويُخرج الورس الحبشي صبغاً أصفر خالص الصفرة، والورس البادرة في صبغها حمرة. وأما العصفر فممنه بري، ومنه ريفي يُزرع زرعاً، وكلاهما ينبت في أرض العرب، وليس في البري منه منفعة. والزعفران نبات لون زهره أصفر، ومصدره من بلاد العجم، وقد حرّفته العرب فقالوا: «ثوب مزعفر، وزعفر ثوبه، يزعفره زعفر» . وقرف الأرطي وقرف السدر وهي قشور عروقتها حمراء. والنكع وهو نبات أحمر. والصرف وهو أحمر يُصبغ به شرك النعال. واللك نبات صبغه أحمر، يُصبغ به الأدم. والعظم وله صبغ شديد الحمرة، والأيدع يُعطي لوناً أحمر، وهو خشب البَقْم ويُصبغ بحبّه، وقد استعمله أهل البادية. وكذلك النيلة وهي صبغة تُؤخذ من نبات ينمو في المرتفعات ما بين ٢٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ قدم<sup>(١٢٠)</sup>.

ومن الأصباغ الأرقان وهو شجر له صبغ أحمر. والحلق شجرة تنبت نبات الكرم، وترتقي في الشجر، لها ورق حامض، يُطبخ ويُجعل ماؤها في العصفر فيكون خيراً له من حب الرمان، ويُجفف ورقها فيحمل في البلاد لهذا الشأن. ولون العرب بصبغة الشيان الحمراء. واستخدموا الحناء ومنابتة بأرض العرب كثير، ويعظم شجره حتى يكون كالسدر، وكان يختضب به الرجال والنساء، وذكر أنّ الحناء استعمل في صبغ الأنسجة الحريرية. واستخدموا ماء الشقائق في الخضاب الأسود، ولا سيما إذا كبس فإنه شديد السواد، يُصبغ به الشعر وغيره. وامتشطت النساء بورق العُشْرُق الذي يُسود الشعر وينبته. كما امتشطت بورق القان الذي يُجعد الشعر ويُسوده<sup>(١٢١)</sup>.

وكانت عملية استخراج الأصباغ تتم إما بنقع هذه الخامات بالماء أو بطبخها على النار، حتى تصبح مادة صالحة لتلوين الجلود والأقمشة والثياب.

(١٢٠) أبو حنيفة الدينوري: كتاب النبات، ص ١٦٥ - ١٧٤. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ٣٦٠. ابن منظور: لسان العرب، ج ٨، ص ٣٦٣ - ٣٦٤.

Western Arabia and the Red Sea, P495. Theophrastus: Enquiry into Plants, Bk7, P113.

(١٢١) أبو حنيفة الدينوري: كتاب النبات، ص ٩١ و ٩٧ و ١٧١ و ١٧٩ - ١٨٣.



وبعد أن اكتسب الصبّاغون خبرة ومهارة في تحضير الألوان والأصباغ، أخذوا يمزجون الأصباغ، إمّا لتركيزها، وإمّا للحصول على ألوان جديدة. وكانت شهرة اليمن بصبغ الجلود وتلوين الألبسة والحلل قد امتدت إلى جميع أقاليم شبه الجزيرة العربية. وذكر الأصمعي ثلاثة أشياء لا تكون إلّا في اليمن: الوزس، واللّبان، والعَضْب<sup>(١٢٢)</sup>.

ومن المهن التي امتهنها العرب في عصور ما قبل الإسلام. حرفة استخراج الروائح والعطور من الأزهار والورود، كعطر الورد (ماء الورد) الذي ذُكر في كتب الحديث باسم «الجلّاب»<sup>(١٢٣)</sup>. والطيب الذي اشتهرت به اليمن، والذي كان يتمّ تركيبه بمزج عدد من مواد العطور بالماء أو الدهون. والمسك الذي هو نوع من الطيب الثمين، وكان يذكر معه العنبر، وأجوده المسك العُماني<sup>(١٢٤)</sup>. وأجود أنواع العطور، عطور اليمن التي كانت تُصدّر إلى مكّة، وتباع في دكاكينها، وكانت أمّ أبي جهل عطارة، تتاجر بالعطور التي تجلب لها من اليمن<sup>(١٢٥)</sup>.

ومن المواد العطرية أيضاً اللّبان ومنه الرند والأدن والضرو والحذق والقُسْط والسيّاح وهو الكندر والكادي والمقل والضجاج والمر والصبر والعفص، وجميع هذه المواد تُستخرج من نباتات تنمو في أنحاء مختلفة من شبه الجزيرة، وخاصّة في الجنوب. أمّا العنبر فهو مادة بحرية تجمع في فصل الشتاء ويُعثَر عليها في السواحل الجنوبية من بلاد العرب، وأشهرها العنبر الشحري ومن أنواعه الأبيض والأسود والدخني الذي هو أجوده<sup>(١٢٦)</sup>. وورد في النقوش العربية كذلك العديد من العطور مثل: نعم وقبلت وقلم وسليخة وغيرها.

---

(١٢٢) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٠٠.

(١٢٣) صحيح البخاري بشرح الكرمانلي، ج ٣، ص ١٢٠.

(١٢٤) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ٩٣.

(١٢٥) أبو الفرج الأصبهاني: الأغاني، ج ١، ص ٦٤ - ٦٥.

(١٢٦) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن ومكة والحجاز المسماة بتاريخ المستبصر، ص ١٨٥. حسن

شهاب: أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص ١٤٩.

وتحتوي معظم صموغ هذه المواد على مادة زيتية لها رائحة عطرة استُخدمت في صناعة الطيب. فالمرّ الذي ورد ذكره في النقوش العربية<sup>(١٢٧)</sup> يحتوي على ١٧٪ من حجمه زيتاً إذا كان طرياً، ويُعرف بدهن المرّ الذي كان يدخل في تركيب العطور ليحافظ على رائحتها لمدة طويلة، حدّدها ثيوفراستوس بعشرة أعوام<sup>(١٢٨)</sup>. وقد أكّد بليوس على هذه الميزة حين ذكر أن المرّ واللّبان كانا يضافان إلى العطور لحفظ رائحتها لمدة طويلة<sup>(١٢٩)</sup>. وكان يُصنع من المرّ الأدوية، ويُضاف إلى الخمور لإكسابها رائحة زكية<sup>(١٣٠)</sup>.

وكان العطّارون يعتصرون ثمار بعض النباتات وأزهارها ويصنعون منها دهنًا. ثم يُرببون الدهن بالظيان وغيره، ليصيّروه عطراً يتطيّبون به. ومن أفضل أنواع الدهون عندهم أدهان حَجَر<sup>(١٣١)</sup>، ودهن الزنبق، وفيه يقول الأعشى:  
وكسرى شهنشاه الذي سار ملكه      له ما اشتهى راح عتيق وزَنْبِق<sup>(١٣٢)</sup>

واشتهرت في شبه الجزيرة العربية بعض المدن بصناعة الطيب مثل: عدن التي كان يقصدها التجار من الهند والسند وفارس وبلاد الروم للحصول على طيوبها. وكان أشهر هذه الطيوب الغالية التي تتكون من دهن العنبر والزباد والمسك واللّبان. وينمو نبات اللّبان في تهامة، ويُستخرج من بذوره دهن زكي الرائحة. ومن هذه الطيوب أيضاً عطر العبير الذي يدخل في تركيبه الزعفران، والذريرة التي هي خليط من مواد جافة مطحونة أشهرها: الحلب الأبيض، وبسباس الطيب، وجوز الطيب، وزهر الكافور. وقد اشتهر حوض وادي تبّين في منطقة لحج بصناعة هذا العطر وذلك لكثرة ما ينمو فيه من المواد الداخلة في تركيبه<sup>(١٣٣)</sup>.

(١٢٧) المعجم السبئي، ص ٧٨ و ١٠٣ و ١٠٥ و ١٢٦.

(١٢٨) Theophrastus: Enquiry into plants, Bk9, P357, 367.

(١٢٩) Pliny: Natural history, Bk13, P3.

(١٣٠) نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٩٠ - ١٩١.

(١٣١) أبو حنيفة الدينوري: كتاب النبات، ص ١٩٥ و ٢١١.

(١٣٢) ديوان الأعشى الكبير، ص ٢١٧.

(١٣٣) حسن صالح شهاب: أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص ١٤٦.

أما الزباد، الذي يدخل في تركيب عدد من العطور، فهو مادة دهنية ذات رائحة طيبة، تستخرج من غدة تحت ذيل حيوان السنور الذي يعيش بكثرة في جزيرة سوقطرة<sup>(١٣٤)</sup>. ولم يعتمد العطّارون في عدن على المواد المستخرجة محلياً في صناعة العطور، بل كانوا يستوردون من الهند وغيرها مواداً أخرى يصنعونها طيوباً فاخرة حيث يقومون بتصديرها إلى الخارج، وخصوصاً إلى بلاد فارس وبلاد الروم<sup>(١٣٥)</sup>.

ومن المدن التي اشتهرت أيضاً بصناعة العطور البتراء - عاصمة الأنباط - التي أشار ديودوريس إلى اشتغال أهلها بتجارة الطيوب المصنعة محلياً من دهون المرّ واللبنّان والبلسم. وكانت هذه الطيوب تُعبأ في جرار رقيقة من الفخار التي اكتشفت أعداد كبيرة منها هناك. ممّا يؤكّد على ازدهار هذه الصناعة في هذه المدينة حينذاك<sup>(١٣٦)</sup>.

## ١٠ - الصناعات الخشبية:

اهتمّ العرب في العصور القديمة بالصناعات الخشبية اهتمامهم بالصناعات الأخرى، وكانت هذه الصناعات تهدف إلى تأمين بعض الحاجيات المنزلية، وبعض أدوات الزراعة ووسائل الريّ والصيد، وبعض ما يتطلبه بناء المنازل والحظائر وغيرها. وقد ساعد في قيام هذه الصناعات نموّ عدد كبير من الأشجار في مرتفعات شبه الجزيرة وخصوصاً في جهتها الغربية، وفي جنوبها الشرقي وفي بطون أوديتها، وفي الأقاليم العربية الأخرى. كما ساعد في قيامها استيراد بعض الأخشاب، التي تمتاز بالقوة والصلابة مثل الساج والأبنوس والصندل، من الهند وشرقي أفريقيا.

---

(١٣٤) المرجع نفسه، ص ١٤٧.

(١٣٥) Patricia Cone: Meccan trade and the Rise of Islam, Basil Blackwell, Oxford 1978, P95.

(١٣٦) Diodorus: Library of history, Bk2, P47. Hammond: The Nabataean their history, culture and Archaeology, P66.

وإلى جانب الصناعات الخشبية، استُخدمت جذوع الأشجار وقوداً إما مباشرة وإما بعد تحويلها إلى فحم، وذلك بحرق الجذوع ثم إطفائها، كما هو الحال في المشاحر التي تقام في بعض القرى والأحراج في أيامنا، ثم يُنقل الفحم إلى المدن والأسواق للبيع والاستهلاك المنزلي<sup>(١٣٧)</sup>.

ومن أشهر الأشجار التي أدخلها العرب في صناعاتهم: النخلة، الجوز، العتم، الطلح، العوسج، الأثل، الميس، السمر، العرعر، المَرخ، السرح، الخزم، النشم، الضرو، الأذخر، الحماط... وغيرها.

وكان النجارون يستخدمون أخشاب أشجار الطلح والسمر والعرعر والأذخر والجوز والسرو في صنع أبواب المنازل ونوافذها وسقوفها، وفي بناء حظائر الماشية. واستعملوا شجر المَرخ في إنشاء هياكل الخيام<sup>(١٣٨)</sup>. وقد عُثر في محرم بلقيس على أجزاء من أخشاب السُدر التي استُخدمت فيما يبدو في تسقيف المدخل، وكانت هذه الأخشاب تُعالج بالقطران وزيت الخردل لكي تبقى مدة أطول<sup>(١٣٩)</sup>. كما صنعوا من خشب الجوز والأثل والضرو: القصاع، والجفان والآنية والمكايل والصيعان والأقداح<sup>(١٤٠)</sup>، ومن خشب الميس الرحال حتى أصبح معنى الميس الرحل لغلبة استعماله، قال الأعشى:

زِيَاة بِالرَّحْلِ خَطَاة تَلُوِي بِشَرْخِي مَيْسَةَ قَاتِر<sup>(١٤١)</sup>

وصنعوا من جذوع الأشجار السروج والهوارج المستخدمة في الإبل والخيول، واتخذوا منها خلايا النحل، والعجلات التي استعملت في رفع الماء من الآبار<sup>(١٤٢)</sup>. كما صنعوا بعض وسائل الري وأدوات الزراعة: كالمحراث

(١٣٧) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٧، ص٩٣.

(١٣٨) Strabo: The Geography of Strabo, Bk16, P311.

نوري القيس: الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص٧٩.

(١٣٩) زيد بن علي عنان: تاريخ حضارة اليمن القديم، المطبعة السلفية، القاهرة ١٢٩٦ هـ ص١٧.

(١٤٠) أبو حنيفة الدينوري: كتاب النبات، ص١٣. الدمياطي: معجم أسماء النباتات الواردة في تاج

العروس للزيدي، ص٨٥ و١٥١.

(١٤١) ديوان الأعشى الكبير، ص١٤٧.

الخشبي ومقابض الفؤوس والمزاميل والمسحاة والمطارق<sup>(١٤٣)</sup>. ودخلت الأخشاب صناعة الأثاث المنزلي كالأسرة والأرائك والصناديق الخشبية التي تستخدم في حفظ القطع الثمينة والوثائق الخاصة، والتي كانت أرجلها تُحفر على هيئة أرجل حيوانات وتجعل أظلافها من المعادن كالذهب والبرونز<sup>(١٤٤)</sup>. وصنعوا من الخشب التوابيت واستوردوا أخشاب الصندل لهذه الغاية<sup>(١٤٥)</sup>. ويشير بعض كتاب الأغريق إلى العربات المذهبة التي صنعها العرب في القديم<sup>(١٤٦)</sup>.

واتخذ العرب من الأخشاب بعض الآلات البسيطة، فمن العوسج اتخذت النساء مغازل للصوف والشعر، كما اتخذت من شجر الثُمان الأمشاط، ومن العَفَّار والمرخ والحرمل والأثاب والأثرار اتخذت الزناد لإشعال النار وذلك لشدة قابليتها للاحتراق. ومن أغصان وجذور بعض الأشجار اتخذت الأسوكة مثل الأراك والعتم والبطم والغرو والأسحل ومن بعض الأشجار اتخذت أعمدة الأخبية والأوتاد<sup>(١٤٧)</sup>.

وكان العرب يصنعون من الأخشاب بعض أنواع الأسلحة مثل القسي التي كانت تصنع من أشجار: التَّالِب والشَّوْحَط والنَّشَم والتَّبَع، التي تمتاز أخشابها بالشدة واللين معاً. وتُصنع أيضاً من العرعر والأثل والسرور والقان الذي كان

---

(١٤٢) الأصمعي: كتاب النبات، ص ٣٥. الديماطي: معجم أسماء النبات، ص ١٣.

(١٤٣) أبو حنيفة الدينوري: كتاب النبات، ص ١٣.

Gus Van Beek: Hajar Bin Humeid, P368.

(١٤٤) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧ ص ٥٤٩.

Gus Van Beek: The land of Sheba, P60.

(١٤٥) عُثْر في الفاو على تابوت من خشب الصندل صُنِع بطريقة التعشيق موجود في متحف كلية الآداب جامعة الملك سعود. نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية. ص ١٨٧. الأنصاري: قرية الفاو. ص ٢١.

(١٤٦) Strabo: The Geography of Strabo, Bk16, P349.

(١٤٧) الأصمعي: كتاب النبات، ص ٣٤. الأنصاري: قرية الفاو. ص ١٠٩. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٨١. الديماطي: معجم أسماء النباتات، ص ٩ - ١١ و ٣١. الجاسر: في سراة غامد وزهران، ص ٣٩٣.

يُصدّر من شبه الجزيرة لهذا الغرض<sup>(١٤٨)</sup>. وصنعوا من أغصان النبع السهام<sup>(١٤٩)</sup>. ومن شجر الوشيح الرماح حتى غلب اسمه على الرماح نفسها وفيه يقول الأعشى:

وترى الجياد الجرد حول بيوتنا موقوفة وترى الوشيح مستنداً<sup>(١٥٠)</sup>  
وازدهرت الصناعات الخشبية كثيراً في عصور ما قبل الإسلام، في كافة مدن شبه الجزيرة العربية. ففي مكة مثلاً كان عتبة بن أبي وقاص - أخو سعد بن أبي وقاص - نجاراً<sup>(١٥١)</sup>. وكانت أدوات النجارين في معالجة الخشب وقطعه ونشره وتسويته: الفأس، والحصين (فأس ذات خلف واحد)، والحدأة (فأس ذات رأس) وفيها يقول الشماخ:

ويباكرن العِصاة بمقنعات نواجهن كالحداة الوقيع<sup>(١٥٢)</sup>  
والقدوح (فأس صغيرة)، والمنشار، والمحفرة، ومثلها المنقار، والمِسْحَل (مبرد أخشن من مبرد الحديد) يُسحل به الخشب أي يُنحت، والصغير منه مسرد، ومنها المِثْقَب، والكلبتان (الكماشة)، والعتلة (آلة من حديد كأنها رأس فأس يُهدم بها الحائط) وغير ذلك من أدوات<sup>(١٥٣)</sup>.

## ١١ - صناعة السفن:

عرف العرب في عصور ما قبل الإسلام صناعة السفن في بعض المناطق، وخصوصاً عرب اليمن، الذين كانت لهم في القديم تقاليد عريقة في إنشاء السفن وفي التجارة البحرية. وكان العرب يصنعون سفنهم من أخشاب بعض

---

(١٤٨) الأصمعي: كتاب النبات، ص ٣٥. الجاحظ: التبصر بالتجارة، ص ٣٤. الديماطي: معجم أسماء النبات، ص ١٢١.

(١٤٩) الديماطي: معجم أسماء النبات، ص ١٤٩.

(١٥٠) ديوان الأعشى الكبير، ص ١٤٧.

(١٥١) ابن قتيبة: المعارف، ص ٥٧٥.

(١٥٢) الزبيدي: تاج العروس، ج ١، ص ٥٥. الألوسي: بلوغ الأرب، ص ٣٩٨.

(١٥٣) الزبيدي: تاج العروس، ج ٧ ص ٣٧٢ وج ٨ ص ٤. الألوسي: بلوغ الأرب، ص ٣٩٩. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٥٥٧.

الأشجار المحلية أو المستوردة من أفريقيا والهند. وأشار صاحب كتاب الطواف إلى استيراد الأخشاب القوية الصالحة لبناء السفن مثل أخشاب الساج، وأن هذه الأخشاب كانت تصل إلى ميناء عُمانا (صُحار) في الجنوب - الشرقي من شبه الجزيرة العربية<sup>(١٥٤)</sup>.

ويبدو أن العرب صنعوا السفن الكبيرة والقوارب التي استخدموها في رحلاتهم البحرية. وكانت القوارب أنواعاً، منها القوارب الصغيرة التي كانت تُستخدم في رحلات الصيد، وفي رحلات الغوص للؤلؤ من السواحل القريبة. وكانت هذه القوارب الصغيرة بسيطة الصنع تتكوّن من جذوع الأشجار والقرب المنفوخة. وقد اشتهر في صنعها سكان السواحل، وما تزال صناعتها قائمة في بعض القرى الساحلية حتى اليوم<sup>(١٥٥)</sup>. ومنها القوارب التي كانت تُصنع من جريد النخيل المخيط بحبال أليافها، والمغطى هيكلها بلحاءها<sup>(١٥٦)</sup>.

أما السفن الكبيرة فكانت تتألف من سقائف تُخرز بالليف، ويُجعل في خللها القار؛ وتصنع من ألواح خشبية تُشدّ بعضها ببعض بخيوط من الألياف، وتُستعمل فيها الأشرعة المربعة، وكانت قادرة على الإبحار في المحيط الهندي مع الرياح الموسمية، ونقل ما يصل وزنه إلى ٢٠٠ طن دفعة واحدة. ويبدو أن هذه السفن ظلّت معروفة في البحر الأحمر والمحيط الهندي حتى القرن الخامس عشر الميلادي<sup>(١٥٧)</sup>.

وقد أطلق العرب على سفنهم أسماء مثل: عَدُولِي وخَلِيَّة، وفيها قال طرفة بن العبد:

كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ عُذْوَةٌ      خَلَايَا سَفِينٍ بِالنُّوَاصِفِ مِنْ دَدٍ  
عَدُولِيَّةٌ أَوْ مِنْ سَفِينِ ابْنِ يَامِنٍ      يَجُورُ بِهَا الْمَلَّاحُ طَوْرًا وَيَهْتَدِي<sup>(١٥٨)</sup>

The Periplus of the Erythraean Sea, chapter 36, P36.

(١٥٤)

Pliny: Natural history, Bk6, P469.

(١٥٥)

حسن صالح شهاب: فن الملاحة عند العرب، دار عودة، بيروت ١٩٨٢، ص ٣٤.

(١٥٦) وزارة الإعلام والثقافة العُمانية: تاريخ عُمان البحري، مسقط ١٩٧٩، ص ١٥٢.

(١٥٧) فضلو حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٨، ص ٢٥٠.

(١٥٨) ديوان طرفة بن العبد، ص ٣٠ - ٣١.

وكان على شواطئ اليمن فرض (موانئ) ترسو عندها السفن القادمة من الهند أو وادي الفرات أو وادي النيل. وكانت لهم فرضة اسمها «موزا» يبنون فيها السفن الكبرى للسير في المحيط الهندي. ومن الفرض التجارية المشهورة في اليمن حينذاك: عدن، وحصن الغراب، وظفار، ومسقط، وعُمان<sup>(١٥٩)</sup>. واشتهرت عُمان منذ القديم بصناعة القوارب والسفن وبتصديرها إلى المناطق العربية الأخرى، كما اشتهرت جزيرة البحرين بهذه الصناعة على حدّ ما جاء في رواية ثيوفراستيس<sup>(١٦٠)</sup>.

## ١٢ - صناعة الألياف والعيدان:

وإلى جانب صناعة السفن والأثاث المنزلي، صنع العرب في عصور ما قبل الإسلام من ألياف بعض الأشجار وعيدانها: الحبال والحصر والسلال والغرابيل وشباك صيد السمك وغيرها<sup>(١٦١)</sup>. فمن نباتات: الخزم والعرفط والأسل وليف النخيل والعرباب صنعوا الحبال والأرشية، ومن القنب الذي هو نوع من الكتان الغليظ صنعوا الحبال، ومن المصاص اتخذوا الحبال المستعملة في الخرازة<sup>(١٦٢)</sup>. من سعف بعض النباتات كسعف النخيل صنع العرب: السلال والحصر والبسط والمراوح والمكانس، والقفف لنقل المواد الغذائية، والأكياس لكبس التمور<sup>(١٦٣)</sup>. ومن أجزاء بعض النباتات: كالطرف والخرفع والسراء والعشر، صنع العرب أشياء كثيرة كحشو الوسائد والفرش والمراتب ورحال الإبل. وكان نبات السراء ونبات العشر ينتجان ثماراً تنفلق

(١٥٩) جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ٢١٢.

(١٦٠) Theophrastus: Enquiry into plants, Bk5, P445.

(١٦١) أبو حنيفة الدينوري: كتاب النبات، ص ٢٤٢ و ٢٤٨ - ٢٥٢.

(١٦٢) الأصمعي: كتاب النبات، ص ٢١. الدمياطي: معجم أسماء النباتات، ص ٩٩ و ١٠١ و ١٢٩. الأرشية: الحبل عموماً أو حبل الدلو. أرشية النبات: خيوطه إذا امتدت. الخرازة: حرفة الخراز وهي صناعة خيطان المسابح والعقود.

(١٦٣) الأصمعي: كتاب النبات، ص ١٣٥. الجاسر: في سראة غامد وزهران، ص ٣١٨. الأنصاري: قرية الفاو، ص ١١٢ - ١١٣.



عن وبرٍ شبيه بالقطن يُحشى به، وكان لنبات الخرفع زغب مثل القطن يُحشى به أيضاً<sup>(١٦٤)</sup>.

وقد تخصصت في صناعة الحبال فئة من العرب، كانت تقوم بقتل لحاء الشجر وبرمه بواسطة المغازل والمبارم، لكي تُكسبه قوّة ومثانة، وقد تُضيف إليه الزيوت المقوّية والمرطّبة، أو تُضيف إليه الجلد، ثمّ تفتله وتبرمه على شكل مجموعات وتشده شداً قوياً حتى يمتن ويشتد<sup>(١٦٥)</sup>.

### ١٣ - الصناعات الفخارية:

عرف العرب منذ آلاف السنين صناعة الفخار، وتركوا لنا آثاراً فخارية كثيرة تدلّ على نموّ هذه الصناعة وتطورها. وقد عثر علماء الآثار على أوانٍ فخارية وخزفية في وسط شبه الجزيرة العربية وفي جنوبها وخصوصاً في اليمن، وفي عاصمة كندة، كما عثروا على أواني فخارية ملوّنة ومزينة بنقوش هندسية أو نباتية أو حيوانية في شرق شبه الجزيرة وتحديدًا في موقع هيلي الذي يشكّل حالياً جزءاً من مدينة العين، وفي أمكنة أخرى مختلفة.

وكانت أنواع الفخار المكتشفة كثيرة ومتنوعة منها: فخار سميّ خشن ممزوج بالرمّل ومتعدّد الألوان ويغلب عليه اللون الأحمر أو البني أو الأخضر، ومادّته مساميّة، ومزخرف بالخطوط المتموجة والتنقيط. وقد وجد هذا النوع في وسط شبه الجزيرة، وفي جنوبها في حجر بن حميد، وحريضة في حضرموت، وفي قرية الفاو<sup>(١٦٦)</sup>. ومنها فخار خشن ممزوج بالحجر الصابوني، وقد اكتشف

---

(١٦٤) الدميّاطي: معجم أسماء النباتات، ص ١٠٣. الرّحال: ما يُجعل على ظهر البعير كالسرج. والرّحال: الطنافس المصنوعة بالحيرة.

Pliny: Natural history; Bk12, P117. Theophrastus: Enquiry into plants, (١٦٥) Bk9, P237.

جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ١١٢ - ١١٣.

Gus Van Beek: Hajar bin Humeid, P90. Juris Zarins: The Preliminary Report on the third phase of the Comprehensive Archaeological survey program, the Central Province, P32. (١٦٦)

في وسط شبه الجزيرة، وفي وادي بيهان. وهناك فخار خشن ممزوج بالرمل وذو لون أسود أو أحمر، وُجد منه في وسط شبه الجزيرة، وفي منطقة مأرب، وفي حضرموت، ونظراً لانتشاره في أثيوبيا فقد عدّه البعض أثيوبي الأصل<sup>(١٦٧)</sup>. ومنها أيضاً فخار رقيق جداً، تتراوح رفته ما بين ١ - ٤ ملليمترات، وله ألوان كثيرة منها الأحمر والأسود، ومزخرف بأشكال عديدة مثل الأزهار وأوراق الأشجار. وكذلك يوجد الفخار المزجج الذي عُثر عليه في ثاج بشرق شبه الجزيرة، وفي شمالها، وفي قرية الفاو. وكانت القطع الفخارية مزججة من الداخل والخارج معاً، أو مزججة من الخارج فقط، أما ألوانه فكثيرة منها: الأصفر والأسود والأخضر<sup>(١٦٨)</sup>.

وقد اشتهرت مكة واليمن بصناعة الأواني الفخارية، وكان ممن اشتغل بهذه الحرفة في مكة أمية بن خلف<sup>(١٦٩)</sup>، كما اشتغل بها الأنباط؛ وكانت الأواني الفخارية التي صنعوها من الدقة والرقّة بحيث أنّها فاقت جودة خزف الشعوب الأخرى<sup>(١٧٠)</sup>.

وكان أهل يثرب يحملون الخمر في جرار يطلقون عليها اسم «الحنتمة». وقيل أنّ الحنتم هو الخزف الأخضر، أو الجرار التي دُھنت باللون الأخضر. وكانت قرية «هجر» التي تقع على مقربة من مدينة يثرب تصنع القلال أي الجرار الكبيرة، فقليل «قلال هجر». واشتهرت الأحساء بالقلال أيضاً<sup>(١٧١)</sup>.

وعلى العموم فإنّ الجرار التي كانت أكثر الفخار استعمالاً، تُستخدم في تخزين الطعام بالمنازل كالحبوب والدقيق والزيت، وفي تخزين الدبس والتمور برصّها في الجرار، وفي حفظ مياه الشرب حيث كانت توضع في الخوابي - وهي

---

(١٦٧) نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٨٢.

Gus Van Beek: Hajar bin Humeid, P92.

Shmitt korte: A Contribution to the Study of Nabataean Pottery, Annual (١٦٨) of the Department of Antiquities of Jordan, Amman 1971, vol 16, P12.

الأنصاري: قرية الفاو...، ص ٣٠.

(١٦٩) ابن قتيبة الدينوري: المعارف، ص ٥٧٦.

(١٧٠) فيليب حتى: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ٤٣١.

(١٧١) ابن منظور: لسان العرب، ج ١١، ص ٥٦٥، وج ١٢، ص ١٦١ - ١٦٢.

الجرار الضخمة - لتصفو من كدرها وشوائبها وتبرد نسبياً، وفي خزن بعض الأشياء الثمينة حيث كانت تُسد وتُدفن تحت الأرض كي لا يقف عليها اللصوص؛ وقد عُثر على كنوز مخبأة في جرار طُمُرت تحت التراب<sup>(١٧٢)</sup>. وكان الأنباط يصنعون الجرار الصغيرة ويستخدمونها في حفظ العطور والمراهم والبلسم، ويصدرونها إلى الخارج؛ وكانت هذه الجرار غير قابلة للاستعمال مرة أخرى، فلا بد من كسرها للحصول على ما بداخلها، وقد عُثر منها على كميات كبيرة محطمة وبأحجام مختلفة، ولكن معظمها يميل للصغر<sup>(١٧٣)</sup>.

وإلى جانب الجرار صنع العرب، في القديم، الأدوات والأواني الفخارية والخزفية من أهمها: القدور خاصة من الفخار الممزوج بالحجر الصابوني لتحملها لدرجات الحرارة العالية، والأطباق بكافة أحجامها، والصحاف الكبيرة الواسعة، والجفان، والأباريق، والأقداح، والأزيرة الكبيرة التي ما زالت تُستخدم في معظم المناطق. كما صنعوا الكيزان، والأكواب، والراقود وهو دَن يُصبغ باطنه بالقار ويُستخدم للشرب، والقاقزة أو القاقوزة أو القزوزة وهي مشربة، أو الصغير من القوارير والطاس<sup>(١٧٤)</sup>.

وصنع العرب أيضاً المجامر (المباخر) من الفخار وإن كانت قليلة الانتشار، وبعض التماثيل البشرية والحيوانية وانفرد القتيانيون بصناعة الصنابير الفخارية لتصريف المياه واستخدموها في عمليات الري. واستعمل الأنباط الأنابيب الفخارية في تصريف مياه المباني كالمسارح وغيرها<sup>(١٧٥)</sup>.

---

(١٧٢) أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي: المعرب، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، طبعة مصر، القاهرة ١٩٦٩، ص ١٦٨. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ٦٠.

(١٧٣) P.Hammond: The Nabataean their history culture and Archaeology, P70-71. (١٧٤) الجواليقي: المعرب، ص ٢٠٨ و ٣٢١ - ٣٢٢.

Thompson Caton: The Tombs and Moon Temple of Hureida «Hadramaut», P115.

(١٧٥) نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية...، ص ١٨٣ - ١٨٤.

Richard Bowen: Irrigation in Ancient Qataban, P64. Philp Hammond: The Excavation of the Main theater of Perta: 1961-1962, Colt Archaeological Institute Publication, London 1965, P54.

ويبدو أنّ صناعة الفخار قد انتشرت في كافة المناطق العربية، وتخصّصت كل منطقة بنوع معيّن منها، واختلفت عن غيرها من حيث المادّة وطريقة الصناعة والزخرفة، لذا أطلق الأثريون اسم المنطقة على الفخار الموجود فيها، فقالوا: هناك فخار قرية، وفخار الخريبة (ديدان)، وفخار نبطي، وفخار الفاو، وفخار ثاج، وفخار حريضة، وفخار هجر بن حميد.. وهكذا. وقد ساعد ذلك على تحديد تاريخ المناطق، عن طريق مقارنتها مع بعضها البعض.

وكانت المواد المستخدمة في صناعة الفخار كثيرة نذكر منها:

الرمل الذي دخل في صناعة الفخار في معظم المناطق وخصوصاً في المناطق الوسطى والشمالية من شبه الجزيرة؛ وكانت مدينة مأرب أهم مراكزه في الجنوب. كما دخل في صناعته أثيوبيا بشكل واسع ممّا جعل الأثريون يعتقدون أنّه أثيوبي الأصل. وتتميّز الأواني الفخارية المصنوعة من الرمل بثقل الوزن، وبلونها الأحمر الغامق أو الأحمر المائل للبنّي بعد حرق مادّتها، وبسطحها الخشن حتى بعد محاولة تمليسها<sup>(١٧٦)</sup>.

والحجر الصابوني الذي كان يُستخدم بكثرة في شبه الجزيرة العربية.

والصلصال الذي كان يُعدّ مادة الفخار الأولى، والذي كان يُصنع منه الطين الذي يُسوّى بدوره أشكالاً فخارية، تُوضع تحت أشعة الشمس لتجفّ، ثمّ تُدخل إلى آتون النار لتحويلها إلى أوانٍ خزفية جاهزة للاستعمال<sup>(١٧٧)</sup>.

والقش الذي يُعرف باسم التبن في بعض الأقاليم العربية، والذي وُجد ممزوجاً مع الفخار وخاصّة في المناطق الزراعية كجنوب شبه الجزيرة العربية حيث كان يُشكّل ما نسبته ٨٣٪ منه، كما وُجد ممزوجاً معه في وسط شبه

---

J.Zarins: Preliminary report on the third phase of the comprehensive archaeological Survey Program, Atlat, vol 3, Riyadh 1979, P32. (١٧٦)

نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٧٩.

(١٧٧) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨ ص ٥٩. نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٧٩.

الجزيرة كمنطقة القصيم. وكانت قطع القش تتراوح ما بين نصف وواحد  
مليمتراً<sup>(١٧٨)</sup>.

ويُعدّ أتون النار القسم الرئيس في معمل الفخار، وهو عبارة عن «كور»  
في أسفله موقد تُوقد فيه النيران، فيرتفع لهيبها وتُصعد حرارتها، من خلال  
فُتحات وثقوب تكون في قاع الآتون إلى أعلى مازّة بين أشكال الطين لتشويها  
وتحويلها إلى خزف وفخار. وللأتون فتحة في أعلاه وفتحة في جانبه تُغلق في  
أثناء العمل، وتُفتح بعد نزوج الخزف والفخار<sup>(١٧٩)</sup>.

وكان معظم الفخار العربي يُصنّع بواسطة عجلة أو دولاب يُعرف «بدولاب  
الفخار» وهو عبارة عن دولاب يدبر قرصاً من خشب، فكان عامل الفخار يضع  
الطين على القرص، ثم يُحرّك القرص بالدولاب، وخلال عملية الدوران كان  
العامل يعالج الطين بيده ليسوّي منه الشكل الذي يريده<sup>(١٨٠)</sup>.

ويبدو أنّ عامل الفخار قد اعتمد في عمله على أساليب يدوية عدّة من  
أهمّها: استخدام قالب من الفخار أو الخشب أو غيره كنموذج تُوضع فيه المادة  
الفخارية، ثم تضغط باليد حتى تأخذ شكل القالب. وقد صُنعت بهذه الطريقة  
الأواني والأطباق، كما صُنعت الجرار ولكن على جزئين يُلصقان ببعضهما في  
النهاية<sup>(١٨١)</sup>. ومنها استخدام اليدين في صنع الإناء المطلوب، وذلك بأخذ قطعة  
صلصالية وتشكيلها باليد دون الاستعانة بنموذج معين، وقد تبدو آثار أصابع يد  
العامل على هذا الإناء. ومنها أيضاً استخدام الحصر في صناعة الأواني الفخارية  
وإعطائها اللمسات الأخيرة. وتعتمد هذه الطريقة على إدارة الحصر أثناء تشكيل  
الإناء الذي لا تزال آثار الحصر السعفية بارزة فيه<sup>(١٨٢)</sup>. ومنها كذلك استخدام

---

(١٧٨) نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٧٩.

Gus Van Beek: Hajar bin Humeid, P89.

(١٧٩) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ٥٩.

Gus Van Beek: Hajar bin Humeid, P87.

(١٨٠)

Thompson Caton: The Tombs and Moon Temple of Huriedha, P115.

(١٨١)

Gus Van Beek: Hajar bin Humeid, P370. Shmitt Korte: Nabataean Pot-  
tery..., P34.

(١٨٢)

الحبال الطينية في صناعة الجرار الكبيرة التي لا يستطيع العامل السيطرة عليها لثقلها، لذا فإنها تُصنع على أجزاء، ثم تُركَّب بإضافة سائل شبه صلصالي إلى السطح الخارجي في موضع الجزء المراد لصقه، ثم يضغط على السطح الذي يتصل به، وعادةً يتم ذلك قبل أن يجفَّ كل من الجزئين أو بعد تليينهما بلمسات خفيفة بقطعة من الخشب أو العظم في منطقة الاتصال، تخفى آثار هذه العملية<sup>(١٨٣)</sup>.

ولإخفاء الآثار التي ظهرت على الإناء خلال عملية الصنع، ولتلميعه وإعطائه لمسة جمالية، كان الإناء يُدهن من الداخل والخارج بسائل صلصالي بقطعة من القماش، أو يُغمَر الإناء بكامله في هذا السائل. كما كان الإناء يُغسل بمادة ملوَّنة بعد حرق مادته الفخارية، على غرار ما كان يفعله صناع الفخار في جنوب شبه الجزيرة العربية. وكذلك كان الإناء يلمَّع من الداخل والخارج باستخدام الدولاب أو باستخدام قطعة من الحجر أو المعدن أو الخشب أو الصوف أو غيره. وتُعرف هذه العملية باسم «العقل»<sup>(١٨٤)</sup>.

وكانت الأواني الفخارية تُزخرف، في نهاية العملية الصناعية، من الخارج، ما عدا بعض الأواني التي كانت تُزخف من الداخل كالأطباق والسلطانيات (الصحاف) الكبيرة الواسعة. أما أنواع الزخرفة فهي: الخطوط المتموجة والأشكال الهندسية التي تُضاف إليها التماثيل البارزة أو الأشكال الدائرية. وأحياناً تقتصر الزخرفة على علامات يرسمها الصانع بإصبع يده. وأضاف الأنباط إلى الأشكال الهندسية التي رسموها على آنيتهم الأزهار وأوراق الأشجار وثمار الفاكهة كالعنب والرمان وغيرهما<sup>(١٨٥)</sup>.

---

(١٨٣) نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٨١ - ١٨١.

Gus Van Beek: Hajar bin Humeid, P81.

Van Beek: op.cit, P89 and 95. P.Hammond: The physical nature of Nabataean Pottery, American Journal of Archaeology, vol.68, New York 1964, P262.

Van Beek: op.cit, P84-94. Shmitt Korte: A contribution to the Study of Nabataean Pottery, P51-52..

هاردنغ لانكستر: آثار الأردن، ترجمة سليمان موسى، عمان ١٩٧١، ص ١١٦.

وقد تميّز فخار شبه الجزيرة العربية بألوانه الزاهية التي يُعتبر نوعاً من أنواع الزخرفة، مثل: الزهر والأحمر المائل إلى البني والبني الخفيف والبني الثقيل والرصاصي والأسود الذي اشتهر به فخار الأنباط. ويبدو أن اللون الأحمر بنوعيه الخفيف والثقيل هو أكثر الألوان انتشاراً في بلاد العرب<sup>(١٨٦)</sup>.

#### ١٤ - صناعة الأواني الزجاجية:

تدلّ الأواني الزجاجية التي عثر عليها الأثريون في بلاد الشام وفي مواضع أخرى من شبه الجزيرة العربية على معرفة العرب في عصور ما قبل الإسلام بالزجاج وبصناعة الأواني الزجاجية.

ويبدو أنّ الأواني الزجاجية التي صنعها هؤلاء كانت كثيرة وفاخرة، منها: الجرار والأطباق والأسرجة والقناديل والأقداح والقوارير، وأدوات الزينة والحلي كالأساور والخرز والفصوص والخواتم. والمرآة التي كانت تُصنع أيضاً من المعادن كالنحاس. والكأس للشرب الذي كان يُصنع أيضاً من المعادن مثل الذهب والفضة والنحاس والحديد أو من الفخار. والراووق الذي هو المصفاة، وقيل الناجود أو الباطية التي هي إناء واسع الأعلى ضيق الأسفل. وذكر بعض علماء اللغة أنّ الراووق هو الكأس<sup>(١٨٧)</sup>.

أمّا الأسرجة فهي المصابيح التي صُنعت من الزجاج، والسراج، يقول ابن منظور «بأنه المصباح الزاهر الذي يُسرج بالليل، والمسرجة التي فيها الفتيل»<sup>(١٨٨)</sup>. والقناديل التي أشير إليها في التوراة هي مصابيح محمولة، وكانت تعلّق أو تُحمل، وتُستخدم في بيوت العبادة، وفي منازل الأغنياء. وكانت تُصنع من الزجاج أو من الفضة والذهب والبرونز. ولفظة قنديل أعجمية لاتينية، وهي (Candela) التي تعني المصباح والسراج والنبراس في آن واحد<sup>(١٨٩)</sup>.

Van Beek: op.cit, P98. Korte: op.cit, P50.

(١٨٦)

نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٨٢.

(١٨٧) الجواليقي: المغرب، ص ١٣١. الزبيدي: تاج العروس، ج ٦، ص ٣٦٣. جواد علي: المفصل

في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ٦٤.

(١٨٨) ابن منظور: لسان العرب، ج ٢، ص ٢٩٧.

(١٨٩) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ٦٤.

وعرف أهل اليمن وجوارها البلّور الذي كانوا يستخرجونه من نوع خاص من الحجارة، ويصقلونه بعناية، وكان يغلب عليه اللون الأبيض. وتمتاز الصناعات الزجاجية بتعدد ألوانها كالأسود والأخضر والأزرق والبنفسجي والأصفر الذي يميل إلى لون العنبر. كما تمتاز بطريقة مزج الألوان لإكسابها جمالاً. وقد زُخرفت معظم الأواني الزجاجية برسوم تنم عن ذوق رفيع وتطوّر في الصناعة، وكانت الكؤوس تُزيّن بالنقوش والزخارف، وباللؤلؤ، وبالحجارة الكريمة<sup>(١٩٠)</sup>.

ومن أشهر مراكز تصنيع الزجاج التي كشفت عنها الدراسات الأثرية حتى الآن: قرية الفاو، ومنطقة عدن. وكانت هذه المراكز تصنع الأواني الزجاجية بطرق وأساليب مختلفة: بعضها بالضغط، وبعضها الآخر بالقلب، وبعضها الثالث بالنفخ<sup>(١٩١)</sup>.

## ١٥ - صناعة المواد الغذائية:

انصبّ اهتمام العرب في عصور ما قبل الإسلام على تطوير غذائهم وتحسين أطعمتهم. واستخدموا لذلك أدوات وآلات كثيرة، منها: المطاحن الآلية التي تدور بقوة الماء، ومنها الرحى والجواريش التي هي مطاحن حجرية يدوية تُستخدم في المنازل لطحن الحبوب والسيق والجريش والبهارات. ومنها أيضاً المعاصر لعصر العنب وصنعه خموراً، ولاستخراج الزيوت من البذور. وكانت هذه المعاصر توجد في الحقول، كما كانت توجد في البيوت ومحلات الزيوت والخمور. وقد سُميت المعصرة «موهت» في المسند، وهي تتألف من

---

(١٩٠) المرجع نفسه.

Caton: The Tombs and Moon Temple of Hureidha, P69 and 98-99. B.  
Doe: Southern Arabia, P118.

(١٩١) الأنصاري: قرية الفاو، ص ٢٩.

Arthur Lane: Pottery and glass fragments from Aden, In studies in Arabian History and Civilization, edition by r.B.Serjeant, Variorum Reprints, London 1981, P129.



حجارة قُطعت من الصخور، وفي الحجر الأعلى ثقب، وموضع لإدخال الأعناب أو المواد الأخرى المراد عصرها، والحجر الأسفل ثابت يحيط به منخفض يشبه الساقية ليجري منه العصير أو الزيت الذي يتجمع في مكان أو حفرة أعدت له، ثم يُعبأ في أوعية للاستخدام المنزلي<sup>(١٩٢)</sup>.

وكانت صناعة السمن من لبن الماعز والغنم والبقر من الصناعات الرائجة عند العرب في عصور ما قبل الإسلام، وكان بنو سُليم يبيعون السمن في أسواق يثرب<sup>(١٩٣)</sup>.

ويُعدّ التمر مادة غذائية رئيسة عند العرب، فكانوا يأكلونه رطباً ومجفّفاً، ويصنعون منه دبساً وشراباً وخمراً، ويعملون منه دواءً يستطبّون به لعالجة عدد من الأمراض<sup>(١٩٤)</sup>.

أما العنب الذي اشتهرت به بلاد اليمن والطائف، فقد تناوله العرب رطباً، وجفّفوا الفاض زيباً. وكان زبيب الطائف يُضرب بحسنه المثل<sup>(١٩٥)</sup>. ويُعرف الزبيب باسم «فصم» أي «فصيم» في اللهجة الحميرية. وقد وردت هذه اللفظة في نصّ أبرهة بمناسبة توزيعه الزبيب على العمال الذين ساهموا في ترميم سدّ مأرب<sup>(١٩٦)</sup>.

وعرف العرب في العصر الجاهلي صناعة الخمر. وقد صنعوها من العنب وخصوصاً في المناطق التي اشتهرت بزراعة الكروم كالمرتفعات الجنوبية والحجاز وشمال غرب شبه الجزيرة<sup>(١٩٧)</sup>. وصنعوها من التمور التي ورد اسمها في النقوش العربية الجنوبية باسم «مزروم التمر»<sup>(١٩٨)</sup> والتي أشار صاحب كتاب

(١٩٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ٢٦٤ و ٢٧٩.

(١٩٣) السهودي: وفاة الوفاء بأخبار دار المصطفى، ص ٥٤٤.

(١٩٤) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٢٧٠.

(١٩٥) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٧٩.

(١٩٦) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ٢٦٢ - ٢٦٣.

(١٩٧) B.Dœ: Southern Arabia, P167.

(١٩٨) بيستون وآخرون: المعجم السبئي، ص ٨٩.

الطواف إلى وجودها ووفرتها محلياً وتصديرها للهند<sup>(١٩٩)</sup>. كما صنعوها من العسل والحبوب كالذرة، وصنعوا النبيذ من الزبيب<sup>(٢٠٠)</sup>. وكانت المدن النبطية في حوران من أهم المراكز العربية شهرة في صناعة الخمر وتجاريتها<sup>(٢٠١)</sup>.

وعرف العرب أيضاً في ذلك العهد صناعة الزيوت التي كانت تُستخدم في الأكل، وفي الإنارة، وفي بعض الصناعات. ومن أشهر هذه الزيوت زيت الزيتون الذي اشتهرت به مدينة تدمر التي وُصف إلهها بحامي الزيتون الذي تنتشر زراعته في المناطق المحيطة بها<sup>(٢٠٢)</sup>. ومنها أيضاً الزيوت التي استخرجت من السمسم والكمون والكتان، والزيوت التي استخدمت في الإنارة والصناعات مثل القطران، والتي استخرجت من أشجار العرعر والأثار<sup>(٢٠٣)</sup>.

وكذلك عرف العرب حرفة استخراج الدبس من التمر بعد رصها في أبراج مبنية على قواعد خشبية، ولها منافذ لخروج الدبس من أسفلها. وكان الدبس الذي يُطلق عليه عسل التمر، يؤكل كغذاء، ويدخل في صناعة الحلوى<sup>(٢٠٤)</sup>.

وعرفوا حرفة الخبازة التي كان يقوم بها الخباز الذي يعمل بتحويل الطحين إلى أنواع مختلفة من الخبز<sup>(٢٠٥)</sup>. وحرفة الجزارة التي كانت منتشرة في أقاليم شبه الجزيرة العربية، بسبب نحر الحيوانات في المناسبات الدينية والأعياد<sup>(٢٠٦)</sup>.

---

The Periplus of the Erythraean Sea, Chapter 36, P36. (١٩٩)

(٢٠٠) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٧، ص٥٤١.

F.E.Peter: The Nabataean in the Hawran, Journal of American School of Oriental Society, Vol 97, Part 3, New Haven 1977, P268. (٢٠١)

(٢٠٢) نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص١٨٩.

Pliny: Natural History, Bk12, P29.

Van Beek: Hajar Bin Humeid, P401-402. (٢٠٣)

عرام: أسماء جبال تهامة وسكانها، ص١٨.

F.Vedal: The Oasis of Al Hasa, P168. (٢٠٤)

(٢٠٥) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٧، ص٤٧٢.

(٢٠٦) المرجع نفسه، ص٥٧٢.

## الفصل الخامس

### القطاع التجاري والأسواق في عصور ما قبل الإسلام

#### أولاً: القطاع التجاري:

كان لموقع شبه الجزيرة العربية في قلب العالم القديم بخاصة، والعالم العربي بعامة، أهمية خاصة في التاريخ القديم والحديث على حد سواء، إذ جعل هذا الموقع من بلاد العرب همزة وصل بين قارتي آسيا وأفريقيا، وعبرهما إلى أوروبا فالمحيط الأطلسي، مما يسمح بنسبتها إلى كل من القارتين. فهي بطبيعتها الإقليمية تعتبر جزءاً من صحارى أفريقيا الشمالية، رغم وجود البحر الأحمر الذي يظهر طريقاً واصلاً أكثر منه فاصلاً، بين سواحل مصر والحجاز، وبين سواحل اليمن والحبشة والصومال عند مضيق باب المندب بشكل خاص. ويؤيد ذلك ما يقوله الإصطخري من أن طريق القوافل بين سواحل عُمان وبين تهامة غرباً، وبين سواحل عُمان والبحرين شرقاً كانت من الصعوبة بحيث كان طريق المواصلات فيما بينها هو الطريق البحري<sup>(١)</sup>. أما عن برزخ السويس، فكان البوابة الكبرى لعبور الهجرات السكانية من آسيا وشبه الجزيرة العربية إلى مصر والمغرب العربي. وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار شبه جزيرة العرب من أفريقيا.

وكذلك بالنسبة لآسيا، فإذا كان الخليج العربي يفصل بلاد العرب في الجنوب والشرق عن إيران وأفغانستان وقلب آسيا، فإنه كان قديماً صلة وصل

---

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري: المسالك والممالك، طبعة مصر، القاهرة ١٩٦١، ص ٢٨.

جيدة بين الساحل العربي والساحل الفارسي، فعبره كانت تنتقل الجماعات البشرية من كلا الجانبين خلال العصور. وأيضاً كان الأمر بالنسبة لسهول دجلة والفرات، التي كانت تشكّل حلقة وصل بين بلاد العرب وأواسط آسيا، ومن هذا القبيل تُعتبر بلاد العرب من قارة آسيا.

وبناء عليه، فإنّ مناطق شبه الجزيرة العربية عموماً، والحجاز واليمن خصوصاً، كانت ملتقى للطرق العالمية البحرية والبرية التي تربط بين الشرق والغرب. ويُعدّ الحجاز وكذلك اليمن المنطقتين الاستراتيجيتين الأكثر أهمية في بلاد العرب. فمنهما وبموازاتهما يمرّ طريقان رئيسان من طرق التجارة العالمية آنذاك.

**الأول:** الطريق البرّي الذي تسلكه القوافل بين اليمن والشام عبر الطائف ومكّة ويثرب، وتتفرّع منه خطوط تتّجه صوب الغرب والشرق والشمال الشرقي.

**والثاني:** طريق البحر الأحمر الموصل إلى شرقي أفريقيا وإلى الهند وجنوب شرقي آسيا وإلى سيلان والصين. ولذلك كانت الحجاز واليمن جسرين، يربطان بلاد الشام وحوض البحر المتوسط بالحبشة وشرقي أفريقيا والبلاد المطلة على المحيط الهندي. وكان لهذا أعظم الأثر في قيام محطات تجارية أهمّها: مكّة على الطريق البرّي، وثغور تجارية على الطريق البحري مثل: أيلة في الشمال، وينبع ميناء يثرب، والشعبية ميناء مكّة القديم، وموزا (مخا) وعدن، وقنا (حصن غراب) وظفّار، ومسقط في الجنوب<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أنّ الفرس واليونان والرومان والبيزنطيين قد لاحظوا أهمية بلاد العرب بالنسبة للمواصلات الدولية، فحاولوا السيطرة عليها أو الهيمنة على بعض أجزائها ووضع هذه المواصلات وما يمرّ عبرها من قوافل وأساطيل تحت إشرافهم المباشر، ولكنّ محاولاتهم باءت بالفشل في نهاية المطاف، وانسحب الأحباش من اليمن، وانحسر نفوذ الروم عن شمالي الحجاز والبحر الأحمر،

---

(٢) جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ٢١٢. انظر خريطة طرق المواصلات البرية والبحرية في ملاحق الكتاب.

وأصبح يقتصر على فلسطين وأعالي البحر الأحمر، وعاد للطريقين البريين إلى الهند عبر الفرات ودجلة من جهة، وعبر اليمن والشام عن طريق مكة من جهة ثانية نشاطهما ومكانتهما الأولى. أمّا الطريق عبر البحر الأحمر، فلم تقوَ بحرية الحبشة على ملء الفراغ فيه، بعد هزيمتهم أمام الفرس وانسحابهم من اليمن عام ٥٧٥ ميلادية ممّا هيأ ظروفاً مؤاتية لنشاط العرب التجاري<sup>(٣)</sup>.

## ١ - التجارة في جنوبي شبه الجزيرة العربية:

أدرك اليمنيون خصوصاً وسكان جنوبي شبه الجزيرة عموماً، أهمية الموقع التجاري الذي تتمتع به بلادهم، فسارعوا إلى الإفادة منه، فأنشأوا صلات تجارية مع بلدان وأقوام الشرق الأدنى القديم، والهند وجنوب شرقي آسيا المعاصرة لهم، وأرسلوا القوافل التجارية من اليمن عبر الحجاز إلى سوريا وفلسطين شمالاً، وإلى منطقة الخليج العربي والعراق شرقاً، وإلى مصر غرباً، وفرضوا سيطرتهم على طرق الملاحة البحرية<sup>(٤)</sup>. وخبروا البحر، واكتشفوا مواعيد هبوب الرياح الموسمية، وتبدّل اتجاهاتها بين الصيف والشتاء، وسيروا سفنهم الشراعية إلى الهند وإلى بلاد الحبشة وشرقي أفريقيا، مدفوعة بقوة هذه الرياح، تبعاً لأوقاتها التي تتبدّل اتجاهات هبوبها حسب المواسم وكانت بعض هذه السفن تتخذ طريقها بجوار سواحل شبه الجزيرة، انطلاقاً من الخليج العربي ومروراً ببحر عُمان وبحر العرب والبحر الأحمر، قاصدةً على الغالب مصر ودول شرقي أفريقيا. وعلى هذا الطريق شُيّدت الثغور العربية القديمة، مثل مسقط وظفار وعدن<sup>(٥)</sup>.

وعلى طريق القوافل التي تربط بين جنوبي شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام، وعلى الطرق المتصلة بها، أقام اليمنيون محطات تجارية لهم. ففي عهد

(٣) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٦٤. المسعودي: مروج الذهب، ج ٢، ص ٨١ - ٨٢.

(٤) أحمد سوسة: حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، ص ١٩٣. نورة العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢١٠ - ٢١٧.

(٥) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ٦٦. عرفان محمد حمّور: أسواق العرب، الطبعة الثانية، دار الشورى. بيروت ١٩٨١، ص ٢٣.

الدولة المعينية التي سيطرت على الطرق التجارية بين الشمال والجنوب، ازدهرت التجارة في بلاد اليمن، وخصوصاً بعد أن نما نفوذهم وامتد إلى شمالي الحجاز، حيث دخلت مُعان وديدان (العُلا الحديثة) تحت سيطرتهم، كما تؤكده الكتابات المعينية التي اكتشفها الأثريون في منطقة معان وديدان. وفي ذلك يقول ألويس موسل: «خلال الألف الأول قبل الميلاد كان الجزء الأعظم من التجارة العالمية في بلاد العرب، واقعاً في يد السبئيين والمعينيين الذين كانوا يسيطرون على الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة...»، وكانت تُقيم، في كلّ واحدة من الواحات المهمة التي تقع على طول الطريق التجاري، جالية من عرب الجنوب، وكان يُقيم مع هذه الجالية مقيم من أهل الجنوب كذلك، كانت مهمته الإشراف على ملوك الإقليم ورؤسائه ومراقبتهم، لكي لا يفعلوا شيئاً من شأنه أن يضرّ بمصالح أسياده السبئيين أو المعينيين، تبعاً لاختلاف العهود التاريخية»<sup>(٦)</sup>.

وفي كل واحدة من الواحات التي تقع على الطريق التجاري البري التي تربط بين اليمن وبلاد الشام ومصر، والتي كانت تحت نفوذ المعينيين الجنوبيين، تُقيم طائفة من حكام معين، تؤيدها حاميات عسكرية، وجاليات جنوبية من الأوساط التجارية، كما كانت تقيم معها جالية من الأفريقيين الكوشيين باعتبار أنّ هؤلاء الكوشيين كانوا يمارسون التجارة مع المعينيين بحكم الجوار. ويبدو أن القوافل المعينية كانت تسلك الطريق الغربي في شبه الجزيرة أكثر ممّا تسلك الطريق الشرقي فكانت تنطلق غالباً من اليمن، مارة بمكة ويثرب ومدائن صالح حتى البتراء. ومن هنا تتوزّع بين فلسطين وسورية والعراق ومصر. ويعتقد بعض المؤرخين أنّ مكة كانت تحت نفوذ معين، وأنّ مُعان لم تكن نقطة ارتكاز لمعين وحسب، وإنما كانت مدينة تابعة لها، مزوّدة بالحراس والمسالح دفاعاً عن مصالح الدولة المعينية<sup>(٧)</sup>.

(٦) ألويس موسل: شمال الحجاز، ترجمة الدكتور عبد المحسن الحسيني، طبعة مصر الإسكندرية ١٩٥٢، ص ١ - ٢.

(٧) المرجع نفسه، ص ٨٧ - ٨٨. عرفان محمد حمّور: أسواق العرب، ص ٢٣.

ولتسهيل أعمال البيع والشراء، اقتبس المعينيون من الفينيقيين أبجديتهم وعلومهم في المحاسبة، وذلك لتدوين حساباتهم التجارية. وقد عُثر في أور والوركاء في العراق، وفي الجيزة بمصر، وفي جزيرة ديلوس اليونانية، على كتابات معينة ترجع إلى القرن الثاني قبل الميلاد. تشير إلى الصلات التي كانت تربط العراق ومصر واليونان بالدولة المعينية<sup>(٨)</sup>. كما تشير إلى أنَّ المعينيين حتى بعد سقوط دولتهم بزمان طويل ظلوا يحتفظون بكيانهم الاجتماعي وتقاليدهم التجارية<sup>(٩)</sup>.

وحين قضى السبئيون على دولة معين، أقاموا دولتهم على أنقاضها، وورثوا لغتها وديانتها وتقاليدها وورثوا مكانتها التجارية أيضاً، صاروا يشتغلون بنقل التجارة بين الهند والحبشة ومصر والشام والعراق، حتى أصبحوا في القرون الأولى قبل الميلاد أعظم وسطاء التجارة في العالم القديم، وعلى وجه الخصوص مع الحبشة والهند ومع الشام ومصر. وقد استطاعت دولة سبأ أن تنمو وتزدهر ويثرى شعبها نتيجة احترافهم الزراعة من جهة<sup>(١٠)</sup>، وسيطرتهم على الطريق التجاري البري الذي يربط بين الجنوب والشمال من جهة ثانية. ذلك أنَّ نفوذ دولة سبأ كان يصل إلى نجد والحجاز في شمالي شبه الجزيرة العربية، كما كانت تفرض نفوذها على طريق التجارة التي تربط جنوب شبه الجزيرة بسوريا ومصر. ولم تكتف سبأ بذلك بل افتتحت خطوطاً برية جديدة بين اليمن والشام تحاذي ساحل شبه الجزيرة الغربي وتؤدي إلى مكة والبتراء ومنهما تتشعب إلى مصر والشام وما بين النهرين. وكان الفرع الشامي ينتهي على البحر المتوسط عند غزة. ومن حضرموت، أغنى الأقطار باللبان، كانت تمتد طريق تسلكها القوافل حتى مأرب عاصمة سبأ حيث تتصل بشريان التجارة الهام<sup>(١١)</sup>.

(٨) H.Philby: The Background of Islam, Whitehead Morris Press, Alexandria 1949, P42.

جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٣٨٥ - ٣٩٧.

(٩) صالح أحمد العلي: تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، ص ٢٢.

(١٠) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ١٠٦.

(١١) فيليب حتى، وآخران: تاريخ العرب، ص ٨٢.

وكانت حكومة سبأ تبعث موظفين ليقيموا في الواحات الشمالية التي تقع على هذه الطرق، إلى جانب حاميات عسكرية، لتضمن بقاء هذه المحطات التجارية تحت سيطرتها. وكانت واحة ديدان المركز الرئيس الذي تمارس فيه سبأ نفوذها على شمالي بلاد العرب<sup>(١٢)</sup>.

وعلى الرغم من قوة السبئيين واتساع نفوذهم إلا أنّ قوافلهم التجارية لم تسلم من تعديات البدو في أثناء سيرها على الطرقات. كما أنّها لم تستطع على الدوام تحمّل مشقات السفر البرّي. فلذا اتجهت أنظارهم وجهة أخرى وراحوا يسافرون عن طريق البحر لأنهم وجدوه أكثر أمناً وأقصر مسافة. فمتوجات الهند وأفريقيا كانت تأتي وتُخزن في مرافئ السبئيين كموزا وعدن، ومنها تُنقل بالسفن بحراً إلى مرفأ أيلة (العقبة)، ومنه بالبرّ إلى فلسطين والشام ومصر. أو تُنقل إلى مرفأ القصير على البحر الأحمر، ومنه إلى قُفط على النيل<sup>(١٣)</sup>.

وبعد أن دبّ الضعف في دولة سبأ بسبب الصراعات والحروب التي قامت بين القبائل الخاضعة لها، ظهرت إلى الوجود مملكتا أوسان وحضرموت اللتان تمكّنتا من اقتسام نفوذ السبئيين في جنوبي البلاد وغربها، ومن ثمّ السيطرة على طرق التجارة، والتحكّم بتجارة البخور والأفاويه التي كانت رائجة حينذاك<sup>(١٤)</sup>.

وكان للقوافل بين حضرموت وبلاد الشام ومصر والعراق طرق خاصّة، فيها محطات ومرافق ومعدّات وأقوام من أهل البادية يخفرونها. فالقافلة كانت

---

(١٢) المرجع نفسه، ص ٨١ - ٨٢.

(١٣) جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ٢١٤.

ركب المصريون البحر الأحمر من عهد رعمسيس الثالث (هاكون) الذي بنى أسطولاً وأنزله البحر الأحمر، وسافر فيه لارتياح بلاد البنات (الحبشة والصومال)، والأرض المقدّسة (بلاد العرب)، وكان غرضه الرئيس تسهيل التجارة البحرية بين مصر وأقصى الشرق، ثمّ أنشأ طريقاً تجارياً برياً بين القصير والقُفط، وطريقاً بحرياً بين المحيط الهندي والنيل من طريق بلاد العرب. ولمّا تولى سيتي الأول من الأسرة التاسعة عشرة الحكم في مصر، احتفر قناة وصلت نهر النيل بالبحر الأحمر، وذلك تسهيلاً للعلاقات التجارية بين مصر وشبه جزيرة العرب، أو للدفاع أو الهجوم عند الحاجة. ومن جاء بعد سيتي الأول أهمل القناة والأسطول البحري، فضعفت الملاحة البحرية أو بطلت تماماً.

(١٤) نبيه عاقل: تاريخ العرب القديم وعهد الرسول، ص ٩٦ - ٩٧.



تنتقل من حضرموت أو عُمان وتسير شمالاً يخفّرها عرب قيدار، فيقطعون بها بادية الدهناء وما بعدها حتى تصل إلى ديدان، فتتجه غرباً في نجد حتى تأتي الحجاز، ومن هناك يستلم خفارتها المديانيون والآدوميون أو الأنباط، ويعرجون بها إلى مكة أو ينبع أو المدينة المنورة، ومنها إلى البتراء عن طريق مدائن صالح، ومن البتراء تسير إمّا شمالاً إلى فلسطين والساحل السوري فتدمر، وإمّا غرباً إلى مصر. غير أنّ السلع التي تصل إلى شرقي شبه الجزيرة كانت تُحمل إلى العراق بالقوافل رأساً أو بالسفن بحراً عبر الخليج العربي، ومنه تُنقل بالقوافل إلى تدمر<sup>(١٥)</sup>.

أمّا في عهد الحُميريين الذين ورثوا أمجاد من سبقهم من دول وشعوب، حاول الرومان الاستيلاء على اليمن، بغية السيطرة على طرق التجارة التي كان يحتكرها عرب الجنوب، إلّا أنّ محاولتهم باءت بالفشل، لأنّ قائدها ايليوس غالوس، الذي كان حاكماً على مصر من قبل الرومان، عجز عن دخول مأرب بسبب مقاومة أهلها الذين استبسلوا في الدفاع عن مدينتهم<sup>(١٦)</sup>.

وقد لاقى جنود الرومان في عودتهم التي بلغت ستين يوماً الكثير من المصاعب والأهوال وفتك بهم العطش والمرض<sup>(١٧)</sup>. ويعزو الجغرافي اليوناني سترابو هذه المصاعب والأخطار إلى خيانة الدليل سيلأوس سفير الأنباط وممثل ملكهم أبو داس (عبيدة)<sup>(١٨)</sup>. وخيّبت حملة ايليوس غالوس آمال الرومان في بلاد العرب، إذ كانوا يظنّون أنّهم سيخترقون جنات يانعة وعمراناً متّصلاً. واضطروا تحت ضغط الطبيعة والبشر إلى العدول عن خطتهم في احتلال شبه الجزيرة العربية<sup>(١٩)</sup>. واكتفوا بالسيطرة على التجارة البحرية وخصوصاً تجارة البحر الأحمر، وعلى ميناء لويكي كوما أو المدينة البيضاء، أهم الموانئ

(١٥) جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ٢١٣ - ٢١٤.

(١٦) فيليب حتى وأدورد جرجي وجبرائيل جبور: تاريخ العرب، ص ٧٧.

(١٧) Philby: The background of Islam, P101.

(١٨) Strabo: The Geography of Strabo, Bk16, Chapter 4, P23.

(١٩) فيليب حتى وآخران: تاريخ العرب، ص ٧٧.

التجارية على سواحل الحجاز في أيام البطالسة؛ وإقامة علاقات ودية مع حكومة الحبشة. وقد أضرب ذلك باقتصاديات اليمن وتجاريتها إضراراً بالغاً أكثر مما أضرب بها انهيار سد مأرب<sup>(٢٠)</sup>. أما القوافل التي تذهب من شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الشام، كانت تنزل في المراكز التي عيّنتها الدولة الرومانية، وذلك لكي تُحصّل منهم مكوس التجارة، وتراقب تحركات الرجال الذين قدموا معها. وكانت أيلة أول مركز في البلاد الشامية تنزلها القوافل، ومنها تتوجّه إلى غزة حيث تتصل من هناك بتجار البحر المتوسط، بينما يتابع بعض التجار طريقهم إلى بصرى. وكانت تتولّى حماية قوافل الشام، بعض القبائل العربية، ممّن كانت منازلهم على طرق التجارة، أو ممّن كانت لهم أحلاف مع القبائل النازلة هناك، وذلك في مقابل جُعل يتقاضونه من هذه القوافل، ومن تقاليد العرب في هذا المجال، أنّ القبائل الحامية كانت كثيراً ما تُعيد الجُعل إلى أصحابه إذا ما تعرّضت القافلة إلى اعتداء لم تتمكّن من رده<sup>(٢١)</sup>.

وعلى العموم كان عرب الجنوب يتاجرون بمنتجات بلادهم وفي طبيعتها: البخور واللّبان والعطور والطيوب، التي كانت لها أهمية كبرى عند الناس في التاريخ القديم. فقد كانت تُستعمل في المعابد والطقوس الدينية، وللتحنيط، كما كانت تُستخدم أحياناً في الأطعمة<sup>(٢٢)</sup>. ولذا سماها استرابو «بلاد الطيوب». كما كانوا يتاجرون بالسلع والبضائع التي جلبوها من شرقي أفريقيا كالتمر والعبيد والأخشاب وريش النعام والعاج والقرود. ومن الهند كالأفاويه والأنسجة والسيوف، ومن الصين كالحرير، ومن الخليج العربي كاللؤلؤ. وكانت جميع هذه السلع تجد طريقها إلى أسواق بلاد العرب<sup>(٢٣)</sup>. ويورد مؤلف كتاب الطواف حول البحر الأحمر وري وشفافاً رائعاً لسوق موزا (مخا) جاء فيه: «كان يردّها من البضائع أنواع الأقمشة الأرجوانية، ناعمها وخشنها،

(٢٠) Ignacion Guidi: L'Arabie antéislamique, Paris 1921, P67.

(٢١) عرفان محمد حمّور: أسواق العرب: عرض أدبي - تاريخي للأسواق الموسمية العامة عند العرب، ص ٢٠ - ٢١.

(٢٢) صالح أحمد العلي: تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، ص ١٩.

(٢٣) فليب حتى وآخرون: تاريخ العرب، ص ٨١.

والبسة خيطة على الزيتي العربي، ذات أردان قد تكون بسيطة، أو عادية، أو مطرزة، أو موشاة بالذهب، والزعفران، وقصب الذريرة، وأنسجة القطن الشفافة، والأعبئة، والأحرمة، وهي ليست كثيرة، بعضها بسيط، وبعضها مصنوع على الطريقة البلدية، ومناطق ذات ألوان عديدة، ودهون عطرية بكميات معتدلة، والخمر، وقليل من الحنطة لأن البلاد لا تنتج منها إلا اليسير. وتُصدّر البلاد حاصلات أراضيها: فاخر المَرّ والصمغ المعيني والرّخام اللّتين (المرمر)<sup>(٢٤)</sup>.

وكانت السفن التي تحمل السلع، تسلك طريقين: أحدهما طريق الخليج، وتفرغ بضائعها إمّا في ميناء الأبلّة عند رأس الخليج، وإمّا في موانئ البحرين، وخصوصاً في ميناء الجرهاء، حيث تُنقل إلى العراق، ومنه إلى سورية والبحر المتوسط. والآخر طريق البحر العربي، فبحر القلزم (الأحمر)، وتفرغ بضائعها في الموانئ المصرية الواقعة على ساحل البحر الأحمر الغربي، أو في ميناء أيلة عند خليج العقبة، حيث تنقل منها إلى بلاد الشام وسواحل البحر المتوسط وخصوصاً ميناء غزة<sup>(٢٥)</sup>.

وتحاشياً للأخطار التي قد تتعرّض لها هذه السفن، كالأعاصير والدوامات والحيوانات البحرية أو الشعاب المرجانية والصخور أو اللصوص، كان التجار يفضلون سلوك الطرق البرية. فلذا كانت السفن الآتية إلى الخليج العربي تُفرغ حمولتها في ميناء جرّها، ومنه تُنقل برّاً إلى العراق، وإلى بلاد الشام عبر الصحراء. وأمّا السفن الآتية إلى البحر العربي فكانت تُفرغ بضائعها في ميناء عدن، ومنه تُنقل برّاً، عبر اليمن والحجاز، إلى مصر وفلسطين، أو إلى بلاد الشام<sup>(٢٦)</sup>.

وكان لا بدّ للقوافل من أن تقطع صحراء البلاد العربية، سالكة الوديان أو القفار، لذا كان التجار يخرجون في متاجرهم بشكل قوافل عظيمة مع استعداد

---

The Periplus of the Erythraean Sea, P24.

(٢٤)

(٢٥) صالح أحمد العلي: تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، ص ٤٤.

(٢٦) المرجع نفسه، ص ٤٤.

عظيم وحِيطَةٌ كبيرة، تتقدّمها فرقة الكشّافة كي تتعرّف إلى ما في الطريق، وأمامها ومن جانبيها ومن خَلْفِها الهدأة يهدونها الطريقَ الصحيحَ، والحراسُ والحماةُ يخفرونها ويدفعون عنها الأذى<sup>(٢٧)</sup>. ومن أهم المصاعب التي كانت تلاقيها هذه القوافل هي قلة المياه في الصحارى والطرق، ولذلك كثرت محطات القوافل حول الآبار والعيون. وقد ساعد ذلك على قيام مراكز تجارية على طول هذه الطرق بالقرب من هذه الآبار والعيون والواحات. وقد تحوّل العديد من هذه المراكز إلى مدن تجارية كانت تقدّم للقوافل الحماية والماء والغذاء وغيرها من الخدمات التي كانت متاحة حينذاك.

وتعدّ شبوة من المراكز الاقتصادية المهمة التي لعبت دوراً تجارياً رائداً في التاريخ القديم؛ وهي تقع في وادي عرما (وادي عطف) في الطرف الغربي من وادي حضرموت، وتقوم على مناجم للملح الصخري، ويُعتقد أنّ نشأتها التجارية كانت مرتبطة بتجارة هذه المادة. وكان يمرّ بهذه المدينة، التي هي قاعدة لإقليم حضرموت، عدد من الطرق التجارية المتّجهة نحو الشمال؛ وقد استطاع ملوك الدولة الحضرمية الأقوياء من توجيه تجارة اللبان إليها واتخاذها عاصمة لهم، وخصوصاً بعد أن مدّوا نفوذهم إلى مناطق إنتاج اللبان في شرقي شبوة حتى ظفار<sup>(٢٨)</sup>. وكانت نظم التجارة للدولة الحضرمية، تفرض على أصحاب القوافل المرور بالمدينة، التي تحوّلت إلى مركز تجاري رئيسي، لدفع الضرائب المتوجبة عليها<sup>(٢٩)</sup>. وقد استمرت مدينة شبوة مركزاً تجارياً، وخصوصاً للمواد العطرية، حتى القرن الرابع الميلادي، حيث أخذت بعد ذلك بالضعف، بسبب اضطراب الأوضاع السياسية في جنوبي شبه الجزيرة، وتدهور التجارة العربية فيها تبعاً لذلك<sup>(٣٠)</sup>.

ومن هذه المراكز ميفعة التي تُعرف اليوم بنقب الحجر، وهي تقع على

(٢٧) عرفان محمد حمّور: أسواق العرب، ص ٢٠.

(٢٨) Philby: The background of Islam, P79.

(٢٩) Pliny: Natural history, Bk12, P45-47.

(٣٠) نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٢٢.

وادي ميفع الذي يخترق مرتفعات الجول، ويعتبر أحد الطرق المهمة القادمة من قنا والمتجهة نحو شبوة أو بيحان، ومن موقعها الاستراتيجي هذا استطاعت أن تسيطر على الطريق التجاري<sup>(٣١)</sup>. واستمرت مدينة ميفعة محافظة على مركزها التجاري حتى القرن الثاني الميلادي، حيث ورد ذكرها عند بطليموس ووصفها بأنها متروبولوس<sup>(٣٢)</sup>.

ومنها تمنع (هجر كحلان) التي تقع إلى الغرب من صحراء صيهده، وعلى حافة وادي بيحان في جزئه الشمالي. وقد تميّزت هذه المدينة بكونها عاصمة للدولة القتبانية التي أقامت علاقات تجارية مع اللحيانيين، وبكونها سوقاً تجارياً مهماً في المنطقة، كانت تُقيم فيها جاليات تجارية من خارج قتبان مثل الجالية المعينية وكانت على علاقات تجارية مع المراكز التجارية التي تقع خارج شبه الجزيرة العربية؛ وكما كانت شبوة مركزاً لتجارة اللبّان كانت تمنع مركزاً لتجارة المر<sup>(٣٣)</sup>.

ومنها أيضاً هجر بن حميد التي تقع على حافة وادي بيحان، وعلى بعد تسعة أميال جنوبي مدينة تمنع، والتي تُعتبر أقدم مدينة على هذا الوادي، وتُشرف على ممّر مبلقا الذي يصل بين وادي بيحان ووادي حريب، ومن البقايا الأثرية التي اكتُشفت في هذه المدينة يتبين أنها كانت مركزاً صناعياً مهماً، وداراً لسك العملة القتبانية، وسوقاً تجارياً في شبه الجزيرة، ومركزاً تجارياً عالمياً كانت على اتصال بعدد من المراكز الحضارية في بلاد الرافدين وبلاد الشام وبلاد اليونان والرومان، وبآسيا الصغرى<sup>(٣٤)</sup>.

---

B.Dœ: Momuments of Southern Arabia, P144. (٣١)

Ibidem, P98. (٣٢)

Pliny: Natural history, Bk6, P453. Richard Bowen: Irrigation in Ancient (٣٣)  
Qataban, P43-88. B.Dœ: op. cit, P94.

نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٢٣.

Van Beek: Hajar Bin Humeid, P367-368. B.Dœ: Momuments of Southern (٣٤)  
Arabia, P119.

نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

ومنها أم العادية التي تقع على الطريق القادم من عدن والمتجه نحو تمنع ومأرب، والتي تُشرف على ممر عقبات ثيراً؛ ويبدو أنّ هذه المدينة كانت تابعة لمملكة قُتبان، ويقتصر دورها على استقبال التجار في خاناتها، وخزن البضائع في مخازنها، وتسجيل السلع المارة فيها لاستيفاء الضرائب الجمركية. وكانت معظم هذه السلع تصل من خارج شبه الجزيرة إلى عدن، ومنها إلى أم العادية<sup>(٣٥)</sup>.

ومنها قرناو (معين) التي تقع على بعد سبعين كيلومتراً إلى الشمال الغربي من مأرب في جنوبي وادي الجوف. وقد وردت في النقوش العربية بهذين الاسمين، وكانت قاعدة للدولة المعنية، ومركزاً تجارياً رئيساً في طريق التجارة البرية<sup>(٣٦)</sup>.

ومنها مأرب التي تقع على ضفة وادي أذنة، وعلى مرتفعات تغطيها الأشجار الكثيفة، وكان بعض أهلها يعملون في الزراعة، وبعضهم الآخر يعملون بالتجارة، وخصوصاً تجارة البخور المحلي، والمستورد من أثيوبيا على قوارب جلدية. وتميّزت مأرب بكونها عاصمة الدولة السبئية التي كانت من أكبر الدول الجنوبية وتشرف على مناطق واسعة، وبكونها سوقاً محلياً مزدهراً، ومركزاً تجارياً رئيساً تتجمع فيه منتوجات المناطق الزراعية والصناعية ليعاد تصديرها إلى الخارج. وقد حققت مأرب من جزاء ذلك شهرة عالمية وثناءً واسعاً انعكس على عمارتها حتى أضحت تضاهي المدن الكبرى في العالم حينذاك<sup>(٣٧)</sup>.

---

Le Baron Richard Bowen: Ancient trade routes, Johns Hopkins Press, Baltimore 1958, P36.

S.Perowne: IM'adiya and Beihan, Aden Protectorate, Antiquity, Heffers Printer, Cambridge 1939, P133.

(٣٦) محمد توفيق: آثار معين في جوف اليمن، ص ٢ - ٣.

B.Dœ: Monuments of Southern Arabia, P126.

Strabo: The Geography of Strabo, Bk16, P349. A Grohman: Encyclopidia (٣٧) of Islman, «Ma'rib», Vol 3, E.J.Brill, Leiden 1936, P280. Nigel Groom: The Frank in cense and Myrrh, Longman, London 1981, P184.

ومنها يثل (براقش) التي كانت تُعدّ قلعة سبئية ومحطة تجارية مهمة، والتي تقع على الحدود السبئية - المعينية، ضمن منطقة زراعية خصبة. وقد وردت عند استرابو باسم أثرولا في أثناء حديثه عن الحملة الرومانية التي قادها اليوس غالوس على بلاد العرب<sup>(٣٨)</sup>.

ومنها ظَفَارِ التي تقع في منطقة جبلية تحيط بها سهول زراعية وتكثر فيها السدود، وبالقرب من يريم الحالية وعلى بعد ٢٤ فرسخاً من صنعاء. ومن أهم مرتفعاتها جبل ريدان الذي كان المقر الملكي لجُمَيْر، وكانت ظَفَارِ عاصمة الدولة الجُمَيْرية وقاعدة بلاد الشُّحْر. وقد حَلَّت مكان مأرب بعد أفول نجم الدولة السبئية، وظهر نجم الجُميريين في سماء جنوبي شبه الجزيرة، وأصبحت مركزاً تجارياً تبث السفن إلى الهند وغيرها، وكان يصلها بمرفأ موزا طريق بري عبر أراضي المعافر<sup>(٣٩)</sup>.

ومنها كذلك نَجْران التي تقع على وادي نجران، وعلى مفترق الطرق القادمة من الجنوب والمتجهة نحو الشمال والشرق أو الآتية من الشمال في طريقها إلى الجنوب. وقد ظهرت هذه المدينة كمحطة تجارية، ومركزٍ صناعيٍّ للعديد من الصناعات المعدنية والزراعية كالزيت مثلاً<sup>(٤٠)</sup>.

---

(٣٨) Strabo: op.cit, P361. B.Dæ: Monuments of Southern Arabia, P127.

(٣٩) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الجزء الخامس، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، ص ١٢ - ١٣. أحمد حسين شرف الدين: تاريخ اليمن الثقافي، ص ٥٧.

The Periplus of the Erythraean Sea, chapter 23, P30. B.Dæ: op.cit, P79.

الْفَرَسَخ جمع فَرَسَخ وهو الطويل من الزمان. وفَرَسَخ الطريق: ثلاثة أميال هاشمية، وقيل اثنا عشر ألف ذراع وهي تقريباً ثمانية كيلومترات. المنجد في اللغة والأعلام، ص ٥٧٦.

(٤٠) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ١٧ و ٤١ - ٤١. نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٢٥ - ٢٢٦.

A.Jamme: Inscription from Mahram Bilquis, P303-304.

ومنها مدينة أوبار القديمة البائدة التي اكتُشفت في عام ١٩٩٢، والتي تقع في جنوبي سلطنة عُمان وعلى طريق القوافل التجارية البرية. وقد نشر علماء من الولايات المتحدة الأميركية صوراً لهذه المدينة التقطها رادار المكوك الفضائي الأمريكي «انديفور» في شهر نيسان من عام ١٩٩٤. وتقول المتحدثة باسم مختبر تسيير الطائرات في باسادينا بكاليفورنيا ميري هاردين أنّ القوافل مدفونة في الرمال، وأنّ هذه الصور تُقدّم معلومات أفضل عن هذه المدينة من تلك التي توافرت عنها قبلاً. ويعتقد علماء الآثار أنّ نشأة مدينة أوبار قد بدأت منذ عام ٢٨٠٠ قبل الميلاد واستمرت قائمة حتى عام ٣٠٠ ميلادية، وأنها كانت قاعدة أمامية ونائية في الصحراء، حيث كانت القوافل تتجمّع فيها من أجل نقل مادة اللّبان عبر الصحراء إلى مراكز التجارة العالمية في ذلك الوقت<sup>(٤١)</sup>.

ومنها قرية ذات كهل (الفاو) التي كانت تابعة لدولة كندة أو عاصمة لها. والتي كانت محطة تجارية في الطريق البرّي المتّجه نحو الخليج العربي. وقد كشفت الدراسات الأثرية عن دورها التجاري العالمي، وعن دورها الصناعي وخصوصاً في صناعة النسيج، اللذان حققا لها ازدهاراً اقتصادياً كبيراً، ساعداها في سكّ عملة خاصة بها. وقد سمّيت هذه القرية حديثاً بالفاو لأنّها تقع عند تقاطع وادي الدواسر مع جبال الطويق عند فوهة مجرى قناة تُدعى بالفاو. وهي تبعد ٧٠٠ كيلومتر عن مدينة الرياض، وفي الجهة الجنوبية - الغربية منها. وتُشرف على الحافة الشمالية - الغربية للربع الخالي، فهي بذلك تقع على الطريق التجاري الذي يربط بين جنوبي شبه الجزيرة وشمالها الشرقي، ماراً بمنطقة اليمامة (الخرج) ومنطقة زبيدة الأثرية بالقصيم، فهي بذلك تُعتبر مركزاً تجارياً واقتصادياً في وسط شبه الجزيرة. وقد كشفت التنقيبات الأثرية في هذا الموضع عن عدد كبير من البقايا العمرانية مثل: مقابر ومعبد ومركز سوق

---

(٤١) جريدة السفير، السبت في ٣٠/٧/١٩٩٤.



واسعاً، مما يدل على الدورين التجاري والحضاري اللذين تمتاز بهما هذه القرية - المدينة<sup>(٤٢)</sup>.

وإلى جانب هذه المراكز التجارية البرية في جنوبي شبه الجزيرة العربية نشأت مراكز تجارية بحرية فيه من أهمها مرفأ موزا الذي يقع في الجنوب - الغربي من شبه الجزيرة، وعلى ساحل البحر الأحمر، وعلى بعد ٢٥ ميلاً إلى الشمال من ميناء مخا الحالي. وكان يُعرف في بعض الأحيان باسم موزع، وتابعا للدولة السبئية في أيام عزها، ثم تبع الدولة الحميرية منذ القرن الأول الميلادي حيث أصبح ميناءها الرئيس<sup>(٤٣)</sup>. وكانت موزا ميناءً عالمياً ترده السفن من مصر وشرقي أفريقيا ومن الهند، كما كانت مدينة داخلية يربطها بعاصمة الدولة ظفار طريق بري. وإلى جانب الميناء فقد نشأت في هذه المدينة سوق تجاري مهم كانت تتجمع فيه السلع الجيدة من كل الأصقاع، ويعمل جل سكانها بالبحر والتجارة<sup>(٤٤)</sup>.

ومن هنا مرفأ أوكليس الذي يقع في أقصى جنوبي البحر الأحمر، وبالقرب من مضيق باب المندب ومن جزيرة بريم. وهو من أقدم مرافئه التي ازدهرت في القرن الخامس قبل الميلاد، أيام الدولة الأوسانية، حيث كان مركز اتصالها بالساحل الأفريقي. وقد سيطرت عليه دولة قتيبان فترة من الزمان، ثم تلتها الدولة السبئية في عز ازدهارها، ثم الدولة الحميرية. وقد كان هذا المرفأ آخر محطة تقف فيها السفن الهندية التي لم يكن يُسمح لها بالإبحار شمالاً نحو البحر الأحمر، وخصوصاً في الفترة السابقة لقيام الرحلات المباشرة بين الهند

---

(٤٢) عبد الرحمن الأنصاري: أضواء جديدة على دولة كندة من خلال آثار قرية الفاو، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، مطابع الجامعة، الرياض ١٩٧٩، ص ٩.  
الأنصاري: قرية الفاو...، ص ١٧. الدليل الأثري والحضاري، ص ٢٨٢ - ٢٨٣.

(٤٣) J.W.McCrindle: The Commerce and navigation of the Erythraean Sea, Trubner Co. Bombay 1987, P78. H.Von Wissman: Himyar, Ancient history, Le Mus'con, Publiée par l'Association sans But lucratif, Louvain 1964, P449.

(٤٤) The Periplus of the Erythraean Sea, Chapter 23, P30. Dø: Monuments of Southern Arabia, P53. N.Groom, The Frankincense and Myrrh, P243.

ومصر. وكانت هذه السفن تُفرغ حمولتها في أوكليس، ومنها تُنقل برّاً إلى موزا حيث تُباع هناك للسفن البطلمية وبعد ذلك للسفن الرومانية<sup>(٤٥)</sup>.

ومنها مرفأ عدن، الذي يقع على الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية؛ وهو فُرْضة اليمن وأعظم مراسيه ومحط رحال التُّجار وعليه ترد المراكب الواصلة من الحجاز والسُّند والهند والصِّين والحبشة، ولا يخلو أسبوع من عدّة سفن وتُجار واردين عليه. وقد ازدهر هذا الميناء منذ القرن الثاني قبل الميلاد، وأصبح ينافس ميناء الإسكندرية. وكان يتبع الدول التي مرّت على المنطقة مثل: أوسان وقتبان وسبأ والدولة الحميرية التي ضعف في عهدها بسبب اهتمامها بمرفأ موزا<sup>(٤٦)</sup>. وكان لمرفأ عدن أهمية طبيعية خاصّة، فهو يلائم رسو السفن، وتحميه جزيرة صبرة التي تقع بالقرب منه، من الرياح الموسمية التي تهبّ على المنطقة من الجهة الشمالية - الشرقية، وتتوافر فيه المياه العذبة التي حُفرت لها الخزانات التي حُفرت أيضاً لتجميع مياه السيول عند تساقط الأمطار، وهذا ما ساعده في القرن الرابع الميلادي على استعادة نشاطه التجاري الذي استمر مزدهراً حتى العصور الحديثة، وكان يرتبط بهذا المرفأ عدد من الطرق البريّة التي تصل بينه وبين عدد من المدن التجارية الداخلية<sup>(٤٧)</sup>.

ومنها مرفأ قنا (حصن الغراب) الذي يقع على ساحل بحر العرب، وإلى الشرق من عدن. وهو ميناء إقليم حضرموت الرئيس، ومنفذ الدولة الحضرمية إلى الخارج، ومرسى السفن التجارية القادمة من جزيرة سوقطرة، حيث كانت

---

The Periplus of the Erythraean Sea, Chapter 7, P25. Dœ: op.cit, P71. (٤٥)

نقولا زيادة: دليل البحر الأحمر وتجارة الجزيرة العربية، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الجزء الثاني، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٤هـ، ص ٣٧٤.

(٤٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ١٠ - ١١. نقولا زيادة: المرجع السابق، ص ٣٧١. نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٥٥.

The periplus of the Erythraean Sea, chapter 7, P32.

Dœ: Monuments of Southern Arabia, P53. Western Arabia and Red Sea, (٤٧) P544-550. H.T.Norris and F.W.Penkey: An archaeological and historical survey of the Aden tanks, Aden Government Press, London 1955, P11-23.

تُفرغ حمولتها في مخازنه، لكي يعاد تصديرها عن طريقه. كما أنّه الميناء الأول لتجارة اللّبان، حيث كانت تتجمع فيه المحاصيل الآتية من مناطق ظفّار ووادي الحجر والساحل الأفريقي وغيرها. ويبدو أنّ هذا المرفأ الذي كان سوقاً تجارياً على ساحل بحر العرب، وملتقى لعدد من الطرق البرية، قد وقع تحت سيطرة الدولة الحميرية لفترة من الزمان. وعلى الرغم من أنّ الدولة الحضرية قد استعادت وبنّت سور القلعة الذي يفصل بين حدودها وحدود جارتها، إلّا أنّ هذا الميناء لم يبق مزدهراً، فقد تدهورت التجارة فيه في القرن الرابع الميلادي، على أثر تدهور تجارة اللّبان والطيوب في جنوبي شبه الجزيرة العربية<sup>(٤٨)</sup>.

ومنها مرفأ رأس فرتك الذي يقع تقريباً في وسط الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة بين مرفأي قنوموشا، وهو ميناء محلي كان مخصصاً لشحن اللّبان من المناطق الساحلية التي كانت تُعرف باسم الساشليت، ومن ظفّار التي كانت تُعرف بأرض اللّبان، ويبدو أنّ هذا الميناء كان يستقبل فقط السفن العربية التي تتاجر مع السواحل العُمانية وسواحل شرقي أفريقيا، والتي تنقل اللّبان من مستودعاته إلى مرفأ قنا<sup>(٤٩)</sup>.

ومنها مرفأ موشا الذي يقع في خليج القمر في ساحل الساشليت من جنوبي شبه الجزيرة العربية. وهو مخصص لتصدير اللّبان الظفاري، وفيه ترسو السفن القادمة من غربي شبه الجزيرة، والسفن العائدة من الهند. وتذكر النقوش الأثرية التي عُثر عليها في هذا الميناء أنّ الملك الحضرمي «إيلعز بلط» قد أسّس موشا في القرن الأول قبل الميلاد، ونقل إليها ثلث سكان شبوة، وأنّ ميناءها كان يُستخدم لجمع اللؤلؤ من قاع البحر بواسطة القرب الجلدية المنفوخة، وأنّ

---

Pliny: Natural history, Bk6, P417. The periplus of the Erythean Sea, chap- (٤٨) ter 27, P32. Wissman: Himyar Ancient history, P444.

نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٥٦.

The Periplus of the Erythean Sea, chapter 30, P33. Jacqueline Pirenne: The (٤٩) incense port of Mosha in Dhofar, Journal of Oman Studies, The ministry of information and culture, Oman 1975, P93.

نشاطه التجاري، وخصوصاً النشاط التجاري الهندي قد استمر حتى القرن السابع الميلادي<sup>(٥٠)</sup>.

ومنها أيضاً موانئ خليج عُمان، كمسقط الذي يعني اسمه الميناء الخفي، وذلك لأنّ الصخور تفصل بينه وبين البحر، وهو من الموانئ الواقعة عند مدخل خليج عُمان. ومرفأ قلّهات الذي يُعتبر نقطة انطلاق للسفن المتّجهة إلى الهند، ومركزاً تجارياً، وسوقاً لسكان المدن والجزر المجاورة. ومرفأ عمّانا (صحار) الذي كان مركزاً لعدد من الصناعات مثل: القوارب والخمور والثياب العربية والأصباغ، التي تُشكّل جزءاً من صادراته، كما كان ملتقى للطرق البريّة التي تصل بين جنوبي شبه الجزيرة وشرقها. ويتميّز هذا الميناء بحركته ونشاطه التجاري الواسع، وخاصّة مع ساحل كرمينيا وشمالى الخليج العربي وموانئ الهند الشماليّة - الغربيّة والجنوبيّة - الغربيّة وساحل أفريقيا الشرقي<sup>(٥١)</sup>.

## ٢ - التجارة في الحجاز:

إنّ الصراعات التي قامت بين القبائل والقوى المتواجدة في جنوبي شبه الجزيرة العربية، وانهيار سدّ مأرب، واحتلال الأحباش لليمن عام ٥٢٥ ميلادية، قد أفضى كل ذلك إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في تلك الأقاليم، ومن ثمّ إلى تقلّص نفوذ الجنوبيين على مسرح التجارة الدولية، ممّا أفسح في المجال أمام أهل الحجاز عموماً وأهل مكّة خصوصاً من أن يلعبوا دوراً رئيساً في هذا المضمار، وأن يتبوأوا مركز الزعامة التجارية في شبه الجزيرة العربية على امتداد المرحلة التاريخية التي سبقت ظهور الدعوة الإسلامية بقليل.

---

(٥٠) the Periplus of the Erythean Sea, Chapter 27, P32 and Chapter 32, P35. Strabo: The Geography of Strabo, Bk16, P361. J.Pirenne: op.cit, P81 and 91.

نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية...، ص ٢٥٧.

(٥١) ابن المجاور: صفة بلاد اليمن ومكّة والحجاز المسماة بتاريخ المستبصر، ص ٢٨٣.

Pliny: Natural history, Bk6, P435 and 453.

Pliny: op.cit, P443. The Periplus of Erythean Sea, chapter 36, P36.

والواقع أنّ مكة قد ظهرت على مسرح التاريخ كمركز ديني أولاً،  
وكمحطة تجارية ثانياً. ذلك أنّ النبي إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل عليه  
السلام قد بنيا الكعبة الشريفة<sup>(٥٢)</sup>، بأمر من الله سبحانه وتعالى؛ وأنّ إسماعيل  
عليه السلام هو الجد الأعلى لعرب الشمال العدنانيين؛ وأنّ أم القرى بُنيت  
ونمت حول الحرم، وحول هذه الكعبة التي كانت تُعرف بالبيت العتيق قديماً.

وعلى مقربة من الكعبة ظهر نبع الماء زمزم الذي اكتشفه الطفل إسماعيل  
وأُمّه هاجر، وأعاد حفره زعيم قريش عبد المطلب جدّ النبي محمد ﷺ. وتُعتبر  
المياه المتدفقة من هذا النبع مقدّسة، وكذلك الكعبة الشريفة. وبهذا المعنى  
صارت المياه والكعبة محجّة للناس وأمناء، لا يُمنع أحد من التعبد عندها  
والطواف حولها. وكانت مناسك الحجّ والسعي بين الصفا والمروة تتمّ حسب  
تعاليم النبي إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام<sup>(٥٣)</sup>.

وتوالى أبناء إسماعيل عليه السلام بعده على حراسة البيت وخدمته؛ ثمّ  
وفدت قبيلة خزاعة من اليمن، بعد سيل العرم وانهايار سدّ مأرب، فنزلوا بظاهر  
مكة، وغلبوا الجرهميين وطردوهم منها. وكان أول من ولي أمر البيت من  
خزاعة عمرو بن لحي، فغيّر دين إبراهيم وبذله بعبادة الأوثان، بعد أن استحضر  
أصناماً من بلقاء الشام ونصبها حول الكعبة<sup>(٥٤)</sup>. فطغت الوثنية على مكة، وعلى  
كامل بلاد الحجاز، ومن ثمّ على معظم مناطق شبه الجزيرة العربية، وظلّت مكة  
محجّة العرب من وثنيين وغير وثنيين، وامتلأت الكعبة بالأصنام والأوثان.

وكان الحجّ إلى جانب التجارة مورداً مهماً لقريش، فتبيع ما عندها  
للأعراب القادمين إليها من البادية، ولأهل القرى والمدن البعيدة عنها، وتشترى  
ما يحملونه معهم من مواد وسلع، ثمّ تقوم قوافل قريش بنقل ما تكدّس عندها

(٥٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ١، ص ٢٥١ - ٢٥٢.

(٥٣) الأزرقي: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ص ٢٢ - ٢٣.

(٥٤) هشام بن محمد بن السائب بن الكلبي: كتاب الأصنام، تحقيق أحمد زكي، دار الكتب  
المصرية، القاهرة ١٩٢٤، ص ٨. ابن هشام: السيرة النبوية، قسم ١، ص ٧٩. أحمد بن أبي  
يعقوب اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، الجزء الأول، مطبعة بريل، ليدن ١٨٩١، ص ٢١١.

من بضائع إلى أسواق الشام والعراق، وتشتري في مقابل ذلك، ما يحتاجه أهل الحجاز وأعراب البادية من مواد وسلع<sup>(٥٥)</sup>.

وبوحي من ضرورات الإفادة المطلقة، العائدة لصالح تجار قريش، وصالح المتعاملين معهم، من أمراء ومشايخ القبائل العربية، نظم زعماء قريش حركة البيع والشراء، ووضعوا لها الأصول والقواعد، وأقاموا الأسواق الموسمية مثل: سوق عكاظ الذي كان يُقام في موضع نخلة بين مكة والطائف<sup>(٥٦)</sup>. وسوق مِجَنَّة الذي كان في أسفل مكة لبني كنانة، وسوق حُباشة في تهامة كانت تقام بديار بارق الذين كانوا من الأزدي، وسوق ذي المجاز وكانت لهذيل بالقرب من عَرَفة. وقد حدّدت القبائل العربية أوقات هذه الأسواق مع الأشهر الحرم التي يسود فيها الأمن والسلام بين الفئات المتنازعة<sup>(٥٧)</sup>.

وفي كتابه أخبار مكة، يُقدّم الأزرقى وصفاً رائعاً لحركة هذه الأسواق فيقول: «إنَّ الناس كانوا يخرجون في موسم الحج، في شهر ذي الحجة، فيصبحون بعكاظ بين مكة والطائف، يوم هلال ذي القعدة، فيقيمون به عشرين ليلة، تقوم فيها أسواقهم بعكاظ، والناس على مداعيهم وراياتهم، منحازين في المنازل، تضبط كل قبيلة أشرافها وقادتها، ويدخل بعضهم في بعض، للبيع والشراء، ويجتمعون في بطن السوق، فإذا مضيت العشرون، انصرفوا إلى ذي المجاز، فأقاموا به ثمانى ليالٍ، أسواقهم قائمة، ثم يخرجون يوم التروية من ذي المجاز إلى عَرَفة، فيرتوون ذلك اليوم من الماء بذى المجاز»<sup>(٥٨)</sup>.

وكان كسرى يُجهّز كل عام قافلة تجارية، يُرسلها إلى سوق عكاظ قرب الطائف، وكذلك كانت تأتي قوافل أخرى من بلاد الروم والحبشة وغيرها،

---

(٥٥) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ١٥٨.

(٥٦) عمر فروخ: تاريخ الجاهلية، ص ١٦٢.

(٥٧) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ١٥٨ - ١٥٩. عرفان محمد حقّور: أسواق العرب، ص ٩٧ و ١٦٠ و ١٦٢.

(٥٨) الأزرقى: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ص ١٢٩.

فضلاً عن الأفراد. وكم بهذا الاختلاط من فوائد متبادلة لم تكن تقتصر على العرب وحدهم<sup>(٥٩)</sup>.

ونظم القرشيون أيضاً المكايل: كالصاع والمد والمكوك، والموازين: كالرطل والنش (نصف الأوقية) والدرهم والمثقال<sup>(٦٠)</sup>. ووضعوا أصولاً للإجارة والدين والرهان والمزارعة<sup>(٦١)</sup>. وفرضوا ضرائب في الأسواق على التجار الغرباء، وعلى التجار العرب الذين لا يرتبطون مع قبائل قريش بحلف<sup>(٦٢)</sup>. وقد تطورت هذه الضرائب لتصبح ضرائب على أرباح كل دخل أو وارد، سواء أكان ذلك من بيع، أو من إجارة، أو من إرث<sup>(٦٣)</sup>.

ومما لا ريب فيه، أن تجار قريش قد اكتسبوا خبرة واسعة في أعمال البيع والشراء، ومرونة كبيرة في التعامل مع القبائل العربية وغير العربية، حتى أصبحوا وسطاء التجارة والسياسة في آن. ذلك أن زعماء قريش قد أدركوا مكانة بلادهم وأهمية دورهم، فلم يتورطوا في الصراعات التي كانت تقوم بين القبائل العربية، ولم ينخرطوا في أي صراع كان يقوم بين المعسكرين الكبيرين: المعسكر البيزنطي والمعسكر الفارسي، اللذين كانا يتنازعان السيطرة على البلاد العربية في آسيا وأفريقيا. ويبدو أن هذه السياسة قد أفادت مكة كثيراً، فمن جهة أظهرت قريش زعامتها على القبائل كلها، ومن جهة ثانية دفعت القبائل لتعترف لها بالتفوق عليها، وجعلتها تحضر في مواسمها، حتى صارت مكة عند ظهور الدعوة الإسلامية زعيمة عرب الحجاز دون منازع.

وانطلاقاً من هذه السياسة، فقد انفتحت مكة على رحاب شبه الجزيرة العربية والعالم الخارجي، وعقدت اتفاقات ومعاهدات تجارية مع الدول الكبرى

---

(٥٩) محمد جميل بيه: دراسة وتحليل للعهد العربي الأصيل، بيروت ١٩٧٤، ص ٥٦ - ٥٧.

(٦٠) عبد الحي الكتاني: نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، الجزء الأول، ص ٤١٥.

Henri Lammens: La Mecque à la veille de l'Hegire, Beyrouth 1924, P128.

(٦١) أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة، ص ٢١٦.

(٦٢) المسعودي: مروج الذهب...، ج ٢، ص ٥٨. الفاسي: شفاء الغرام...، ص ٧٢.

H.Lammens: La Mecque à la veille de l'Hegire, P130.

(٦٣) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ١٥.

المجاورة، كبيزنطية وفارس والحبشة، لتأمين تجارتها وتجارها<sup>(٦٤)</sup>. وكان يُمثل الأمبراطور البيزنطي في توقيع المعاهدة عظيم بُصرى، بينما مثل كسرى الفرس مرزبان البحرين<sup>(٦٥)</sup>.

وكان لأولاد عبد مناف زعيم قريش، هاشم، وعبد شمس، والمطلب، ونوفل، السيادة على مكة في النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي. فإليهم يرجع الفضل في عقد هذه الاتفاقات، وتنظيم الرحلات التجارية الكبرى. فقد عقد هاشم معاهدة تجارية مع ملوك الروم والغساسنة؛ ويروي البعض أنه هو أول من سنَّ رحلتي الشتاء والصيف<sup>(٦٦)</sup>، فكانت رحلة الشتاء إلى اليمن جنوباً، ورحلة الصيف إلى بلاد الشام شمالاً. وفي هاتين الرحلتين أنزل الله تعالى قوله: ﴿لَا يَلْفُ قَرْشٌ ۚ لِأَلْفِهِمْ رِحْلَةُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۚ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۚ﴾ <sup>(٦٧)</sup> <sup>(٦٨)</sup> <sup>(٦٩)</sup> <sup>(٧٠)</sup> <sup>(٧١)</sup> <sup>(٧٢)</sup> <sup>(٧٣)</sup> <sup>(٧٤)</sup> <sup>(٧٥)</sup> <sup>(٧٦)</sup> <sup>(٧٧)</sup> <sup>(٧٨)</sup> <sup>(٧٩)</sup> <sup>(٨٠)</sup> <sup>(٨١)</sup> <sup>(٨٢)</sup> <sup>(٨٣)</sup> <sup>(٨٤)</sup> <sup>(٨٥)</sup> <sup>(٨٦)</sup> <sup>(٨٧)</sup> <sup>(٨٨)</sup> <sup>(٨٩)</sup> <sup>(٩٠)</sup> <sup>(٩١)</sup> <sup>(٩٢)</sup> <sup>(٩٣)</sup> <sup>(٩٤)</sup> <sup>(٩٥)</sup> <sup>(٩٦)</sup> <sup>(٩٧)</sup> <sup>(٩٨)</sup> <sup>(٩٩)</sup> <sup>(١٠٠)</sup> <sup>(١٠١)</sup> <sup>(١٠٢)</sup> <sup>(١٠٣)</sup> <sup>(١٠٤)</sup> <sup>(١٠٥)</sup> <sup>(١٠٦)</sup> <sup>(١٠٧)</sup> <sup>(١٠٨)</sup> <sup>(١٠٩)</sup> <sup>(١١٠)</sup> <sup>(١١١)</sup> <sup>(١١٢)</sup> <sup>(١١٣)</sup> <sup>(١١٤)</sup> <sup>(١١٥)</sup> <sup>(١١٦)</sup> <sup>(١١٧)</sup> <sup>(١١٨)</sup> <sup>(١١٩)</sup> <sup>(١٢٠)</sup> <sup>(١٢١)</sup> <sup>(١٢٢)</sup> <sup>(١٢٣)</sup> <sup>(١٢٤)</sup> <sup>(١٢٥)</sup> <sup>(١٢٦)</sup> <sup>(١٢٧)</sup> <sup>(١٢٨)</sup> <sup>(١٢٩)</sup> <sup>(١٣٠)</sup> <sup>(١٣١)</sup> <sup>(١٣٢)</sup> <sup>(١٣٣)</sup> <sup>(١٣٤)</sup> <sup>(١٣٥)</sup> <sup>(١٣٦)</sup> <sup>(١٣٧)</sup> <sup>(١٣٨)</sup> <sup>(١٣٩)</sup> <sup>(١٤٠)</sup> <sup>(١٤١)</sup> <sup>(١٤٢)</sup> <sup>(١٤٣)</sup> <sup>(١٤٤)</sup> <sup>(١٤٥)</sup> <sup>(١٤٦)</sup> <sup>(١٤٧)</sup> <sup>(١٤٨)</sup> <sup>(١٤٩)</sup> <sup>(١٥٠)</sup> <sup>(١٥١)</sup> <sup>(١٥٢)</sup> <sup>(١٥٣)</sup> <sup>(١٥٤)</sup> <sup>(١٥٥)</sup> <sup>(١٥٦)</sup> <sup>(١٥٧)</sup> <sup>(١٥٨)</sup> <sup>(١٥٩)</sup> <sup>(١٦٠)</sup> <sup>(١٦١)</sup> <sup>(١٦٢)</sup> <sup>(١٦٣)</sup> <sup>(١٦٤)</sup> <sup>(١٦٥)</sup> <sup>(١٦٦)</sup> <sup>(١٦٧)</sup> <sup>(١٦٨)</sup> <sup>(١٦٩)</sup> <sup>(١٧٠)</sup> <sup>(١٧١)</sup> <sup>(١٧٢)</sup> <sup>(١٧٣)</sup> <sup>(١٧٤)</sup> <sup>(١٧٥)</sup> <sup>(١٧٦)</sup> <sup>(١٧٧)</sup> <sup>(١٧٨)</sup> <sup>(١٧٩)</sup> <sup>(١٨٠)</sup> <sup>(١٨١)</sup> <sup>(١٨٢)</sup> <sup>(١٨٣)</sup> <sup>(١٨٤)</sup> <sup>(١٨٥)</sup> <sup>(١٨٦)</sup> <sup>(١٨٧)</sup> <sup>(١٨٨)</sup> <sup>(١٨٩)</sup> <sup>(١٩٠)</sup> <sup>(١٩١)</sup> <sup>(١٩٢)</sup> <sup>(١٩٣)</sup> <sup>(١٩٤)</sup> <sup>(١٩٥)</sup> <sup>(١٩٦)</sup> <sup>(١٩٧)</sup> <sup>(١٩٨)</sup> <sup>(١٩٩)</sup> <sup>(٢٠٠)</sup> <sup>(٢٠١)</sup> <sup>(٢٠٢)</sup> <sup>(٢٠٣)</sup> <sup>(٢٠٤)</sup> <sup>(٢٠٥)</sup> <sup>(٢٠٦)</sup> <sup>(٢٠٧)</sup> <sup>(٢٠٨)</sup> <sup>(٢٠٩)</sup> <sup>(٢١٠)</sup> <sup>(٢١١)</sup> <sup>(٢١٢)</sup> <sup>(٢١٣)</sup> <sup>(٢١٤)</sup> <sup>(٢١٥)</sup> <sup>(٢١٦)</sup> <sup>(٢١٧)</sup> <sup>(٢١٨)</sup> <sup>(٢١٩)</sup> <sup>(٢٢٠)</sup> <sup>(٢٢١)</sup> <sup>(٢٢٢)</sup> <sup>(٢٢٣)</sup> <sup>(٢٢٤)</sup> <sup>(٢٢٥)</sup> <sup>(٢٢٦)</sup> <sup>(٢٢٧)</sup> <sup>(٢٢٨)</sup> <sup>(٢٢٩)</sup> <sup>(٢٣٠)</sup> <sup>(٢٣١)</sup> <sup>(٢٣٢)</sup> <sup>(٢٣٣)</sup> <sup>(٢٣٤)</sup> <sup>(٢٣٥)</sup> <sup>(٢٣٦)</sup> <sup>(٢٣٧)</sup> <sup>(٢٣٨)</sup> <sup>(٢٣٩)</sup> <sup>(٢٤٠)</sup> <sup>(٢٤١)</sup> <sup>(٢٤٢)</sup> <sup>(٢٤٣)</sup> <sup>(٢٤٤)</sup> <sup>(٢٤٥)</sup> <sup>(٢٤٦)</sup> <sup>(٢٤٧)</sup> <sup>(٢٤٨)</sup> <sup>(٢٤٩)</sup> <sup>(٢٥٠)</sup> <sup>(٢٥١)</sup> <sup>(٢٥٢)</sup> <sup>(٢٥٣)</sup> <sup>(٢٥٤)</sup> <sup>(٢٥٥)</sup> <sup>(٢٥٦)</sup> <sup>(٢٥٧)</sup> <sup>(٢٥٨)</sup> <sup>(٢٥٩)</sup> <sup>(٢٦٠)</sup> <sup>(٢٦١)</sup> <sup>(٢٦٢)</sup> <sup>(٢٦٣)</sup> <sup>(٢٦٤)</sup> <sup>(٢٦٥)</sup> <sup>(٢٦٦)</sup> <sup>(٢٦٧)</sup> <sup>(٢٦٨)</sup> <sup>(٢٦٩)</sup> <sup>(٢٧٠)</sup> <sup>(٢٧١)</sup> <sup>(٢٧٢)</sup> <sup>(٢٧٣)</sup> <sup>(٢٧٤)</sup> <sup>(٢٧٥)</sup> <sup>(٢٧٦)</sup> <sup>(٢٧٧)</sup> <sup>(٢٧٨)</sup> <sup>(٢٧٩)</sup> <sup>(٢٨٠)</sup> <sup>(٢٨١)</sup> <sup>(٢٨٢)</sup> <sup>(٢٨٣)</sup> <sup>(٢٨٤)</sup> <sup>(٢٨٥)</sup> <sup>(٢٨٦)</sup> <sup>(٢٨٧)</sup> <sup>(٢٨٨)</sup> <sup>(٢٨٩)</sup> <sup>(٢٩٠)</sup> <sup>(٢٩١)</sup> <sup>(٢٩٢)</sup> <sup>(٢٩٣)</sup> <sup>(٢٩٤)</sup> <sup>(٢٩٥)</sup> <sup>(٢٩٦)</sup> <sup>(٢٩٧)</sup> <sup>(٢٩٨)</sup> <sup>(٢٩٩)</sup> <sup>(٣٠٠)</sup> <sup>(٣٠١)</sup> <sup>(٣٠٢)</sup> <sup>(٣٠٣)</sup> <sup>(٣٠٤)</sup> <sup>(٣٠٥)</sup> <sup>(٣٠٦)</sup> <sup>(٣٠٧)</sup> <sup>(٣٠٨)</sup> <sup>(٣٠٩)</sup> <sup>(٣١٠)</sup> <sup>(٣١١)</sup> <sup>(٣١٢)</sup> <sup>(٣١٣)</sup> <sup>(٣١٤)</sup> <sup>(٣١٥)</sup> <sup>(٣١٦)</sup> <sup>(٣١٧)</sup> <sup>(٣١٨)</sup> <sup>(٣١٩)</sup> <sup>(٣٢٠)</sup> <sup>(٣٢١)</sup> <sup>(٣٢٢)</sup> <sup>(٣٢٣)</sup> <sup>(٣٢٤)</sup> <sup>(٣٢٥)</sup> <sup>(٣٢٦)</sup> <sup>(٣٢٧)</sup> <sup>(٣٢٨)</sup> <sup>(٣٢٩)</sup> <sup>(٣٣٠)</sup> <sup>(٣٣١)</sup> <sup>(٣٣٢)</sup> <sup>(٣٣٣)</sup> <sup>(٣٣٤)</sup> <sup>(٣٣٥)</sup> <sup>(٣٣٦)</sup> <sup>(٣٣٧)</sup> <sup>(٣٣٨)</sup> <sup>(٣٣٩)</sup> <sup>(٣٤٠)</sup> <sup>(٣٤١)</sup> <sup>(٣٤٢)</sup> <sup>(٣٤٣)</sup> <sup>(٣٤٤)</sup> <sup>(٣٤٥)</sup> <sup>(٣٤٦)</sup> <sup>(٣٤٧)</sup> <sup>(٣٤٨)</sup> <sup>(٣٤٩)</sup> <sup>(٣٥٠)</sup> <sup>(٣٥١)</sup> <sup>(٣٥٢)</sup> <sup>(٣٥٣)</sup> <sup>(٣٥٤)</sup> <sup>(٣٥٥)</sup> <sup>(٣٥٦)</sup> <sup>(٣٥٧)</sup> <sup>(٣٥٨)</sup> <sup>(٣٥٩)</sup> <sup>(٣٦٠)</sup> <sup>(٣٦١)</sup> <sup>(٣٦٢)</sup> <sup>(٣٦٣)</sup> <sup>(٣٦٤)</sup> <sup>(٣٦٥)</sup> <sup>(٣٦٦)</sup> <sup>(٣٦٧)</sup> <sup>(٣٦٨)</sup> <sup>(٣٦٩)</sup> <sup>(٣٧٠)</sup> <sup>(٣٧١)</sup> <sup>(٣٧٢)</sup> <sup>(٣٧٣)</sup> <sup>(٣٧٤)</sup> <sup>(٣٧٥)</sup> <sup>(٣٧٦)</sup> <sup>(٣٧٧)</sup> <sup>(٣٧٨)</sup> <sup>(٣٧٩)</sup> <sup>(٣٨٠)</sup> <sup>(٣٨١)</sup> <sup>(٣٨٢)</sup> <sup>(٣٨٣)</sup> <sup>(٣٨٤)</sup> <sup>(٣٨٥)</sup> <sup>(٣٨٦)</sup> <sup>(٣٨٧)</sup> <sup>(٣٨٨)</sup> <sup>(٣٨٩)</sup> <sup>(٣٩٠)</sup> <sup>(٣٩١)</sup> <sup>(٣٩٢)</sup> <sup>(٣٩٣)</sup> <sup>(٣٩٤)</sup> <sup>(٣٩٥)</sup> <sup>(٣٩٦)</sup> <sup>(٣٩٧)</sup> <sup>(٣٩٨)</sup> <sup>(٣٩٩)</sup> <sup>(٤٠٠)</sup> <sup>(٤٠١)</sup> <sup>(٤٠٢)</sup> <sup>(٤٠٣)</sup> <sup>(٤٠٤)</sup> <sup>(٤٠٥)</sup> <sup>(٤٠٦)</sup> <sup>(٤٠٧)</sup> <sup>(٤٠٨)</sup> <sup>(٤٠٩)</sup> <sup>(٤١٠)</sup> <sup>(٤١١)</sup> <sup>(٤١٢)</sup> <sup>(٤١٣)</sup> <sup>(٤١٤)</sup> <sup>(٤١٥)</sup> <sup>(٤١٦)</sup> <sup>(٤١٧)</sup> <sup>(٤١٨)</sup> <sup>(٤١٩)</sup> <sup>(٤٢٠)</sup> <sup>(٤٢١)</sup> <sup>(٤٢٢)</sup> <sup>(٤٢٣)</sup> <sup>(٤٢٤)</sup> <sup>(٤٢٥)</sup> <sup>(٤٢٦)</sup> <sup>(٤٢٧)</sup> <sup>(٤٢٨)</sup> <sup>(٤٢٩)</sup> <sup>(٤٣٠)</sup> <sup>(٤٣١)</sup> <sup>(٤٣٢)</sup> <sup>(٤٣٣)</sup> <sup>(٤٣٤)</sup> <sup>(٤٣٥)</sup> <sup>(٤٣٦)</sup> <sup>(٤٣٧)</sup> <sup>(٤٣٨)</sup> <sup>(٤٣٩)</sup> <sup>(٤٤٠)</sup> <sup>(٤٤١)</sup> <sup>(٤٤٢)</sup> <sup>(٤٤٣)</sup> <sup>(٤٤٤)</sup> <sup>(٤٤٥)</sup> <sup>(٤٤٦)</sup> <sup>(٤٤٧)</sup> <sup>(٤٤٨)</sup> <sup>(٤٤٩)</sup> <sup>(٤٥٠)</sup> <sup>(٤٥١)</sup> <sup>(٤٥٢)</sup> <sup>(٤٥٣)</sup> <sup>(٤٥٤)</sup> <sup>(٤٥٥)</sup> <sup>(٤٥٦)</sup> <sup>(٤٥٧)</sup> <sup>(٤٥٨)</sup> <sup>(٤٥٩)</sup> <sup>(٤٦٠)</sup> <sup>(٤٦١)</sup> <sup>(٤٦٢)</sup> <sup>(٤٦٣)</sup> <sup>(٤٦٤)</sup> <sup>(٤٦٥)</sup> <sup>(٤٦٦)</sup> <sup>(٤٦٧)</sup> <sup>(٤٦٨)</sup> <sup>(٤٦٩)</sup> <sup>(٤٧٠)</sup> <sup>(٤٧١)</sup> <sup>(٤٧٢)</sup> <sup>(٤٧٣)</sup> <sup>(٤٧٤)</sup> <sup>(٤٧٥)</sup> <sup>(٤٧٦)</sup> <sup>(٤٧٧)</sup> <sup>(٤٧٨)</sup> <sup>(٤٧٩)</sup> <sup>(٤٨٠)</sup> <sup>(٤٨١)</sup> <sup>(٤٨٢)</sup> <sup>(٤٨٣)</sup> <sup>(٤٨٤)</sup> <sup>(٤٨٥)</sup> <sup>(٤٨٦)</sup> <sup>(٤٨٧)</sup> <sup>(٤٨٨)</sup> <sup>(٤٨٩)</sup> <sup>(٤٩٠)</sup> <sup>(٤٩١)</sup> <sup>(٤٩٢)</sup> <sup>(٤٩٣)</sup> <sup>(٤٩٤)</sup> <sup>(٤٩٥)</sup> <sup>(٤٩٦)</sup> <sup>(٤٩٧)</sup> <sup>(٤٩٨)</sup> <sup>(٤٩٩)</sup> <sup>(٥٠٠)</sup> <sup>(٥٠١)</sup> <sup>(٥٠٢)</sup> <sup>(٥٠٣)</sup> <sup>(٥٠٤)</sup> <sup>(٥٠٥)</sup> <sup>(٥٠٦)</sup> <sup>(٥٠٧)</sup> <sup>(٥٠٨)</sup> <sup>(٥٠٩)</sup> <sup>(٥١٠)</sup> <sup>(٥١١)</sup> <sup>(٥١٢)</sup> <sup>(٥١٣)</sup> <sup>(٥١٤)</sup> <sup>(٥١٥)</sup> <sup>(٥١٦)</sup> <sup>(٥١٧)</sup> <sup>(٥١٨)</sup> <sup>(٥١٩)</sup> <sup>(٥٢٠)</sup> <sup>(٥٢١)</sup> <sup>(٥٢٢)</sup> <sup>(٥٢٣)</sup> <sup>(٥٢٤)</sup> <sup>(٥٢٥)</sup> <sup>(٥٢٦)</sup> <sup>(٥٢٧)</sup> <sup>(٥٢٨)</sup> <sup>(٥٢٩)</sup> <sup>(٥٣٠)</sup> <sup>(٥٣١)</sup> <sup>(٥٣٢)</sup> <sup>(٥٣٣)</sup> <sup>(٥٣٤)</sup> <sup>(٥٣٥)</sup> <sup>(٥٣٦)</sup> <sup>(٥٣٧)</sup> <sup>(٥٣٨)</sup> <sup>(٥٣٩)</sup> <sup>(٥٤٠)</sup> <sup>(٥٤١)</sup> <sup>(٥٤٢)</sup> <sup>(٥٤٣)</sup> <sup>(٥٤٤)</sup> <sup>(٥٤٥)</sup> <sup>(٥٤٦)</sup> <sup>(٥٤٧)</sup> <sup>(٥٤٨)</sup> <sup>(٥٤٩)</sup> <sup>(٥٥٠)</sup> <sup>(٥٥١)</sup> <sup>(٥٥٢)</sup> <sup>(٥٥٣)</sup> <sup>(٥٥٤)</sup> <sup>(٥٥٥)</sup> <sup>(٥٥٦)</sup> <sup>(٥٥٧)</sup> <sup>(٥٥٨)</sup> <sup>(٥٥٩)</sup> <sup>(٥٦٠)</sup> <sup>(٥٦١)</sup> <sup>(٥٦٢)</sup> <sup>(٥٦٣)</sup> <sup>(٥٦٤)</sup> <sup>(٥٦٥)</sup> <sup>(٥٦٦)</sup> <sup>(٥٦٧)</sup> <sup>(٥٦٨)</sup> <sup>(٥٦٩)</sup> <sup>(٥٧٠)</sup> <sup>(٥٧١)</sup> <sup>(٥٧٢)</sup> <sup>(٥٧٣)</sup> <sup>(٥٧٤)</sup> <sup>(٥٧٥)</sup> <sup>(٥٧٦)</sup> <sup>(٥٧٧)</sup> <sup>(٥٧٨)</sup> <sup>(٥٧٩)</sup> <sup>(٥٨٠)</sup> <sup>(٥٨١)</sup> <sup>(٥٨٢)</sup> <sup>(٥٨٣)</sup> <sup>(٥٨٤)</sup> <sup>(٥٨٥)</sup> <sup>(٥٨٦)</sup> <sup>(٥٨٧)</sup> <sup>(٥٨٨)</sup> <sup>(٥٨٩)</sup> <sup>(٥٩٠)</sup> <sup>(٥٩١)</sup> <sup>(٥٩٢)</sup> <sup>(٥٩٣)</sup> <sup>(٥٩٤)</sup> <sup>(٥٩٥)</sup> <sup>(٥٩٦)</sup> <sup>(٥٩٧)</sup> <sup>(٥٩٨)</sup> <sup>(٥٩٩)</sup> <sup>(٦٠٠)</sup> <sup>(٦٠١)</sup> <sup>(٦٠٢)</sup> <sup>(٦٠٣)</sup> <sup>(٦٠٤)</sup> <sup>(٦٠٥)</sup> <sup>(٦٠٦)</sup> <sup>(٦٠٧)</sup> <sup>(٦٠٨)</sup> <sup>(٦٠٩)</sup> <sup>(٦١٠)</sup> <sup>(٦١١)</sup> <sup>(٦١٢)</sup> <sup>(٦١٣)</sup> <sup>(٦١٤)</sup> <sup>(٦١٥)</sup> <sup>(٦١٦)</sup> <sup>(٦١٧)</sup> <sup>(٦١٨)</sup> <sup>(٦١٩)</sup> <sup>(٦٢٠)</sup> <sup>(٦٢١)</sup> <sup>(٦٢٢)</sup> <sup>(٦٢٣)</sup> <sup>(٦٢٤)</sup> <sup>(٦٢٥)</sup> <sup>(٦٢٦)</sup> <sup>(٦٢٧)</sup> <sup>(٦٢٨)</sup> <sup>(٦٢٩)</sup> <sup>(٦٣٠)</sup> <sup>(٦٣١)</sup> <sup>(٦٣٢)</sup> <sup>(٦٣٣)</sup> <sup>(٦٣٤)</sup> <sup>(٦٣٥)</sup> <sup>(٦٣٦)</sup> <sup>(٦٣٧)</sup> <sup>(٦٣٨)</sup> <sup>(٦٣٩)</sup> <sup>(٦٤٠)</sup> <sup>(٦٤١)</sup> <sup>(٦٤٢)</sup> <sup>(٦٤٣)</sup> <sup>(٦٤٤)</sup> <sup>(٦٤٥)</sup> <sup>(٦٤٦)</sup> <sup>(٦٤٧)</sup> <sup>(٦٤٨)</sup> <sup>(٦٤٩)</sup> <sup>(٦٥٠)</sup> <sup>(٦٥١)</sup> <sup>(٦٥٢)</sup> <sup>(٦٥٣)</sup> <sup>(٦٥٤)</sup> <sup>(٦٥٥)</sup> <sup>(٦٥٦)</sup> <sup>(٦٥٧)</sup> <sup>(٦٥٨)</sup> <sup>(٦٥٩)</sup> <sup>(٦٦٠)</sup> <sup>(٦٦١)</sup> <sup>(٦٦٢)</sup> <sup>(٦٦٣)</sup> <sup>(٦٦٤)</sup> <sup>(٦٦٥)</sup> <sup>(٦٦٦)</sup> <sup>(٦٦٧)</sup> <sup>(٦٦٨)</sup> <sup>(٦٦٩)</sup> <sup>(٦٧٠)</sup> <sup>(٦٧١)</sup> <sup>(٦٧٢)</sup> <sup>(٦٧٣)</sup> <sup>(٦٧٤)</sup> <sup>(٦٧٥)</sup> <sup>(٦٧٦)</sup> <sup>(٦٧٧)</sup> <sup>(٦٧٨)</sup> <sup>(٦٧٩)</sup> <sup>(٦٨٠)</sup> <sup>(٦٨١)</sup> <sup>(٦٨٢)</sup> <sup>(٦٨٣)</sup> <sup>(٦٨٤)</sup> <sup>(٦٨٥)</sup> <sup>(٦٨٦)</sup> <sup>(٦٨٧)</sup> <sup>(٦٨٨)</sup> <sup>(٦٨٩)</sup> <sup>(٦٩٠)</sup> <sup>(٦٩١)</sup> <sup>(٦٩٢)</sup> <sup>(٦٩٣)</sup> <sup>(٦٩٤)</sup> <sup>(٦٩٥)</sup> <sup>(٦٩٦)</sup> <sup>(٦٩٧)</sup> <sup>(٦٩٨)</sup> <sup>(٦٩٩)</sup> <sup>(٧٠٠)</sup> <sup>(٧٠١)</sup> <sup>(٧٠٢)</sup> <sup>(٧٠٣)</sup> <sup>(٧٠٤)</sup> <sup>(٧٠٥)</sup> <sup>(٧٠٦)</sup> <sup>(٧٠٧)</sup> <sup>(٧٠٨)</sup> <sup>(٧٠٩)</sup> <sup>(٧١٠)</sup> <sup>(٧١١)</sup> <sup>(٧١٢)</sup> <sup>(٧١٣)</sup> <sup>(٧١٤)</sup> <sup>(٧١٥)</sup> <sup>(٧١٦)</sup> <sup>(٧١٧)</sup> <sup>(٧١٨)</sup> <sup>(٧١٩)</sup> <sup>(٧٢٠)</sup> <sup>(٧٢١)</sup> <sup>(٧٢٢)</sup> <sup>(٧٢٣)</sup> <sup>(٧٢٤)</sup> <sup>(٧٢٥)</sup> <sup>(٧٢٦)</sup> <sup>(٧٢٧)</sup> <sup>(٧٢٨)</sup> <sup>(٧٢٩)</sup> <sup>(٧٣٠)</sup> <sup>(٧٣١)</sup> <sup>(٧٣٢)</sup> <sup>(٧٣٣)</sup> <sup>(٧٣٤)</sup> <sup>(٧٣٥)</sup> <sup>(٧٣٦)</sup> <sup>(٧٣٧)</sup> <sup>(٧٣٨)</sup> <sup>(٧٣٩)</sup> <sup>(٧٤٠)</sup> <sup>(٧٤١)</sup> <sup>(٧٤٢)</sup> <sup>(٧٤٣)</sup> <sup>(٧٤٤)</sup> <sup>(٧٤٥)</sup> <sup>(٧٤٦)</sup> <sup>(٧٤٧)</sup> <sup>(٧٤٨)</sup> <sup>(٧٤٩)</sup> <sup>(٧٥٠)</sup> <sup>(٧٥١)</sup> <sup>(٧٥٢)</sup> <sup>(٧٥٣)</sup> <sup>(٧٥٤)</sup> <sup>(٧٥٥)</sup> <sup>(٧٥٦)</sup> <sup>(٧٥٧)</sup> <sup>(٧٥٨)</sup> <sup>(٧٥٩)</sup> <sup>(٧٦٠)</sup> <sup>(٧٦١)</sup> <sup>(٧٦٢)</sup> <sup>(٧٦٣)</sup> <sup>(٧٦٤)</sup> <sup>(٧٦٥)</sup> <sup>(٧٦٦)</sup> <sup>(٧٦٧)</sup> <sup>(٧٦٨)</sup> <sup>(٧٦٩)</sup> <sup>(٧٧٠)</sup> <sup>(٧٧١)</sup> <sup>(٧٧٢)</sup> <sup>(٧٧٣)</sup> <sup>(٧٧٤)</sup> <sup>(٧٧٥)</sup> <sup>(٧٧٦)</sup> <sup>(٧٧٧)</sup> <sup>(٧٧٨)</sup> <sup>(٧٧٩)</sup> <sup>(٧٨٠)</sup> <sup>(٧٨١)</sup> <sup>(٧٨٢)</sup> <sup>(٧٨٣)</sup> <sup>(٧٨٤)</sup> <sup>(٧٨٥)</sup> <sup>(٧٨٦)</sup> <sup>(٧٨٧)</sup> <sup>(٧٨٨)</sup> <sup>(٧٨٩)</sup> <sup>(٧٩٠)</sup> <sup>(٧٩١)</sup> <sup>(٧٩٢)</sup> <sup>(٧٩٣)</sup> <sup>(٧٩٤)</sup> <sup>(٧٩٥)</sup> <sup>(٧٩٦)</sup> <sup>(٧٩٧)</sup> <sup>(٧٩٨)</sup> <sup>(٧٩٩)</sup> <sup>(٨٠٠)</sup> <sup>(٨٠١)</sup> <sup>(٨٠٢)</sup> <sup>(٨٠٣)</sup> <sup>(٨٠٤)</sup> <sup>(٨٠٥)</sup> <sup>(٨٠٦)</sup> <sup>(٨٠٧)</sup> <sup>(٨٠٨)</sup> <sup>(٨٠٩)</sup> <sup>(٨١٠)</sup> <sup>(٨١١)</sup> <sup>(٨١٢)</sup> <sup>(٨١٣)</sup> <sup>(٨١٤)</sup> <sup>(٨١٥)</sup> <sup>(٨١٦)</sup> <sup>(٨١٧)</sup> <sup>(٨١٨)</sup> <sup>(٨١٩)</sup> <sup>(٨٢٠)</sup> <sup>(٨٢١)</sup> <sup>(٨٢٢)</sup> <sup>(٨٢٣)</sup> <sup>(٨٢٤)</sup> <sup>(٨٢٥)</sup> <sup>(٨٢٦)</sup> <sup>(٨٢٧)</sup> <sup>(٨٢٨)</sup> <sup>(٨٢٩)</sup> <sup>(٨٣٠)</sup> <sup>(٨٣١)</sup> <sup>(٨٣٢)</sup> <sup>(٨٣٣)</sup> <sup>(٨٣٤)</sup> <sup>(٨٣٥)</sup> <sup>(٨٣٦)</sup> <sup>(٨٣٧)</sup> <sup>(٨٣٨)</sup> <sup>(٨٣٩)</sup> <sup>(٨٤٠)</sup> <sup>(٨٤١)</sup> <sup>(٨٤٢)</sup> <sup>(٨٤٣)</sup> <sup>(٨٤٤)</sup> <sup>(٨٤٥)</sup> <sup>(٨٤٦)</sup> <sup>(٨٤٧)</sup> <sup>(٨٤٨)</sup> <sup>(٨٤٩)</sup> <sup>(٨٥٠)</sup> <sup>(٨٥١)</sup> <sup>(٨٥٢)</sup> <sup>(٨٥٣)</sup> <sup>(٨٥٤)</sup> <sup>(٨٥٥)</sup> <sup>(٨٥٦)</sup> <sup>(٨٥٧)</sup> <sup>(٨٥٨)</sup> <sup>(٨٥٩)</sup> <sup>(٨٦٠)</sup> <sup>(٨٦١)</sup> <sup>(٨٦٢)</sup> <sup>(٨٦٣)</sup> <sup>(٨٦٤)</sup> <sup>(٨٦٥)</sup> <sup>(٨٦٦)</sup> <sup>(٨٦٧)</sup> <sup>(٨٦٨)</sup> <sup>(٨٦٩)</sup> <sup>(٨٧٠)</sup> <sup>(٨٧١)</sup> <sup>(٨٧٢)</sup> <sup>(٨٧٣)</sup> <sup>(٨٧٤)</sup> <sup>(٨٧٥)</sup> <sup>(٨٧٦)</sup> <sup>(٨٧٧)</sup> <sup>(٨٧٨)</sup> <sup>(٨٧٩)</sup> <sup>(٨٨٠)</sup> <sup>(٨٨١)</sup> <sup>(٨٨٢)</sup> <sup>(٨٨٣)</sup> <sup>(٨٨٤)</sup> <sup>(٨٨٥)</sup> <sup>(٨٨٦)</sup> <sup>(٨٨٧)</sup> <sup>(٨٨٨)</sup> <sup>(٨٨٩)</sup> <sup>(٨٩٠)</sup> <sup>(٨٩١)</sup> <sup>(٨٩٢)</sup> <sup>(٨٩٣)</sup> <sup>(٨٩٤)</sup> <sup>(٨٩٥)</sup> <sup>(٨٩٦)</sup> <sup>(٨٩٧)</sup> <sup>(٨٩٨)</sup> <sup>(٨٩٩)</sup> <sup>(٩٠٠)</sup> <sup>(٩٠١)</sup> <sup>(٩٠٢)</sup> <sup>(٩٠٣)</sup> <sup>(٩٠٤)</sup> <sup>(٩٠٥)</sup> <sup>(٩٠٦)</sup> <sup>(٩٠٧)</sup> <sup>(٩٠٨)</sup> <sup>(٩٠٩)</sup> <sup>(٩١٠)</sup> <sup>(٩١١)</sup> <sup>(٩١٢)</sup> <sup>(٩١٣)</sup> <sup>(٩١٤)</sup> <sup>(٩١٥)</sup> <sup>(٩١٦)</sup> <sup>(٩١٧)</sup> <sup>(٩١٨)</sup> <sup>(٩١٩)</sup> <sup>(٩٢٠)</sup> <sup>(٩٢١)</sup> <sup>(٩٢٢)</sup> <sup>(٩٢٣)</sup> <sup>(٩٢٤)</sup> <sup>(٩٢٥)</sup> <sup>(٩٢٦)</sup> <sup>(٩٢٧)</sup> <sup>(٩٢٨)</sup> <sup>(٩٢٩)</sup> <sup>(٩٣٠)</sup> <sup>(٩٣١)</sup> <sup>(٩٣٢)</sup> <sup>(٩٣٣)</sup> <sup>(٩٣٤)</sup> <sup>(٩٣٥)</sup> <sup>(٩٣٦)</sup> <sup>(٩٣٧)</sup> <sup>(٩٣٨)</sup> <sup>(٩٣٩)</sup> <sup>(٩٤٠)</sup> <sup>(٩٤١)</sup> <sup>(٩٤٢)</sup> <sup>(٩٤٣)</sup> <sup>(٩٤٤)</sup> <sup>(٩٤٥)</sup> <sup>(٩٤٦)</sup> <sup>(٩٤٧)</sup> <sup>(٩٤٨)</sup> <sup>(٩٤٩)</sup> <sup>(٩٥٠)</sup> <sup>(٩٥١)</sup> <sup>(٩٥٢)</sup> <sup>(٩٥٣)</sup> <sup>(٩٥٤)</sup> <sup>(٩٥٥)</sup> <sup>(٩٥٦)</sup> <sup>(٩٥٧)</sup> <sup>(٩٥٨)</sup> <sup>(٩٥٩)</sup> <sup>(٩٦٠)</sup> <sup>(٩٦١)</sup> <sup>(٩٦٢)</sup> <sup>(٩٦٣)</sup> <sup>(٩٦٤)</sup> <sup>(٩٦٥)</sup> <sup>(٩٦٦)</sup> <sup>(٩٦٧)</sup> <sup>(٩٦٨)</sup> <sup>(٩٦٩)</sup> <sup>(٩٧٠)</sup> <sup>(٩٧١)</sup> <sup>(٩٧٢)</sup> <sup>(٩٧٣)</sup> <sup>(٩٧٤)</sup> <sup>(٩٧٥)</sup> <sup>(٩٧٦)</sup> <sup>(٩٧٧)</sup> <sup>(٩٧٨)</sup> <sup>(٩٧٩)</sup> <sup>(٩٨٠)</sup> <sup>(٩٨١)</sup> <sup>(٩٨٢)</sup> <sup>(٩٨٣)</sup> <sup>(٩٨٤)</sup> <sup>(٩٨٥)</sup> <sup>(٩٨٦)</sup> <sup>(٩٨٧)</sup> <sup>(٩٨٨)</sup> <sup>(٩٨٩)</sup> <sup>(٩٩٠)</sup> <sup>(٩٩١)</sup> <sup>(٩٩٢)</sup> <sup>(٩٩٣)</sup> <sup>(٩٩٤)</sup> <sup>(٩٩٥)</sup> <sup>(٩٩٦)</sup> <sup>(٩٩٧)</sup> <sup>(٩٩٨)</sup> <sup>(٩٩٩)</sup> <sup>(١٠٠٠)</sup> <sup>(١٠٠١)</sup> <sup>(١٠٠٢)</sup> <sup>(١٠٠٣)</sup> <sup>(١٠٠٤)</sup> <sup>(١٠٠٥)</sup> <sup>(١٠٠٦)</sup> <sup>(١٠٠٧)</sup> <sup>(١٠٠٨)</sup> <sup>(١٠٠٩)</sup> <sup>(١٠١٠)</sup> <sup>(١٠١١)</sup> <sup>(١٠١٢)</sup> <sup>(١٠١٣)</sup> <sup>(١٠١٤)</sup> <sup>(١٠١٥)</sup> <sup>(١٠١٦)</sup> <sup>(١٠١٧)</sup> <sup>(١٠١٨)</sup> <sup>(١٠١٩)</sup> <sup>(١٠٢٠)</sup> <sup>(١٠٢١)</sup> <sup>(١٠٢٢)</sup> <sup>(١٠٢٣)</sup> <sup>(١٠٢٤)</sup> <sup>(١٠٢٥)</sup> <sup>(١٠٢٦)</sup> <sup>(١٠٢٧)</sup> <sup>(١٠٢٨)</sup> <sup>(١٠٢٩)</sup> <sup>(١٠٣٠)</sup> <sup>(١٠٣١)</sup> <sup>(١٠٣٢)</sup> <sup>(١٠٣٣)</sup> <sup>(١٠٣٤)</sup> <sup>(١٠٣٥)</sup> <sup>(١٠٣٦)</sup> <sup>(١٠٣٧)</sup> <sup>(١٠٣٨)</sup> <sup>(١٠٣٩)</sup> <sup>(١٠٤٠)</sup> <sup>(١٠٤١)</sup> <sup>(١٠٤٢)</sup> <sup>(١٠٤٣)</sup> <sup>(١٠٤٤)</sup> <sup>(١٠٤٥)</sup> <sup>(١٠٤٦)</sup> <sup>(١٠٤٧)</sup> <sup>(١٠٤٨)</sup> <sup>(١٠٤٩)</sup> <sup>(١٠٥٠)</sup> <sup>(١٠٥١)</sup> <sup>(١٠٥٢)</sup> <sup>(١٠٥٣)</sup> <sup>(١٠٥٤)</sup> <sup>(١٠٥٥)</sup> <sup>(١٠٥٦)</sup> <sup>(١٠٥٧)</sup> <sup>(١٠٥٨)</sup> <sup>(١٠٥٩)</sup> <sup>(١٠٦٠)</sup> <sup>(١٠٦١)</sup> <sup>(١٠٦٢)</sup> <sup>(١٠٦٣)</sup> <sup>(١٠٦٤)</sup> <sup>(١٠٦٥)</sup>



وعقد القرشيون كذلك معاهدات مماثلة مع أمراء العرب في شبه الجزيرة العربية، ومع شيوخ قيس، وأقيال اليمن، وأمراء اليمامة، وملوك غسان، وسادات تميم، وحكام بلاد الشام والعراق. وقد عقد المكيون هذه المعاهدات لتوفير الأمن لقوافلهم التجارية، التي كانت تذهب إلى بلاد الشام والعراق واليمن، وغيرها من اعتداءات القبائل ومشاكلها. وذلك بدفع جعالات معينة، أو بتقديم هدايا وألطف مناسبة ومغرية لهم، أو بإشراكهم في تجارتهم، أو بحمل بضائعهم بلا أجر. وقد أكد ابن سعد في طبقاته الكبرى هذا الأمر عندما قال: «وأما القبائل الضاربة على طرق القوافل، فقد ألفهم هاشم على أن تحمل قريش بضائعهم بلا أجرة»<sup>(٧٠)</sup>. ويذكر الجاحظ في رسائله أن هاشماً قد أشرك «في تجارته رؤساء القبائل من العرب... وجعل لهم معه ربحاً»<sup>(٧١)</sup>.

وقد كان لتنظيم العلاقات التجارية، بين مكة وأمراء العرب والدول الكبرى المجاورة، أثر كبير على تطور الحياة الاقتصادية والحياة الاجتماعية في الحجاز والبادية. فنتيجة لهذه العملية التنظيمية نشطت التجارة الداخلية والخارجية، وازداد التقارب والتآلف بين العرب أنفسهم، وذلك بربط أعداد وفئات كثيرة من سكان المدن والبادية بالعملية التجارية، سواء أكان بمشاركة بعضهم في تمويل القوافل، أو بتشغيل قسم كبير منهم كأدلاء وحراس للقوافل؛ ذلك أن وجهاء مكة وأثرياءها كانوا يستخدمون لقوافلهم أدلاء وحراساً وعمالاً، يتولون تحميل البضائع وتفريغها، وسائقين للإبل من قبائل البدو المجاورة، لقاء مبالغ محددة من المال؛ فضلاً عن مقدمي الخدمات في المحطات المنتشرة على طول الطرق البرية، وفي الثغور البحرية<sup>(٧٢)</sup>.

وكان في مكة واليمن ونجد تجار من الروم أو الفرس، قد ساكنوا المكيين وتحالفوا مع أثريائهم. ومنهم من أقام بمكة، نظير دفع جزية مادية

(٧٠) ابن سعد: الطبقات الكبرى، الجزء الأول، ص ٤٥.

(٧١) أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ: رسائل الجاحظ، جمع السندوي، المطبعة الرحمانية بمصر، القاهرة ١٩٣٣، ص ٧٠.

(٧٢) بليانيف: العرب والإسلام...، ص ١٣٥ - ١٣٦.

لحمايته وحفظ أمواله، ومنهم من استقرّ في عدن التي كانت السفن ترد إليها من مختلف جهات المحيط الهندي<sup>(٧٣)</sup>، والتي كان يصل إليها تجّار من الروم والفرس بسفنهم ليشتروا ما يجدونه من بضائع وسلع، أو ليتزودوا بالماء والطعام<sup>(٧٤)</sup>.

وكان كبار تجّار قُريش يقومون بدور الوسطاء التجاريين، فكانوا ينقلون تجارة أهل اليمن وتجارة أفريقية الشرقية إلى أسواق فلسطين وسوريا: كما كانوا يحملون تجارة الشام وبلدان حوض البحر المتوسط إلى الحجاز ونجد واليمن. وذكر البلاذري أنّ قريشاً كانت تقوم برحلة في الشتاء إلى اليمن والحبشة والعراق، ورحلة في الصيف إلى بلاد الشام<sup>(٧٥)</sup>. وفي ذلك يقول مطرود بن كعب الخزاعي:

يا أيها الرجل المحوّل رَحْلُهُ      هَلَا نَزَلْتَ بِأَلْ عَبْدِ مَنَافٍ  
هَبْلَتِكَ أَمَكْ! لو نزلت عليهم      ضَمْنُوكَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ أَقْرَافٍ  
الْأَخْذُونَ الْعَهْدَ مِنْ آفَاقِهَا      وَالرَّاحِلُونَ لِرَحْلَةِ الْإِيلَافِ<sup>(٧٦)</sup>

أما سلع التبادل، فكانت القمح والزيتون والخمور ومصنوعات الشام والذهب والقصدير والأحجار الكريمة والعاج وخشب الصندل والتوابل والأقمشة الحريرية والقطنية والكتانية والأرجوانية والآنية الفضية والنحاسية من الهند والصين. والبخور والمرّ والعطور والجلود المدبوعة والأحجار الكريمة من اليمن. والذهب والعييد والعاج والجلود وخشب الأبنوس وريش النعام من أفريقيا الشرقية. واللؤلؤ والياقوت من البحرين. ومواد غذائية وسلع صناعية من فارس والعراق واليمامة. وبذلك تحوّلت مكّة في نهاية القرن السادس الميلادي

(٧٣) ابن هشام: السيرة النبوية، قسم ١، ص ٢٨٠. الأزرق: أخبار مكة...، ص ١٥١. أبو فرج

الأصبهاني: الأغاني، ج ٤، ص ٧٦. أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة، ص ٢١١.

(٧٤) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ١٩٥.

(٧٥) البلاذري: أنساب الأشراف، ص ٥٩.

(٧٦) أبو جعفر محمد بن حبيب: المحبّر: باعتناء إيلزه ليختن شتير، والمكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لا تاريخ، ص ١٦٢.

إلى مستودع ضخّم لمنتجات الهند والصين وشرقي أفريقيا وإيران والعراق والشام وشبه الجزيرة العربية<sup>(٧٧)</sup>.

وقد كسب تجّار مكّة أرباحاً طائلة من هذه الرحلات التجارية، وتكدّست الأموال بأيدي بعض الأسر: كأبي أحيحة سعيد بن العاص، وعبد الله بن جدعان، والوليد بن المغيرة المخزومي، وأبي سفيان، وهاشم بن عبد مناف، والمطلب بن عبد مناف، ونوفل بن عبد مناف. وقد توفي هؤلاء الثلاثة بعيداً عن مكّة، فهاشم توفي بغزة من أرض الشام، والمطلب توفي بردمان من أرض اليمن، ونوفل توفي بسلامان من ناحية العراق. وفي ذلك يقول مطرود بن كعب الخزاعي:

إذا تذكّرت أخي نوفلاً	ذكّرني بالأوليات
ذكّرني بالأزر الحمر	والأردية الصفّر القشيبات
أربعة كلّهم سيّد	أبناء سادات لسادات
ميت بردمان وميت بسلامان	وميت عند غزّات <sup>(٧٨)</sup>

وللدلالة على أهميّة ثراء بعض الرجال في مكّة، ما دفعه أهلها من فديات لأسرهم في بدر، فقد جعل رسول الله ﷺ فداء بعض أسرى يوم بدر أربعة آلاف لكل رجل من أسرة ثرية، إلى ثلاثة آلاف، إلى ألفين، إلى ألف، إلى قوم لا مال عندهم منّ عليهم النبيّ دون فداء<sup>(٧٩)</sup>.

وتعطينا القافلة التي كان يقودها أبو سفيان، والتي كان الهجوم عليها سبباً في نشوب معركة بدر، تصوّراً واضحاً عن حجم القوافل والأموال الموظّفة، وحصص المشتركين، ونسبة الأرباح التي يجنيها أصحابها. كما تعطينا صورة عن الغنى الفاحش الذي بلغه بعض العائلات المكيّة حينذاك. فكانت هذه القافلة

---

(٧٧) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٤، ص ١١٥. أحمد إبراهيم الشريف: مكّة والمدينة ص ٢٠٦.

(٧٨) ابن هشام: السيرة النبوية، قسم ١، ص ١٤٦.

(٧٩) محمد بن عمر بن واقد: المغازي للواقدي، الجزء الأول، تحقيق مارسدن جونس، مكتب الإعلام الإسلامي، قم رمضان ١٤١٤ هـ ص ١٣٨ - ١٤٤.

مؤلفة من ألف جمل في رواية، وألفين وخمسمائة في رواية أخرى<sup>(٨٠)</sup>. وكانت أموالها تُقدَّر بنحو خمسين ألف دينار، وأن أكثر ما فيها من المال، ثلاثون ألف دينار لآل سعيد بن العاص، وكانت أرباح التجار ديناراً لكل دينار<sup>(٨١)</sup>. ووصل خمس القافلة التي هاجمها المسلمون في موضع ذي قرد إلى عشرين ألفاً<sup>(٨٢)</sup>.

ومن المعتقد أن اتصال تجار مكة بالحبشة والصومال، كان يتم عن طريق آخر، غير طريق اليمن البري، وهو طريق البحر الأحمر، بواسطة ميناء الشعبية - ميناء مكة الوحيد - فكان تجار مكة يستخدمون هذا الميناء والموانئ القريبة منه للاتصال بالحبشة والصومال ومصر. ومن المرجح أنهم استخدموا سفناً خاصة كانت تعمل لحسابهم<sup>(٨٣)</sup>.

وإلى جانب الرجال، فقد كان بعض النساء المكيّات يمارسن التجارة، وقد أثرين ثراءً كبيراً. مثل خديجة بنت خويلد التي كانت تتاجر بمكة، وتستأجر الرجال لقيادة تجارتها إلى الشام<sup>(٨٤)</sup>، وأم أبي جهل التي كانت تتاجر بالعمود التي تُجلب إليها من اليمن<sup>(٨٥)</sup>.

ولم يكن لمكة في الجاهلية عملة خاصة بها، إذ كان المكيّون يتعاملون بالإبل والنقود. وكانت العملات السائدة في الحجاز عموماً، وفي مكة خصوصاً الدينار الذهبي البيزنطي، والدرهم الفضي الساساني<sup>(٨٦)</sup>. وتعاملوا أيضاً بنقود يمنية حميرية أو مغربية، كانت غير مسكوكة، بل هي عبارة عن قطع من الذهب الخام المستورد من شرقي أفريقيا، أو المستخرج من مجاري الأنهار في اليمن.

---

(٨٠) المصدر نفسه، ص ٢٠٠.

(٨١) المصدر نفسه، ص ٢٠٠. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٤، ص ١٠٦.

(٨٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٥.

(٨٣) أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص ٢١.

(٨٤) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ١٦. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٢، ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

(٨٥) أبو الفرج الأصبهاني: الأغاني، ج ١، ص ٦٤ - ٦٥. ابن حنبل: المسند، ج ٣، ص ٢١٧.

(٨٦) الدينار: لفظة يونانية - لاتينية، مشتقة من كلمة «ديناريوس». والدرهم مشتق من الدراخمة اليونانية، وأخذه العرب عن الفرس.

كما استعملوا قطعاً من معدن الفضة الخام. وكان التبادل بهذه النقود يجري حسب وزن القطع المتبادلة<sup>(٨٧)</sup>.

ومن مظاهر التطور الاقتصادي عموماً والتطور التجاري خصوصاً، قيام بيوتات مالية في مكة وخارج مكة، بأعمال الصيرفة وتبادل النقود، كما تقوم بأعمال الإقراض والربا الذي كان يدرّ على أصحاب رؤوس الأموال أرباحاً كثيرة، في حين كان يلحق الشقاء المادي والاستعباد على الفئات الفقيرة التي تضطر لاقتراض الأموال. ذلك أنّ المرابين الذين تزايد عددهم في مكة، كانوا يتشدّدون في المطالبة برأس المال ورباه معاً، ولم يمهّلوا معسراً، ولم يتساهلوا في الأداء إلى وقت الميسرة. فكان المرابي يقول لمدينه، إذا حلّ أجل الدين، إما أن تقضي وإما أن تربّي، أي تزيد مقدار الربا<sup>(٨٨)</sup>. وهكذا حتى تضاعفت فوائد الربا كثيراً، فكان الدرهم يُستوفى درهمين، والدينار دينارين. وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٨٩)</sup>.

وإلى جانب مكة كانت مدينة يثرب تُشكّل محطة تجارية على طريق القوافل بين شمالي بلاد العرب وجنوبها، وواحة خصبة توفّر للتجارة الراحة والمؤن<sup>(٩٠)</sup>. كما كانت تيماء مركزاً تجارياً مهماً في شمالي شبه الجزيرة، وملتقى لعدد من الطرق البرية، فمنها تسير القوافل إلى البتراء ودمشق وتدمر، وإلى سيناء ومصر، وإلى العراق<sup>(٩١)</sup>. وهي من أكبر المراكز التجارية التي اكتشفت في شبه الجزيرة العربية، ومن أكثر المدن العربية شهرة في التاريخ

(٨٧) علي معطي: النقود العربية الإسلامية، مجلة دراسات إسلامية، المعهد العالي للدراسات الإسلامية، جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، الموسم الثقافي ١٤١٥ - ١٤١٧هـ/ ١٩٩٥ - ١٩٩٧م، ص ١١٩ - ١٢١.

(٨٨) بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني: عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري، إستانبول ١٣٠٨هـ، ص ٢٠٢.

(٨٩) قرآن كريم، سورة آل عمران، آية ١٣٠.

(٩٠) N.Groom: Frankincense and Myrrh, P191.

نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٢٨.

(٩١) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٤٠٢.

القديم، ويعود ذلك إلى دورها في التجارة العالمية، الذي تبرزه نقوشها ذات التأثير المصري والآشوري<sup>(٩٢)</sup>. وكانت ديدان العلا من أكثر المناطق خصوبة في شمالي شبه الجزيرة، ومن أهم المراكز التجارية تطوّراً. وهي تقع على طريق التجارة بين الشمال والجنوب. وفي ممر ضيق تضطر القوافل للمرور به نظراً لإحاطته بالمرتفعات والرمال والحرّات. وقد أكّدت النقوش الأثرية على دور هذه المدينة كمركز تجاري وحضاري منذ القرن السادس قبل الميلاد، حيث تتابعت على سلطتها كيانات سياسية مثل الدولة الديدانية والدولة اللحيانية، وأقامت فيها جاليات عربية معينة وغير معينة. وبعد أن سيطر الأنباط على شمالي الحجاز، واتخذوا الحجر (مدائن صالح) قاعدة لهم، فقدت ديدات أهميتها السياسية والتجارية<sup>(٩٣)</sup>. أما الحجر (مدائن صالح) فهي تقع على بعد سبعة أميال شمال شرقي العلا، ويعود تاريخها إلى عهد الدولة اللحيانية. ولم تبرز مكانتها التجارية إلا في عهد الأنباط الذين أجبروا القوافل التجارية على سلوك الطرق المؤدية إليها. وتُعتبر «أدوماتو» التي تقع في منطقة صخرية على حافة النفود الشمالية في الطرف الجنوبي لوادي السرحان، والتي تُعرف أيضاً باسم «دومة الجندل» قاعدة لمنطقة الجوف، وعاصمة لدولة اتحادية في شمالي شبه الجزيرة العربية في القرن السابع قبل الميلاد، ومقرّاً لمملكات «شمالي بلاد العرب». وكانت هذه المدينة تتحكّم في الطرف الجنوبي لوادي السرحان الذي هو مجرى تكثّر فيه المياه نسبياً ويمتدّ في اتجاه الشمال الغربي من أواسط شبه الجزيرة العربية الشمالية، والذي كان طريقاً طبيعياً للقوافل المتّجهة نحو بلاد الرافدين والخليج العربي. ويُستدلّ من النقش المعيني الذي اكتُشف في أدوماتو على وجود صلات بينها وبين تجار التوابل المعينيين في ديدان بعد حوالي سنة ٤٠٠ قبل الميلاد. وبحلول القرن الأول الميلادي كانت هذه المدينة في أيدي الأنباط فشكّلت بلا ريب نقطة رئيسة على حدودهم الشرقية.

(٩٢) حامد أبو درك: مقدمة عن آثار تيماء، مطبوعات الإدارة العامة للآثار والمتاحف، الرياض ١٩٨٦، ص ٤ - ٥.

(٩٣) محمد علي الأكوع، وأحمد حسن غزال، وجيفري كنج: مواقع أثرية وصور من حضارة العرب، ص ٨. نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٢٩.

أما حائل (أركوم) التي نشأت في وسط منطقة جبال شمر، والتي تقع في الجهة الشمالية الغربية من مدينة الرياض وعلى بعد ٧٥٥ كيلومتراً منها، كانت مركزاً تجارياً يربط بين طرق أربع هي: حائل - الجرها، حائل - النجف، حائل - الجوف، حائل - بريدة الذي كان يمرّ بموقع زبيدة بالقرب من عنيزة وفقاً لبعض الترحيحات. وحائل هو الاسم الأصلي للوادي الذي تقع فيه هذه المدينة، وذلك لوقوعه حائلاً بين جبلي أجا وسلمى<sup>(٩٤)</sup>.

### ٣ - دور البتراء التجاري<sup>(٩٥)</sup>:

ومن المدن التجارية التي لعبت دوراً في تاريخ العرب القديم البتراء، وهي المدينة التي نشأت كمحطة على طريق القوافل التجارية. ذلك أنّ هذه المدينة بعد أن نما شأنها الاقتصادي والسياسي، وازداد عدد القائمين فيها من النبط، غدت عاصمة لدولة قامت في شمالي الحجاز في القرن السادس قبل الميلاد، وشملت منطقة واسعة من بلاد الشام، عُرفت بدولة الأنباط. وتقع البتراء اليوم، كمدينة أثرية، في وادي موسى جنوب غربي المملكة الأردنية، في موقع استراتيجي فريد، على سطح هضبة قاحلة، يصل ارتفاعها إلى ما يقارب ٣٠٠٠ قدم، وتطلّ على وادي عربة من جهة الغرب، وتحيط بها الجبال من سائر الجهات، بحيث يتعذر الدخول إليها، إلا من الممر الضيق المعروف بالسيق، الذي يُظنّ بأنه لفظ نبطي متوارث<sup>(٩٦)</sup>. وقد حرّفه الناس عن كلمة الشق في اللغة السبئية القديمة<sup>(٩٧)</sup>.

(٩٤) نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٢٩. الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٢٦٧ - ٢٦٩.

(٩٥) البتراء: لفظ يوناني، يعني «الرقيم» عند العرب أي الصخرة، وُسلع عند العبرانيين.

عرفان محمد حمّور: أسواق العرب، ص ٢٩. فيليب حتى وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٠٣.

(٩٦) عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص ١٠٣. عرفان محمد حمّور: أسواق العرب، ص ٢٩.

(٩٧) لانكستر هاردنغ: آثار الأردن، تعريب سليمان موسى، المطبعة الوطنية، عمّان ١٩٧١، ص ١١٧.

ويبدو أن البتراء قد ازدهرت في القرن الرابع قبل الميلاد، وظلت زهاء أربعمئة عام تشغل مكاناً مهماً على طريق القوافل ما بين اليمن والشام ومصر. ولم تفقد مكانتها التجارية إلا بعد أن أخضعها الرومان الذين اتخذوا مدينة بُصرى عاصمة للمقاطعة العربية<sup>(٩٨)</sup>. وقد حاول الأشوريون والفرس واليونان السيطرة عليها ولكنهم فشلوا، ولهذا سُمي الإغريق بلاد الأنباط باسم «بلاد العرب الصخرية»، كما سُميت عاصمتهم البتراء بالصخرة<sup>(٩٩)</sup>.

وتقوم حضارة الأنباط بشكل رئيس على حياة التجارة، ذلك أن عاصمتهم البتراء كانت محطة تجارية، ومركزاً لعدد من صناعات العطور والأواني، وسوقاً تجارية نشطة تبيع ما ينتجه النساجون والنجارون والحذادون والزراع، كأعلاف الحيوانات وسروجها وألجمتها وأكسيثها وخروجها، وكأكياس البضائع وأسلحة الحراس وغذاء التجار<sup>(١٠٠)</sup>. وكانت تتدفق على هذه السوق السلع والبضائع من كل الجهات والأقاليم، وتجري فيها أعمال البيع والشراء، وتُعقد فيها الصفقات التجارية، وتُعطى القروض، وتتبادل العملات، وتلتقي القوافل التي تعبر بادية الشام ما بين غزة وبُصرى، وما بين دمشق وأيلة، وما بين اليمن والشام والعراق والخليج العربي. ومن الآثار التي اكتشفها المنقبون تُبين أن نشاط الأنباط قد وصل إلى موانئ سوريا الشمالية، وإلى الإسكندرية، ورودرس وملتوس وديلوس، وسلوقية، وإلى إيطالية والصين وغيرها من المراكز التجارية في العالم القديم<sup>(١٠١)</sup>.

---

Strabo: The Geography of Strabo, Bk16, P353. Pliny: Natural history, Bk6, (٩٨) P287 and 477.

حتى وآخران: تاريخ العرب، ص ١٠٤.

(٩٩) عبد العزيز سالم: تاريخ الدلة العربية، ص ١٠٢-١٠٣. الدليل الأثري والحضاري، ص ٢٧٦.

G.Bowersock: Roman Arabia, Harward University Press, Cambridge Mass 1983, P60-61.

(١٠٠) صالح أحمد العلي: تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، ص ٤٩.

Bowersock: op.cit, P86.

(١٠١) جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ١٠٢. صالح أحمد العلي: تاريخ العرب القديم، ص ٤٩ - ٥٠.

Philp Hammond: The Nabataean, their history culture and Archaeology, P66.



أما السلع التي تاجر بها الأنباط فهي: العطور والطيوب اليمنية والمنسوجات الحريرية التي جلبوها من دمشق وغازة والصين، والأرجوان من صيدا وصور، والحناء من عسقلان، واللاّلىء من الخليج العربي، والخزف من روما، فضلاً عن بعض المواد المحليّة كزيت السمسّم، ومصوغات الذهب والفضّة، وصناعات الأواني الفخاري وغيرها<sup>(١٠٢)</sup>. وكانوا يحملون الطيوب والمرّ والبخور والتوابل من اليمن وغيرها إلى مصر وشواطئ البحر المتوسط. كما يحملون إلى مصر على الخصوص القار لأجل التحنيط. ولم تكن تمرّ تجارة في أيامهم بين الشرق والغرب إلّا على أيديهم، ويفرضون مكوساً على السلع الواردة إلى بلادهم أو الصادرة منها. وكانوا يقدّمون، في الوقت عينه، الحماية اللازمة للقوافل التجارية التي تمرّ في أراضيهم، ولذا أنشأوا بضعة خانات ومحطّات للتجارة، وقلاعاً في وادي عربة لتكون مراكز للحاميات النبطية<sup>(١٠٣)</sup>.

وكان للأنباط نقودٌ خاصّة بهم، استخدموها في أسواقهم؛ ويروى أنّ أوّل من ضرب النقود من الأنباط كان الملك الحارث الثالث (٨٧ - ٦٢ قبل الميلاد) الذي اقتبس ذلك عن ملوك اليونان في أثناء حكمه لدمشق. وقد وجد بعضهم ديناراً عليه نقش يرمز إلى اتفاق الحارث وسكاوروس، وصورة جمل وشجرة عطرية<sup>(١٠٤)</sup>. كما وجدوا نقوداً تعود إلى أيام هذا الملك، عليها صورة رأسه وصورة امرأة ترمز إلى النصر، وقد نقش وراءها اسم الملك الحارث باليونانية (Basileos Aretou) وأمامها لقبه: محب اليونان فيلهلين<sup>(١٠٥)</sup>، وهنالك نقود

---

(١٠٢) لانكستر هاردنغ: آثار الأردن، ص ١١٧. صالح أحمد العلي: تاريخ العرب القديم، ص ٥٠.

(١٠٣) جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ١٠٢. صالح أحمد العلي: تاريخ العرب القديم، ص ٤٨.

(١٠٤) جرجي زيدان: المرجع السابق، ص ٩٩. صالح أحمد العلي: المرجع السابق، ص ٤٨. كان سكاوروس قائداً رومانياً حاول أن يغزب بلاد الأنباط، ولكنّه عجز عن ذلك بسبب وعورة الطريق وقلة الزاد، فرضي أن يرجع بمبلغ ٣٠٠ دينار، دفعها إليه الحارث الثالث. زيدان: المرجع السابق، ص ٩٩.

(١٠٥) زيدان: المرجع السابق، ص ١٠٣.

ترجع إلى أيام الملك عبادة الثاني ابن الحارث الثالث (٦٢ - ٤٧ قبل الميلاد)، وإلى أيام مالك الأول ابن عبادة الثاني (٤٧ - ٣٠ قبل الميلاد)<sup>(١٠٦)</sup>. كما وصلت إلينا من عهد الملك مالك الثاني ابن الحارث الرابع (٤٠ - ٧٥ ميلادية) عملات فضية وبرونزية نُقش عليها صورته وصورة شقيقة زوجته التي كانت شقيقته في آن واحد<sup>(١٠٧)</sup>.

وفي القرن الأول قبل الميلاد، بلغت البتراء قمة ازدهارها التجاري والاقتصادي، وقد ظلت مركزاً تجارياً بين الشرق والغرب، وبين الجنوب والشمال، حتى أعاد الرومان الطريق من القصير على البحر الأحمر، إلى قفط على النيل. وفي عام ١٠٦ ميلادية جرّد عليها الأمبراطور الروماني تراجان، حملة عسكرية، قضى فيها على استقلالها. ومنذ ذلك الوقت أخذت البتراء تتراجع تدريجياً، وتفقد دورها التجاري، حتى تخلّت عنه في نهاية المطاف إلى مدينتي بُصرى وتدمر الفتيتين<sup>(١٠٨)</sup>.

وتُعدّ بُصرى من أهمّ المدن النبطية وبخاصّة في الفترة المتأخرة من تاريخهم؛ وهي محطة تجارية، تقع في منطقة حوران جنوبي سوريا، وملتقى للطرق التجارية البرية القادمة من شبه الجزيرة العربية عبر وادي السرحان، وسوقاً تجارياً كان يبيع فيه الحجازيون بضائعهم، وآخر محطة لتجار قريش في العهد البيزنطي، ومركزاً صناعياً لعدد من الصناعات، وخاصة صناعة الخمر. وقد أصبحت بُصرى في العهد الروماني قاعدة للمقاطعة العربية<sup>(١٠٩)</sup>.

وكانت مدينة لويكي كوما (القرية البيضاء)، التي تقع على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، ميناء الدولة النبطية الرئيس، وقد نالت شهرة واسعة حينذاك،

---

(١٠٦) المرجع نفسه، ص ١٠٣ - ١٠٤.

(١٠٧) كان من عادة الأنباط أن يتزوجوا أخواتهم، شأن الفراعنة والبطالسة. عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص ١١٠.

(١٠٨) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٢٧٦. جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ١٠١. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٣، ص ٤٩ - ٥٠.

(١٠٩) Pliny: Natural history; Bk6, P287. Inan Browning: Palmyra, Chatto and Windows, London 1974, P14.

وذكرها استرابو في معرض حديثه عن حملة أليوس غالوس، بأنها ميناء وسوق تجاري كانت ترسو فيه السفن التجارية، وبأنها منطلق للقوافل التجارية البرية إلى البتراء<sup>(١١٠)</sup>. وذكرها صاحب كتاب الطواف كسوق تجاري وميناء ترسو فيه السفن، وأن فيها قلعة محصنة وتُقيم فيها فرقة عسكرية تقوم بجمع الضرائب التي كانت تُفرض على التجار<sup>(١١١)</sup>. ويبدو أن الباحثين قد اختلفوا في موضع هذا الميناء، إلا أن واحة العينونة، التي تُعتبر صالحة للعيش ولنشوء المدن والمرافئ؛ هي أقرب الاحتمالات لمكان وجوده؛ وهي أرض واسعة وفسحة قادرة على استيعاب جيش الرومان الذي رابط فيها عدّة أشهر، وتتصل بالبتراء بواسطة طريق برّي يمرّ في وادي عفال. وقد قوّت الاكتشافات الأثرية هذا الاحتمال، وخصوصاً عندما وجدت في واحة العينونة أواني فخارية نبطية ورومانية كثيرة، ووجدت أنقاض مباني ضخمة تعود إلى تلك الفترة<sup>(١١٢)</sup>.

وفي معرض حديثه عن حملة أليوس غالوس، يُشير استرابون إلى ميناء يقع إلى الجنوب من لويكي كوما، أبحر منه الجيش الروماني في طريق عودته إلى مصر<sup>(١١٣)</sup>. ويبدو أن هذا الميناء كان تابعاً لمنطقة إجرا أو مدينة إجرا التي هي مدينة الحجر (مدائن صالح) المعروفة والتي كانت جزءاً من دولة الأنباط. وقد ازدهر مرفأ إجرا في عهد الدولة اللحيانية، لأنّ الحجر كانت من مدنها الرئيسية<sup>(١١٤)</sup>. ويرى موسل أن ميناء الموجة هو مكان إجرا حيث يتصل بالمدينة الداخلية عن طريق وادي الحمض<sup>(١١٥)</sup>.

---

(١١٠) Strabo: The Geography of Strabo, Bk16, P357.

(١١١) The Periplus of the Erythraean Sea, chapter 19, P29.

(١١٢) نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٥٣.

Sir Lawrence Kirwan: Where to look for the Ancient Port of Leuk Kome, Studies in the history of Arabia, kind Saud University Press 1984, P57.

(١١٣) Strabo: The Geography of Strabo, Bk16, P363.

(١١٤) تبعد مدينة الحجر عن أقرب نقطة لها على ساحل البحر الأحمر الشرقي حوالي ١٠٠ ميل. نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٥٤.

(١١٥) Alos Musil: Norther Hejaz, American geographical Society, New York 1929, P299.

#### ٤ - دور تدمير التجاري:

كانت التجارة بين الشرق والغرب في العالم القديم، تسير في طريقين: الأول في البحر الأحمر إلى مصر والإسكندرية، والآخر من خليج العرب شرقاً إلى بادية الشام فمصر غرباً، والتجارة البرية، كانت قبل الميلاد وبعده، تسير في طريق البتراء؛ فلما سقطت في أوائل القرن الثاني الميلادي، تحولت إلى تدمير.

ويبدو أن تدمير (بالميرا) قد ورثت بجدارة مكانة البتراء التجارية، بحيث انتقلت إليها أسواق البيع والشراء، وتكدّست فيها البضائع والأموال من ذهب وفضة وجواهر، ولا سيما لؤلؤ الخليج العربي وياقوته، وطيوب اليمن وعطورها.

وكان لموقع تدمير الجغرافي ولמיائها النقية والمعدنية، أثر بالغ في تحويلها من قرية صغيرة صحراوية، ترتادها القوافل للاستراحة وللتزود بالماء والغذاء، إلى مدينة كبيرة، عامرة بالخير والبحبوحه والرخاء. وتقع تدمير التاريخية في الجهة الشمالية الشرقية من دمشق، وفي منتصف الطريق ما بين العاصمة السورية ونهر الفرات، وعلى مسافة ١٥٠ كيلومتراً من حمص<sup>(١١٦)</sup>.

ويعتقد أن تدمير قد نشأت حول نبع ماء، كان يلجأ إليه المارة ورعاة الماشية من الأعراب الذين استقروا حوله مع مرور الوقت. وفي عهد تغلت بلاصر الأول، بدأت تدمير التي ساعدت الآشوريين في حروبهم ضد العموريين<sup>(١١٧)</sup>، تظهر كمحطة تجارية على طريق القوافل بين العراق والشام؛ ولكن لم يبرز تألقها الاقتصادي وتطورها الحضاري، إلا بعد القرن الأول الميلادي، وخاصة في عهد ملكها أذينة بن حيران بن وهب اللات، الذي قتله الرومان في عام ٢٥١ للميلاد. وفي عهد الملكة زنوبيا التي تولت الوصاية على عرش تدمير، إثر مقتل زوجها أذينة الثاني وابنه البكر في ظروف غامضة في

Encyclopedia Britannica. Vol 17, 1964, P161.

(١١٦)

Ibidem.

(١١٧)

حمص عام ٢٦٦ ميلادية. ولعل ذلك كان بتدبير من روما التي خشيت على مصالحها السياسية والاقتصادية في بلاد الشرق<sup>(١١٨)</sup>.

وفي تلك العهود استفاد التدمريون من موقع بلادهم على مفترق الطرق التجارية التي تربطها بسواحل بلاد الشام والبحر الأحمر والخليج العربي. فهناك طريق تربط تدمر بالبصرة، فعدن؛ وهناك طريق تربطها بسواحل المتوسط، وخاصة بشجر غزة وأيلة؛ وهناك طريق تصلها بشجر جرما الذي يقع على الخليج العربي، حيث كانت السفن القادمة من الهند تُفرغ بضائعها وسلعها، ثم تتولى القوافل التدمرية نقلها إلى مدينة دورا أوروبوس (الصالحية)، ومنها إلى دمشق، فطرابلس، فأنطاكية، وقد تصل عبر البر أو البحر إلى داسيا (رومانيا) وروما والغال (فرنسا) وإسبانيا. ومن هذا الميناء كانت تصل إلى أسواق تدمر المنسوجات الحريرية، والبخور والطيوب والجواهر واللآلئ من الهند والصين وجنوبي شبه الجزيرة العربية<sup>(١١٩)</sup>. وهناك طريق البحر الأحمر الذي كان يصلها بمصر والإسكندرية، وكان هذا الطريق تحت سيطرة الأنباط الذين تخلّوا عنه إلى تجار تدمر بعد سقوط دولتهم<sup>(١٢٠)</sup>.

وفي القرنين الثاني والثالث الميلاديين، أقام التدمريون جالية لهم في مدينة قفط المصرية، تقوم بتسهيل أعمال التجارة في البحر الأحمر، وتتولى الاتصال بأسواق غربي شبه الجزيرة العربية التي كانت غنية بسلع ومنتجات أفريقية<sup>(١٢١)</sup>. كما عقدوا معاهدات مع القبائل التي كانت تسكن على ضفاف الفرات، وأعطوا بعض شيوخها الهدايا والأموال لتأمين مرور القوافل بسلام<sup>(١٢٢)</sup>.

---

Henri Seyrig: Les fils du Odainat dans les annales archéologiques de Syrie, (١١٨) T.XIII, Paris 1963, P263-264.

حتى ورخان: تاريخ العرب، ص ١١٣.

Encyclopedia Britannica, vol 17, P162.

(١١٩)

Ibidem.

(١٢٠)

انظر خريطة الطرق البرية ومدن القوافل، وخريطة الموانئ العربية والأجنبية في ملاحق الكتاب.

(١٢١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٣ ص ٧٦.

Paul Bovier- Lapierre: Précis de l'histoire d'Egypte, Le Cairo 1932, P398.

(١٢٢) صالح أحمد العلي: تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، ص ٦١.

وعلى العموم فقد كانت تتوافد إلى تدمير القوافل محملة بالأرجوان والخمور وقوارير الزيت والأواني الزجاجية والفضية والذهبية وتمائيل المرمر وغيرها من الشام. وبالمنسوجات الحريرية والقطنية والتركواز واللازورد والتوابل والأبنوس والنييل والفولاذ والعاج من الهند وهملايا والصين. والألبسة والمطرزات من فارس. والطيوب والبخور واللبان والصمغ وعود النذ والعنبر والذهب والجزع واليشب من شبه الجزيرة العربية. واللالىء والياقوت من البحرين والعراق<sup>(١٢٣)</sup>.

وكانت هذه الأصناف تأتيهم عن طريق البر؛ فضلاً عن الأصناف التي تأتيهم عن طريق البحر. وكان التدمريون ينقلون هذه المحاصيل والمصنوعات إلى مصر والشام والعراق، وإلى بيزنطية وإيطاليا، وغيرها من مدن ودول أوروبا. وقد قدر بلينيوس قيمة ما كان يُحمل إلى أوروبا وحدها من تلك السلع بما يساوي ثلاثة أرباع المليون من «الجنيهات» في العام<sup>(١٢٤)</sup>.

وكانت السلع تُحمل بين تدمر والشام على الإبل أو على مركبات تسير على طرق مرصوفة، وعليها محطّات للراحة، وقلاع للحماية. ولم يكن من جهة الفرات شيء من ذلك. وكانت تدمر تتقاضى ضرائب جمركية على مرور السلع بأراضيها، فحققت بذلك أرباحاً كبيرة، وثروات طائلة، تشهد بها الآثار الباقية في تدمر إلى الآن، والتي تتمثل ببقايا الهياكل، والأعمدة الضخمة، والقصور الفخمة، وأقواس النصر المرتفعة<sup>(١٢٥)</sup>.

ومن الآثار التدمرية الباقية نقود على شكل عملة الإسكندرية عليها كتابة وصور. فهناك نقد من عهد زنيوبيا، على أحد وجهيه صورة رأسها وكتفيها، وحول الصورة اسم زنيوبيا بالأحرف اليونانية «سبتميازنيوبيا»، وعلى الوجه الآخر

---

(١٢٣) عدنان البني: تدمر والتدمريون، نشر وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧٨، ص ١١٧.

(١٢٤) جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ١٢٣. صالح أحمد العلي: تاريخ العرب القديم، ص ٦١.

(١٢٥) جرجي زيدان: المرجع السابق، ص ١٢٤. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٣، ص ٧٨.

صورة أخرى. وهناك نقد آخر عليه صورة رأس وهب اللات، واسمه ولقبه<sup>(١٢٦)</sup>.

وكان معظم التدمريين يشاركون بالعملية التجارية، من تجار وشيوخ قبائل وخادمي الإبل والخيول وعمال تفريغ وتخزين وتوزيع وأصحاب دكاكين وعبيد وسماسرة<sup>(١٢٧)</sup>. وعندما تصل القافلة، بقيادة زعيمها أو شيخها رب شيرا، مع الحرس الذين كانوا، في كثير من الأحيان، من التدمريين الذين خدموا في الجيش الروماني<sup>(١٢٨)</sup>، والعبيد والأرزاق التي تنوء بحملها الإبل، إلى قلب المدينة، تتحول الأسواق فيها إلى أعياد من أعيادها الخالدة. وإذا تعرضت القافلة إلى خطر معين، أو تأخرت عن موعد وصولها، سارع رجال المدينة إلى إنقاذها، وقد أنقذت القوافل مراراً، وكان أبرز المنقذين «عجيل» الذي نُصبت له التماثيل في «الأغورا» باسم مجلس الشيوخ والشعب، وفي أمكنة أخرى باسم القبائل التدمرية الأربع، تقديراً لخدماته للتجار ولشجاعته النادرة. كما كثر في نقوشها القديمة ذكر «زعيم القافلة» و«زعيم السوق» باعتبارهما من زعماء المواطنين المرموقين<sup>(١٢٩)</sup>.

## ٥ - التجارة في شرقي شبه الجزيرة العربية:

استفاد سكان شرقي شبه الجزيرة العربية من حركة الرياح الموسمية، وراحوا يتنقلون، بسفنهم الشراعية التي كانت مملأة بالبضائع والسلع، غرباً، عبر المحيط الهندي، إلى حضرموت واليمن وسواحل أفريقيا الشرقية؛ أو شرقاً عبر الخليج العربي (البحر الأدنى) إلى شواطئ إيران وأفغانستان وخليج البنغال (مرفأ لوتال). وكانت السفن تُفرغ حمولتها في مرفأء جنوبي بلاد الرافدين، ثم تُحمل على ظهور الحيوانات لنقل برّاً في الطرق المؤدية، على طول نهري دجلة والفرات إلى المناطق الشمالية - الغربية في بلاد الأناضول وبلاد الشام وشواطئ البحر المتوسط الشرقية.

(١٢٦) جرجي زيدان: المرجع السابق، ص ١٢٤ - ١٢٥.

(١٢٧) عدنان البني: تدمر والتدمريون، ص ٧١.

(١٢٨) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٣، ص ٧٨.

(١٢٩) عدنان البني: تدمر والتدمريون، ص ١٠٩. حتى وآخراً: تاريخ العرب، ص ١١١.

وكان تجار دلمون (البحرين) ينقلون منتوجات بلادهم من التمر، التي كانت لها شهرة خاصة في العالم القديم وتُزرع أشجارها على شواطئ الإحساء والجزر المجاورة، إلى الشرق والغرب. كما كانوا ينقلون المواد الخام، التي كانت تُستخرج من منطقة ماجان المجاورة، مثل: الأخشاب وفلزات النحاس والحجارة الصالحة لصنع التماثيل والبناء، إلى بلاد الرافدين التي كانت تفتقر إليها وتتلّف للحصول عليها.

ويبدو أنّ تجار دلمون قد لعبوا أيضاً دور وسطاء التجارة، حيث كانوا يتاجرون بمنتوجات البلدان المجاورة لهم؛ وتتجمع في مستودعاتهم سلع وادي السند مثل: التماثيل والأواني الحجرية الخضراء والرمادية المنقوشة، والذهب والعاج وخشب الساج، والأحجار الكريمة ونصف الكريمة: كالعقيق واللازورد والزبرجد والرخام والستياتيت (الحجر الصابوني) واللؤلؤ. وهذا يدلّ على أنّ دلمون قامت في القديم بدور سوق رئيسة تبودلت فيها السلع الدولية التي أضحت تُنقل إلى بلدان غربي آسيا وشرقي أفريقيا وغيرها على السفن الدلمونية<sup>(١٣٠)</sup>.

ولم يقتصر تجار شرقي شبه الجزيرة على سلوك الطرق المائية، بل سلكوا أيضاً الطرق البرية، التي تتجه شرقاً عبر إيران وبامبور إلى بلوخستان ومدن وادي السند، والتي تتجه غرباً عبر شبه الجزيرة العربية وخطوط مواصلاتها المعتادة.

وكانت مدينة الجرهاء، التي هي مُلتقى للقوافل التجارية وخاصة القوافل الآتية من جنوبي شبه الجزيرة، تستقبل سلع الطيب والمرّ والبخور الآتية بحراً؛ ثمّ تعيد تصديرها عبر طريق حائل وتيماء إلى موانئ البحر المتوسط ومصر، أو عبر الطريق البري الذي يصل بلاد الرافدين ببلاد الشام. وكانت قوافل الجرهاء تحصل على محاصيل بلاد الشام من البتراء أو بصرى أو غزة في فلسطين. كما كانت تصل إلى حضرموت جنوباً في مدّة أقصاها أربعين يوماً، وتعود محمّلة

---

(١٣٠) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ١٥ و ١٣٤.



بمنتجات أفريقيا والهند. وكانت الفضة واللبان والبخور من بين السلع الرئيسية التي تاجرت بها الجرهاء وحقت من ورائها أرباحاً طائلة.

ويعتقد أن مدينة الجرهاء القديمة تقع على بعد ٢٦ كيلومتراً شمالي العقير، وعلى بعد ٢٣ ميلاً من مياه الخليج. وقد تميزت بغناها، وكتب عنها عدد من الكتاب، فأشار الكاتب اليوناني يوليوس الذي عاش في القرن الثاني قبل الميلاد إلى حملة بحرية سبّرها الملك السلوقي أنطياكس الثالث سنة ٢٠٥ قبل الميلاد. إلا أن سكان الجرهاء كانوا من الشراء بحيث دفعوا مبالغ من المال لدفع الخطر عن بلادهم، وقدّر الكاتب الروماني استرابو الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد ثروة الجرهائيين بثروة السبثيين. ووصف الجرهاء بأنها محطة لاستيداع التوابل والعطور من جنوبي شبه الجزيرة العربية وبلغ أخرى من أفريقيا والهند. بينما وصف الكاتب الروماني بلينوس الذي عاش في القرن الأول الميلادي الجرهاء بأنها مدينة يبلغ محيطها خمسة أميال وتشمخ فيها أبراج مبنية من كتل الملح<sup>(١٣١)</sup>.

وتروي المصادر أن مكان - وهي بلاد عُمان اليوم - كانت تُرسل سفناً ضخمة إلى بلاد فارس وبلاد الرافدين، محملة بالنحاس، وبأخشاب الساسامينا والأبنوس والصندل، وبالدعائم الخشبية للسقف والقُرُون (الجمال). وتُصدّر إلى أقاليم شبه الجزيرة الأخرى السفن التي كانت تُربط ألواحها بعضها إلى بعض، واللالء والأقمشة والأرجوان والذهب والرقيق والنبذ والتمر<sup>(١٣٢)</sup>.

ويوجد على الساحل الشرقي للخليج العربي عدد من الموانئ التي كانت تخدم بعض مراكز الحضارة، وهي ذات شهرة عالمية بالتجارة البحرية منذ الألف الثالث قبل الميلاد. وقد ذكر كتاب العصر الهلنستي والروماني الكثير من الموانئ الصغيرة التي كانت تتعامل تجارياً مع شمالي الخليج العربي، وقال بلينوس أن كثيراً من تجار بلاده يردّها<sup>(١٣٣)</sup>. وكانت جزيرة تاروت التي تقع في

(١٣١) المرجع نفسه ص ١٥ - ١٦ و ٢٩٤ - ٢٩٥.

(١٣٢) المرجع نفسه، ص ١٦ و ٤٠١.

(١٣٣) Pliny: Natural history, Bk6, P451. B.Dœ: Monuments of Southern Arabia, P23.

الخليج وتتصل بالقطيف بجسر طبيعي طوله ٤ كيلومترات أهم هذه الموانئ التي اكتُشف فيها موقعان مهمّان من الفترة الهيلينستية هما الرفيعة وفريق الأخرش. وقد تمّ العثور فيهما على كمّيات وفيرة من الفخار المزجج ذي الطابع الهيلينستي، وعلى كسر أواني من الحجر الصابوني المنقوشة، وعلى أحجار مدافن منقوش عليها كتابات يونانية، جنباً إلى جنب مع آثار تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد. كما اكتشف بعض نقوش جنوبي شبه الجزيرة العربية، ممّا يشير إلى اتصالات تاروت باليمن وحضرموت وجوارهما. ولذلك فإن الاتصالات التجارية التي عزاها الكتاب اليونان والرومان القدامى إلى ميناء الجرهاء مع جنوبي شبه الجزيرة العربية وأفريقيا والهند يمكن أيضاً أن تنسب إلى تاروت<sup>(١٣٤)</sup>. ومن أهمّها أيضاً جزيرة فيلكا في الكويت التي أطلق عليها الإغريق اسم إيكاروس، والتي لعبت دوراً مهمّاً في التجارة الدولية في الأزمنة القديمة. وذلك يعود إلى موقعها الجغرافي من جهة، ولقربها من بلاد الرافدين وشرقي شبه الجزيرة والبحرين وأم النار (أبو ظبي) من جهة أخرى. وكان الاقتصاد في جزيرة فيلكا يعتمد على المنتجات البحرية، يُستدلّ على ذلك من كمّيات صنابير الصيد ورؤوس السهام النحاسية وأثقال الشباك البحرية التي عُثر عليها. كما يُستدلّ من الأدوات الأثرية التي صُنعت خارج شرقي شبه الجزيرة العربية، والتي عُثر عليها في جزيرة فيلكا وأودعت في متحف الكويت الوطني، على أنّ الإنتاج الاقتصادي الذي يزيد عن متطلبات المعيشة اليومية قد جاء في هذه الأزمنة من التجارة، واستمر كذلك حتى القرن الثاني الميلادي<sup>(١٣٥)</sup>.

وتُعدّ تاج من مراكز شرقي شبه الجزيرة التجارية، وهي تقع شمال غربي واحات القطيف، وتبعد حوالي ٩٥ كيلومتراً عن ميناء الجبيل إلى الداخل، وحوالي ١٥٠ كيلومتراً عن مدينة الظهران. ويعتقد البعض أنّ تاريخ هذه المدينة يعود إلى العصر الهيلينستي الذي ازدهرت فيه ازدهاراً كاملاً، وذلك بفضل موقعها الجغرافي حيث يمرّ بها ثلاثة طرق تجارية: يُعرف الأول بالدرب

---

(١٣٤) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٢٩٥ - ٢٩٦.

(١٣٥) المرجع نفسه، ص ١٣٣.

الكنهوري وهو طريق القوافل القديم الذي كانت تعبره التجارة من الشرق وجنوب غربي شبه الجزيرة مروراً بنجد. ويسير الثاني جنوباً نحو واحة البريمي ومنها إلى سواحل عُمان فجنوبي شبه الجزيرة. وينطلق الثالث شمالاً نحو بلاد ما بين النهرين<sup>(١٣٦)</sup>.

وتدلّ الكميات الكبيرة من القطع الفخارية التي اكتُشفت في ثاج وتعود صناعتها إلى مناطق مختلفة، وقطع النقود المكتشفة فيها أيضاً والتي كانت متداولة في داخل شبه الجزيرة وخارجها كإيران وآسيا الصغرى، أنّ هذه المدينة كانت مركزاً حضارياً لما أطلق عليه بالحضارة الحسائية - نسبة لمنطقة الاحساء - وسوقاً تجارياً لعدد من التجارات، وخصوصاً تجارة الملح نتيجة وقوع المدينة على سبخة كبيرة من الملح<sup>(١٣٧)</sup>.

ويمكن القول، استناداً إلى الشواهد الأثرية مثل: حصون ثاج ومساكنها وطريقة بنائها وفخارها ولقاها المتنوعة، أنّ هذه المدينة كانت مدينة راقية ومتطورة. وتدلّ الأدوات المكتشفة أن معظمها كان محلي الصنع، وأنّ سكانها مارسوا مختلف المهن وفي مقدّمتها التجارة. ويمكن القول أيضاً أنّ ثاج كانت من المدن البرية المهمة في شرقي شبه الجزيرة العربية. وتؤكد الشواهد الأثرية أيضاً على قيام صلات بينها وبين مدن شرقي وشمال ووسط شبه الجزيرة العربية، وبين المراكز الجنوبية، ويُعتقد أنّه بفضل هذه العلاقات برزت منطقة الجرهاء ونهضت ثاج كمركز تجاري مميز<sup>(١٣٨)</sup>.

وكانت مدينتا القطيف والهفوف من المحطات التجارية المهمة في شرقي شبه الجزيرة العربية. وذلك يعود إلى علاقتهما الوثيقة بالمواصلات البحرية في الخليج العربي، وإلى وقوعهما على طرق التجارة البرية المتّجهة جنوباً نحو عُمان، والمتّجهة غرباً نحو وسط شبه الجزيرة، وشمالاً نحو تدمر. وتُشير

---

(١٣٦) نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٢٦. الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٢٩٢.

(١٣٧) نورة النعيم: المرجع السابق، ص ٢٢٧. الدليل الأثري والحضاري، ص ٢٩٣.

(١٣٨) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٢٩٤.

بعض المصادر الكلاسيكية إلى أنَّ هاتين المدينتين كانتا معروفتين في العصرين الهيلينستي والروماني<sup>(١٣٩)</sup>. ويبدو أنَّ ساحل القطيف في شرقي شبه الجزيرة قد ازدهر في عصور ما قبل الإسلام عن طريق تجارة الرخام والحجر اللازوردي والنحاس كمواد خام أو مصنعة في إطار العلاقات المحلية والخارجية بعيدة المدى<sup>(١٤٠)</sup>.

ولم يخبُ دور العرب في تجارة شرقي شبه الجزيرة إلا بعد أن نافس الأغريق الذين قدموا إلى الشرق مع حملة الإسكندر المقدوني، وأسَّسوا لأنفسهم بعض المراكز التجارية مثل جزيرة فيلكا التي أطلق عليها الإغريق اسم إيكاروس أبناء الخليج العربي في أعمال الملاحة والتجارة هناك. وبعد أن نافسهم أيضاً تجار الفرس في الأسواق المحلية والعالمية. وفي ذلك يقول المؤرخ بردكوبيوس: «إنَّ الفرس غدوا في تلك الفترة سادة أسواق الشرق»<sup>(١٤١)</sup>.

## ٦ - التجارة في شمال - شرقي بلاد العرب:

تمتدُّ منطقة شمال شرقي بلاد العرب من شط العرب جنوباً حتى الجزيرة الفراتية شمالاً، وهي تضمُّ أقاليم: شط العرب، والأراضي التي تقع بين نهري دجلة والفرات وعلى جوانبهما، والجزيرة الفراتية. ويبدو أن سكَّان هذه المنطقة قد اكتشفوا منذ القديم البحر الأدنى (الخليج العربي)<sup>(١٤٢)</sup> الذي يُعدُّ المنفذ الوحيد الذي يربط بلادهم بالعالم الخارجي، واتخذوه منذ الألف الثالث قبل الميلاد طريقاً بحرياً تجارياً حيويّاً، ونشطوا في أعمال التجارة مع موانئه

---

(١٣٩) Pliny: Natural history, Bk6, P449. Polybius: Historia, B13, P425.

(١٤٠) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٢٥٠.

(١٤١) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ١٦.

(١٤٢) إن التنقيبات الأثرية والبحوث في قاع الخليج تثبت أنَّ الخليج كان منخفضاً جافاً لا تسيل فيه إلا مياه دجلة والفرات وروافدهما لتصبَّ في المحيط الهندي بعد ذلك، وأنَّ هذا المنخفض كان في أواخر العصور الجليدية يتمتَّع بمناخ معتدل. وقد تمَّ امتلاؤه بالمياه بين عامي ١٤٠٠٠ و ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد.

وأسواقه، وخصوصاً مع بلاد عُمان التي كانت مصدراً لمعدن النحاس. ومن النصوص الأثرية المكتشفة في جنوبي العراق نصّ من عهد الحاكم أورنانشة أحد ملوك سلالة لكش يعود تاريخه إلى حوالي عام ٢٤٥٠ قبل الميلاد، يذكر أن سفن دلمون جلبت الخشب من البلاد الأجنبية ورسّت في ميناء أور أقدم ميناء على الخليج العربي. فكانت السفن الدلمونية تحمل مواد: النحاس والأخشاب والتمور الدلمونية الفاخرة، وتعود محمّلة بمحاصيل بلاد الرافدين من القمح والشعير والزيت والمنسوجات، وخشب الأرز والأواني الفضيّة. وفي مقدّمة شريعة الملك أورنامو، الذي قضى على معارضيه ووّطد الأمن وسهر على سلامة التّجار في أسفارهم والمحافظة على حياتهم، وردت إشارة تُفيد أنّ العلاقات التجارية في تلك الفترة كانت ذات طابع وّدي وتقوم على أسس تبادل المصالح الاقتصادية. وتشير الوثائق السومرية الكتابية الأخرى المكتشفة في مدينة أور أنّ التّجار والملاحين كانوا يدفعون ضريبة العشر على أرباحهم إلى آلهة المعابد الخاصّة بهم في بلاد الرافدين<sup>(١٤٣)</sup>.

وفي عهد الدولة الأكادية حاول سرجون وخلفاؤه السيطرة على طرق التجارة العالمية ومصادر المواد الأولية. وفي ذلك يقول سرجون في نصّ وثائقي مكتوب، يعود تاريخه إلى عام ٢٣٥٠ قبل الميلاد، أنّ السفن جاءت محمّلة بالبضائع من دلمون ومكان وميلو خاورست في ميناء عاصمته «أكاد» أو «أكد». وفي نصّ آخر يخبرنا حفيده «ترام سين» أنّه تمكّن في إحدى حملاته العسكرية من الحصول على حجر الديورايت من مكان وميلو خا، وجلبه إلى مدينته أكد. وفي عهد الدولة البابلية الأولى، وتحديدًا في عهد الملك «سامسوايلدنا»، استمرّت العلاقات التجارية السلمية بين سكان بلاد الرافدين ومراكز الجوار في الخليج العربي وغيره. كما استمرّت ضريبة العشر على أرباح التّجار تُدفع إلى معبد الآلهة ننجال. أمّا في العهد الآشوري فقد توسّعت العلاقات التجارية نحو مناطق جديدة، وخاصّة إلى بلاد الأناضول، وكانت كانيش (كول تبه) المركز التجاري الرئيس الذي ترتبط به مراكز تجارية أخرى. وقد ذكرت الوثائق

---

(١٤٣) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٣٩٦ - ٤٠٠.

المسمارية تسعة مراكز تجارية وأكثر من عشرة فروع لها صغيرة كانت منتشرة في منطقة الأناضول. وكانت آشور تصدر إلى هذه المراكز المنسوجات العراقية والقصدير وخامات الرصاص، وتستورد منها الفضة بشكل رئيس ثم الذهب.

ومن النصوص المكتشفة في منطقة حديثة، والتي تعود إلى العهد البابلي (الكلداني)، نص مؤرخ في حوالي عام ٧٥٠ قبل الميلاد، يذكر أن الحاكم هناك قد سمع عند الظهيرة نبأ القوافل الآتية من سبأ وتيماء، والتي جاءت من مناطق نائية، ولم تمرّ به ولم يأت رسلها إليه، بل اتخذت طريقها بالقرب من منابع المياه، وتابعت مسيرها إلى مدينة خندانو<sup>(١٤٤)</sup>.

وكانت العلاقات التجارية، بين منطقة شمال شرقي بلاد العرب وبين بلاد الشام تمرّ أيضاً عبر مدينة ماري التي تقع بالقرب من الحدود العراقية - السورية، والتي كانت تُسيطر على طريق القوافل الذي يربط الخليج العربي بسوريا وساحل البحر المتوسط، والتي كانت لها صلات بحرية مع موانئ فلسطين. ويبدو أن بابل كانت تُصدر القصدير الذي تجلبه من عيلام إلى حلب وقطنة وكركميش في بلاد الشام عبر هذه المدينة. غير أن سكان العراق القديم لم يكتفوا بذلك، بل اتجهوا شرقاً وأقاموا علاقات تجارية مع مناطق شرق وشمال غربي إيران وذلك لتأمين مادة القصدير التي تخلط بالنحاس. كما أقاموا علاقات تجارية مع بلدان حوض السند والأفغان والصين؛ ووصلوا في تجارتهم غرباً إلى مصر وإلى جزيرتي قبرص وكرت<sup>(١٤٥)</sup>.

وخلال عصور ما قبل الإسلام نشأت في منطقة شمال شرقي بلاد العرب محطّات ومراكز تجارية بحرية وبريّة، لعبت دوراً رائداً في الحياة الاقتصادية المحلية والدولية نذكر منها:

خاراكس التي تقع على رأس الخليج العربي عند التقاء شط العرب بنهر قارون، والتي كانت ميناءً بحرياً. ويُعتقد أن الإسكندر المقدوني هو الذي أنشأها

(١٤٤) المرجع نفسه، ص ٣٩٨ - ٤٠٢.

(١٤٥) المرجع نفسه، ص ٤٠٢.

خلال حملته العسكرية على بلاد الشرق. ثم أعاد السلوقيون بناءها وذلك لتنافس الجرهاء في تجارتها، ولكنها لم تنجح إلا في فترة متأخرة<sup>(١٤٦)</sup>. ففي هذه الفترة تحوّلت خاركس إلى سوق تجاريّ للبضائع الشرقية القادمة براً عبر إيران، والسلع القادمة من أسواق البحر المتوسط. وأنشأت علاقات تجارية واسعة مع الصين وتدمر ومصر<sup>(١٤٧)</sup>.

والأبلة، وهي ميناء قديم يعود تاريخها إلى عهدي البابليين والآشوريين، وتقع على رأس الخليج العربي، وتشكّل جزءاً من أرض بيت يكن. وقد فقدت أهميتها التجارية في العهد السلوقي<sup>(١٤٨)</sup> بسبب ظهور ميناء طريدون الذي يعتقد البعض بأنه ميناء الأبلة نفسه. ويبدو أنّ موقع الأبلة قد هيأ لها الفرصة لأن تلعب دوراً مميزاً في التجارة العربية، وظلّت من الموانئ المهمة في رأس الخليج العربي حتى الفتح الإسلامي<sup>(١٤٩)</sup> حيث كانت مرفأ السفن من الصين وما دونها من بلاد كالهند وأفغانستان وإيران<sup>(١٥٠)</sup>.

وميسان التي أسست دولة لها في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد، واستمرت ثلاثة قرون، وهيمنت على التجارة المحلية والخارجية، واتخذت قاعدة لها في كرخ ميسان في الأطراف الجنوبية الشرقية من القرنة الحالية، لذا تُذكر في بعض المصادر باسم دولة الكرخ. وكان موقع ميسان على رأس الخليج العربي، وقد ساعد مرور نهر دجلة وشط العرب في أراضيها، على أن يمارس الأهالي حياة التجارة والملاحة البحرية، وعلى إقامة علاقات تجارية مع مراكز الخليج الحضارية، ومع بلاد شرقي أفريقيا، والهند والصين وبلاد الشرق

---

(١٤٦) Pliny: Natural history, Bk6, P443.

(١٤٧) Innes J. Miller: The spice trade of the Roman Empire, the Clarendon Press, Oxford 1969, P135.

(١٤٨) W. Schoff: The Periplus of the Erythraean Sea, Oriental Book reprint, 5th. Edition, New Delhi 1954, P149.

(١٤٩) The Periplus of the Erythraean Sea, chapter 35, P36.

نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية... ص ٢٥٩ - ٢٦٠.

(١٥٠) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، الجزء الثالث، ص ٥٩٤.

الأقصى. فكانت السفن تصل إلى شطّ العرب، ومنه إلى نهر دجلة الذي كان صالحاً لسير السفن إلى المدائن، ومنها إلى أعالي نهري دجلة والفرات. وللوصول إلى موانئ البحر المتوسط انطلق تجّار ميسان من الخليج العربي عبر بلاد العراق إلى آسيا الصغرى أو بلاد الشام فأوروبا. ولتأمين سلامة القوافل التجارية اهتمّت دولة ميسان بتحسين الطرق ورصفها، وبتشديد المنارات لإرشاد القوافل، وبإقامة الحاميات في بعض المواضع لتأمين سلامة التجار والمسافرين. وبذلك يكون أهالي ميسان قد أسهموا في التجارة على نطاق واسع، ووطّدوا علاقاتهم مع جرها في البحرين، وتدمر في بادية الشام، والموانئ الشامية في البحر المتوسط. أمّا السلع التي تاجر بها هؤلاء فكانت العطور والتوابل وبعض الأحجار الكريمة والعاج وأنواع من الأخشاب الصلبة والحريز<sup>(١٥١)</sup>.

وكذلك الحيرة التي تقع بالقرب من مدينة بابل القديمة، وعلى بُعد ثلاثة أميال جنوباً من الكوفة، وفي المنطقة الخصبة الممتدة إلى الغرب من نهر الفرات. وقد اتخذها ملوك المناذرة عاصمة لهم في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي، وتحديدًا في عهد الملك عمرو بن عدي ابن أخت الملك جذيمة الأبرش الذي عاش في أواخر عهد الدولة الفرثية وشهد انحلالها وسقوطها، والذي قُتل غيلة على يد ملكة عربية تدعى الزباء<sup>(١٥٢)</sup>. وذلك لأهمية المدينة من الناحيتين العسكرية والتجارية، حيث كانت تتحكّم في الطريق التجاري بين الصحراء وطيسفون، وفي الطريق النهري المار في نهر الفرات. وعلى الرغم من أنّ الحيرة لم تبلغ في مجال التجارة ما بلغته تدمر والبتراء، إلّا أنّ أهلها كانوا يجوبون الأقطار يعلمون الناس القراءة والكتابة، ويتاجرون ويقودون القوافل ويعقدون الصفقات التجارية. وكان ملك الحيرة الكبير النعمان بن المنذر (٥٨٣ - ٦٠٥ ميلادية) يبعث القوافل إلى أسواق شبه الجزيرة

---

(١٥١) صالح أحمد العلي: تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، ص ٦٣ - ٦٧.

(١٥٢) من المحتمل أن تكون الزباء المقصودة هنا هي ملكة تدمر المشهورة، وإن كانت المصادر العربية لا تنصّ على ذلك صراحة. ولكنها تنسج حول مقتله قصصاً وأساطير مختلفة. المسعودي: مروج الذهب، ج ٢، ص ٩٠ وما بعدها. الميداني: مجمع الأمثال، ج ١، ص ٢٣٤. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٣، ص ٩٨ - ١٠١.



العربية، وخاصة إلى سوق عكاظ. ففي كل عام كان هذا الملك يبعث قافلة إلى سوق عكاظ، تبيع السلع وتشترى بثمنها: العُصْب والبرود والأدم وعطور اليمن وغيرها<sup>(١٥٣)</sup>. ويذكر الأصبهاني أنه كان يقام في الحيرة سوق يجتمع إليه الناس كل سنة<sup>(١٥٤)</sup>.

وكان ملوك الحيرة يلتزمون حماية قوافل التجارة الفارسية لدى مرورها في أراضي بلاد العرب، مقابل جُعل كبير يتقاضونه من الفرس. ولضمان هذه الحماية عقد هؤلاء الملوك اتفاقات أمان مع عدد من أقوى القبائل وساداتها التي تمر القوافل عبر أراضيهم، كانت تتضمن تعهدات بالمحافظة عليها، ذهاباً وإياباً. وكان الملك يحاذر إغضاب حراس القافلة، أو سادات القبائل التي ارتبط معهم بعهود، خوفاً من أن تتعرض القافلة للنهب والسلب في أماكن خارج نفوذه<sup>(١٥٥)</sup>. وعلى الرغم من ذلك فقد تعرضت بعض قوافل النعمان إلى السرقة من بعض حراسها<sup>(١٥٦)</sup>.

ومنها خندانو التي تقع في ناحية الكرابلة التابعة لقضاء القائم بمحافظة الأنبار، وتبعد حوالي ٤٠٠ كيلومتر عن بغداد لجهة الغرب. وكانت هذه المدينة محط أنظار ملوك آشور وبابل، نظراً لموقعها الجغرافي المميز، ولكونها مركزاً تجارياً نشطاً، وملتقى للطرق التجارية التي تصلها ببلاد الشام وشمال أفريقيا والأناضول وبلاد الرافدين حتى الخليج العربي جنوباً، ويبدو أن تجار خندانو كانوا يستلمون السلع من التجار على اختلاف جنسياتهم وألوانهم، ثم يقومون بإعادة تصديرها إلى المناطق الأخرى. وقد استمرت خندانو مزدهرة، وتوَلَّى هذه المهمة حتى عهد الملكة الزباء في تدمر<sup>(١٥٧)</sup>.

---

(١٥٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ص ١٠٠. ابن حبيب: المحبر، ص ١٩٥. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٩٠.

(١٥٤) أبو فرج الأصبهاني، الأغاني، ج ١٦، ص ٩٥. دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى اللغة العربية محمد ثابت الفندي وآخرون، المجلد الثاني عشر، ص ٣٨٤.

(١٥٥) عرفان محمد حمور: أسواق العرب، ص ٢٠.

(١٥٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٩٠ - ٥٩٢.

(١٥٧) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٤٦٢ - ٤٦٣.

وأيضاً الحضر التي تقع في بادية الجزيرة بين دجلة والفرات، وعلى بُعد سبعين كيلومتراً جنوب غربي الموصل، وثلاثين كيلومتراً غربي الشرجاء (أشور القديمة). وتدلّ النقوش المكتشفة أنّ الحضر التي أنشئت في زمن موغل في القدم وأسست دولة لها ازدهرت وتطوّرت منذ القرن الأول الميلادي، واتخذ ملوكها ألقاباً كان من بينها «ملك العرب». وسُميت بلادهم دار العرب «باعر بابا»، وأطلق المؤرخ الروماني ديوكاسيدي على دولتهم اسم «دولة العرب».

ومما ساعد على ازدهار الحضر اشتغال أهلها بالتجارة ونقل البضائع بين المراكز الحضرية، وبخاصّة نقل منتوجات الهند وجنوبي آسيا إلى بلاد البحر المتوسط وأوروبا. وكان تجار الحضر يفضّلون سلوك الطريق الشرقي المار بالعراق، والذي يمتدّ إلى أواسطه، ثم يتفرّع إلى منفذين: يسير إحداهما موازياً لنهر الفرات حتى أعاليه، أو ينحرف غرباً إلى تدمر فبلاد الشام. ويسلك الآخر وادي دجلة أو يتجه إلى الحضر، ومنها إلى سنجار، ثم إلى نصيبين. وينقل هذا الفرع السلع إلى المناطق الواقعة في شمالي العراق وشرقي آسيا الصغرى، حيث كانت دولة أرمينيا المزدهرة تقبل على شراء محاصيل المناطق الاستوائية وبلاد الهند والشرق الأقصى: كالتوابل والأفاويه والأخشاب والأحجار الكريمة والحريز، وتصدّر في مقابل ذلك النحاس والمنسوجات الصوفية وبعض المحاصيل النباتية<sup>(١٥٨)</sup>.

وكذلك الرها التي تقع في مكان متوسط من الجزيرة الفراتية<sup>(١٥٩)</sup> في شمالي العراق، وتمرّ بها القوافل التجارية المتّجهة إلى آسيا الصغرى وبلاد اليونان. وفي أواخر القرن الثاني قبل الميلاد، استغلّ سكان الرها ضعف القوى التي كانت تحكم بلاد الرافدين، وأعلنوا استقلالهم، وأسّسوا دولة لهم عُرفت في التاريخ باسم «دولة الأباجرة» التي بسطت نفوذها على الأراضي المجاورة، ووصلت إلى نهر الفرات غرباً ونهر دجلة شرقاً.

(١٥٨) صالح أحمد العلي: تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، ص ٦٩ - ٧٠ و ٧٥.

(١٥٩) الجزيرة الفراتية هي منطقة واسعة في شمالي العراق. يحدها دجلة شرقاً والفرات غرباً، ويخترق أطرافها الغربية نهر البليخ والخابور، وتفصلها عن الأناضول جبال طوروس.

والظاهر أن ملوك الرها قد أقاموا علاقات ودية مع دولة ميسان، ومع أباطرة الرومان الذين قدموا إلى المشرق واستولوا على آسيا الصغرى وبلاد الشام، وذلك لتحاشي خطرهم، ولتأمين سير القوافل على الطرق التجارية التي تمرّ في أراضيهم. وقد أعجب الرومان بموقفهم هذا وبموقع بلادهم، فعملوا على تعزيز علاقتهم بالأباجرة، وأغدقوا الألقاب على ملوكهم الذين ظلّوا محافظين على استقلالهم واستقرار الحياة في بلادهم حتى دخل الساسانيون العراق، واحتلوا مدنه وقراه، ومنها مدينة الرها التي أزالوا دولتها عام ٢٤٢ ميلادية<sup>(١٦٠)</sup>.

وكان للصنّاع مكانة متميّزة في الرها، فهم يُذكرون في الوثائق بعد الملك والقادة والوجهاء. كما كان للتجارة دور كبير في تعزيز مكانتها وإنماء ثروتها. وتعدّ الأقمشة الحريرية أبرز السلع التي تاجر بها هؤلاء بسبب إقبال الرومان على شرائها. وعلى الرغم من ارتفاع أسعار الحرير في الأسواق فإنّ تجارتها قد ازدهرت بشكل ملحوظ في الرها، وإنّ الدولة قد جنت أرباحاً طائلة عن طريق المكوس التي فرضتها على التجارة، والتي وصل مقدارها إلى الثمن.

غير أنّ احتلال الفرس للرها لم يدم طويلاً، ذلك أنّ الرومان قد استعادوا هذه المدينة، وجعلوها قاعدة عسكرية لهم، وعاصمة للمنطقة التي كانت في حوزتهم هناك. ولمّا كان موقع الرها على حدود الدولة الرومانية فقد عرضها ذلك إلى غزوات متتالية من الفرس، ممّا أضرب بها وب تجارتها، وخاصّة تجارة الحرير التي تناقصت أيضاً بسبب تحوّل طريق التجارة غرباً إلى البحر الأحمر، وقيام الرومان بتربية دود القزّ وإنتاج الحرير، وإنشاء المصانع في القسطنطينية لحياكته<sup>(١٦١)</sup>.

ونتيجة لذلك تحوّل عدد كبير من التجارة إلى أعمال أخرى، فانضمّ بعضهم إلى الحرس والجيش، ومارس بعضهم الآخر الكتابة في إدارات الدولة. ويبدو أن تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الرها قد استمر حتى

(١٦٠) صالح أحمد العلي: تاريخ العرب القديم، ص ٨١ - ٨٣.

(١٦١) المرجع نفسه، ص ٨٤ - ٨٥.

تقدّم المسلمون وضمّوا بلاد الشام وكافة بلاد الجزيرة بما فيها الرها إلى دولتهم الناشئة، وعمّروها وأعادوا الأمان والازدهار إلى ربوعها<sup>(١٦٢)</sup>.

## ثانياً: الأسواق وأنظمتها:

### ١ - الأسواق:

تحوّلت معظم المدن العربية في عصور ما قبل الإسلام، وخصوصاً المدن التي تقع على طرق التجارة البرية والبحرية، إلى محطات للقوافل والمسافرين، وإلى أسواق للبيع والشراء. بيد أنّ هذه الأسواق كانت تُقام في الأوقات التي تصل فيها القوافل التجارية إلى تلك المحطات، ويتوجّه إليها أبناء البلاد العربية وغير العربية، من تجّار ومستهلكين وأصحاب مصالح، فيحدث بين الجميع تبادل في عروض التجارة والصناعة والزراعة.

ولا ريب أنّ الاختلاف في أنواع المحاصيل والغلات قد ساعد على نشأة هذه الأسواق وتوسّعها. ذلك أنّه كان لكل قطر من بلاد العرب شهرة بما يصنع من متاع، أو بما ينتج من الغلات. فالبخور يكثر وجوده في الجنوب ولا سيما في ظفار، والسيوف والبرود تُصنع في اليمن، والجلود تُدبغ في الطائف، ففيها كانت الأُهب (الجلود قبل دبغها) الطائفية المعروفة تُدبغ وتُلبّن ويُزال ما فيها من رطوبة ونتين، ثم تُصدّر إلى الحبشة وغيرها، والتمور الطيبة النادرة تأتي من هَجَر والبحرين، والزيت والأعنان والزبيب والخمر والمنسوجات الحريرية كلّها تُنتج في بلاد الشام، والمعادن تُصنع في نجران، والخُمور تُعصر في بُصرى، والعطور تُقطّر في عدن والبتراء وهكذا...

وكانت المناطق الزراعية أسواقاً للمحاصيل الزراعية، يرتادها إلى جانب سكانها سكان القرى المجاورة، كما يرتادها أهل البادية لبيع منتوجاتهم من الأصواف والأجبان والألبان والسمن والأغنام والجمال... ولشراء ما يحتاجون إليه من حبوب وتمر وأدوات...<sup>(١٦٣)</sup>.

(١٦٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥٣-٥٥. العلي: تاريخ العرب القديم...، ص ٨٤-٨٥.

(١٦٣) نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٦٧.

والأسواق في بلاد العرب كثيرة ومتنوعة، منها ما هو دائم ويستمر طوال العام، ومنها ما هو موسمي ويُقام في أوقات محدّدة، ومنها ما هو متخصّص بسلعة واحدة أو شامل لعدد من السلع، ومنها ما هو محليّ أو عام... وتُعدّ غالبية المدن العربية أسواقاً دائمة حيث كان يتمّ فيها التبادل التجاري يومياً، وقد يقتصر دورها على تبادل السلع بين أبنائها المقيمين فيها (سوق محليّ)، أو بينهم وبين الذين يفدون إليها من المناطق أو الدول المجاورة (سوق عام). وقد يوجد في بعض المدن أكثر من سوق، فالبثراء مثلاً، كما يبدو من مخطّطها العام، أنّها كانت تحتوي على ثلاثة أسواق شاملة تباع فيها سلع كثيرة ومتنوعة، وتخصّصت أسواق أخرى ببيع سلعة معينة، فهناك سوق للماشية، وسوق للعطارة، وسوق للفخار وغيرها<sup>(١٦٤)</sup>.

ويقام السوق عادة في وسط المدينة، أو أمام معبدها العام، أو في مكان يمكن رؤيته من مسافة بعيدة عند ملتقى الطرق، وفي أرض محايدة إن أمكن، أو في ميدان واسع وخالي من المباني، يؤدّي إليه طريق يمتدّ من البوابة الرئيس للمدينة، وتنشأ الحوانيت على جانبيه، ويخضع لإشراف الدولة التي كانت تُعيّن موظّفاً، يُراقب البيع والشراء فيه، ويُطبّق الأنظمة، ويمنع الغش، ويحصل الضرائب من الباعة<sup>(١٦٥)</sup>.

أمّا الأسواق الموسمية المؤقتة التي جاءت تلبية لحاجات العرب الاجتماعية والاقتصادية والأمنية، فكانت تقام في مواضع متعدّدة من بلاد العرب، وبحماية قبائل مختلفة، وضمن مواقيت متفاوتة. فهناك أسواق موسمية

---

A.F.I. Beeston: Some features of Social structure in Saba, Studies in the (١٦٤) history of Arabia, Riyadh University Press, Riyadh 1984, P8.

جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٣٣٦.

M.Rostovtzeff: Caravan Cities, the Clarendon Press, Oxford 1932, P129 (١٦٥) and 141.

دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الثاني عشر، ص ٣٨٢.

كانت تنعقد في الأشهر الحرم<sup>(١٦٦)</sup> نذكر منها: سوق نطاة خيبر الذي يبقى من العاشر من المحرم حتى العشرين منه، وسوق حَجْر اليمامة الذي يستمر حتى نهاية المحرم، وسوق حُباشة الذي يبدأ في الخامس من رجب ويستمر ثلاثة أيام، وسوق ضُحار الذي تقيمه العرب من العاشر من رجب إلى الخامس عشر منه، وسوق دَبَى الذي ينعقد في آخر يوم من رجب ويمتد حتى العاشر من شعبان، وسوق حضرموت الذي يقوم في منتصف ذي القعدة ويمتد حتى نهايته، وسوق عُكاظ الذي ينعقد في مطلع شهر ذي القعدة ويستمر عشرين يوماً، وسوق مجنة الذي يجري في العشر الأواخر من شهر ذي القعدة، وسوق ذي المجاز الذي يبدأ مع مطلع ذي الحجة ويستمر ثمانية أيام<sup>(١٦٧)</sup>.

وكذلك هنالك أسواق موسمية كانت تُقام في الأشهر الأخرى من السنة، نذكر منها: سوق دومة الجندل الذي كان أول سوق في العام وينعقد في أول ربيع الأول وينتهي في منتصفه، وسوق هجر الذي ينتقل الناس إليه في مطلع ربيع الثاني، وسوق عُمان الذي يتوجه الناس إليه بعد ذلك وينتهي بنهاية جمادى الأولى، وسوق المشقر الذي يبدأ في أول جمادى الآخرة وينقضي مع انقضاء الشهر، وسوق الشحر الذي يجري في النصف من شعبان، وسوق عدن الذي

(١٦٦) الأشهر الحرم عند العرب أربعة هي: المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة. ففي هذه الأشهر كان العرب يلقون السلاح ويتوقفون عن سفك الدماء، فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه فلا يتعرض له بسوء أو أذى. وإلى جانب ذلك كانت المناطق التي تحيط بالكعبة حَرَم دائماً، لأنها بيت الله، أقيمت للعبادة، ولا يحل فيها القتال. وقد كان من أكبر العار عند العرب أن يتجاوز الإنسان حدود البلد الحرام والشهر الحرام، بعدوان أو بغى أو قتال. ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض القبائل كانت لها أشهر حرم غير ما ذكرناه وأن أوقات هذه الأشهر كانت تختلف من عام إلى عام، لأن العرب كانوا ينسئون الأشهر الحرم، فيؤخرون المحرم إلى صفر ورجب إلى شعبان، وقد حرم الإسلام ذلك. المسعودي: مروج الذهب... ج ٢، ص ٢٠٤ - ٢٠٥. القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ٢، ص ٣٧٦ - ٣٧٧.

(١٦٧) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٥٨ - ٥٩. سعيد الأفغاني: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ص ٢٥٨ - ٢٥٩ و ٢٦٢ و ٢٦٤ و ٢٧٦ و ٣٥٧ و ٣٥٨ و ٣٥٩. ويذكر المرزوقي أن العرب يقيمون سوق ضحار لعشرين يوماً من رجب. الأزمنة والأمكنة، ج ٢، ص ١٦٣.

ينتقل الناس إليه ويقضون فيه العشر الأول من رمضان، وسوق صنعاء الذي يحدث في النصف الثاني من رمضان<sup>(١٦٨)</sup>.

ويبدو أنَّ المصادر العربية لم تتفق فيما بينها على عدد هذه الأسواق وعلى مواقيت إقامتها، فمحمد بن حبيب يذكر اثني عشرة سوقاً، يبدأها بدومة الجندل الذي يقع في منتصف الخط الممتد بين العقبة والبصرة، ويتبعها بسوق المشقَّر الذي يُقام في حصن بين نجران والبحرين، وسوق صُحار وهو قصبَة عُمان ممَّا يلي الجبل، وسوق دَبَا وهو من فُرَض البحر المشهورة في عُمان، ثم سوق الشُّحر الذي ينعقد في أقصى جنوب شبه الجزيرة على شطِّ بحر العرب، وسوق عدن، وسوق الراية في حضرموت، وسوق صنعاء، وسوق عُكاظ، وسوق ذي المجاز القريب من مكَّة، وسوق نطاة خير شمالي المدينة المنورة، وأخيراً سوق حَجْر باليمامة غربي البحرين وجنوبي العراق<sup>(١٦٩)</sup>.

وقد وافق اليعقوبي ابن حبيب على عشرة من الأسواق التي عدَّدها، وأسقط اثنين منها وهما: سوق نطاة خير وسوق حَجْر اليمامة<sup>(١٧٠)</sup>. كما وافق الهمداني ابن حبيب في أربعة أسواق فقط وهي أسواق: عدن وذو المجاز وعُكاظ وحَجْر اليمامة؛ وأضاف إليها سبعة أسواق جديدة هي: مكَّة وبدر ومِنَى ونجران والجند ومجنت وهَجْر البحرين. وبذلك يكون الهمداني قد جعل عدد الأسواق الموسمية أحد عشرة سوقاً<sup>(١٧١)</sup>.

وأما القلقشندي فأثبت ثمانية أسواق ذكر ابن حبيب واليعقوبي بعضها، وذكر الهمداني بعضها الآخر، والأسواق الثمانية هي: دومة الجندل وهَجْر وعُمان والشُّحر وعدن وحضرموت وصنعاء وعُكاظ. وفي هذه الأسواق يقول القلقشندي: «إنَّ العرب يرحلون إليها في الأشهر الحرم، فتقوم أسواقهم

---

(١٦٨) سعيد الأفغاني: أسواق العرب...، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ و ٢٤١ و ٢٥١ و ٢٥٦ و ٢٦٧ و ٢٦٩ و ٢٧٣.

(١٦٩) أبو جعفر محمد بن حبيب: المُحَبَّر، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لا تاريخ، ص ٢٦٣ - ٢٦٨.

(١٧٠) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، المجلد الأول، ص ٢٧٠.

(١٧١) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ج ١، ص ٥٣.

ويتناشدون الأشعار ويتحاجون، ومن له أسيرٌ سعى في فدائه، ومن له حكومة ارتفع إلى من له الحكومة، وكان الذي يقوم بأمر الحكومة في عكاظ من بني تميم، وكان آخر من قام بها منهم الأقرع بن حابس التميمي، ثم يقفون بعرفة ويقضون مناسك الحج، ثم يرجعون إلى أوطانهم قد حصلوا على الغنيمة وآبوا بالسلامة»<sup>(١٧٢)</sup>.

وأما المرزوقي فقد زاد على أسواق ابن حبيب خمسة أسواق هي: مجنة وبُصرى ودير أيوب في حوران (وهي اليوم قرية الشيخ سعد) وأذرعات (درعا اليوم) والأسقى. وبذلك يكون المرزوقي قد رفع عدد الأسواق الموسمية التي كانت تنعقد في بلاد العرب في عصور ما قبل الإسلام إلى سبعة عشرة سوقاً<sup>(١٧٣)</sup>.

ولا ريب أن الأسواق الموسمية كانت تخدم أغراضاً كثيرة، وكان بعضها مشهوراً وبعضها الآخر قليل الشهرة، وقد زاد عددها عن الأربع عشرة سوقاً<sup>(١٧٤)</sup>. فهناك سوق مشهور في منطقة عُمان يُعرف باسم سوق دَمَا ذكره ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان. وسوق حُباشة الذي يُقام في ديار بارق بتهامة؛ وقد وفد إليه رسول الله ﷺ قبل البعثة النبوية في تجارة للسيدة خديجة بنت خويلد التي كانت تستأجر الرجال لهذه المهمة<sup>(١٧٥)</sup>. وسوق المِزْبَد الذي كان ضاحية في الجهة الغربية من ضواحي الموقع الذي بُنيت عليه مدينة البصرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، ويبعد عنه ثلاثة أميال، والذي كان سوقاً للإبل على طرف البادية. وقد تطوّر هذا السوق في العصر الإسلامي، وأصبح أعظم شأناً من سوق عكاظ، وأضحى يُعرف باسم عكاظ الإسلام<sup>(١٧٦)</sup>. وجاء

(١٧٢) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج ١، ص ٤١٠ - ٤١١.

(١٧٣) المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج ٢، ص ١٦٢ - ١٦٥.

(١٧٤) دائرة المعارف الإسلامية، ج ١٢، ص ٣٨٣. انظر خريطة أسواق العرب في باب الملاحق.

(١٧٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٢٨٢.

(١٧٦) عرفان محمد حمّور: أسواق العرب، ص ٥٠ و ٢٠٩.



في الأخبار أنَّ الشعراء كانوا يعقدون في المِرْبَدِ إبان انعقاد أسواقها الكبيرة  
مفاخرات بالشعر كما كانت الحال في عكاظ<sup>(١٧٧)</sup>.

وكان من الطبيعي أن تختلف مواقيت قيام هذه الأسواق من سنة إلى  
أخرى، وذلك بسبب نساء الشهور، فكان النساؤون في الجاهلية يُحلّون شهر  
صفر عاماً ويحرّمونه عاماً أو يُحلّون شهر المحرم عاماً ويحرّمونه عاماً، وهذا ما  
يؤدّي إلى تغيير في الأشهر الحرم، وإلى تغيير في مواقيت الأسواق<sup>(١٧٨)</sup>. كما  
أنّ العرب لم يكونوا يلتزمون كل سنة يوماً معيناً لإقامة السوق، ويوماً محدداً  
لانتهاؤه، بل يتقدّم هذا اليوم في بعض السنين ويتأخّر في بعضها الآخر، وقد  
يُسرع أقوام إلى السوق قبيل ميعاده، وقد يتخلّف آخرون بعد انقضائه إن لم تنته  
أعمالهم، وقد تختلف العادة سنة عن سنة، فمن هنا كان هذا التفاوت اليسير في  
مواقيت هذه الأسواق<sup>(١٧٩)</sup>.

وتعدّ الأسواق الموسمية معارض تجارية ترد إليها السلع من كل الجهات:  
من مصر وشرقي أفريقيا والشام واليمن والعراق وفارس والهند...، فيغتنم الناس  
الذين يأتون إليها من أطراف شبه الجزيرة العربية ومن خارجها، وجود هذه  
السلع الفريدة فيشترونها ويتفاحرون باقتنائها<sup>(١٨٠)</sup>. وكانت الأسواق التي تقوم  
على الطرق التجارية أو على السواحل مثل أسواق: عدن وعُمان وصنعاء أكثر  
تنوعاً في الرّواد وفي المعروضات، ويقصدها أهالي المناطق والجيران من هنود  
وأحباش وفرس على السواء. أما الأسواق الداخلية مثل سوق حَجَر أو سوق  
حضر موت فهي غالباً مقصورة على قبائل العرب. وكان سوق عكاظ ملك

(١٧٧) دائرة المعارف الإسلامية، ج١٢، ص٣٨٤.

(١٧٨) أبو الفداء إسماعيل بن كثير: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، ج٤، دار المعرفة،  
بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص٤٠٣.

يذكر القلقشندي أنّ العرب في الجاهلية كانوا يُنسّون المحرم فيؤخّرونه إلى صفر فيحرّمونه  
مكانه، ويُنسّون رجباً فيؤخّرونه إلى شعبان فيحرّمونه مكانه ليستبيحوا القتال في الأشهر الحرم.

القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج٢، ص٣٧٧.

(١٧٩) سعيد الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ص٢١٦ - ٢٢٥.

(١٨٠) البلاذري: أنساب الأشراف الجزء الأول، ص١٠٠.

أسواق العرب تجتمع فيه قبائل العرب من الشمال والجنوب للإتجار مع قبائل نجد، وتخرج منه الطرق الذاهبة إلى اليمن والشام والخليج الفارسي وبابل. وكان عكاظ أكثر صلاحية للتجارة الدولية من مكة مثلاً. كما كان قرية لا تكاد تستأهل الذكر وتخلو من السكان إلا في وقت انعقاد السوق<sup>(١٨١)</sup> حيث يُعَدّ المتسوقون فيه بالآلاف يضربون آباط الإبل من كل موضع، وقد حضرها في أحد المواسم تسعون ألفاً من قريش وأحلافها فقط<sup>(١٨٢)</sup>. وفي ذلك يقول الأسدي:

يا قوم قد وافى عكاظ الموسم      تسعون ألفاً كلهم ملام<sup>(١٨٣)</sup>  
ويقول أبو ذؤيب الهنذلي واصفاً زحام القوم:

إذا بنى القباب على عكاظ      وقام البيع واجتمع الألف<sup>(١٨٤)</sup>

وقد توافرت الفرص في هذا السوق وغيره لبيع السلع المحليّة وغير المحليّة. وانفتحت أبواب التجارة على مصاريعها، وجرى التبادل والمقايضة، وجلس القوم للسمر والشراب، وجلست الحكومة لرفع الظلم عن المظلوم وفكّ أسر الأسير، ونادى قضاتها ذوي الحاجات من الفقراء والخائفين والمظلومين والأسارى كي تُقضى حاجاتهم، وهم الأكرمون المكرّمون. وذكرت بعض المصادر عدداً من حكام العرب وقضاتهم في العصر الجاهلي كان منهم: عامر بن الظرب العدواني من بني عمرو بن قيس عيلان، وأكثم بن صيفي من بني تميم، وحاجب بن زُرارة سيّد بني تميم، وربيعه بن مُخاشن من بني أسيد بن عمرو ومن حكام بني تميم كان في المواسم يجلس على سرير خشبي في قبة

(١٨١) دائرة المعارف الإسلامية، المجلد ١٢، ص ٣٨٢.

(١٨٢) وقد ذكر ابن حبيب والمرزوقي عدداً من القبائل التي تحضر سوق عكاظ مثل: قريش وهوازن وغطفان وخزاعة والأحباش وعضل والمصطلق وأسلم وطوائف من أفناء العرب. ابن حبيب: المحبّر، ص ٦٦٧. المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج ٢، حيدر آباد ١٣٣٢هـ، ص ١٦٥. وذكر اليعقوبي قبائل أخرى مثل: هذيل وطيء وتميم وكلب بن وبرة وشيبان. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٢٧٠ - ٢٧١.

(١٨٣) محمد بن حبيب: المنقق، تحقيق خورشيد فاروق، حيدر آباد ١٣٨٤هـ، ص ٢٠٦.

(١٨٤) محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، المجلد الخامس، ص ٢٥٤.

من خشب فُسِّمِي ذا الأعواد، وضَمْرَة بن ضَمْرَة النهشلي من كبار رجال بني تميم في الجاهلية، والأقرع بن حابس الذي كانت العرب تتنافر إليه ليحكم بينهم وكان من وفد بني تميم الذي قابل رسول الله ﷺ عام الوفود وقد أسلم واستشهد في معركة اليرموك عام ٦٣٦ ميلادية، وعُيْلان بن سَلَمَة من بني ثقيف، وحَنْظَلَة بن نهد الذي أطلق عليه ابن حزم لقب «حاكم العرب»<sup>(١٨٥)</sup>، وقال عنه البكري: «كان حَنْظَلَة بن نهد من أشرف العرب له منزلة بعكاظ في مواسم العرب وبِتهامة والحجاز» ولذلك يقول قائلهم:

حَنْظَلَة بن نهد خير ناش في معد<sup>(١٨٦)</sup>

وعبد المطلب بن هاشم القرشي جدّ النبي محمد ﷺ، وأبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب عمّ رسول الله ﷺ وكفيله بعد موت جدّه، والعاص بن ائِل من بني سهم وكان على رأسهم في حروب الفجار، والعلاء بن حارثة الثقفي وهو حليف بني زُهْرَة وأحد مُحْكَمِيهم، وربّعة بن حُذَار من بني أسد وقائدهم في معركة يوم الفرات، ويَعْمُر بن عوف الشذّاخ الذي حكم بين قريش وخُزاعة في الجاهلية، وصفوان بن أميّة من بني كنانة، وسلمى بن نوفل من سادات كنانة وحكّامهم، والأفعى الجرهمي من حكّام العرب في اليمن كان منزله بنجران.

وكان من قضاة العرب وحكّامهم في سوق عُكاظ: عامر بن الظُرب العدواني، ثم سعد بن زيد مناة التميمي، ثم حَنْظَلَة بن زيد مناة التميمي، ثم ذؤيب بن كعب التميمي، ثم مازن بن مالك بن عمرو التميمي، ثم ثعلبة بن يربوع التميمي، ثم معاوية بن شريف التميمي، ثم الأَضْبَط بن قريع التميمي، ثم صُلُصْل بن أوس التميمي، ثم سفيان بن مجاشع بن دارم التميمي، ثم محمد بن سفيان التميمي الذي كان يقضي بعُكاظ عند ظهور الدعوة الإسلامية،

(١٨٥) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٤٤٦.

(١٨٦) البكري: معجم ما استعجم، الجزء الأول، تحقيق الدكتور مصطفى السقا، القاهرة ١٣٦٤هـ، ص ٣٤.

ويُقصد بكلمة معد، معدّ بن عدنان جدّ قبائل العرب الشمالية، منهم إياد وأنمار ونزار، ومن نزار ربّعة ومُضَر ومنهما أكثر القبائل العدنانية.

ثم الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان الذي كان آخر من تولى القضاء في عكاظ من بني تميم<sup>(١٨٧)</sup>.

وإلى جانب هذه الحكومات كانت تُعقد في الأسواق، في كثير من الأحيان، اجتماعات تبحث في قضايا سياسية واجتماعية، وتضع الاتفاقات والمهادنات بين القبائل، وتنظم العلاقات فيما بينها على أساس من السلام والأمن. ثم تجري احتفالات دينية موسمية كانت الأسواق تُنظم من أجلها، ذلك أن الأسواق العربية كانت في الأصل أماكن للعبادة حيث كانت تُعبد الأنصاب، وتذبح القرابين، وتُقدّس الأصنام ويُطاف حولها، وأشهر صنم كان يعبد في عكاظ هو صنم جهار الذي كان لهوازن، وكان سدنتها آل عوف النصريون. وفي الأثداء حيث كان يُقام سوق عكاظ توجد صخور كان العرب يطوفون حولها ويقدّسونها. وقد زال كل أثر لهذه العبادة وعُفّي عليها النسيان بازدياد شأن الحرم المكي، وبظهور الدعوة الإسلامية في الحجاز<sup>(١٨٨)</sup>.

وكذلك كانت أسواق العرب كناية عن مجامع أدبية ومنتديات شعرية يأتي إليها الشعراء من كل جهة، ويتبارون بأشعارهم للفوز، ولم يكن للشاعر من مجد أعلى من الفوز بهذه المباريات. وتروي المصادر الأدبية أن نشأة المعلقات مقرونة بسوق عكاظ، وأنها نالت قصب السبق في هذا السوق وراقت للناس فكتبت بماء الذهب وعُلقت على أستار الكعبة، فلذلك يُقال مذهبة فلان إذا كانت أجود شعره<sup>(١٨٩)</sup>. وكان للعرب في هذه الأسواق قضاة للشعر أو مُحكّمون تُضرب عليهم قباب حُمر من آدم، ويتقدّم منهم شاعر كلّ قبيلة، فيعرض عليهم أشعاره، فما استجاده القضاة فهو الجيد، وما حكموا بضعفه فهو الركيك. وأجمعت مصادر الأدب على أن حكومة الشعر في عكاظ كانت للناطقة

---

(١٨٧) ابن حبيب: المحبّر، ص ١٨١ - ١٨٣. المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج ٢، ص ١٦٧ - ١٦٨. عرفان محمد حمّور: أسواق العرب، ص ١٠٢ - ١٠٥. ناصر بن سعد الرشيد: سوق عكاظ، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ص ٣٧ - ٣٩.

(١٨٨) محمد بن حبيب: المحبّر، ص ٣١٥. الحافظ بن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج ٨، ص ٦٧١، دائرة المعارف الإسلامية، ج ١٢، ص ٣٨٢.

(١٨٩) الحافظ ابن كثير: البداية والنهاية، الجزء الثاني، دار مكتبة المعارف بيروت ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ٢١٩ - ٢٢٠. الألوسي: بلوغ رب، ج ١، ص ٢٦٧. الزبيدي: تاج العروس، ج ٥، ص ٢٥٤. الأصبهاني: الأغاني، ج ٩، ص ١٧٦. حتى وآخران: تاريخ العرب، ص ١٣٧.

الذي ياتي في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي، حيث كانت تُضرب له هنالك قبة حمراء من أدم، فيأتيه الشعراء ويعرضون عليه قصائدهم، ليصدر حكمه بذلك. وقد حكم في أحد المواسم للأعشى على الشعراء جميعاً ثم تلتته الخنساء في مباراة شعرية أغضبت الشاعر حسان بن ثابت رضي الله عنه<sup>(١٩٠)</sup>.

ومع مباريات الشعر هذه، كانت تُلقى في الأسواق خطب الوعظ والإرشاد، وتُقام المنافرات التي تمثل الحياة الجاهلية أفضل تمثيل بروحها وأسلوبها الذي يعتمد على الجدل الجاهلي والمفخرة القبلية. وكانت المنافسة وثيقة تاريخية لحياة العرب في الجاهلية لا تقل أهمية عن القصيدة أو الخطبة. كما كانت قطعة أدبية رائعة، قد يجري فيها البيان والدقة والأسلوب الجزل الناصع الذي يعتمد على الحجة والمقارعة. وللغور في المنافسة لا بد من أن يتوفر للمنافر عنصرين أساسيين، أولاهما: أن يكون له مجد أو منعة يبني عليهما منافرتة وخصومته. وثانيهما: أن يكون متسلحاً بالبيان والقدرة الأدبية واللغوية. ومن خانة الحظ في واحدة منهما فهو لا شك مغلوب. ومن أشهر المنافرات: منافرة خالد بن أرطاة الكلبي مع جرير بن عبد الله البجلي اللذين كان حكمهما في عكاظ الأقرع بن حابس التميمي. ومنافرة علقمة بن علاثة الأحوصي العامري مع عامر بن الطفيل المالكي العامري، اللذين كان حكمهما هرم بن قطبة بن سنان بن عمرو الفزاري. وتروي الأخبار أن هرم بن قطبة قد ساوى بين الاثنين حين قال: «يا بني جعفر قد تحاكمتما عندي وأنتما كركبتي البعير الأدرم تقعان على الأرض معاً وليس فيكما أحد إلا ما ليس في صاحبه وكلاكم سيد كريم»<sup>(١٩١)</sup>.

أما الخطبة فكانت تقوم على الوعظ الديني الذي يُبين للناس مفاصد الوثنية ومساوئها. ويزهدهم بالدنيا وما فيها من شؤون وشجون، ويدعوهم إلى التأمل والنظر في الكون، وإلى الإيمان بالله الواحد، وبدين إبراهيم الحنيف. ولم تكن الخطبة وقائلاً أقل شأنًا من القصيدة وناظمها، وقد تفوق الخطبة القصيدة شهرة وأهمية خصوصاً إذا كان الخطيب أحد حكماء العرب، كقس بن ساعدة

(١٩٠) أبو الفرج الأصبهاني: الأغاني، الجزء التاسع، ص ١٥٦. سعيد الأفغاني: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ص ٣١٥ - ٣١٦.

(١٩١) الأصبهاني: الأغاني، ج ١٥، ص ٥٠ - ٥٤. ناصر بن سعد الرشيد: سوق عكاظ، ص ٨٣ - ٨٦.

الأيادي، أو أكثم بن صيفي التميمي، أو أمية بن أبي الصلت الثقفي<sup>(١٩٢)</sup>، أو عدي بن زيد التميمي، أو زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي الذي كان يحيي الموءودة ويقول لأبيها «لا تقتلها ادفعها إليّ أكفلها فإذا ترعرعت فإن شئت فخذها وإن شئت فادفعها»، والذي كان يصلي إلى الكعبة ويقول «إلهي إله إبراهيم وديني دين إبراهيم. اللهم إني لو أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به ولكني لا أعلم» ثم يسجد على راحلته<sup>(١٩٣)</sup>. وأشهر خطبة ارتجت بها عكاظ

(١٩٢) ومن الأبيات التي قالها أمية بن أبي الصلت ما يلي:

عبدٌ دعا نفسه فعائتها	يعلم أنّ البصير رامقها
ما رغب النفس في الحياة وأن	تحیی قليلاً فالموث لاحقها
يُوثيك من فر من منيته	يوماً على غرة يوافقها
إن لم تمت غبطة تمت هراً	للموت كأس والمرء ذائقها

وقال أيضاً:

كل عيش وإن تطاول دهرأ	صائر مرة إلى أن يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي	في قلال الجبال أرى الوعولا
فاجعل الموت نضب عينيك واحذر	غولة الدهر إن للدهر غولا
نائلاً ظفرها القساور والصد	عان والطفل في المنار الشكيلا
وبغاث النياف واليعفر النا	فر والعوهج البرام الضئلا

ابن كثير: البداية والنهاية، الجزء الثاني، ص ٢٢٥ - ٢٢٦.

(١٩٣) المصدر نفسه، ص ٢٣٧. ومما قاله زيد بن عمرو شعراً نورد الأبيات التالية:

أرب واحداً أم السفف رب	أدين إذا تقسمت الأمور
عزلت اللات والعزى جميعاً	كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى أدين ولا ابنتيها	ولا ضمني بنى عمرو أזור
ولا غنماً أدين وكان رباً	لنا في الدهر إذ حلمي صغير
عجبت وفي الليالي معجبات	وفي الأيام يعرفها البصير
بأن الله قد أفنى رجلاً	كثيراً كان شأنهم الفجور
وأبقى آخرين ببر قوم	فيرب منهم الطفل الصغير
وبينا المرء يعثر ثاب يوماً	كما يتروح الغصن النضير
ولكن أعبد الرحمن ربي	ليغفر ذنبي الرب الغفور
فتقوى الله ربكم احفظوها	متى ما تحفظوها لا تبوروا
ترى الأبرار دأهم وإن يموتوا	يلاقوا ما تضيق به الصدور
وخزي في الحياة وإن يموتوا	يلاقوا ما تضيق به الصدور

المصدر نفسه، ص ٢٤٢.

والبطاح من حولها، ورددت صداها الأودية، وتناقلتها الألسن عبر الأجيال والسنين، تلك الخطبة التي ألقاها قس بن ساعدة الإيادي، وارتاح لسماعها رسول الله ﷺ يوم أن كان في عُكاظ. وقد قال رسول الله ﷺ لوفد إياد وهو يسألهم عن قس بن ساعدة «مهما نسيث فلن أنساه بسوق عُكاظ واقفاً على جمل أحمر يخطب الناس» (١٩٤).

وعلى العموم فإن نشاطات العرب في الأسواق كانت كثيرة ومتنوعة، فإلى جانب النشاطات الإيجابية المفيدة من اقتصادية واجتماعية وأدبية، كانت هناك نشاطات سلبية فاسدة، يمارسها أفراد قلائل في هذا السوق أو ذاك. ويبدو أن النشاطات الإيجابية التي أشرنا إلى بعضها سابقاً، وما رافقها من تنظيمات دقيقة لأعمال السوق، كانت جديرة بأن تُشكل أسواقاً قومية، يحضرها سائر العرب، فيمتزجون فيها مع بعضهم البعض، وتمتزج معهم عاداتهم وتقاليدهم، وتتوحد

(١٩٤) ومن المفيد أن نعرض لبعض ما جاء في هذه الخطبة، يقول قس:

«يا أيها الناس: اجتمعوا واستمعوا وعوا، وإذا وعيتم فانتفعوا، وقولوا وإذا قلتم فاصدقوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، ليل داج، وسماء ذات أبراج، وبحر عجاج؛ نجوم تزهو، وجبال مرسية، وأنهار مجرية؛ آيات محكمات، مطر ونبات، وآباء وأمهات، وأحياء وأموات، وذاهب وآت، وضوء وظلام، وليل وأيام، وبر وأثم، ولباس ومزكب، ومطعم ومشرب، وسقف مرفوع، ومهاد موضوع، ونجوم تمور، وبحار لا تغور. إن في السماء لخبراً، وإن في الأرض لغيراً، يحار فيهن البصرا. ما لي أرى الناس يموتون فلا يرجعون، أرضوا بالمقام فأقاموا، أم حُسبوا فناموا؟»

يا معشر إياد، أين ثمود وعاد، وأين الآباء والأجداد؟ أين المعروف الذي لم يُشكر، والظلم الذي لم يُنكر؟ أقسم بالله قسماً، لا كاذباً فيه ولا آثماً، لئن كان في هذا الأمر رضى، ليكونن سخط. أيها الناس إن لله ديناً هو أحب إليه من دينكم هذا الذي أنتم عليه، وهذا زمانه وأوانه.

في الزاهبين الأولي	من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارداً	للموت ليس لها مصادير
ورأيت قومي نحوها	يمضي الأصغر والأكابر
لا من مضى يأتي إلي	لك ولا من الباقين غابر
أيقنت أنني لا محال	لـ حيث صار القوم صائر

أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والنبين، الجزء الأول، الطبعة الرابعة، مكتبة الخانجي بمصر، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص ٣٠٨ - ٣٠٩. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٢، ص ٢٣٠ - ٢٣٤.

قبائلهم ومجتمعاتهم في مجتمع عربي واحد، كما تتوحد لهجاتهم في لهجة واحدة هي لهجة قریش.

#### ب - أنظمة السوق:

ومما لا ريب فيه أنَّ الأسواق الموسمية في بلاد العرب، كانت تتمتع بنظام من الأمن والحماية، تفرضه الدولة التي يقع السوق ضمن حدودها، نظير ضرائب محدّدة، تجمعها من التجار الذين يقدون إلى هذا السوق. فكانت الدولة صاحبة الشأن تفرض الأمن في السوق، وتُلاحق المجرمين، وتمنع الاعتداءات، وتعيد إلى كلّ ذي حقّ حقه. أمّا الأسواق الموسمية التي تقوم في مناطق البادية، حيث لا حكومة ولا سلطان، فكان التجار يستأجرون الخفراء من أجل حمايتهم، مقابل مبالغ من المال يدفعونها لهم. ويبدو أنَّ هؤلاء الخفراء، في مثل هذه الأحوال، كانوا أوفياء لما التزموا به، فيقومون بواجباتهم في حماية القوافل التجارية والأسواق خير قيام.

بيد أنَّ زعماء القبائل الذين كانوا يحضرون في هذا النوع من الأسواق، يُنصبون أنفسهم، في بعض الأحيان، حكاماً عليها، فيسيرون فيها سيرة الملوك، ويجبون الضرائب والمكوس من التجار، كما كان يفعل «الجلندي بن المستكبر» في سوق ضحار، وبنو تميم في سوق المشقر<sup>(١٩٥)</sup>.

وإلى جانب ذلك كلّ انبرت طائفة من فرسان العرب، بزعامة أحد بني تميم، يُدعى صلّصل بن أوس، للدفاع عن الحرمات والتقاليد، ولفرض الأمن والنظام في الأسواق كسوق عكاظ ومجّة وذو المجاز، ولمنع اللصوص والمجرمين المحليين من الصعاليك وغيرهم، من ظلم الناس وسرقة الأموال وسفك الدماء. وفي ذلك يقول اليعقوبي: «وكان في العرب قوم يستحلّون المظالم إذا حضروا هذه الأسواق، فسَمّوا المحليين، وكان فيهم من ينكر ذلك، وينصب نفسه لنصرة المظلوم، والمنع من سفك الدماء، وارتكاب المنكر، فيسمّون الذادة المحرّمين، فأما المحليون فكانوا قبائل من أسد وطيّء وبني بكر بن عبد مناة بن كنانة وقوماً من بني عامر بن صعصعة. وأما الذادة

(١٩٥) عرفان محمد حمّور: أسواق العرب، ص ٥٧ - ٥٨.



المحرّمون، فكانوا من بني عمرو بن تميم وبني حنظلة بن زيد مناة، وقوم من هذيل، وقوم من بني شيبان، وقوم من بني كلب بن وبرة، فكان هؤلاء يلبسون السلاح لدفعهم عن الناس»<sup>(١٩٦)</sup>. وقد ساعدت هذه الطائفة في استتباب الأمن والنظام حتى بلغ في سوق عُكاظ مبلغاً جعل العرب يأخذون معهم أموالهم ونساءهم وصبيانهم إليه<sup>(١٩٧)</sup>.

وكانت أصول المتاجرة في الأسواق، تقضي بمعرفة مصدر البضاعة ومنشئها، وعلاماتها التجارية. والبضاعة المجهولة المصدر لا يشتريها أحد، والسلعة المسروقة يُمنع بيعها، ويُعتقل عارضها. وكان التجار يعرفون العلامات التجارية المميّزة لكل قبيلة من قبائل العرب، كما يعرفون سندات التملك، وسندات البيع والشراء المحرّرة وفقاً للأصول العامة، وكذلك كانوا على معرفة بقيود المعاملات التجارية وحساباتها<sup>(١٩٨)</sup>.

غير أنّ بعض أنظمة البيع والشراء في بعض الأسواق كانت تطغى عليها أحياناً الشكلية، فتفقد البائع أو المشتري حرّيته وإرادته، كبيع الملامسة، وهو أن يتساوم المتبايعان على لزوم البيع إذا لمس المشتري سلعة البائع، فهذا النوع من البيع يتمّ باللمس، دون النظر إلى البضاعة، وكان معروفاً في سوق المشقر. ومثله البيع بالمنازلة، فتمتّ نبذ البائع سلعته إلى المشتري، وجب البيع. ومثله البيع بطريقة الرمي بالحصاة، وهو أن يُلقي المشتري حصاة على عدّة أثواب مثلاً، فما أصابته كان مبيعاً بلا خيار للمشتري. وفي سوق عُكاظ نوع من البيع كان يتعامل به العرب، وهو ما يُسمّى بالسرار الذي يُفسّره البعض بأنّه إذا وجب البيع وعند التاجر ألف رجل ممن يريد الشراء أو عدمه فله الشركة في الربح<sup>(١٩٩)</sup>. وفي سوق صنعاء نوع آخر من البيع كان يمارسه العرب بجس اليد<sup>(٢٠٠)</sup>.

(١٩٦) اليعقوبي: تاريخ العيوقبي، ج ١، ص ٢٧٠ - ٢٧١.

(١٩٧) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٩٠. ناصر بن سعد الرشيد: سوق عُكاظ، ص ٣٠.

(١٩٨) الألويسي: بلوغ الأرب، ج ٢، ص ١٦٣. ابن عبد ربه: العقد الفريد، تحقيق سعيد العريان ج ٦، طبعة مصر، القاهرة ١٣٧٠هـ، ص ١٤، عرفان محمد حمّور: أسواق العرب، ص ١١٢ - ١١٣.

(١٩٩) محمد بن حبيب: المحبّر، ص ٢٦٧. المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، ج ٢، ص ١٦٥.

(٢٠٠) المرزوقي: المصدر نفسه، ص ١٦٤.

وهناك بيوع أخرى عُرفت في الأسواق الموسمية، مثل بيع الأجنة في بطون أمهاتها من المواشي والأنعام، وبيع الملاقيح، أي بيع ما ستحمل به إناث الإبل. وبيع المضامين، وهو بيع ما سيتولد من فحول الإبل. وبيع ضربة القانص، أي ما سيقع في شبكة الصياد من صيد البر والبحر. وبيع ضربة الغائص، وهو ما سيخرجه الغواص من اللائى<sup>(٢٠١)</sup>.

ومن أنظمة البيع والشراء، نظام الرهن الذي عرفه العرب قبل الإسلام، حيث كان المشتري يرهن متاعه وولده لسداد دينه. وقد هُذب الإسلام هذا النظام، وحرّم رهن الإنسان كبيراً كان أم صغيراً<sup>(٢٠٢)</sup>.

ومنها نظام المقايضة الذي يقوم على عملية التبادل التجاري بالحصول على سلعة مقابل سلعة أخرى. وكان هذا النظام، الذي عُرف في جنوبي شبه الجزيرة العربية باسم «عقبن»<sup>(٢٠٣)</sup>، أساس التعامل بين المجتمعات البدوية والحضرية، فالبدو كانوا يجلبون منتوجاتهم، ويقايضون بها ما يحتاجون إليه من طعام وتمر وأدوات وغيرها. كما كان أساس التعامل في الأسواق الحضرية بين سكان المدينة الواحدة. وكذلك كان أساس تعامل العرب في تجارتهم الخارجية، حيث كانت واردات شبه الجزيرة العربية تأتي عن طريق المقايضة، لقاء خمس صادراتها التي كانت تشمل العطور والتوابل<sup>(٢٠٤)</sup>.

ومع نظام المقايضة هذا، كان العرب يمارسون نظام تبادل السلع بأوزان المعادن الثمينة كالذهب والفضة، كأن يدفع المشتري قيراطاً من الذهب مقابل سلعة معينة<sup>(٢٠٥)</sup>. وكان هذا النظام، الذي استمرّ استخدامه في الأسواق حتى العصور الإسلامية، يأتي في الدرجة الثانية بعد المقايضة، ويستعمله العرب في

---

(٢٠١) عرفان محمد حمّور: أسواق العرب، ص ٦٠.

(٢٠٢) الأصبهاني: الأغاني، ج ١، ص ٨٤، ناصر بن سعد الرشيد: سوق عكاظ، ص ٦٠ - ٦١.

(٢٠٣) بيستون وآخرون: المعجم السبئي، ص ١٨.

(٢٠٤) ول ديورانت: قصة الحضارة، الجزء الثاني: الشرق الأدنى، ص ٢٥. نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٦٨.

(٢٠٥) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٤٨٨.

البيع والشراء في داخل البلاد وخارجها<sup>(٢٠٦)</sup>. وتروي الأخبار أن العرب في العهد السومري كانوا يستعملون الذهب والفضة في تقدير قيم البضائع، ويقبلونهما في العادة بدلاً من البضائع نفسها، إما على هيئة سبائك وحلقات ذات قيم محدودة، وإما بكميات تُقدَّر قيمتها حسب وزنها في كل عملية تجارية، وكانت الطريقة الثانية أكثر استعمالاً وشيوعاً من الأولى<sup>(٢٠٧)</sup>.

وفي العهد البابلي كان العرب يستخدمون في التجارة - فضلاً عن القمح والشعير - سبائك الذهب والفضة وسيلة للتبادل، ومعياراً لتقدير قيم السلع والأشياء. ولم تكن السبائك المعدنية مختومة أو مطبوعة، بل كانت توزن في كل عملية بيع وشراء. وكانت أصغر وحدة في هذا النظام هي الشاقل، وهو نصف أوقية من الفضة، وتؤلف الستون شاقل ميناً واحداً، والستون ميناً تالنتاً واحداً<sup>(٢٠٨)</sup>.

ويبدو أن العرب في العهد الروماني لم يغيروا كثيراً في نظامهم النقدي، بل استمروا يتعاملون في معظم صفقاتهم التجارية بنظام أوزان المعادن الثمينة. ويذكر بلينيوس أن تجار العرب كانوا يستهلكون سنوياً مبالغ كبيرة من خزينة الدولة الرومانية<sup>(٢٠٩)</sup>.

أما في العهد البيزنطي فقد كان العرب يحصلون على الدنانير البيزنطية من بلاد الشام ومصر، وعلى الدراهم الفارسية من العراق، ويتعاملون بها وزناً، ويغضون النظر عن كونها نقوداً مضروبة. وذلك لاحتمال أن تنقص الدنانير من كثرة تداولها. ولمنع الغبن كان العرب يعمدون إلى الوزن، وكانت لهم أوزان خاصة يزنون بها، هي: الرطل، والأوقية، والنش، والنواة، والمثقال،

---

A.Jamme: Yemen expedition, P131.

(٢٠٦)

نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية ص ٢٦٩.

(٢٠٧) ول ديورانت: الشرق الأدنى، ص ٢٥.

(٢٠٨) المرجع نفسه، ص ٢٠٤.

(٢٠٩) قدر بلينيوس هذه المبالغ سنوياً بخمسين مليون سيستركس.

Pliny: Natural history; Bk12, P63.

والدرهم، والدانق، والقيراط، والحبّة. وكانت قريش تزن الفضة بوزن تسميه درهماً، وتزن الذهب بوزن تسميه ديناراً، فكل عشرة من أوزان الدراهم سبعة أوزان الدينانير، وكانت لهم الأوقية وزن أربعين درهماً، والرطل وزن اثني عشر أوقية، والنش (النص) وزن عشرين درهماً وهو نصف الأوقية وقد حولت الصاد شيئاً<sup>(٢١٠)</sup>، وكانت لهم النواة وهي وزن خمسة دراهم، وقيل النواة نواة التمر<sup>(٢١١)</sup>. وكان الدينار البيزنطي<sup>(٢١٢)</sup> يزن مثقالاً، والمثقال ثمانية دوانق<sup>(٢١٣)</sup>، ووزنه عشرون قيراطاً، أو اثنان وعشرون قيراطاً إلا كسراً (أو حبة)، والوزنان شيء واحد، لأنّ القيراط فيهما مختلفة، وقدروا المثلث بالثنتين وسبعين حبة شعير من الشعير الوسط المقطوع ما دق من طرفيه، كما قدروه ستة آلاف حبة من حبّ الخردل البرّي المعتدل<sup>(٢١٤)</sup>.

(٢١٠) أبو الحسن البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٥١ - ٤٥٢. فؤاد علي رضا: أم القرى: مكة المكرمة، ص ١٦٠.

(٢١١) عبد الحي الكتاني: نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، الجزء الأول، ص ٤١٥.  
(٢١٢) يقول البعض: إنّ الدينار لفظ لاتيني، والأصل فيه الدلالة على قطعة من الفضة تساوي عشرة آسات، والآس درهم من دراهم الروم، والدينار ضرب أولاً لهذه الغاية، وهو مشتق عندهم من «Deni» أي عشرة، وكان وزنه سبع الأوقية الرومانية أو جزءاً من مائة من الرطل (الليبرة)، أي أنّهم كانوا يقسمون الليبرة من الفضة إلى مائة دينار، ثم ضربوه من الذهب، فصار عندهم ديناران: الواحد من الفضة والآخر من الذهب؛ وعنهم أخذ الفرس، فضربوا نقوداً مثلها وسموها باسمها.

جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، الجزء الأول، دار مكتبة الحياة، بيروت. لا تاريخ، ص ١٣٤ - ١٣٥. ويقول آخرون: إنّ الدينار هو وزن السوليدوس، والسوليدوس هو نقد الذهب الذي كان شائعاً في بيزنطة، وهو نفسه وزن الدارخما اليونانية، التي اعتمد وزن السوليدوس على وزنها وهو الدينار البيزنطي الذي كان يزن ٤,٢٥ غرامات. زلّوم: الأموال في دولة الخلافة، ص ٢٠٥.

(٢١٣) الدوانق: جمع دانق، وهو سدس الدرهم، والكلمة فارسية الأصل. ابن سلام: الأموال، ص ٢١٠.

(٢١٤) تقي الدين أحمد بن علي المقرئ: النقود الإسلامية المسمى «شذور العقود في ذكر النقود»، تحقيق السيد محمد بحر العلوم، دار الزهراء، الطبعة السادسة، بيروت ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، ص ٥٦ - ٥٧. زلّوم: الأموال في دولة الخلافة، ص ٢٠٢. القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ٣، ص ٤٣٦ - ٤٣٧.

وعلى الرغم من سيطرة نظام تبادل السلع بأوزان المعادن الثمينة على حركة البيع والشراء في بلاد العرب قبل الإسلام، إلا أن نظام النقد قد أخذ يظهر تباعاً في بعض أقاليمها. ففي عام ٧٠٠ قبل الميلاد سكّ الملك الآشوري سنحاريب قطعاً نقدية فضيّة، قيمة الواحدة منها نصف شاقل، وهي أقدم ما عُرف في بلاد العرب من مسكوكات رسمية<sup>(٢١٥)</sup>. وفي العهد السبئي، وتحديدًا في القرن الرابع قبل الميلاد، سكّ اليمينيون نقدًا شبيهًا بالنقد اليوناني، ورسوموا على أحد وجهيه رأس آلهة أثينا وشعارها<sup>(٢١٦)</sup>. ثم تطوّر هذا النقد، وأصبح ذا نمط محليّ في أشكاله، ويتبع الدرهم البابلي الذي يبلغ وزنه ٥,٦ غرامات. كما تطوّر في القرن الثاني قبل الميلاد، وأخذ يتبع في واه الدينار الروماني، وخصوصاً في النصف الأول من هذا القرن، ثم ازدادت الحاجة إليه، وإلى سكّ عدد وفير منه، وذلك يعود إلى نموّ الاقتصاد في أقاليم شبه الجزيرة الجنوبية، كما يعود إلى تطوّر العلاقات التجارية بين الإمبراطورية الرومانية في الشمال والدولة الحميرية في الجنوب<sup>(٢١٧)</sup>. وفي الحقبة الأولى من تاريخهم ضرب ملوك حمير عملة ذهبية وفضيّة ونحاسية، كانت تحمل صورهم على وجه، ورسوم البومة أو النسر أو الثور أو الهلال على الوجه الآخر<sup>(٢١٨)</sup>.

وعلى العموم فإنّ عملات الجنوب العربي قد تميّزت بصفائها وخلوها من الغش. فلذا كانت تُطلق عليها صفات تدلّ على ذلك، مثل: «رضيم» و«نعم» التي تؤكّد على تمام العملة وجودتها<sup>(٢١٩)</sup>. كما تميّزت بتعرّفها على نظام الفئات العشرية، مثل: النصف والربع والثلث، وكانت كل فئة تحمل إشارة تُحدّد قيمتها<sup>(٢٢٠)</sup>. أمّا أسماؤها فقد وردت في بعض النقوش التي اكتشفت هناك،

(٢١٥) ول ديورانت: قصة الحضارة - الشرق الأدنى، ص ٢٨٠.

(٢١٦) حتى وآخرون: تاريخ العرب، ص ٩٢.

(٢١٧) نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٧٠.

(٢١٨) حتى وآخرون: تاريخ العرب، ص ٩٢.

(٢١٩) بيستون وآخرون: المعجم السبئي، ص ٩٠.

A.Jamme: Yemen Expedition, P136.

G.F.Hill: The Ancient Coinage of Southern Arabia, the British Academy, (٢٢٠) London 1915, P3.

مثل: «قرف»، و«بلطم» التي تُعدّ من أكثر النقود وروداً في النقوش، و«خبصت» وهي عملة قتبانية، وقد سُميت بذلك لأنها صُنعت على الأرجح من مزيج عدد من المعادن، و«محليت» وهي عملة سبئية، تُقدّر بحوالي ١٠٠٠ معصم<sup>(٢٢١)</sup>.

أمّا في الشمال - الغربي من شبه الجزيرة العربية، وتحديدًا في سوريا فقد عثرت البعثة الوطنية للآثار التي تُنقّب الآن في مدينة جبلة على قطعة نقدية ذهبية تظهر على وجهٍ منها صورة الإسكندر المقدوني، وعلى الوجه الآخر صورة سفينة فينيقية. ويقول المدير العام للآثار والمتاحف في سوريا ميشيل مقدسي: «إنّ هذه القطعة النقدية اليونانية (الدراخما) لا يوجد مثلها في سوريا ولا في لبنان، وأنّ مثيلاتها في العالم قليل جداً لا يتجاوز عددها عدد أصابع اليد»<sup>(٢٢٢)</sup>. ويُروى أن ملك الأنباط الحارث الثالث الذي دام حكمه حوالي ربع قرن من الزمان من عام ٨٧ إلى عام ٦٢ قبل الميلاد هو أول من سكّ عملة نبطية على الطراز الهلّيني ووفق المعيار البطليموسي للنقد. ومع مرور الوقت تطوّرت هذه العملة، وأخذت طابعها المحلي في الشكل، ولكن وزنها كان يتبع النقد السوري الذي كان تقليداً للعملة السلوقية - الهلّينستية أيضاً. وتُظهر القطع الأثرية المكتشفة، أنّ نظام النقد النبطي عرف نظام الفئات العشرية كالنصف والربع، كما عرف نوعاً من التخصّص في سكّ العملة، بمعنى أنّه كان لكل مدينة عملة خاصّة بها من البرونز، إلى جانب عملة الدولة الرسمية التي كانت تُستخدم في التجارة الخارجية<sup>(٢٢٣)</sup>.

---

K.Irvin: Some Notes on old South Arabian Monetary Terminology, Journal of Royal Asiatic Society, Ras Society, London 1964, P19. A.Jamme: Yemen Expedition, P134-136.

(٢٢٢) السفير، عدد ٩٣٠٨، الاثنين ٢٣ أيلول عام ٢٠٠٢م، الموافق ١٧ رجب عام ١٤٢٣هـ ص ٢٠.

G.F.Hill: The Catalogue of the Greek Coins of Arabia, Mesopotamia and Persia, PXL.

نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٧١. صالح أحمد العلي: تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، ص ٤٨.

Y.Mesharar: Nabataean Coins, the Institute of Archaeology, P17.

ويبدو أنّ العملات النبطية قد مرّت بمرحلتين متتاليتين:

الأولى: بدأت من أيام الحارث الثالث، وانتهت في العام السابع الميلادي، وفيها كانت العملات قويّة وتُضاهي الدينار الروماني، وتحتوي على نسبة عالية من الفضة تتراوح ما بين ٩٦٪ و٦٣٪. والثانية: بدأت من العام السابع الميلادي، واستمرّت حتى سقوط الدولة النبطية في عام ١٠٦ ميلادية، وفيها تدهورت العملات، وتدنّت قيمتها ونسبة الفضة فيها حتى أصبحت تتراوح ما بين ٤١٪ و٢٠٪. وعلى الرغم من تدنّي قيمتها عن قيمة الدينار الروماني، إلّا أنّها كانت تعادل قيم عملات مدن ولاية سوريا أيام الاحتلال الروماني<sup>(٢٢٤)</sup>.

وتعزو المصادر أسباب هذا التدهور إلى ظروف الأنباط السياسية والعسكرية والاقتصادية. وكان أبرز هذه الظروف المساعدات العسكرية التي قدّمها الأنباط للرومان في حملتهم على الإسكندرية سنة ٤٧ قبل الميلاد، والمساعدات التي قدّموها لهم في حملتهم على بيت المقدس وإسقاط الأسرة المكابية اليهودية فيها<sup>(٢٢٥)</sup>. وقد حدث كل ذلك في عهد ملكهم مالك الأول (٤٧ - ٣٠ قبل الميلاد) الذي اضطر إلى سكّ نقود برونزية كثيرة، لدفع مرتّبات الجنود، ولتجنيد مقاتلين آخرين<sup>(٢٢٦)</sup>. وكان من أبرزها أيضاً الضغوط السياسية والاقتصادية التي مارسها الرومان، بعد احتلالهم مصر وسوريا، على حياة الأنباط، وسيطرتهم على الطرق التجارية البريّة والبحرية، في عهد عبادة الثالث (٣٠ - ٩ قبل الميلاد) الذي اشترك في الحملة التي أرسلها أغسطس قيصر بقيادة أليوس غالوس لغزو بلاد اليمن<sup>(٢٢٧)</sup>. وقد أدّى كل ذلك إلى إضعاف العملات النبطية، وإلى تدنّي نسبة الفضة فيها وتدنّي وزنها، فبعد أن كانت تزن ٦,٦١ غرامات أصبحت تزن ٤,٤ غرامات. ولدعم عملته، لجأ عبادة الثالث إلى

(٢٢٤) نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٧٢.

(٢٢٥) حتى وآخران: تاريخ العرب، ص ١٠٤. عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص ١١٠.

(٢٢٦) Mesharar: Nabatean Coins, P21.

(٢٢٧) صالح أحمد العلي: تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، ص ٤٨. سالم: تاريخ الدولة العربية، ص ١١٠.

ضرب عملات أكبر حجماً من العملات الرومانية التي كان دينارها يزن ٣,٠٨ غرامات ويحتوي على نسبة عالية من الفضة تزيد على العملة النبطية بـ ١٧٪، والتي كانت وسيلة التعامل في الولايات الرومانية الشرقية. وكون العملة النبطية أكبر حجماً يجعل الأهالي يقبلون عليها أكثر من الدينار الروماني الأقل حجماً، خاصة أن وسائل الكشف عن نسبة الفضة في العملة وتحديد قيمتها غير متوفر لدى عامة الناس حينذاك<sup>(٢٢٨)</sup>. وكانت تلك الظروف في عهد الحارث الرابع، الذي حَكَم ما بين عامي ٩ قبل الميلاد و ٤٠ ميلادية، داخلية وخارجية؛ فمن جهة تعرّضت دولة الأنباط إلى هجمات القبائل الثمودية والصفوية المجاورة لها، ومن جهة أخرى أقدم هذا الملك على تنفيذ عدد من المشاريع العامة في مدينة البتراء، مثل: قصر بنت فرعون، والمسرح الوطني وغيره. وقد ساهمت كل هذه الظروف في إنهاك خزانة الدولة، وفي إضعاف العملة الوطنية التي سُكَّت منها كميات كبيرة لسدّ العجز، كانت نسبة الفضة فيها قليلة ونادرة. وهكذا استمرت هذه العملة في التدهور والضعف، وفي تدنّي نسبة الفضة فيها حتى وصلت إلى ٢٠٪ في المسكوكات البرونزية، بعد أن كانت هذه النسبة ٩٦٪ إبان ازدهارها<sup>(٢٢٩)</sup>.

وعلى أثر سقوط مملكة الأنباط بأيدي الرومان، ورثت تدمر، التي تقع على بعد ١٥٠ كيلومتراً من دمشق وفي الجهة الشمالية - الشرقية منها، مركز البتراء التجاري والسياسي، وظهرت فيها نقود، سُكَّت على الطراز الروماني. ولم تتطور هذه النقود إلا في عهد زنوبيا التي تسلمت عرش تدمر عام ٢٦٧ ميلادية كوصية على ابنها القاصر وهب اللات، والتي ضربت مسكوكات خالية من رسم رأس أورليانوس الذي كان يُنقش عليها سابقاً<sup>(٢٣٠)</sup>. وعندما دخل جيش تدمر بلاد مصر، سُكَّت زنوبيا في الإسكندرية عام ٢٧٠ ميلادية عملة

(٢٢٨) صالح العلي: المرجع السابق، ص ٤٨ - ٤٩.

Mesharer: Nabataean Coins, P30.

(٢٢٩) نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٧٢.

Mesharer: op.cit, P41, 81.

(٢٣٠) حتى وآخران: تاريخ العرب، ص ١١٣.



تدمرية أخرى، نقشَت عليها صورة وجه وهب اللات إلى جانب صورة وجه أورليانوس؛ وذلك إشارة إلى أنَّ وهب اللات قد أصبح يحكم مصر من قبل الإمبراطور الروماني (٢٣١).

وإلى جانب هذه العملات، كان العرب في دولة الكرخ (دولة ميسان) التي تقع في المنطقة التي يخترقها نهر دجلة وشط العرب ونهر الكرخة، يستخدمون نقوداً سكَّها أحد ملوكهم المدعو «سباسينوس» أي (كاسح الأرض) الذي دحر العيلاميين، وغزا بابل ودخلها سنة ١٢٩ قبل الميلاد، واتخذ لنفسه لقب ملك العرب وقد تكاثرت أعداد هذه النقود في العهود التالية بسبب إقدام الملوك الذين جاؤوا بعده على سكِّ عملات بصورة مستمرة، كانوا ينقشون على أحد وجهيها صورة لرؤوسهم تتجلى فيها سحتهم العربية وأزيائهم العربية، وعلى الوجه الآخر صورة ترمز للآلهة الإغريقية، وكتابات بالإغريقية وبالآرامية. ومن هذه العملات عُرفت أسماء ملوك دولة ميسان (٢٣٢).

وفي مدينة الرها التي تقع في الجزيرة الفراتية، شمالي الرافدين، والتي نشأت فيها دولة الأباجرة، ما بين عامي ١٣٢ و ٢٤٢ ميلادية، كانت تُستخدم أيضاً نقود مكتوبة بالإغريقية، ومسكوكة على الطراز الهلينيستي، ومقدرة على عيار بطليموس للعملة (٢٣٣). كما كانت تتداول في أسواق دولة الحضر، التي نشأت في بادية الجزيرة الفراتية ما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الثالث الميلادي، نقود نقشَت عليها صورة النسر، رمزاً لإله الشمس، مع عبارة «الحضر مدينة الشمس»، وعلى وجهها الثاني صورة إله الشمس الذي يرمز إليه شاب حول رأسه هالة مشعة (٢٣٤).

Encyclopedia Britannica, vol 17, P163.

(٢٣١)

سالم: تاريخ الدولة العربية، ص ١٢٦ - ١٢٧.

(٢٣٢) صالح أحمد العلي: تاريخ العرب القديم، ص ٦٥.

(٢٣٣) المرجع نفسه، ص ٨٢.

(٢٣٤) المرجع نفسه، ص ٧١.

وإلى جانب نظام النقد كان العرب يعرفون نظام الوزن والكيل. وتدلّ النقوش التي اكتُشفت في أنحاء مختلفة من بلاد العرب على وجود الأوزان والمكاييل في العصور التي سبقت ظهور الإسلام. ومن بعض الألفاظ التي وردت في هذه النقوش، نتعرّف إلى بعض هذه المكاييل، مثل: برمت وصاع وأقدوم؛ ويُعرّف البرت جام لفظة برمت بأنها مقياس للحبوب والسوائل، وهو مكيال رسمي يعادل ستة أرتال، وُجدت نماذج منه مصنوعة من البرونز<sup>(٢٣٥)</sup>. وقد وردت لفظة برمت في النصّ التالي: برم حرب/ كون/ برن/ ثمن/ برم، وهذا يعني أنّ محصول الأرض في موسم الصراب ثمانية برم<sup>(٢٣٦)</sup>. أمّا القدر فهو مكيال يُستخدم في اليمن حتى الآن، ويبلغ وزنه ٦,٥٥٦ كيلوغرامات<sup>(٢٣٧)</sup>. وهناك مكيال للحب يُعرف باسم ثمن، ومكيال باسم حلب<sup>(٢٣٨)</sup>. وفي قرية الفاو عُثر على مكيال خشب كان يساوي ما يُعرف بالمُد النبوي<sup>(٢٣٩)</sup>.

وفي عهد رسول الله ﷺ، حيث كان معظم الناس لا يزالون على الشرك، كان العرب يستخدمون المكاييل التالية: الصاع، والمُد، والفرق، والقسط، والوسق، والمختوم، والقفيز، والمكوك. وكان الصاع مكيال لأهل المدينة المنورة، يساوي خمسة أرتال وثلاث<sup>(٢٤٠)</sup>، أو أربعة أمداد بمُدّهم المعروف عندهم، أو أربع حفنات بكفي الرجل الذي ليس معظم الكفين ولا صغيرهما<sup>(٢٤١)</sup>. والمُد ربعه وهو رطل وثلاث. وفي ذلك يقول أبو عبيد: «الصاع خمسة أرتال وثلاث. والمُد ربعه، وهو رطل وثلاث. وذلك برطلنا هذا الذي وزنه مائة درهم وثمانية وعشرون درهماً»<sup>(٢٤٢)</sup>. والفرق يساوي ستة أقساط

(٢٣٥) A.Jamme: Yemen expedition, P131.

(٢٣٦) أحمد شرف الدين: تاريخ اليمن الثقافي، ج ٣، ص ٢٥.

(٢٣٧) المرجع نفسه، ص ٢٧.

(٢٣٨) بيستون وآخرون: المعجم السبئي، ص ٦٧ و ١٥٠.

(٢٣٩) عبد الرحمن الأنصاري: قرية الفاو، ص ٢٨.

(٢٤٠) أبو عبيد القاسم بن سلام: الأموال ٢٠٦ - ٢٠٧.

(٢٤١) عبد الحي الكتاني: نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، الجزء الأول، ص ٤٢٨.

(٢٤٢) أبو عبيد: الأموال، ص ٢١٠.

أو ثلاثة صيعان. والقسط نصف صاع. والوسق ستون صاعاً أو ستون مختوماً. وقال أبو عبيد: «والمختوم ها هنا هو الصاع بعينه وإنما سُمي مختوماً لأن الأمراء جعلت على أعلاه خاتماً مطبوعاً لئلا يُزاد فيه، ولا يُنتقص منه»<sup>(٢٤٣)</sup>. والقفيز يساوي عشرين صاعاً، والمكوك يساوي صاعين ونصف<sup>(٢٤٤)</sup>.

وتروي المصادر أن أحمال الحيوانات كانت تُستخدم كوحدات للكيل والوزن. وقد ورد في نقش معيني أن الضريبة التي كانت تؤخذ في ديدان على حمل حمار من المواد الغذائية تساوي صاعاً كاملاً. كما كانت الأوزان في تدمر تُحدد بحمل جمل أو بحمل حمار عند دفع الضرائب الجمركية<sup>(٢٤٥)</sup>.

وفي مناطق مختلفة من بلاد العرب عشر المنقبون الأثريون على عدد من القطع التي تمثل وحدات وزن من أحجام مختلفة وفئات متنوعة. ففي ظفار مثلاً عُثر في مدينة سمهرم على وحدة وزن معدنية، وزن ٦,٥ أرتال، نُقش عليها اسم إله حضرموت واسم الملك الحضرمي<sup>(٢٤٦)</sup>. وعُثر في قرية الفاو على وحدة وزن مشابهة لهذه القطع، ولكنها وزن أربع كيلوغرامات. كما عُثر فيها على وحدات وزن مشابهة لها، إلا أنها ذات أحجام صغيرة<sup>(٢٤٧)</sup>. وأشار بليونس إلى أن رجال الدين في بلاد العرب كانوا يأخذون عشر المحصول وزناً<sup>(٢٤٨)</sup>.

ووردت في بعض النقوش الأثرية ألفاظ، تدلّ على وجود هذه الأوزان مثل: مكّت، ورضفا وهي تدلّ على تحديد أوزان المعادن كالفضة والنحاس، ورضيم وهي أيضاً استُخدمت لتحديد أوزان المعادن، كما استُخدمت كوحدة وزن<sup>(٢٤٩)</sup>؛ وعسيم وهي وحدة وزن خاصة بالفضة،

(٢٤٣) المصدر نفسه، ص ٢٠٧.

(٢٤٤) المصدر نفسه، ص ٢٠٩.

(٢٤٥) نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٧٦.

(٢٤٦) المرجع نفسه، ص ٢٧٥.

(٢٤٧) الأنصاري: قرية الفاو، ص ٢٨.

Pliny: Natural history, Bk12, P47.

(٢٤٨)

(٢٤٩) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٦٢٣.

A.Jamme: Inscription from Mahram Bilquis, Ja (572/4) P59-60, Ja (608/6)

P106, Ja (609/516) P107.

وكركر، وقتنن وهما وحدتا وزن، وبلطم وهي من العملات التي استُخدمت كوحداث وزن أيضاً<sup>(٢٥٠)</sup>.

وكانت قريش في الجاهلية تزن الفضة بوزن تُسميه درهماً، وتزن الذهب بوزن تُسميه ديناراً، فكل عشرة من أوزان الدراهم سبعة أوزان الدنانير، وكانت لهم الأوقية، والرطل، والنش وهو نصف الوقية، وقد حوّلت الصاد شيئاً، وكانت لهم النواة وهي وزن خمسة دراهم، وقيل النواة نواة التمر<sup>(٢٥١)</sup>.

وعرف العرب قبل الإسلام أيضاً ضرائب التجارة وأنظمتها، وفرضوها على التجار المحليين والتجار الآخرين. فكانت قريش تفرض الضرائب على التجار الأجانب الوافدين إلى مكة، وعلى التجار الصغار العرب غير المرتبطين بتحالف معها<sup>(٢٥٢)</sup>. ومن ذلك ضريبة العشر، فكانوا يعشرون من يدخل مكة من تجار الروم<sup>(٢٥٣)</sup>. وكانت حكومة تدمر تأخذ من التجار الذين يمرّون في أراضيها ضرائب جمركية مُحدّدة<sup>(٢٥٤)</sup>.

وقد شكّلت هذه الضرائب جزءاً هاماً من خزينة الدولة. ونظراً لأهمية هذا الدخل، فقد سنّت الحكومات القوانين التي تُنظّم الأسواق وحركة البيع والشراء، والتي تُنظّم نسب الضرائب والمكوس. وأولت اهتماماً خاصاً بالطرق التجارية، وأقامت عليها مراكز ومحطات جمركية، وقد ذكر بليونس ٦٥ محطة كانت موزّعة على الطريق التجاري الذي يصل الجنوب العربي بشماله<sup>(٢٥٥)</sup>. وكانت هذه الحكومات تُعيّن في الأسواق مراقبين نشطين، وجباة لجمع الضرائب من التجار المارين والمقيمين<sup>(٢٥٦)</sup>. كما كان الملوك يبعثون الرسل في

---

(٢٥٠) بيستون وآخرون: المعجم السبئي، ص ٢١ و ٩٠ و ١٠٦.

Jamme: op.cit, P106-107.

(٢٥١) راجع صفحة ٢٣٨.

(٢٥٢) المسعودي: مروج الذهب...، ج ٢، ص ٥٨.

(٢٥٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٣٩. الأزرقى: أخبار مكة...، ج ١، ص ١٠٧.

(٢٥٤) صالح أحمد العلي: تاريخ العرب القديم...، ص ٦١.

(٢٥٥) Pliny: Natural history, Bk12, P47.

(٢٥٦) نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٧٣ - ٢٧٤.

الأسواق بحثاً عن منازل القبائل، ليحصلوا منهم ما لهم عليهم من ضرائب<sup>(٢٥٧)</sup>.

ولم تكن هذه الضرائب تُدفع نقداً فقط، بل تدفع عيناً أيضاً: ففي الجنوب العربي كانت الضرائب تُؤخذ عينية من محاصيل اللبان قبل أن يتم تصديرها. كما كانت الجالية المعينية في ديدان تدفع لكبيرها صاعاً عن كل حمل حمار من المواد الغذائية. وقَدّمت جماعة من التجار المعينيين الذين كانوا يعيشون في خارج البلاد، عدداً من الإماء إلى معبد الآلهة في العاصمة قرناو<sup>(٢٥٨)</sup>.

وتروي الأخبار أنّ الأتاوة في سوق عُكاظ كانت تدفع عيناً أيضاً. فقبيلة هوازن كانت تُقدّم إلى زهير بن جذيمة العبسي الغطفاني الإتاوة سمناً وغنماً وجبناً. وقبيلة الأزد كانت تدفع إتاوة إلى عبد الله بن جعدة أمتعة وسلعاً<sup>(٢٥٩)</sup>. ويشير بليينوس إلى أنّ هناك ضرائب كانت تُدفع للمعابد وأخرى للملوك، عن طريق إقامة الولائم والمشاريع الدينية أو الحكومية<sup>(٢٦٠)</sup>.

---

(٢٥٧) عرفان محمد حمّور: أسواق العرب، ص ٥٥.

(٢٥٨) نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٧٤.

(٢٥٩) عرفان محمد حمّور: أسواق العرب، ص ١١٤ - ١١٥.

Pliny: Natural history, B12, P47.

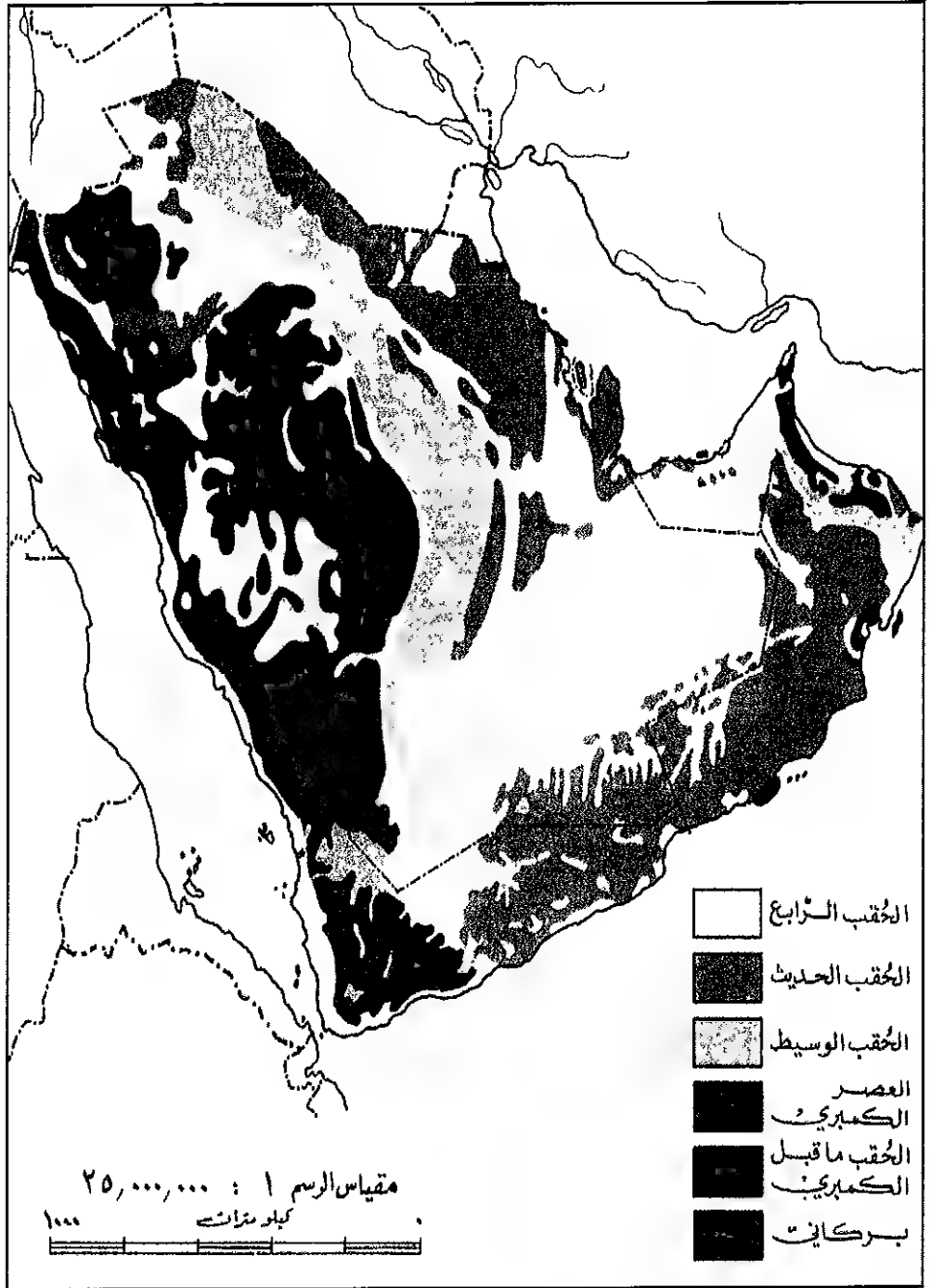
(٢٦٠)

# ملاحق الكتاب





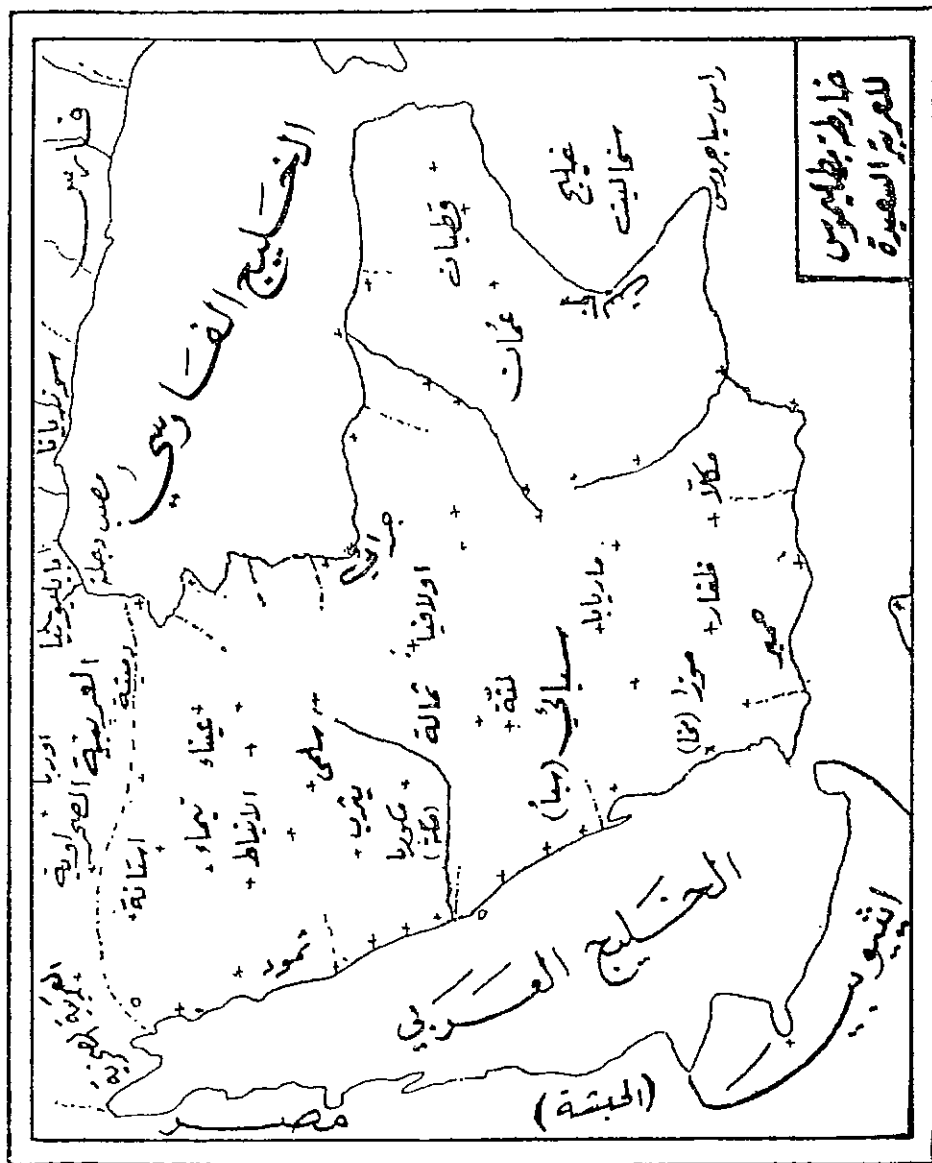




التطور الجيولوجي لتكوين الأراضي في شبه الجزيرة العربية

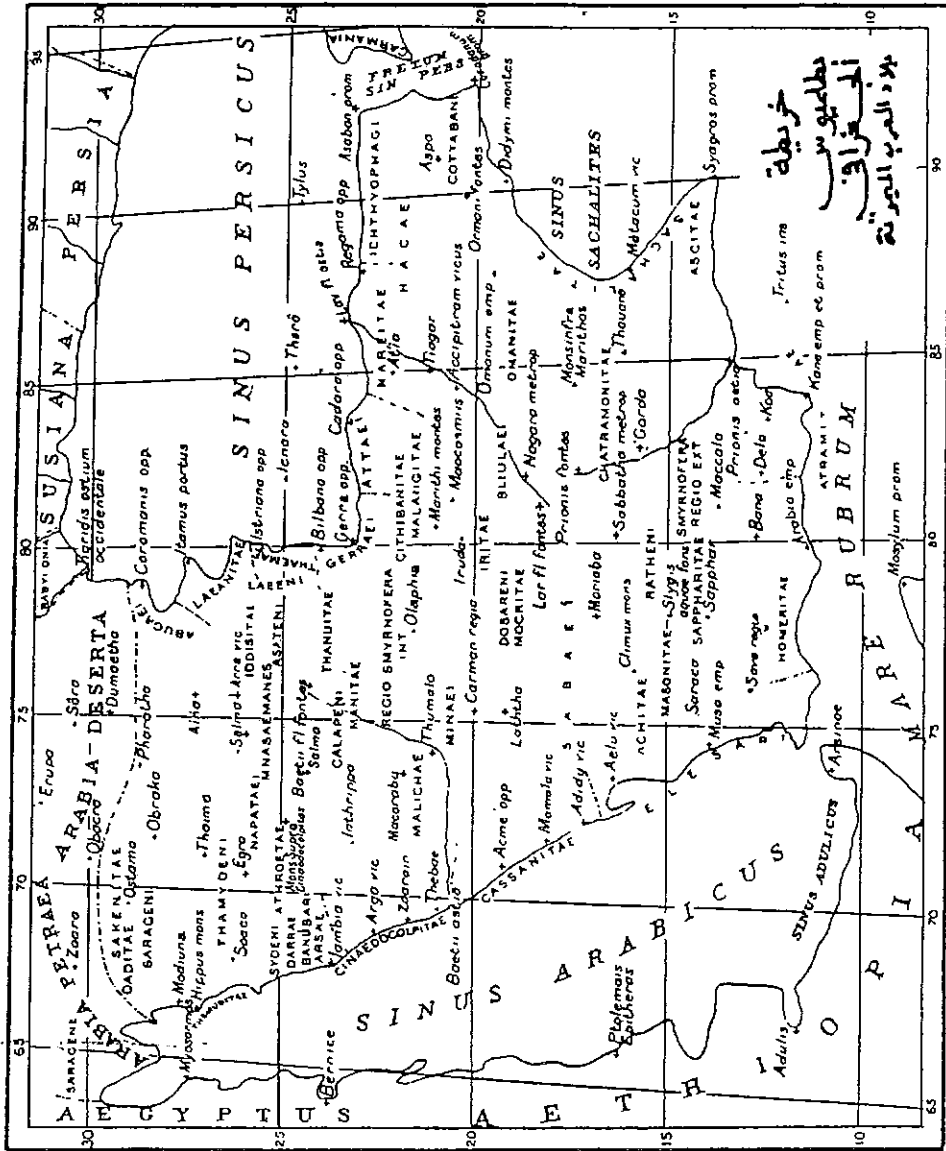
- محمد أحمد الرويثي: الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية، ص ٢٨٠.





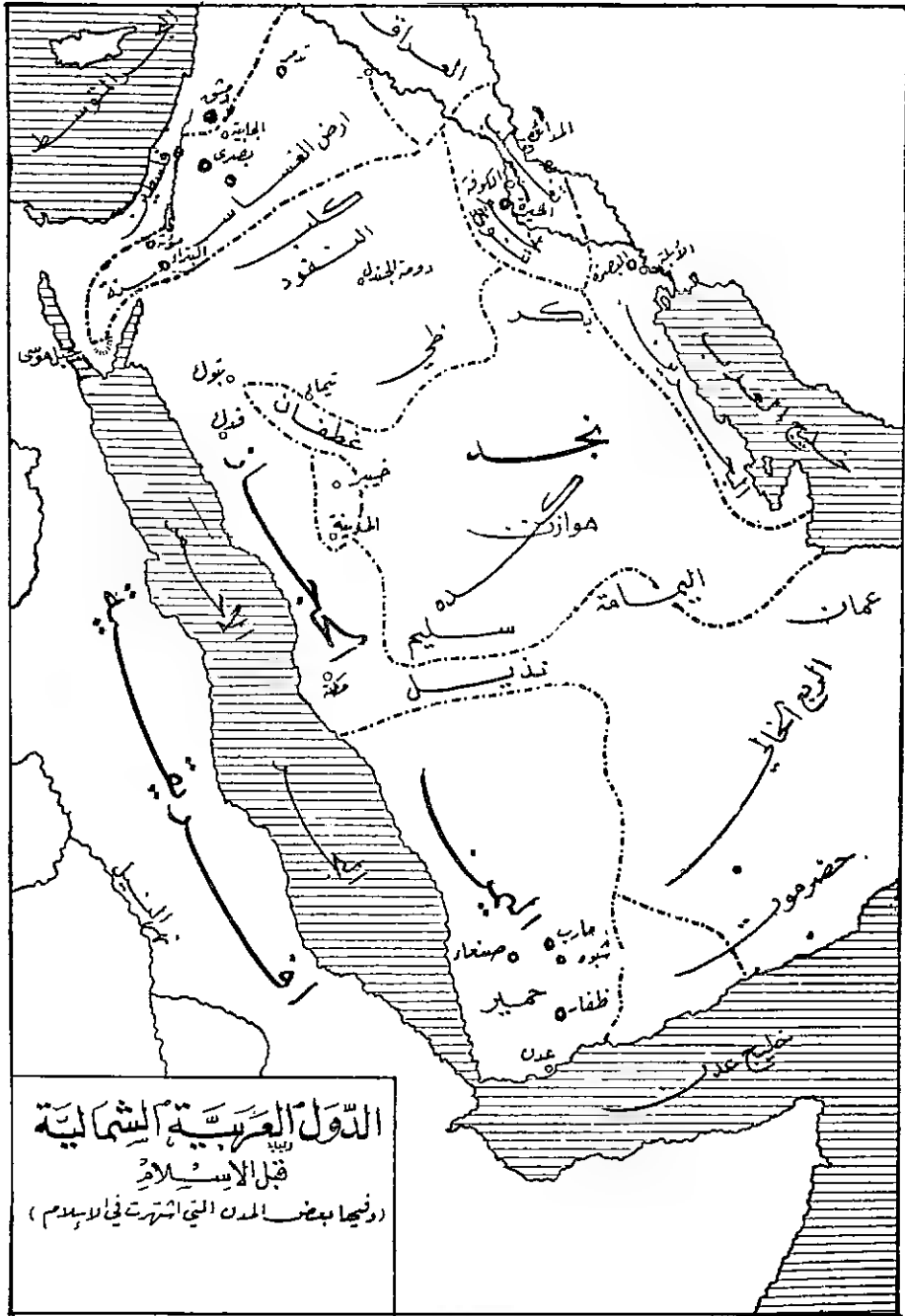
خريطة بطليموس للعربية السعيدة باللغة العربية

- حتي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٨٠.



### خريطة بطليموس للعربية السعيدة باللغة الأجنبية

- لطفي عبد الوهاب يحيى: العرب في العصور القديمة. و. ص ٤٧٦ - ٤٧٧.



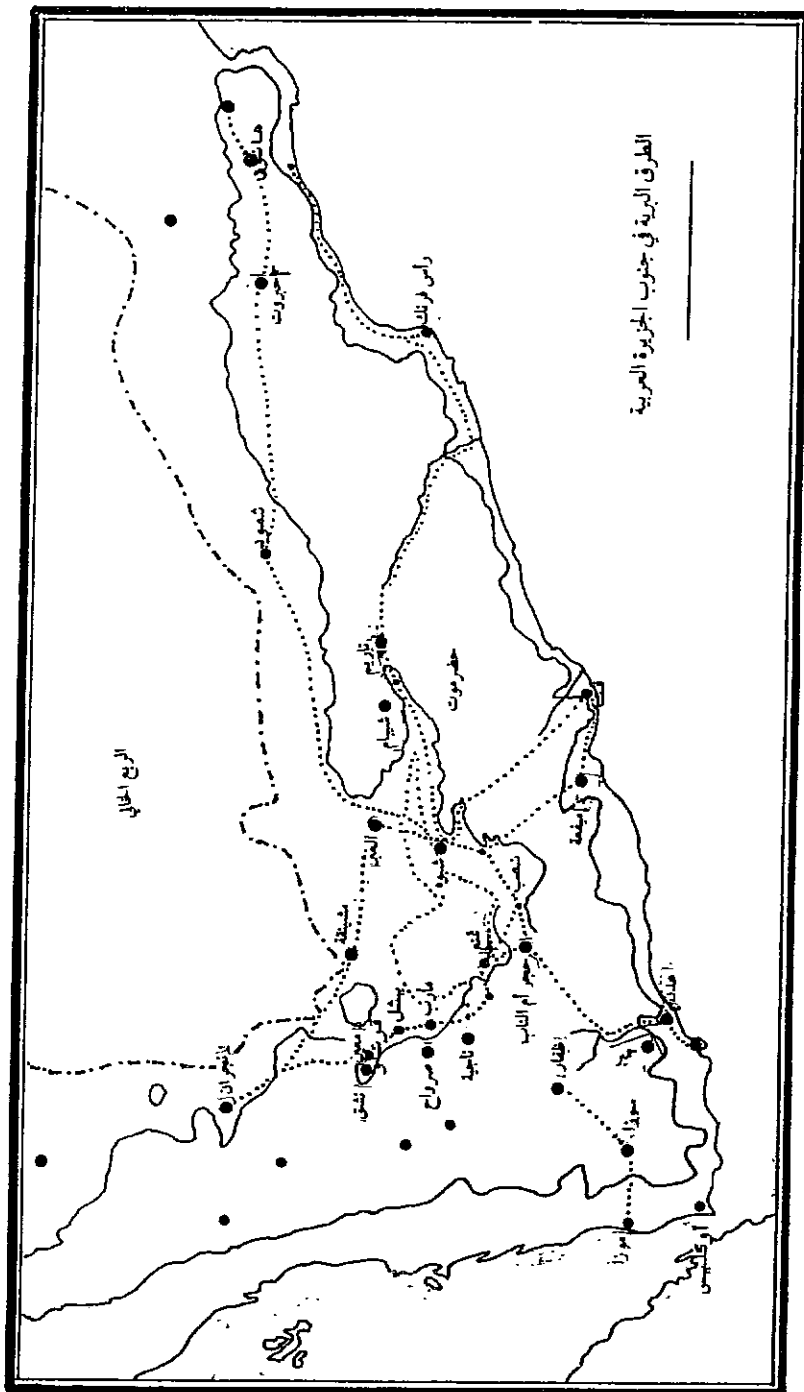
### الدول العربية الشمالية قبل الإسلام

- فيليب حتي وآخران: تاريخ العرب، ص ١٠٦.





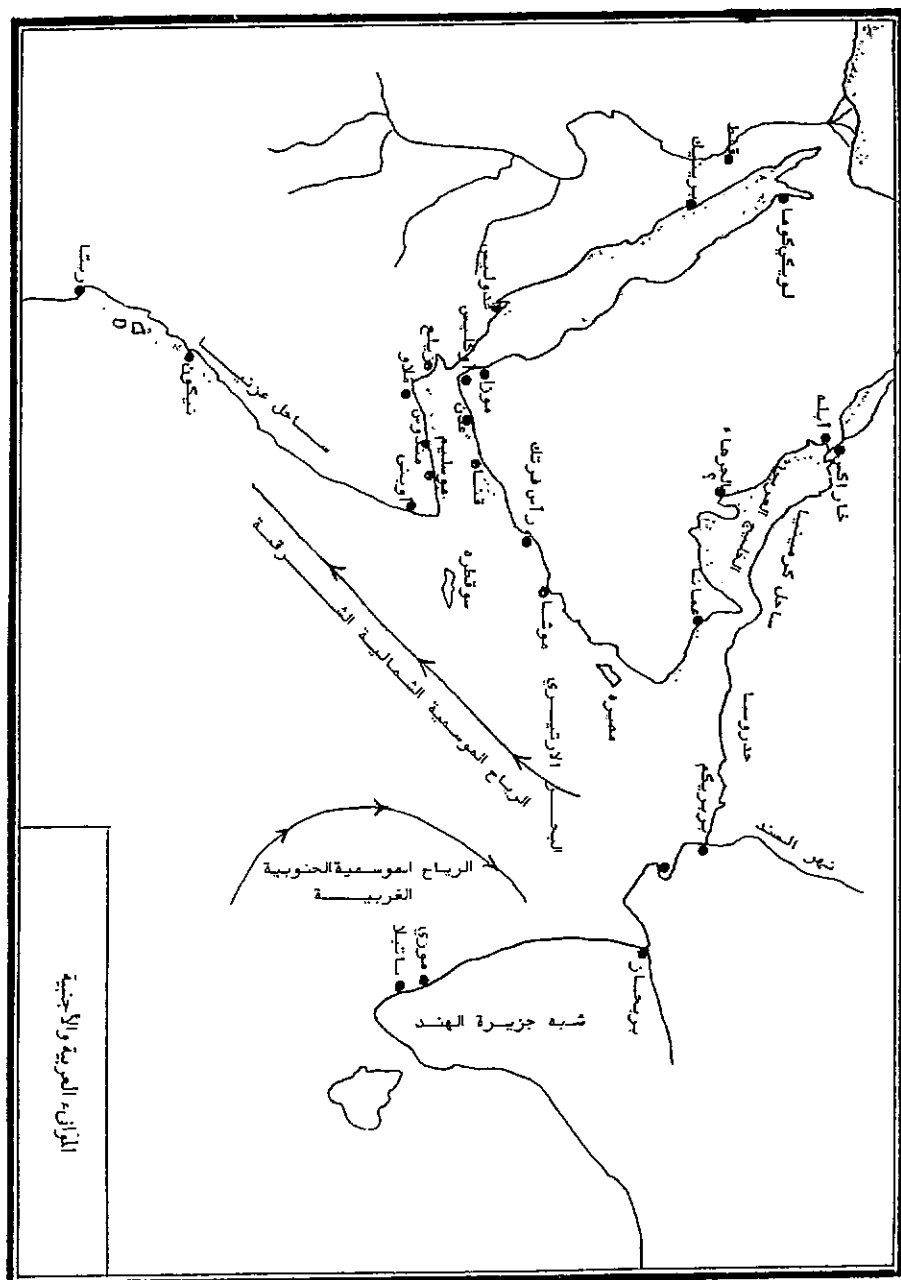
خريطة رقم ( ٢ )



الطرق البرية في جنوب شبه الجزيرة العربية

- نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٣٢٣.

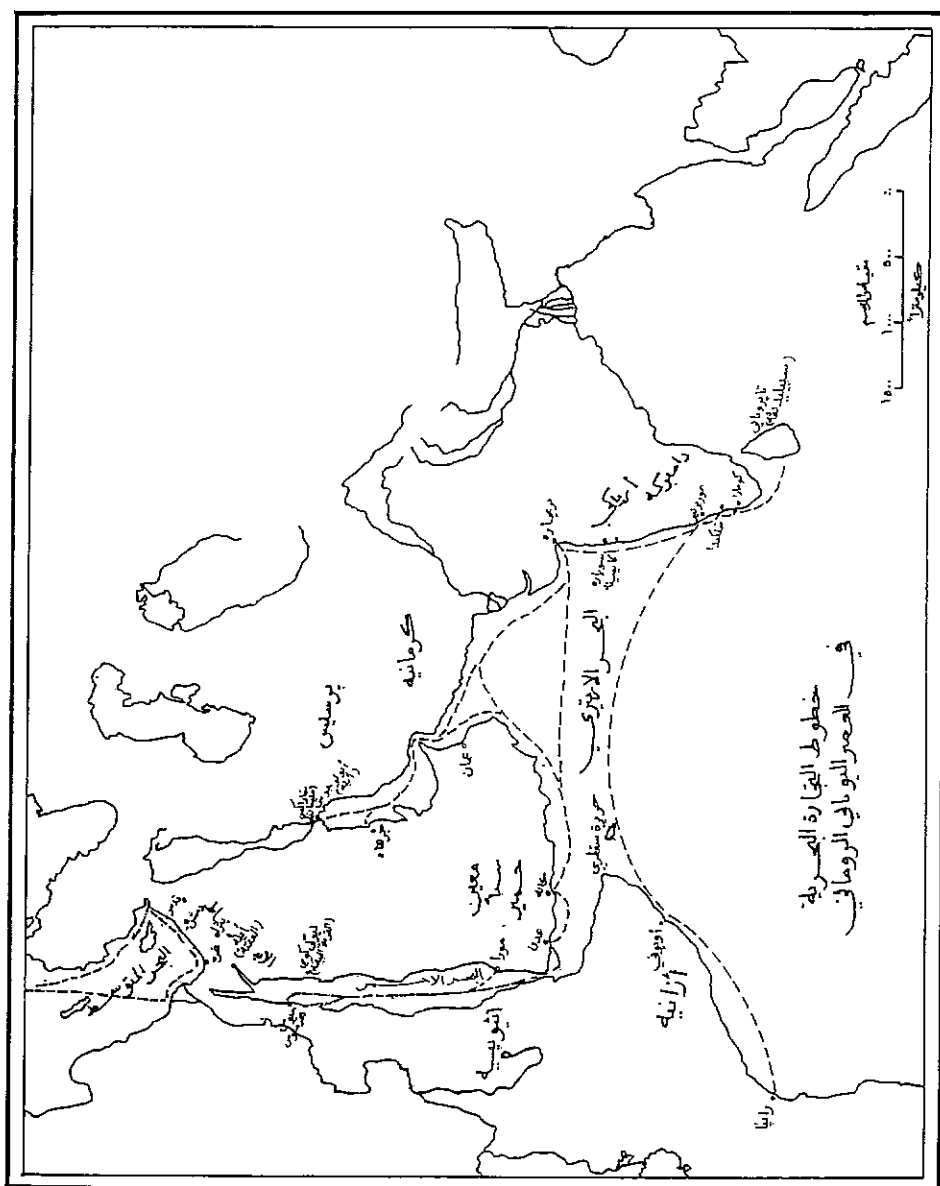




الخريطة رقم (٤٤)

### الموانئ العربية والأجنبية

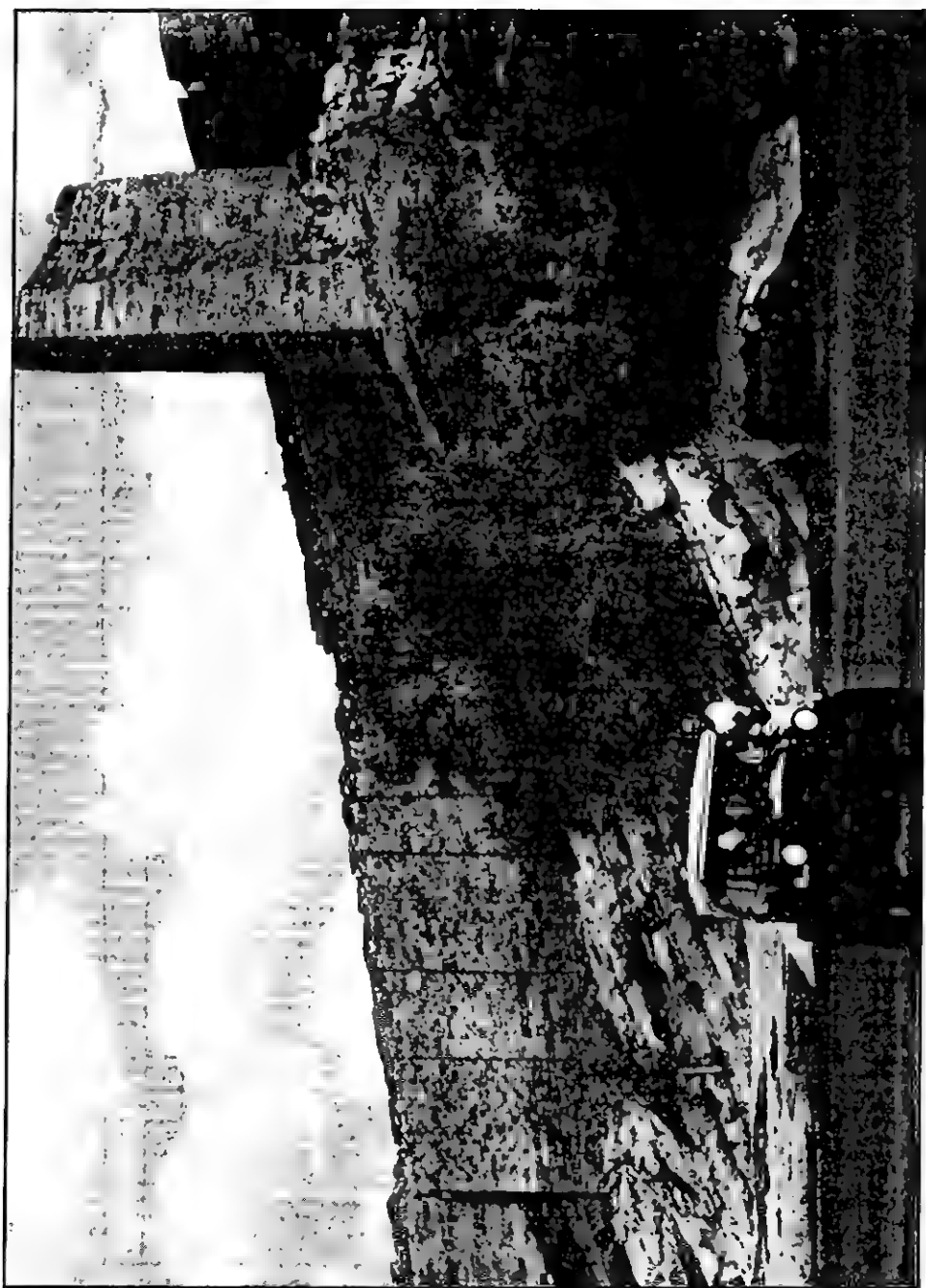
- نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٣٢٥.



### خطوط التجارة البحرية في العصر اليوناني الروماني

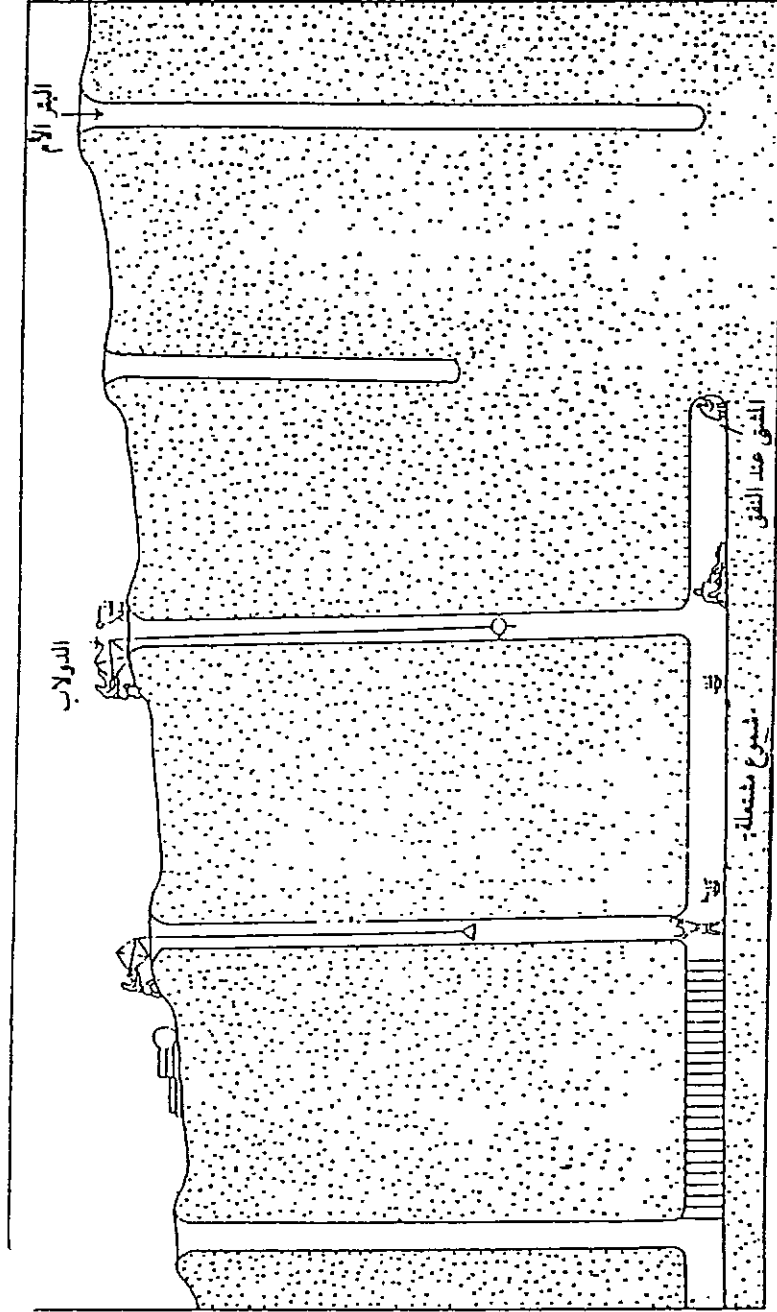
- لطفي عبد الوهاب يحيى: العرب في العصور القديمة...، ص ٤٧٩.





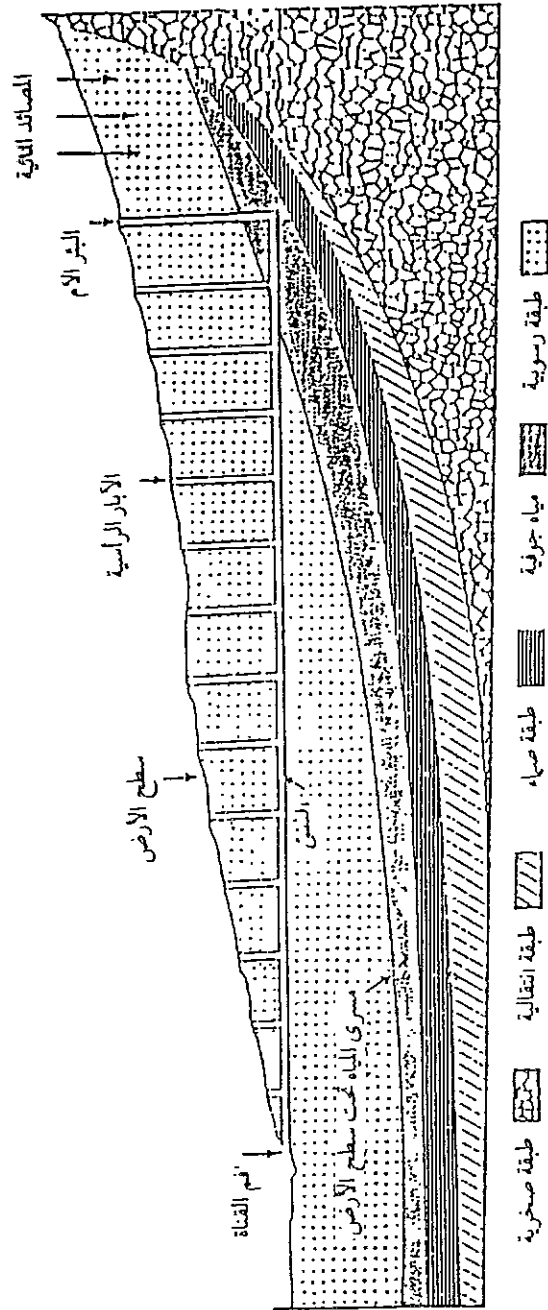
قسم من سد مأرب

- لطفي عبد الوهاب يحيى: العرب في العصور القديمة...، ص ٤٨٨.



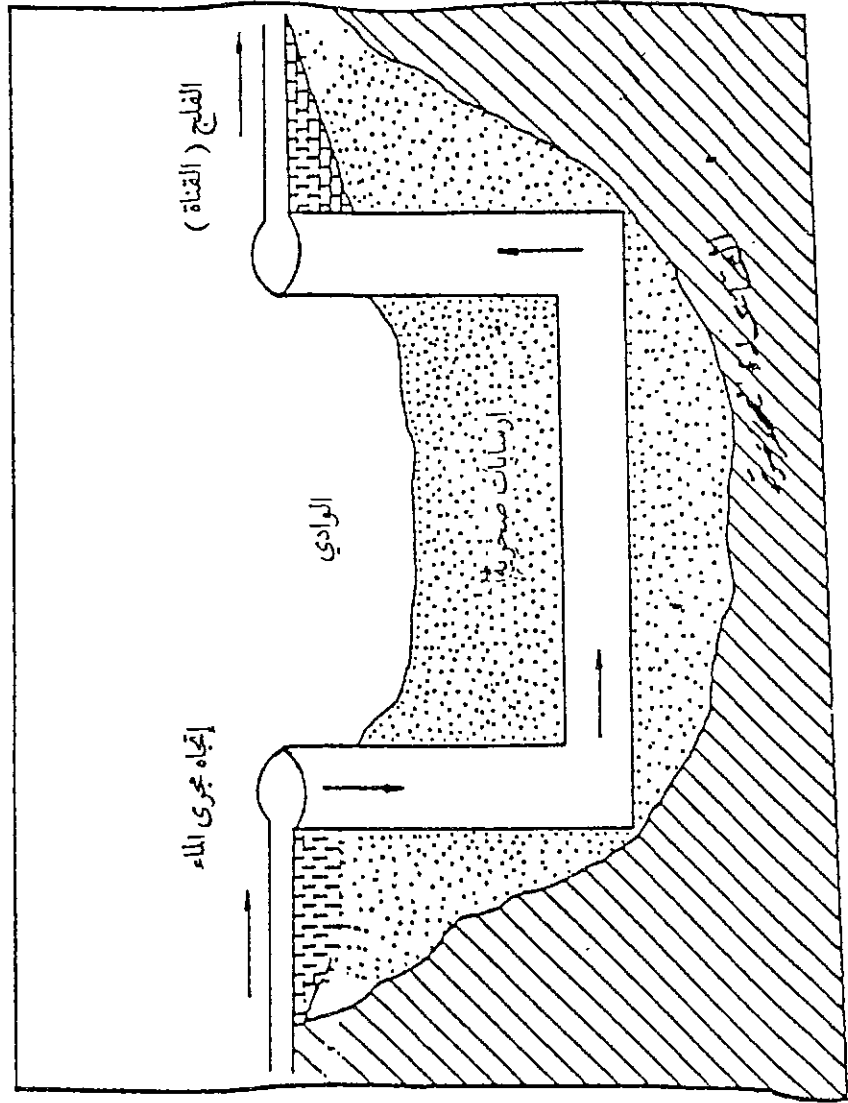
مخطط يوضح طريقة حفر القناة وقد بدأ العمل من نقطة مخرجها إلى سطح الأرض في اتجاه البحر الأم التي سبق حفرها في مكان تتوفر فيه المياه تحت سطح الأرض

- نصيف، عبد الله، القنوات والنظام الزراعي في المدينة، العصور، ص ٢١٠.

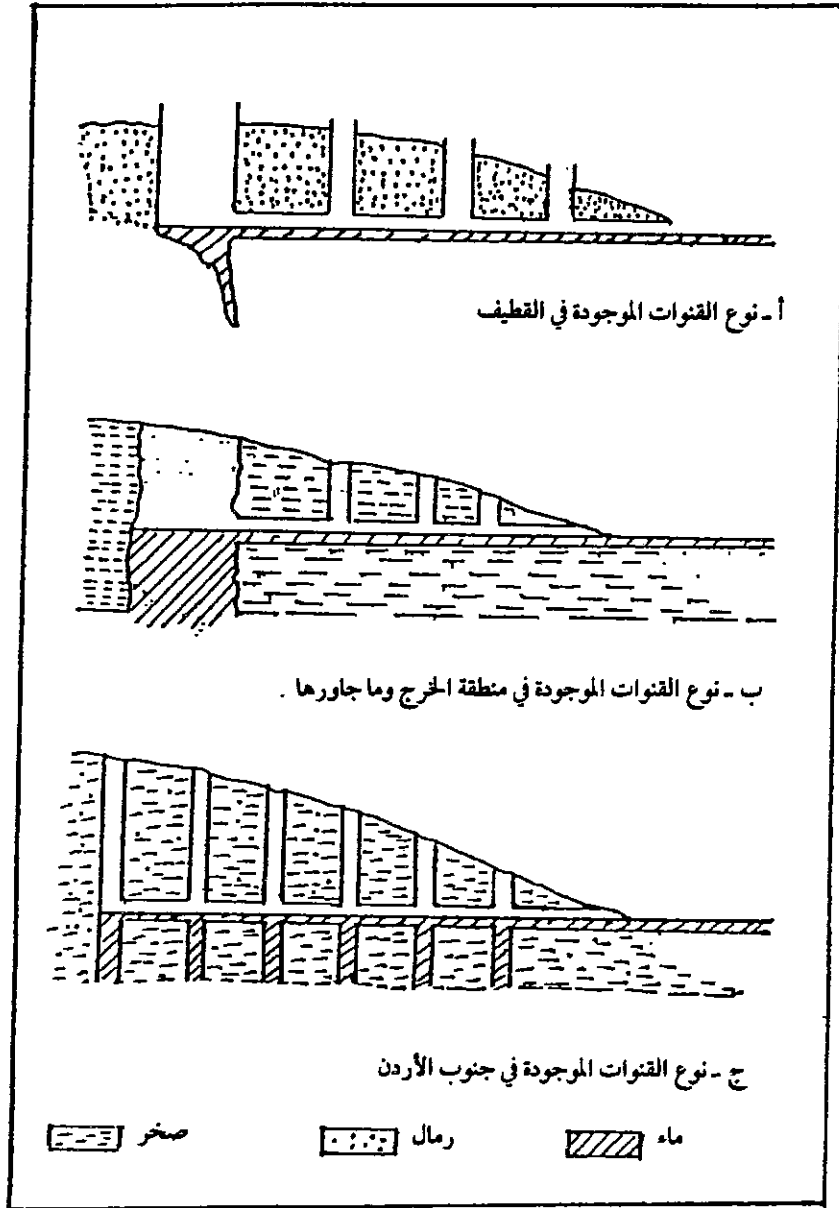


مخطط يوضح كيفية جلب الماء المحفوظ تحت سطح الأرض  
ليجري على وجه الأرض في موقع آخر أقل ارتفاعاً

نصيف، عبد الله، القنوات والنظام الزراعي في المدينة، العصور، ص ٢٠٩.



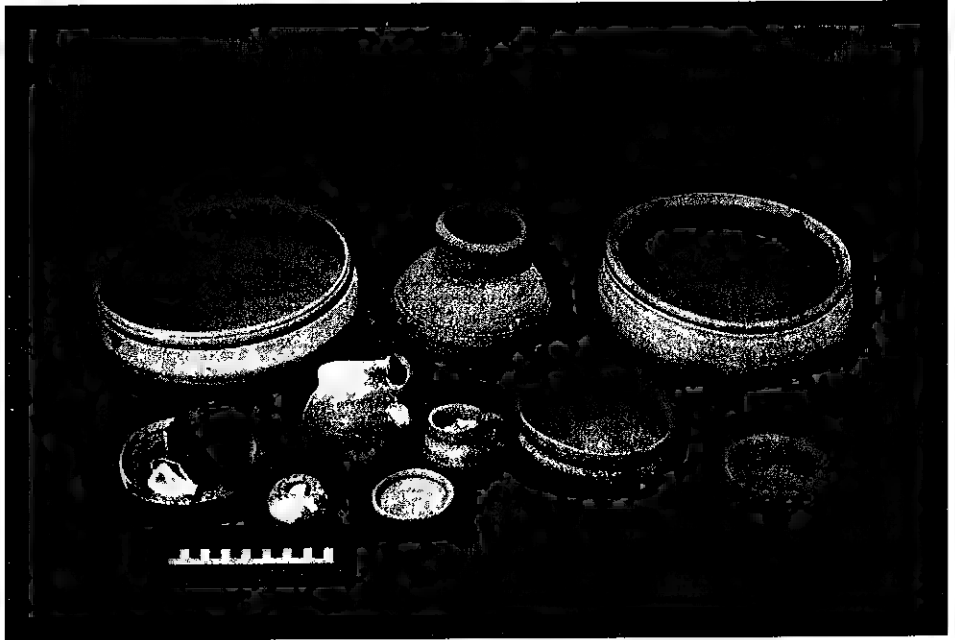
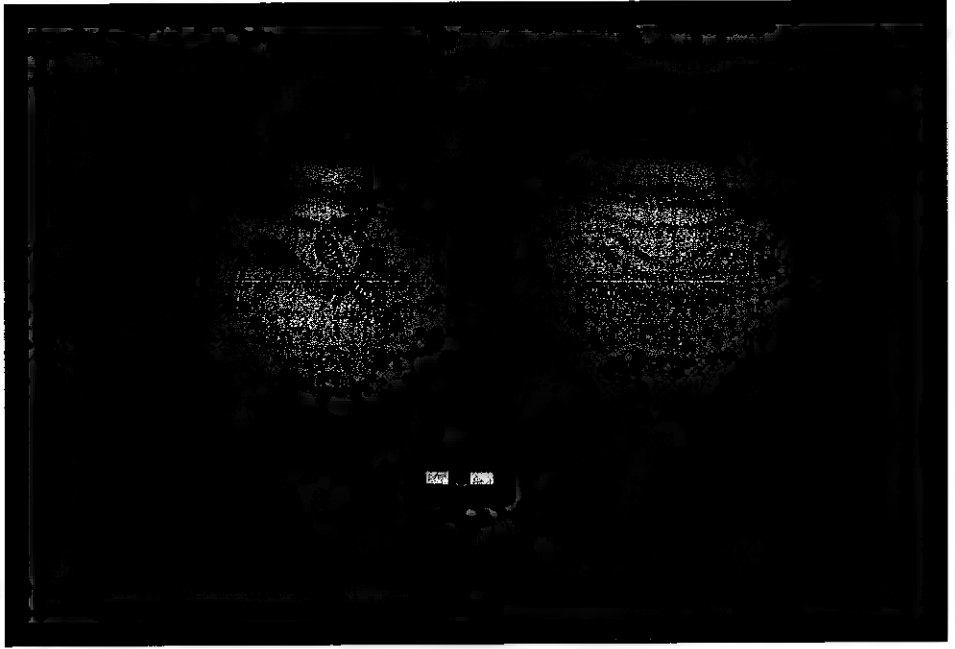
طريقة السيفون لحماية القناة من السيول عند عبورها للوادي  
- نقلاً عن نصيف، عبد الله، القنوات والنظام الزراعي في المدينة، العصور، ص ٢١١.



نماذج من أنواع القنوات

- نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٣٣١.





### أواني فخارية

- مكتب التربية العربي لدول الخليج: الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٣٠ و ١٨٥.



تمائيل فخارية



عملة نبطية

نماذج لعملة عربية قديمة

- لطفي عبد الوهاب يحيى: العرب في العصور القديمة...، ص ٤٦٤.



## المصادر والمراجع

### أولاً: المصادر والمراجع باللغة العربية:

- ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني: الكامل في التاريخ، دار صادر، دار بيروت، بيروت ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.
- ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني: أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الشعب، القاهرة ١٢٨٠هـ.
- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد: رحلة ابن بطوطة، بيروت.
- ابن ثابت، حسان: ديوان حسان بن ثابت، تحقيق الدكتور سيد حنفي حسنين.
- ابن حبيب، أبو جعفر محمد: المحبر باعثناء ايلزه ليختن شتير، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لا تاريخ.
- ابن حبيب، أبو جعفر محمد: المنمق، تحقيق خورشيد فاروق، حيدر آباد ١٣٨٤هـ.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد: جمهرة أنساب العرب، تحقيق ليثي بروثنسال، دار المعارف، مصر ١٩٤٨.
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد النصيبي البغدادي: كتاب صورة الأرض، مطبعة بريل، ليدن ١٩٣٨.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.
- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبد الله: المسالك والممالك، باعثناء دي غوية، مطبعة بريل، ليدن ١٨٨٩.

- أبو درك، حامد: مقدّمة عن آثار تيماء، مطبوعات الإدارة العامّة للآثار والمتاحف الرياض ١٩٨٦.
- ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر: الأعلّاق النفيسة، باعثناء دي غوية، مطبعة بريل، ليدن ١٨٩١.
- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن منيع: الطبقات الكبرى، باعثناء أوجين متوخ، دار صادر، بيروت ١٩٥٧.
- ابن سلام، أبو عبيد القاسم: الأموال، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت تشرين الثاني ١٩٨١.
- ابن سيدة، أبو حسن علي بن إسماعيل: المخصّص، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت لا تاريخ.
- ابن شبة، أبو زيد عمر: تاريخ المدينة المنورة، تحقيق فهم محمد شلتوت، دار التراث، بيروت ١٩٩٠.
- ابن شداد عنترة: ديوان عنترة بن شداد، دار صادر، بيروت ١٩٥٨.
- ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق سعيد العريان، طبعة مصر، القاهرة ١٣٧٠هـ.
- ابن العبد، طرفة: ديوان طرفة بن العبد، تحقيق علي الجندي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٨.
- ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني: كتاب البلدان، تحقيق يوسف الهادي، دار عالم الكتاب، بيروت ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم: كتاب الأنواء، حيدر آباد الدكن ١٩٥٦.
- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم: كتاب المعارف، تحقيق ثروة عكاشة، دار الكتب بمصر، القاهرة ١٩٦٠.
- ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس، الطبعة الثامنة، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل: قصص الأنبياء، تحقيق لجنة من العلماء، طبعة ثامنة، دار القلم، بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل: البداية والنهاية، دار مكتبة المعارف، بيروت ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- ابن الكلبي: هشام بن محمد بن السائب: كتاب الأصنام، تحقيق أحمد زكي، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٤.
- ابن ماسوية، يحيى: كتاب الجواهر وصفاتها، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٧.
- ابن المجاور، أبو الفتح جمال الدين بن يعقوب: صفة بلاد اليمن ومكة والحجاز، المسماة بتاريخ المستبصر، اعتنى بطبعه أوسكر لونجرين، مطبعة بريل، ليدن ١٩٥١.
- ابن منبّه، وهب: كتاب التيجان في ملوك حَمِير حيدر آباد - الدكن، الهند ١٣٤٧هـ.
- ابن منظور، جمال الدين بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لا تاريخ.
- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، المطبعة الأولى والثانية، ١٩٣٦، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م.
- ابن الوردي، عروة: ديوان عروة بن الورد، شرح ابن السكيت، تحقيق عبد المعين ملوحي، دمشق ١٩٦٦.
- أبو العلاء، محمود طه: جغرافية شبه الجزيرة العربية، نشر مؤسسة سجل العرب، القاهرة ١٩٧٢، ونشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٧.
- أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن محمود: تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس ١٨٤٠م.
- الأرياني، مطهر: في تاريخ اليمن، شرح وتعليق علي نقوش، طباعة مصر، القاهرة ١٩٧٣.
- الأزرق، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، بيروت ١٩٦٤.
- الأصبهاني، أبو الفرج: الأغاني، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، لا تاريخ.
- الأصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي: كتاب المسالك والممالك، طبعة بريل، ليدن ١٩٢٧، وطبعة مصر، القاهرة ١٩٦١.

- الأصفهاني، حمزة بن الحسن: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، دار مكتبة الحياة، بيروت، لا تاريخ.
- الأصفهاني، الحسن بن عبد الله: بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر وصالح العالي، دار اليمامة، الرياض ١٣٨٨هـ.
- الأصمعي، أبو سعيد بن عبد الملك بن قريب: كتاب النبات، تحقيق عبد الله بن يوسف الغنيم، مطبعة المدني، القاهرة ١٩٧٢.
- الأعشى الكبير، ميمون بن قيس: ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق الدكتور محمد حسين، المطبعة النموذجية، مصر ١٩٥٠.
- الأفريقي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل الطرابلسي المغربي: الأزمنة والأنواء، تحقيق الدكتور غزة حسن، دمشق ١٩٦٤.
- الأفغاني، سعيد: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م.
- الأكوع، محمد علي: اليمن الخضراء، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٧١.
- الألوسي، محمود شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، باعتناء محمد بهجت الأثري، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٢٤م / ١٣٤٢هـ.
- الأنصاري، عبد الرحمن الطيب: قرية الفاو، صورة للحضارة العربية قبل الإسلام، جامعة الرياض، الرياض ١٩٨٢.
- الأنصاري، عبد الرحمن الطيب: أضواء جديدة على دولة كندة من خلال آثار قرية الفاو، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، مطابع الجامعة، الرياض ١٩٧٩.
- الأنصاري، عبد الرحمن الطيب وأحمد حسن غزال وجيفري كننج: مواقع أثرية وصور من حضارة العرب، قسم الآثار والمتاحف بكلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٤هـ.
- باقر، طه: علاقات بلاد الرافدين بجزيرة العرب، سومر ١٩٤٩.
- البستاني، المعلم بطرس: دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت، لا تاريخ.
- البكري، عبد الله بن عبد العزيز: معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٤٧.
- البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر: أنساب الأشراف، تحقيق حميد الله، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٥٩.

- البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر: فتوح البلدان باعثناء دي غوية، مطبعة بريل، ليدن ١٨٦٦، وطبعة بيروت، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨.
- بليانيف، أ.ي.: العرب والإسلام والخلافة العربية في القرون الوسطى، ترجمة أنيس فريحة، الدار المتحدة للنشر، بيروت ١٩٧٣.
- البني، عدنان: تدمير والتدميون، نشر وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧٨.
- بيرين، جاكليين: اكتشاف جزيرة العرب، ترجمة قدري قلعجي، بيروت ١٩٦٣.
- بيستون، أ.ف. وآخرون: المعجم السبئي، منشورات جامعة صنعاء، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٢.
- بيهم، محمد جميل: دراسة وتحليل للعهد العربي الأصيل، بيروت ١٩٧٤.
- توفيق، محمد: آثار معين في جوف اليمن، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٥١.
- توينبي، أرنولد: تاريخ البشرية، ترجمة الدكتور نقولا زيادة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨١.
- الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر: التبصّر بالتجارة، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، دار الكتاب، دمشق لا تاريخ.
- الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر: كتاب الحيوان، مطبعة البابي بمصر، القاهرة، لا تاريخ.
- الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر: البيان والتبيين، الطبعة الرابعة، مكتبة الخانجي بمصر، القاهرة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر: رسائل الجاحظ، جمع السندوبي، المطبعة الرحمانية بمصر، القاهرة ١٩٣٣.
- الجاسر، حمد: في شمال غرب الجزيرة العربية، دار اليمامة، الرياض ١٩٧٠.
- الجاسر، حمد: بلاد ينبع، دار اليمامة، الرياض، لا تاريخ.
- الجاسر، حمد: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، المنطقة الشرقية، دار اليمامة، الرياض ١٩٧٩.
- الجاسر، حمد: مدينة الرياض، دار اليمامة، الرياض ١٣٨٦هـ.



- الجاسر، حمد: أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع، دار اليمامة، الرياض ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.
- الجاسر، حمد: في سراة غامد وزهران، دار اليمامة، الرياض ١٩٧٧.
- الجلالين: تفسير القرآن الكريم، دار مكتبة الملاح، دمشق، ودار المعرفة، بيروت لا تاريخ.
- الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد: كتاب المعزب، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، طبعة مصر، القاهرة ١٩٦٩.
- حتى، فيليب وأدورد جرجي وجبرائيل جبور: تاريخ العرب، الطبعة الخامسة، دار غندور، بيروت ١٩٧٤.
- الحربي، إبراهيم بن إسحاق: كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الحج، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض ١٣٨٩هـ.
- حسن، إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الطبعة السابعة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٤.
- حمزة، فؤاد: قلب جزيرة العرب، الرياض ١٩٦٨.
- حمور، عرفان محمد: أسواق العرب، الطبعة الثانية، دار الشورى، بيروت ١٩٨١.
- الحوي، ياقوت: معجم البلدان، دار صادر ودار بيروت، بيروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- حوراني، فضل: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٨.
- دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية: محمد ثابت الفندي، أحمد السنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس.
- دراز، عمر عبد الحميد: المراعي ووسائل تحسينها في المملكة العربية السعودية، مطابع الرياض، الرياض ١٣٨٥هـ.
- الدمياطي، محمود مصطفى: معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزبيدي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٥.
- ديسو، رينيه: العرب في سورية قبل الإسلام ترجمة عبد الحميد الدواخلي، طبعة مصر، القاهرة ١٩٥٩.

- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود: كتاب النبات، باعتناء محمد خير الله، نشر المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٧٣، وطبعة بريل، ليدن ١٩٥٢.
- ديورانت، ول: قصّة الحضارة: الجزء الثاني: الشرق الأدنى، ترجمة محمد بدران، الطبعة الثالثة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٥.
- الرازي، الفخر: التفسير الكبير، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، طهران، لا تاريخ.
- الرشيد، ناصر بن الرشيد: سوق عكاظ، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م (لم يذكر دار النشر ولا مكان الطباعة في هذا الكتاب).
- رضا، فؤاد علي: أم القرى: مكّة المكرّمة، دار المعارف، بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- الرويثي، محمد أحمد: الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة، دار الواحة العربية، المدينة المنورة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
- رياض، محمد: الإنسان، دراسة في النوع والحضارة، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٢.
- الزبيدي، محب الدين أبي الفيض محمد بن مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، مصر ١٣٠٦هـ.
- الزبيدي، محب الدين أبي الفيض محمد بن مرتضى الحسيني: شرح القاموس، المطبعة الخيرية، مصر ١٣٠٦هـ.
- زلوم، عبد القديم: الأموال في دولة الخلافة، دار العلم للملايين، بيروت، نيسان ١٩٨٣.
- زياد، نقولا: دليل البحر الأرتيري وتجارة الجزيرة العربية، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٤هـ.
- زيدان، جرجي: العرب قبل الإسلام، دار مكتبة الحياة، بيروت، لا تاريخ.
- زيدان، جرجي: تاريخ التمدن الإسلامي، دار مكتبة الحياة، بيروت، لا تاريخ.
- سالم، عبد العزيز: تاريخ العرب في العصر الجاهلي، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٩.
- سالم، عبد العزيز: تاريخ الدولة العربية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٦.

- السفير، صحيفة لبنانية يومية.
- السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين: شرح أشعار الهذليين، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الطبعة المصرية، القاهرة ١٩٦٥.
- سلطان، غانم: الملاحة البحرية وأهميتها للكويت قديماً وحديثاً، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت ١٩٨٨.
- السلمي، عرام بن الأصبع: كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة أمين عبد الرحمن، القاهرة ١٣٧٣هـ.
- السمهودي، جمال الدين أبي المحاسن عبد الله شهاب الدين: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، مطبعة الآداب والمؤيد، القاهرة ١٣٢٦هـ.
- سوسة، أحمد: حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، بغداد، لا تاريخ.
- شاكر، محمود: شبه جزيرة العرب - عسير، المكتب الإسلامي، دمشق ١٩٧٦.
- شرف الدين، أحمد حسين: اللغة العربية قبل الإسلام، طبعة ثانية، مطابع الفرزدق، الرياض ١٩٨٥.
- شرف الدين، أحمد حسين: تاريخ اليمن الثقافي، مطبعة الكيلاني الصغير، القاهرة ١٩٦٧.
- الشريف، إبراهيم: مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٥.
- شهاب، حسن صالح: أضواء على تاريخ اليمن البحري، الطبعة الثانية، دار العودة، بيروت ١٩٨١.
- شهاب، حسن صالح: فن الملاحة عند العرب، دار العودة، بيروت ١٩٨٢.
- صحيح البخاري بشرح الكرمانلي، المطبعة البهية المصرية، القاهرة ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٦٢.
- ظاظا، حسن: الساميون ولغاتهم، طبعة مصر، القاهرة ١٩٧١.
- عاقل، نبيه: تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، الطبعة الثالثة، دار الفكر، بيروت ١٩٧٥.

- عبد العلیم، مصطفى کمال: هیرو دوت یتحدّث عن العرب وبلادهم - العصور، دار المریخ، لندن، الریاض ١٩٨٧.
- عبد النعیم، محمد: آثار ما قبل التاریخ وفجره فی المملكة العربیة السعودیة، ترجمة عبد الرحیم محمد خبیر، مؤسسة جریسی للتوزیع والإعلان، الریاض ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- عزّام، عبد الوهاب: مهد العرب، طبعة مصر، القاهرة ١٩٤٦.
- علی، جواد: المفصّل فی تاریخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الثانیة، دار العلم للملایین، بیروت.
- علی، جواد: مصطلحات الزراعة والرّی فی کتابات المسند مجلّة المجمع العلمی العراقی، المعهد العلمی العراقی، بغداد، م٣٦، ج٢، سنة ١٤٠٥هـ.
- العلی، صالح أحمد: تاریخ العرب القدیم والبعثة النبویة، شركة المطبوعات للتوزیع والنشر، بیروت ٢٠٠٠.
- العقیلی، محمد بن أحمد عیسی: تاریخ المخلاف السلیمانی، مطابع الریاض، الریاض ١٣٧٨هـ.
- عنان، زید بن علی: تاریخ حضارة الیمن القدیم، المطبعة السلفیة، القاهرة ١٢٩٦هـ.
- العینی، بدر الدین أبی محمد محمود بن أحمد: عمدة القاریء فی شرح صحیح البخاری: إستانبول ١٣٠٨هـ.
- الغنیم، عبد الله یوسف: جزیرة العرب فی کتاب المسالك والممالك لأبی عبد الله البکری، دار ذات السلاسل، الکویت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.
- فاروق، أحمد: دباغة الجلود وتجارته عند العرب فی مستهل الإسلام، دار الیمامة، الریاض ١٣٩٦هـ.
- فروخ، عمر: تاریخ الجاهلیة، الطبعة الثانیة، دار العلم للملایین، بیروت ١٩٨٤.
- الفیروز آبادی، أبو طاهر محمد بن یعقوب: القاموس المحیط، طبعة مصر، القاهرة ١٩٥٢.
- فیلیس، ویندل: کنوز مدینة بلقیس، ترجمة عمر الدیراوی، بیروت ١٩٦١.
- القرآن الکریم.

- القزويني، زكريا بن محمد: آثار البلاد وأخبار العباد، طبعة فردينان وستنفيلد، لندن ١٨٤٨ (نسخة محفوظة بمكتبة الجامعة الأميركية في بيروت).
- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ١٩١٣.
- القيسي، نوري: الطبيعة في الشعر الجاهلي، دار الإرشاد، بيروت ١٩٧٠.
- الكتّاني، الشيخ عبد الحي: نظام الحكومة النبوية المسمّى التراتيب الإدارية، دار الكتاب العربي، بيروت، لا تاريخ.
- الكرخي، محمد بن الحسن الحاسب: أنباط المياه الخفية، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ١٣٥٩هـ.
- لانكستر، هاردنغ: آثار الأردن، ترجمة سليمان موسى، عمان ١٩٧١.
- لوريمر، ج.ج.: دليل الخليج العربي - القسم الجغرافي، مطبعة علي بن علي، الدوحة، لا تاريخ.
- متولي، محمد ومحمود طه أبو العلاء: جغرافية الخليج العربي، الطبعة الثانية، مكتبة الفلاح، الكويت ١٩٨٥.
- متولي، محمد ومحمود طه أبو العلاء: جغرافية شبه الجزيرة، جغرافية اليمن الشمالي، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٨.
- المزيني، أحمد: الزكاة والضرائب في الكويت قديماً وحديثاً، دار ذات السلاسل، الكويت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة رابعة، مطبعة السعادة بمصر، القاهرة، صفر ١٣٨٤هـ، حزيران ١٩٦٤.
- مصطفى، عمر ذيب: جزيرة فيلكا، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت ١٩٨٨.
- المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله بن أحمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، لندن، ١٩٠٦.
- معطي، علي: النقود العربية الإسلامية، مجلة الدراسات الإسلامية، المعهد العالي للدراسات الإسلامية، جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، الموسم الثقافي ١٤١٥ - ١٤١٧هـ / ١٩٩٥ - ١٩٩٧م.

- المقريري، تقي الدين أحمد بن علي: أمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق محمود محمد شاكر، طبعة مصر، القاهرة ١٩٤١.
- المقريري، تقي أحمد بن علي: النقود الإسلامية، المسمى «شذور العقود في ذكر النقود» تحقيق السيد محمد بحر العلوم، دار الزهراء، الطبعة السادسة، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- المقحفى، إبراهيم أحمد: معجم المدن والقبائل اليمنية، منشورات دار الحكمة، صنعاء ١٩٨٥.
- مكتب التربية العربي لدول الخليج: الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، الرياض ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- المنجد في اللغة والأعلام، دار الشروق، الطبعة الثلاثون، بيروت ١٩٨٨.
- موسل، لويس: شمال الحجاز، ترجمة الدكتور عبد المحسن الحسيني، طبعة مصر، الإسكندرية ١٩٥٢.
- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري: مجمع الأمثال، طبعة مصر، القاهرة ١٣٥٢هـ.
- الناضوري، رشيد سالم: دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٤هـ.
- نامي، يحيى خليل: نقوش خربة معين (مجموعة محمد توفيق)، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٥٢.
- نصيف، عبد الله آدم: القنوات والنظام الزراعي في المدينة المنورة - العصور، دار المريخ، لندن، الرياض ١٩٨٦.
- النعيم، نورة عبد الله العلي: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي، دار الشواف، الرياض ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- هارون، عبد السلام: تهذيب سيرة ابن هشام، دار سعيد، مصر ١٩٥٥.
- هاردنغ، لانكستر: آثار الأردن، تعريب سليمان موسى، المطبعة الوطنية، عمان ١٩٧١.

- الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد: صفة جزيرة العرب، مطبعة بريل، ليدن ١٨٨٤.
- الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد: الإكليل، تحقيق محمد بن علي الحسن الأكو، مكتبة الكاتب العربي، دمشق ١٩٧٩.
- الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد: كتاب الجوهريتين العتيقتين المائعتين: الصفراء والبيضاء، تحقيق كريستر نرتول، الطبعة الثانية، وزارة الإعلام والثقافة اليمنية، صنعاء ١٩٨٥.
- الهمداني، أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن ١٨٨٤.
- الواقدي، محمد بن عامر بن واقد: المغازي، تحقيق مارسدن جونز، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، رمضان، ١٤١٤هـ.
- وجدي، محمد فريد: دائرة معارف القرن العشرين، الطبعة الثالثة، دار المعرفة، بيروت ١٩٧١.
- وزارة الإعلام والثقافة العُمانية: تاريخ عُمان البحري، مسقط ١٩٧٩.
- وهبة، حافظ: جزيرة العرب في القرن العشرين، القاهرة ١٩٦٧.
- يحيى، لطفي عبد الوهاب: العرب في العصور القديمة، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام، طبعة ثانية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٩.
- اليسوعي، لويس شيخو: مختارات من مجاني الأدب في حداث العرب، الجزء الأول: العصر الجاهلي، تبويب وشرح وتحقيق فؤاد أفرام البستاني، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٦٠.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب: كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن ١٨٩١.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب: تاريخ اليعقوبي، مطبعة بريل، ليدن ١٨٩١.

## ثانياً: المصادر والمراجع باللغات الأجنبية:

- Abdulfattah, Kamal: Mountain farmer and Fellah in Asir, South west Saudi Arabia, Erlanger Geographische Arbeiten, Erlangen, 1981.
- Albright, Frank, P.: Catalogue of objects forend in Marib, Johns Hopkins press, Baltimore, 1958.
- Alster, Bendt: Dilmun Bahrain and the Alleged Paradise in Sumerian Myth and literature in Dilmun, New studies in the archaeology and early history of Bahrain, ed by, P.Potts Berlin, Dietrich Reimer ver-lage, 1983.

- Beeston, A.F.I: Hadramount in encyclopidia of Islam, J. Brill, Leiden 1971.
- Beeston, A.F.I. The Labakh texts, Qahtan studies in old South Arabian epigraphy, Lurzac & Co. London 1971.
- Beeston, A.F.I: Warfare in ancient South Arabia, Qahtan studies in Old South Arabian epigraphy, Luzac & Co., London 1976.
- Beeston, A.F.I: The Ta'lab Lord of Pastrures texts, Bulletin of the School of Oriental and African studies, London 1955.
- Beeston, A.F.I.: Somme features of social structure in Saba, Studies in the history of Arabia, Riyadh University press, Riyadh 1984.
- Berthoud, T. and Cleazion, S.: Farming Community of the Oman Penninsula, the Ministry of information and Culture, Journal of Oman studies, Vol.6, Part 2, Oman 1983.
- Bibby, Geoffrey: Looking for Dilmun, Penquin Book, 4th. edition, Middlesex Englan 1984.
- Bowen, Le Baron Richard: Irrigation in Ancient Qataban, Johns Hopkins Press, Baltimore 1958.
- Bowen, Le Baron Richard: Archaeological survey of Beihan- Archaeological discoveries in South Arabia, Johns Hopkins Press, Baltimore 1958.
- Bowen, Le Baron Richard: Ancient trade routes, Johns Hopkins Press, Baltimore 1958.
- Bowersock, G.: Roman Arabia, Harvard University Press, Cambridge Mass 1983.
- Browning, Iman: Palmyra, Chatto and Windows, London 1974.
- Brown, William R.: The horse of the Desert, New york 1929.
- Caton, thompson: The tombs and moon temple of Hureida Hadramaut, the society of antiquarian, Oxford, London 1944.
- Cleveland, Ray: An ancient South Arabian Necropolis, the Johns Hopkins Prss, Baltimore 1965.
- Costa, P.: Notes on the traditional hydraulics and agriculture in Oman, World archaeology, London 1983.
- Cressy, George: Qanats, Karez and Foggaras, Geographical Review, American Geographical Society, New York 1958.
- Crone, Patricia: Meccean trade and the Rise of Islam, Basil Block Well, Oxford 1978.
- Dayton, John: The Problem of climatic change in the Arabian Peninsula, the institute of archaeology, London 1975.



- Dayton, J.: A discussion on the hydrology of Marib, the Institute of archaeology, London 1979.
- Dayton, J.: Marib visited 1979, the institute of archaeology, London 1981.
- De Jesus Prentiss, S.: Preliminary report of the ancient Mining survey 1981, Atlal, vol 6, Department of antiquities and Museums of Saudi Arabia, Riyadh 1982.
- Dickson, HRP: Kuwait and her neighbour, London 1956.
- Diodorus Siculus: Library of history, translation by Russel M. Greer and C.H. Old father, Loeb classical library, London 1979.
- Dœ, B.: Southern Arabia, Thomas and Hadon, London 1971.
- Dœ, B.: Monuments of Southern Arabia, Falcon Olender, London 1983.
- Doughty, Charles: Travels in Arabia Deserta, Dover Publications, New York 1979.
- Encyclopedia Britannica, London 1964.
- Eph'al, I: The ancient Arabs: Nomads on the Border of the Fertile Crescent, 9-5th. Century B.C. Second ed., the Magnes press, Jerusalem 1984.
- Evenari, M.: The Negev: The Challenge of the Desert, Mass, Harvard University Press, Cambridge, 1971.
- Fakhry, Ahmed: An archaeological journey to Yemen, Government Press, Cairo, 1952.
- Froster, Charles: The historical Geography of Arabia, Draf Publisher, London 1984.
- Gingriche, A. and Heiss, J.: A note on traditional agriculture tools in Sa Dah Province, Institute of archaeology, London 1986.
- Glueck, Nelson: The other side of Jordan, American School of Oriental Research, New haven 1940.
- Grand dictionnaire encyclopédique Larousse, Tome 1, Librairie Larousse, Paris 1982.
- Grand Larousse encyclopédique, Tomes 5, 7 et 9, Librairie Larousse, Paris 1962, 1963, 1964.
- Grohman, A.: Encyclopidia of Ismal, «Ma'rib» vol 3, E.J. Brill, Leiden 1936.
- Groom Nigel: The Frankincense and Myrrh, Longman, London 1981.
- Guidi, Ignation: L'Arabie antiislamique, Paris 1921.
- Hammond, Philp: The Nabataean, their history culture and archaeology, Paul Astroms Forlag, Gothenbury, Sweden, 1973.

- Hammoud, Philp: The physical nature of Nabataean Pottery, American Journal of archaeology, vol. 68, New York 1964.
- Hammond, Philp: The excavation of the Main theater of Petra: 1961-1962, Colt archaeological institute publication, London 1965.
- Herodotus: The history of Herodotus, translation by A.D. Godley, Loeb classical library, London 1981.
- Hill, G.F.: The ancient Coinage of Southern Arabia, the British Academy, London 1915.
- Hill, G.F.: Catalogue of the Greek Coins of Arabia, Mesopotamia and Persia, British Museum, London 1922.
- Irvin, K.: Some Notes on Old South Arabian Monetary Terminology, Journal of royal Asiatic society, kas society, London 1964.
- Jamme, Albert: Sabacan inscriptions from Mahram Bilqis (Marib), Johns Hopkins, Baltimore 1962.
- Jamme, Albert: Yemen expedition, Carnegie Museum of natural history, Special Publication, Pittsburg 1976.
- Jamme, A.: South Arabian inscriptions, in the ancient Near East: A New anthology of text and pictures, ed. by J.B. pritchard, Princeton University Press, Princeton 1975.
- Kay, Shirlay: Emirates archaeological heritage, Emirate Press, Dubai 1986.
- Kedar, Y.: Water and Soil from the Desert, Geographical Journal, Royal Geographical Society, London 1957.
- Khan, A.: The tanning Cottage Industries in Pre-Islamic Arabia, Pakistan historical Society, Karachi 1971.
- Kirwan, Sir Lawrence: Where to look for the ancient port of Leukome, Studies in the history of Arabia, kind Saud University Press, Riyadh 1984.
- Kisnawi, A.: Preliminary Survey on the nining survey North West Hijaz, Atlal, vol.7, Riyadh 1983.
- Korte, Shmitt: A contribution to the Study of Nabataean Pottery, Annual of the Department of antiquities of Jordan, Amman 1971.
- Laessce, J.: The Irrigation system at Ulhu, 8th Century B.C., Journal of Cuneiform Studies, the American School of Oriental Research, Bagdad 1951.
- Lammes, Henri: Le Berceau de l'Islam, Rome 1914.
- Lammens, Henri: La cité Arabe de Taïf à la veille de L'Hegire, Beyrouth 1922.
- Lammens, Henri: La Mecque à la veille de L'Hegire, Beyrouth 1924.

- Lane, Arthur: Pottery and glass fragments form Aden, in studies in Arabian history and civilization, édition by R.B. Sejeant, Variorum reprint, London 1981.
- La pierre, Paul-Bovier: Précis de l'histoire d'Egypt, Le Cairo 1932.
- Lees, G.M.: The Physical Geography of South eastern Arabia, G.J. May 1928.
- Livingston,: Tamya, Atlal, Department of antiquities and Museums of Saudi Arabia, Riyadh, 1983.
- Maktari, A.M.: Water rights and irrigation practices in Lahj, University Press, Cambridge 1971.
- McClure, H.: The Arabian Peninsula and Prehistoric, Populations, F.R.P. 1971.
- Mc Crindle, J.W.: The Commerce and navigation of the Erythean Sea, Trubner Co., Bombay 1987.
- Meigs, Peveril: Geography of Coastal Deserts, Belgium, Unesco 1966.
- Mesharer, Y.: Nabataean Coins, the Institute of archaeology, Jerusalem 1975.
- Miller, Innes J.: The spice trade of the Romain Empire, the Clarendon press, Oxford 1969.
- Ministry of Petroleum and Mineral Resources: Mineral resources of Saudi Arabia, Bulletin No1, Riyadh.
- Morkholm, Otto: New Coins Finds from Filka, Jysk archaeologist Selskab, Kuml Denmark 1981-1982.
- Musil, Alois: North Hejaz, American Geographical Society, New York 1929.
- Nasif, Abdullah A.: An ancient Water system in Sakaka Al Jawf: Saudi Arabia, the Institute of archaeology, London 1987.
- Naval Intelligence division: Western Arabia the Red Sea, Naval Intelligence Division Admiralty, London 1964.
- Norris, H.T. and Penkey, F.W.: An archaeological and historical survey of the Aden tanks, Aden Government Press, London 1955.
- The Periplus of the Erythean Sea, translation by Wilfred Schoff 5th edition, Oreintal book reprint, NewDelhi 1954.
- Perowne, S.: I M'adiya and Beihan, Aden Protectorate Antiquity, Heffers Printer, Cambridge 1939.
- Peter, F.E.: The Nabtaean in the Hawran, Journal of American School of Oriental Society, vol 97, Part 3, New haven 1977.
- Philby, J.H.: The Background of Islam, whitehead Morris Press, Alexandria 1949.

- Philby, J.H.: The Land of Sheba, Geographical Journal, Royal Geographical Society, London 1938.
- Pirenne, Jacqueline: The Incense Port of Mosha in Dhofar, Journal of Oman Studies, the Ministry of information and culture, Oman 1975.
- Pliny Gaius: Natural history, translation by H. Rackham, Loeb classical library, London 1967.
- Polybius: Historia, translation by W.R. Paton, Loeb classical library, London 1925.
- Robert, Neil: Water Conservation in ancient Arabia, the Institute of archaeology, London 1977.
- Rostovtzeff, M.: Caravan Cities, translation by T. Talbot M. Rice, Clarendon Press, Oxford 1932.
- Schoff, W.: The Periplus of the Erythraean Sea, Oriental Book reprint, 5th. édition, Newdelhi 1954.
- Scott, Hugh: In the High Yemen, John Murray, London 1942.
- Serjeant, R.B.: Islamic textile, Library of Lebanon, Beirut 1972.
- Stamps, L. Duddley: A regional Geography, Pt. IV, Asia, London 1964.
- Strabo: The Geography of Strabo, translation by H.L. Jones, Loeb Classical Library, London 1983.
- Theophrastus: Enquiry into plants, translation Sir Arthur Hort, Loeb classical Library, London 1980.
- Van Beek, Gus: The Land of Sheba in Solomon and Sheba, ed by B. Pritchard Edinbury, R. and R. Clark 1974.
- Van Beek, Gus: Hajar Bin Humeid, Johns Hopkins, Baltimore 1967.
- Vidal, F.S.: The Oasis of Al Hasa, the Arabian American oil Company 135.
- Wade, Rosalind: Archaeological observation around Marib 1976, Proceedings of the seminar for Arabian Studies, the Institute of archaeology, London 1979.
- Walker, J.: The Moon god on coins of the Hadramaut, Bulletin of the school of Oriental and African Studies, vol 14, London 1952.
- Weisgeber, G.: Copper Production during the 3rd. millennium B.C. Oman and the question of Makan, Journal of Oman studies, vol. 6, Part 2, the Ministry of information and culture, Oman 1983.
- Weisgeber, G.: Pattern of early Islamic Metallurgy, Proceedings of the Seminar for Arabian Studies, the Institute of archaeology, London 1980.

- Weisgeber, G.: Evidence of ancient mining sites in Oman, *Journal of Oman Studis*, vol.4, the Ministry of information and Culture, Oman 1978.
- Wellsted, J.R.: *Travel in Arabia*, Akademisch Druck Uverlagsanstalt, Graz 1978.
- Wilkinson, J.C.: *Water and tribal settlement in South East Arabia, a study of the Aflaj of Oman*, Clarendon Press, Oxford, London 1977.
- Wilson, R.T.: *The Camel*, Longman, London 1984.
- Winckler Hugo: *The history of Babylonia and Assyria*, tr. James A.Craig, New York 1907.
- Wissmann, H.Von: *Himyar, ancient historique*, Le Mus'eon, Publiée par l'Association sans but lu cralif, Louvain 1964.
- Zarins, Juris.: *The Preliminary report on the third phase of the Comprehensive archaeological surveg Program, the Central Province, Atlal*, Department of antiquities and museums of Saudi Arabia, Riyadh 1979.

## الفهرس

٧	الإهداء .....
٩	المقدمة .....
١٩	الفصل الأول: الجغرافية الطبيعية لشبه الجزيرة العربية .....
١٩	١ - الموقع .....
٢٠	٢ - المساحة والحدود .....
٢٣	٣ - سطح شبه الجزيرة العربية .....
٣٤	٤ - نظرة العرب والجغرافيين القدامى لطبيعة شبه الجزيرة العربية .....
٣٨	٥ - المناخ .....
٤١	الفصل الثاني: الثروات الطبيعية .....
٤١	١ - الثروة المائية .....
٤١	- مياه الأمطار .....
٤٤	- مياه الأودية .....
٥١	- مياه العيون والينابيع .....
٥٢	- مياه الآبار .....
٥٦	٢ - الثروة النباتية .....
٦٣	٣ - الثروة الحيوانية .....
٦٥	٤ - الثروة المعدنية .....
٦٧	٥ - الثروة الحجرية: الأحجار الكريمة والمقالع .....
٧٠	الفصل الثالث: الإنتاج الزراعي ورغى الماشية في بلاد العرب قبل الإسلام .....
٧٣	أولاً: زراعة الأراضي .....
٧٣	١ - أساليب الزراعة ووسائلها .....
٧٥	٢ - السدود وأساليب الري .....
٧٦	أ - نظام السدود .....
٩٤	ب - نظام القنوات .....
١٠١	٣ - أنظمة توزيع مياه الري .....
١٠٣	٤ - معاملات المزارعة وتأجير الأراضي .....

١٠٧	٥ - مخاطر الزراعة وضرائها
١٠٩	٦ - المحاصيل الزراعية
١٢٦	ثانياً: رعي الماشية
١٢٦	أ - أنواع الرعي
١٢٨	ب - ملكية الرعي
١٢٩	ج - مناطق الرعي ونباتاتها
١٣٢	ثالثاً: تربية الحيوانات
١٣٢	أ - الحيوانات الأليفة
١٣٨	ب - الطيور الداجنة
١٣٨	ج - تربية النحل
١٤٠	رابعاً: صيد الحيوانات البرية والبحرية
١٤١	الفصل الرابع: الإنتاج الصناعي والتعدين في عصور ما قبل الإسلام
١٤٢	١ - التعدين وطرقه
١٤٥	٢ - صناعات الأواني والأدوات المعدنية
١٤٩	٣ - الصناعات المعدنية الثمينة
١٥٣	٤ - صناعات النقود المعدنية (المسكوكات)
١٥٦	٥ - الصناعات الحجرية
١٥٩	٦ - صناعة استخراج الملح
١٦٠	٧ - صناعة الغزل والنسيج
١٦٣	٨ - الصناعات الجلدية والدباغة
١٦٦	٩ - صناعة استخراج الأصباغ والعطور
١٧٠	١٠ - الصناعات الخشبية
١٧٣	١١ - صناعة السفن
١٧٥	١٢ - صناعة الألياف والعيذان
١٧٦	١٣ - الصناعات الفخارية
١٨٢	١٤ - صناعة الأواني الزجاجية
١٨٣	١٥ - صناعة المواد الغذائية
١٨٦	الفصل الخامس: القطاع التجاري والأسواق في عصور ما قبل الإسلام
١٨٦	أولاً: القطاع التجاري
١٨٨	١ - التجارة في جنوبي شبه الجزيرة العربية
٢٠٣	٢ - التجارة في الحجاز
٢١٤	٣ - دور البتراء التجاري
٢١٩	٤ - دور تدمر التجاري
٢٢٢	٥ - التجارة في شرقي شبه الجزيرة العربية

٢٢٧	٦ - التجارة في شمال شرقي بلاد العرب .....
٢٣٥	ثانياً: الأسواق وأنظمتها .....
٢٣٥	أ - الأسواق .....
٢٤٧	ب - أنظمة السوق .....
٢٦١	ملاحق الكتاب: .....
	الملحق الأول: الموقع الطبيعي لشبه الجزيرة العربية من قارات العالم
٢٦٣	القديم .....
	الملحق الثاني: التطور الجيولوجي لتكوين الأراضي في شبه الجزيرة
٢٦٤	العربية .....
٢٦٥	الملحق الثالث: جزيرة العرب: طبيعة سطح الأرض .....
٢٦٦	الملحق الرابع: خريطة بطليموس للعربية السعيدة باللغة العربية .....
٢٧٦	الملحق الخامس: خريطة بطليموس للعربية السعيدة باللغة الأجنبية .....
٢٦٨	الملحق السادس: الدول العربية الشمالية قبل الإسلام .....
	الملحق السابع: خريطة المراكز التجارية القديمة والطرق البرية والبحرية
٢٦٩	التابعة لها .....
٢٧٠	الملحق الثامن: الطرق البرية الرئيسية ومدن القوافل .....
٢٧١	الملحق التاسع: الطرق البرية في جنوب شبه الجزيرة العربية .....
٢٧٢	الملحق العاشر: الموانئ العربية والأجنبية .....
٢٧٣	الملحق الحادي عشر: خطوط التجارة البحرية في العصر اليوناني الروماني
٢٧٤	الملحق الثاني عشر: الكيانات السياسية في شبه الجزيرة العربية .....
٢٧٥	الملحق الثالث عشر: قسم من سد مأرب .....
٢٧٦	الملحق الرابع عشر: مخطط يوضح طريقة حفر القناة في جوف الأرض .
	الملحق الخامس عشر: مخطط يوضح كيفية جلب الماء المحفوظ تحت
٢٧٧	سطح الأرض ليجري على وجه الأرض في موقع آخر أقل ارتفاعاً .....
	الملحق السادس عشر: طريقة السيفون لحماية القناة من السيول عند
٢٧٨	عبورها للوادي .....
٢٧٩	الملحق السابع عشر: نماذج من أنواع القنوات .....
٢٨٠	الملحق الثامن عشر: أواني فخارية .....
٢٨١	الملحق التاسع عشر: تماثيل فخارية ونماذج لعملة عربية قديمة .....
٢٨٣	المصادر والمراجع: .....
٢٨٣	أولاً: المصادر والمراجع باللغة العربية .....
٢٩٤	ثانياً: المصادر والمراجع باللغات الأجنبية .....
٣٠١	فهرس المحتويات .....



# تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام

تتمتع بلاد العرب بمزايا عديدة، من أهمها: غنى أراضيها، وموقعها الفريد بين قارات ثلاث: آسيا وإفريقيا وأوروبا. وقد جعل منها هذا الموقع صلة وصل بين حضارات الشرق الأقصى كالهند والصين وحضارات الغرب الأوروبي كالإغريق والرومان. كما جعل منها قلب العالم القديم الذي كان ينبض بالحيوية والنشاط ويرفد المجتمعات بقواها البشرية.. فعلى أرض العرب نشأت أولى حضارات الإنسان، واكتشفت الزراعة وصنع الخبز لأول مرة في التاريخ على حد قول المؤرخ ارنولد توينبي.

ولا ريب أن كتاب «تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام» الذي بين أيدينا - مؤلفه الدكتور علي معطي الذي يتميز في أبحاثه بالموضوعية والرصانة العلمية - يُعتبر مرجعاً لكل باحث في اقتصاديات العالم العربي في عصور ما قبل الإسلام. ففي هذا الكتاب تفصيل وافٍ لثرواته الطبيعية، وتبيان لإنجازات أهله في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة.

فلذا تعتزّ «دار المنهل اللبناني» أن تضع بين أيدي قرائها الأعزاء هذا السفر القيم الذي تحتاجه المكتبة العربية، وذلك لندرة مثل هذه الدراسات فيها، وأن تعلن لاحقاً عن صدور كتاب «تاريخ العرب السياسي قبل الإسلام» للمؤلف نفسه.

الناشر

دار المنهل اللبناني - مكتبة رأس النبع

هاتف: ٦٣١٦٥٤ (٠١) - ٢٢٦٣٢٥ (٠٣) - تليفاكس: ٦٣٣٤٣٢ (٠١)